سلسلة تاريخنا المعاصر

مأساة سوريا

في ظل الإرهاب العسكري والتسلط الباطني

مأساة سوريا

في ظل الإرهاب العسكري والتسلط الباطني

محمد بن عبد الرحمن اليحيى

مأساة سوريا

في ظل الإرهاب العسكري والتسلط الباطني

محمد بن عبد الرحمن اليحيى

المقدمة

الحمد لله رب العالمـــين، والصـلاة والسـلام على خاتم المرسلـين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن جراح المسلمين قد كثرت طوال هذا القرن، وإن آلامهم قد اشتدت، بعد تمزق وحدتهم وسقوط خلافتهم.

لقد انفرط العقد، وصارت الولاية دولاً، واستنسر البغاث في ديار الصقور، وظهرت الفرق الباطنية من جديد، تعيد أحقاد أجدادها، وتدك معاقل المسلمين.

وكانت سوريا إحدى ضحايا هذا التآمر خلال نصف قرن من الزمن؛ فهي لم تحس للاستقرار طعماً، ولا للهدوء مكاناً، فقد توالى الإرهاب العسكري منذ استقلالها على يد قادة الانقلابات العسكرية، فكان التخبط والفوضى، وبلاغات منع التجول، والاتهامات بين الجنرالات تصم الآذان من إذاعة دمشق وحلب.

وكان الارتماء في أحضان عبد الناصر تخلصاً من الفوضى والانتهازية، فحطمت الآمال، وحصل الانفصال بسبب انتهازية قادة حزب البعث وجبروت عبد الناصر وتسلطه.

وكانت المأساة بتكتل باطني تحت مظلة حزب البعث بانقلاب الثامن من آذار 1963م، وكان حصاد الحزب شوكاً وحنظلاً طوال سبع سنوات موحشة من الإرهاب والدمار وإعلان الحرب على الإسلام والمسلمين، وتسليم البلاد لإسرائيل على يد قيادة الحزب وضباطه الباطنيين من الدروز والنصيرين والإسماعيليين، وكان الصراع دموياً بين أجنحة الحزب الحاكم، ومن ثم أصبحت الاتهامات بالخيانة والعمالة والرجعية علنية بين رفاق الحزب وقياداته القومية والقطرية...

وانفرد النصيريون بالحكم خلال ذلك الصراع الدامي العنيف... واستمرت المآسي والأحزان، وما عليك إلا أن تسأل السجون وما حوت، والديار وقد دمرت لتعرف الحقائق الموجعة.

اسأل اليتامىأين آباؤهم، تجد في كل بيت رنةً وعويلاً، ولن تجد إلا عبرات صامتة خائفة لدى الأرامل والأطفال؛ لأن ذويهم باتوا تحت الثرى، أو في غياهب السجون، ولا يدرون عن مصيرهم شيئاً ...

لقد ضاقت سوريا بأهلها فقراً وحاجة، بعد خيرات بلادهم الوفيرة، التي اقتنصها الطغاة الباطنيون، فباتوا أغنياء مترفين بعد الفقر والعوز، والجهل والعزلة.

اسأل عن علماء سوريا ودعاتها لماذا تشردوا في كل واد، وهاموا على وجوههم في البلاد؟!

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وقد حرموا من وثائق السفر، وشهادات الميلاد لأبنائهم وأحفادهم، وعاشوا في غربة قاتلة ولا ذنب لهم إلا أن قالوا: ربنا الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل...

وسل الحرائر لماذا جأرْن بالدعاء عند تمزيق الحجاب في شوارع دمشق معقل الإسلام، وعاصمة بني أمية؟!

لعلك تجد جواباً شافياً على هذه الأسئلة في كتابنا هذا بإذن الله... فقد أردنا من هذا البحث أن يطلع المسلمون على المآسي المتجددة، والجراح النازفة لهذا القطر العزيز، ففي تسجيل تاريخ هذه الفترة ضمان لحقائق، نخشى أن تعفو عليها رياح التزوير والتلفيق...

ومن حق الأجيال اللاحقة أن تعرف من هم أعداؤها، وما هي مخططاتهم، ومن هم الذين أجرموا بحقهم وحق آبائهم وأوطانهم؟!

يجب أن نأخذ العبرة من تاريخنا، أن نتأمل بروية، أن نخطط بحكمة وتعقل، أن نراجع حساباتنا بشجاعة، بعيداً عن ردود الأفعال، وعواطف الاستعجال.

أخي القارئ: إن تاريخ بلادك طوال نصف قرن من الزمن، قد لا يوفيه هذا الكتاب حقه، لأن الأحداث خطيرة، والمصائب مذهلة موجعة، وجرى من المجازر والدمار ما تشيب له الولدان...

نحن بحاجة إلى بحوث مستفيضة، ومجلدات مفصلة ترصد ذلك التاريخ وما فيه، وقد اكتفينا بالخطوط العريضة، وعالجنا الأحداث بموضوعية مركزة، وعسى أن يكون بحثنا قد سدّ ثغرة ربما كانت مهملة حتى الآن.

هذا وقد اعتمدنا على المراجع الموثوقة، واطلعنا على ما كتب حول هذه المرحلة من كتب ومذكرات، كما تتبعنا الصحف والمجلات، وأخذنا بروايات شهود العيان المعاصرين لتلك الأحداث، راجين المولى أن نكون قد وُفقنا لتقديم صورة صادقة لتاريخ سوريا خلال هذه المرحلة.

وقد جاء الكتاب موزعاً على أربعة أبواب رئيسية:

الباب الأول: تحدثنا فيه عن تطور الأحداث السياسية السورية ما بين (1946م - 1963م)، وما فيها من انقلابات عسكرية سريعة، بقيادة حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي، وخلفية هذه الانقلابات وظروفها وآثارها، كما تحدثنا عن سنوات الوحدة والانفصال، مع بيان الأسباب والنتائج.

الباب الثاني: خصصناه لانقلاب الثامن من آذار وتسلط حزب البعث على الحكم، وعن التصفيات الدموية الحزبية والطائفية (1963 - 1970م)
فقد كان الصراع دموياً بين رفاق الحزب، فتخلصوا من الضباط السنة فالدروز والإسماعيلية، وتخلص النصيريون من القيادة القومية للحزب باسم القيادة القطرية، كما تحدثنا عن البعث الحاكم وجني البلاد للأشواك الدامية، حيث أعلن رجال الحزب الحرب على الإسلام في الشعارات والتطبيق، وهدمت المساجد على رؤوس المصلين، كما سلمت الجولان في هذا العهدْ.

الباب الثالث: عهد الرئيس حافظ الأسد (1970 - 2000م) تحدثنا في هذا الباب عن انتماءات الأسد الحزبية والطائفية، واستغلاله لحزب البعث واعتماده على أبناء عشيرته وطائفته - وتعرضنا لسياسته الداخلية، وفيها تحطيم مركز لقيم المجتمع مع إشاعة الإرهاب والإباحية في البلاد، كما تحدثنا عن الثورة الإسلامية وقمعها بعنف ووحشية، وهدم شرس لأحياء كاملة في حماة وغيرها والقيام بمجازر مرعبة ضد أهل السنة، وفي هذا الباب بيان لتناقضات الأسد في سياسته الخارجية في المجالين العربي والدولي، مع ملاحق في آخر الباب حول أحداث هذا العهد.

الباب الرابع: دور الحركات الباطنية في تطور أحداث سوريا مع دراسة لهذه الحركات (الإسماعيلية ـ الدروز ـ النصيرية) حول معتقداتها وتاريخها التآمري منذ أن أسست، وفتاوى كبار العلماء في كفرها وضلالها والتحذير منها.

والله أسأل القبول والإخلاص، وتخليص المسلمين مما هم فيه، إنه سميع الدعاء،وصلى الله على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: محمد بن عبد الــرحمن اليحيى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

فهرس الموضوعات

الباب الأول

تطور الأحداث السياسية في سوريا (1946 - 1963م)

الفصل الأول: الحالة العامة في سوريا قبل عام/ 1949م

- لمحة عن الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية
- كيف تكوّن الجيش الوطني في سوريا
- أثر نكبة فلسطين لعام/ 1948م على الجيش والأمة
- البرلمان السوري والعهد الدستوري الأول
- دور الأحزاب السياسية في هذه المرحلة

الفصل الثاني: عهد الانقلابات العسكرية (1949 - 1958م)

- المبحث الأول: الانقلاب الأول بقيادة حسني الزعيم
  - موجز عن حياته
  - أحداث الانقلاب
  - إنجازات الزعيم ومواقفه السياسية
  - الأسباب الكامنة وراء الانقلاب
  - هل كان انقلاب الزعيم مرتباً من خارج البلاد؟!
  - الزعيم أمام المشاريع المشبوهة
  - نهاية عهد الزعيم وإعدامه
- المبحث الثاني: انقلاب اللواء سامي الحناوي
  - ظروف الانقلاب ودوافعه
  - الانقلاب الجديد وصاحبه
  - انقلاب الحناوي ومشروعا الهلال الخصيب وسوريا الكبرى
  - الفصل الأخير من مسرحية الانقلاب الثاني
- المبحث الثالث: انقلاب العقيد الشيشكلي
  - ظروف الانقلاب ودوافع الانقلابيين الجدد
  - قائد الانقلاب وأبرز صفاته
  - إنجازات الشيشكلي ومواقفه الغربية في سوريا
  - سياسته تجاه مطامع الدول الغربية السياسية
  - المعارضة السياسية وإسقاط الشيشكلي عن الحكم
  - التمرد العسكري ضد الشيشكلي

الفصل الثالث: تطور الأحداث السياسية بعد سقوط الشيشكلي (1954 – 1963)

- المبحث الأول: العهد الدستوري وعودة الجيش إلى ثكناته (1954 - 1958م)
  - لمحة عن الحياة السياسية في هذا العهد
  - أماني الهلال الخصيب وظهور حلف بغداد
  - تآمر حكومة العراق الملكية على سوريا
  - تكتلات كبار الضباط في هذا العهد

- المبحث الثاني: سنوات الوحدة والانفصال (1958 – 1963)
  - التقارب بين القطرين: مصر وسوريا
  - الوحدة المرتجلة والتناقضات المتعددة
  - لماذا انهارت الوحدة بهذه السرعة؟!
  - عهد الانفصال: (1961 - 1963م)

الباب الثاني

انقلاب الثامن من آذار وتسلط حزب البعث

التصفيات الدموية: الحزبية والطائفية (1963م – 1970)

الفصل الأول: تكتل الأقليات الطائفية ضد أهل السنة

- المبحث الأول: حزب البعث يصفي معظم الضباط من أهل السنة
  - انقلاب الثامن من آذار/ 1963م واحتكار الحزب للسلطة
  - انقلاب الناصريين ونتائجه المريرة، في 18/ تموز - 1963م
  - التكتل الطائفي داخل الجيش وتسريح مئات الضباط من أهل السنة
- المبحث الثاني: التخطيط النصيري للانفراد بالسلطة
  - مؤتمر حمص عام/ 1963م، والقرارات الخطيرة
  - تغلغل النصيريين في الحزب والحكومة
- المبحث الثالث: الصراع بين القيادتين القومية والقطرية
  - سيطرة الثلاثي النصيري: عمران - جديد - الأسد، والتخلص من عمران لتسرعه في كشف المخطط
  - انقلاب 23/ شباط/ 1966م، والإطاحة برئيس الدولة أمين الحافظ وبالقيادة القومية على يد التكتل الباطني
  - تخلص النصيريين من الطوائف الأخرى
  - ماذا قال الرفاق الحزبيون عن بعضهم بعد انقلاب شباط 1966م

الفصل الثاني: الصراع بين النصيريين والدروز

- تنظيم القيادة القومية بقيادة الرزاز وفهد الشاعر
- تنظيم سليم حاطوم السري
- انقلاب سليم حاطوم في: 8/ أيلول/ 1966م
- مؤتمر حاطوم الصحفي في عمان يتهم فيه النصيريين بالتخطيط لإقامة دولة نصيرية

تصفية الضباط الدروز والتخلص من بقايا القيادة القومية، وهلاك حاطوم تحت التعذيب/ 1967م

الفصل الثالث: الصراع ضمن الطائفة النصيرية

- بداية الصراع بين صلاح جديد وحافظ أسد

- التنافس بين جديد والأسد يمثل اتجاهين متضادين في أسلوب الحكم والطموحات الشخصية والعائلية
- انعكاس التنافس بين القيادتين على مناطق الطائفة النصيرية، واعتقال صلاح جديد وأنصاره
- انفراد الأسد بالسلطة بانقلاب 12/تشرين الثاني/1970
- اعتماد الأسد على أبناء عشيرته وأقاربه وإخوته وطائفته في حكم البلاد

الفصل الرابع: حزب البعث الحاكم وجني الأشواك الدامية

- حزب البعث هو حزب الأقليات الطائفية الحاقدة
- خيانة البعث لشعاراته في الوحدة والحرية والاشتراكية
- البعث العلماني يعلن حربه على الإسلام والمسلمين
- تسلل الجاسوس الإسرائيلي كوهين إلى دمشق وتعاون قيادات البعث معه
- سقوط الجولان وتسليم القنيطرة عام/ 1967م خلال مهزلة مفضوحة في عهد البعث وتسلطه

الباب الثالث

عهد الرئيس حافظ الأسد (1970 - 2000م)

الفصل الأول: حافظ الأسد من هو؟! وكيف وصل إلى قمة السلطة؟

- أصوله النصيرية وانتماءاته الحزبية
- استغلاله لحزب البعث والتخلص من قياداته التاريخية
- اعتماده على الطائفة النصيرية من خلال أهله وعشيرته وأعوانه
- حافظ الأسد أو نصيري يتسلم منصب رئاسة الجمهورية في سوريا
- ملامح من خطة الأسد في حكمه... وكثافة أجهزة الأمن والإرهاب

الفصل الثاني: السياسة الداخلية لحكومة الأسد

- المبحث الأول: تحطيم قيم المجتمع وإشاعة الإرهاب في البلاد
  - نشر الإباحية وتشجيع الانحلال الخلقي
  - انتشار الرشوة وظهور المظالم الاجتماعية
  - إشاعة الإرهاب وبث الذعر في كل مكان
- المبحث الثاني: مواجهة القمع النصيري وارتكاب المجازر الوحشية في ديار المسلمين
  - ثورة الإسلاميين ضد القمع النصيري
  - قيام الجبهة الإسلامية في سوريا
  - صور مرعبة من المجازر الوحشية في مدن أهل السنة
  - وقفة أمام الأحداث الدامية في هذا العهد

الفصل الثالث: سياسة الأسد الخارجية وتناقضاته في المجالين العربي والداخلي

- المبحث الأول: الازدواجية والتلون والانتهازية
- المبحث الثاني: موقف الأسد من الصراع العربي الإسرائيلي (سقوط القنيطرة وتسليم الجولان)
- المبحث الثالث: التدخل العسكري في لبنان لمصلحة مَنْ ؟!

- ترحيب الموارنة بالتدخل السوري
- تأييد الولايات المتحدة وإسرائيل لذلك التدخل
- تعاون النصارى والشيعة مع قوات الأسد ضد أهل السنة

- المبحث الرابع: تعاون الأسد مع إيران في حرب العراق وإطلاق يد الرافضة بنشاط مذهبي داخل سوريا

الفصل الرابع:مَنْ سيخلف الأسد على رئاسة الدولة؟!

- تسلط آل الأسد على الأمة
- مسألة خلافة الأسد على الرئاسة
- سيناريو تلميع بشار للرئاسة: بين الآمال والتطبيقات
- موقف المعارضة داخل الطائفة النصيرية في الجيش والحزب
- مظالم أهل السنة ومآسيهم أمام استخلاف الأسد
- وقفة مع رئاسة حافظ الأسد خلال ثلث قرن

الملاحق

- الملحق رقم 1: 35 عاماً غياب الحريات الإنسانية والأساسية 1963-1998م
- الملحق رقم 2: تدمر شاهد ومشهود
- الملحق رقم 3: الموت والإعدام في سجن تدمر، قائمة بأسماء 68 شخص أعدموا في ذلك السجن
- الملحق رقم 4: نص القانون 49 لعام 1980م، بعقوبة الإعدام على كل منتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين بسوريا
- الملحق رقم 5: اللجنة السورية لحقوق الإنسان تقدم نماذج من سجل حكومة الأسد في إبادة أسر بكاملها في مدينة حماة
- الملحق رقم 6: هلاك الأسد نظرات في غياب الوعي وتضليل الأمة

الباب الرابع

دور الحركات الباطنية في تطور الأحداث السياسية

بين يدي البحث: نبذة عن نشأة الفرق الباطنية وتطورها

الفصل الأول: الإسماعيلية وأثرها في الحركات الباطنية الأخرى

- المبحث الأول: نشأتها وأبرز فروعها
  - العبيديون الفاطميون في مصر
  - الحشاشون في (آلموت) في فارس، وبلاد الشام
  - القرامطة: أسست لها دولة في البحرين، وهاجمت المسجد الحرام وقتلت مَنْ فيه
- المبحث الثاني: عقائد الإسماعيلية
  - عقيدتهم في الألوهية والتوحيد
  - عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة
  - عقيدتهم في عصمة أئمتهم المستورين
  - إنكار البعث والحساب واليوم الآخر
  - التأويل الباطني لأركان الإسلام
  - طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة

الفصل الثاني:طائفة الدروز نشأةً واعتقاداً

- المبحث الأول: نشأة المذهب الدرزي وعلاقته بالإسماعيلية
- المبحث الثاني: معتقدات الدروز
  - إيمانهم بألوهية الحاكم بأمر الله
  - إيمانهم بالتقمص وتناسخ الأرواح
  - إنكارهم لليوم الآخر وللحساب والجنة والنار
  - إسقاطهم لأركان الإسلام
  - عقيدتهم في الأنبياء
  - نظام الخلوات وتسترهم على عقائدهم
  - رسائل الدروز وكتبهم المقدسة - حسب زعمهم –
  - فتاوى العلماء في تكفيرهم
- المبحث الثالث:الدروز عَبْر التاريخ
  - تعاونهم مع المغول
  - وخلال الحروب الصليبية
  - اعتداء الدروز على جيرانهم في حوران واللجاة خلال العهد العثماني
  - الدروز أيام الانتداب الفرنسي
  - الدروز بعد استقلال البلاد وتآمرهم المتكرر
  - خلال حرب 1967م، 1973م، مع اليهود
  - تعاون الدروز مع دولة العصابات الإسرائيلية في فلسطين والجولان

الفصل الثالث: النصيرية

- المبحث الأول: نشأة النصيرية في القرن الثالث الهجري على يد محمد بن نصير البصري الفارسي الأصل
- المبحث الثاني: معتقدات النصيريين
  - ألوهية علي بن أبي طالب من أهم عقائدهم
  - إيمانهم بالتقمص والتناسخ مع نفي المعاد يوم الحساب
  - إباحة المحرمات وإسقاط التكاليف
  - الطقوس السرية لدخول جهالهم في سلك النصيرية
  - التستر على عقائدهم والتأويل الباطني لها
  - قداسات النصيرية ونماذج من كتبهم
  - موقف النصيرية من الصحابة مضطرب بين الشتائم والتقديس
- المبحث الثالث:النصيريون عَبْرَ التاريخ
  - تعاونهم مع الصليبيين ضد المسلمين
  - تعاونهم مع التتار وتيمور لنك خاصة لنكبة دمشق وبغداد
  - فتن النصيريين في العهد العثماني
  - تعاونهم مع المستعمر الفرنسي
  - النصيريون بعد الاستقلال: مخططاتهم لاحتكار السلطة
  - دورهم في هزائم عامي 1967م، و 1973م أمام إسرائيل
  - أقوال العلماء في النصيرية والحركات الباطنية

نتائج البحث - المصادر والمراجع

الباب الأول
تطور الأحداث السياسية في سوريا (1946 - 1963م)

- **الفصل الأول**: الحالة العامة في سوريا قبل عام/ 1949م
- **الفصل الثاني**: عهد الانقلابات العسكرية (1949 - 1958م)
- **الفصل الثالث**: تطور الأحداث السياسية بعد سقوط الشيشكلي (1954 – 1963)

الفصل الأول: الحالة العامة في سوريا قبل عام/ 1949م

- لمحة عن الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية
- كيف تكوّن الجيش الوطني في سوريا
- أثر نكبة فلسطين لعام/ 1948م على الجيش والأمة
- البرلمان السوري والعهد الدستوري الأول
- دور الأحزاب السياسية في هذه المرحلة

الحركة الفكرية وحالة المجتمع السوري:

خرجت البلاد من الانتداب الفرنسي واهية القوى مفككة الأوصال، تسود الأمة الروح العشائرية والمصالح العائلية. خرجت فرنسا وقد خلفت تجارة كاسدة وزراعة بدائية وكان رجال الإقطاع وزعماء الأحياء والعشائر قد سيطروا على البلاد، وجلهم من الذين كانوا قد ارتموا في أحضان السلطات الفرنسية.
وبعد جلاء القوات الأجنبية عن أرض الوطن في 17/ نيسان عام /1946م، كانت قد خلفت تركة ثقيلة من التخلف والفقر والجهل، وكانت معظم الأحزاب العربية تفتقر إلى وضوح الرؤيا السياسية والاقتصادية، وينقصها تصور شامل لمشاكل المجتمع وكيفية حلها [1].

وقد فشل الحكم الوطني الدستوري في إنقاذ البلاد مما تعانيه وذلك يعود إلى مجموعة من الأسباب منها [2] :
-فقدان الزعامة القوية والقيادة الرشيدة.
-خلو البلاد من جيش قوي يعتمد عليه في تقرير الأمن وفرض الهيبة.
-فقدان التجانس بين كتل الدولة، وقلة السياسيين المجربين من أصحاب الكفاءة والنزاهة.
-نقص الوعي عند أكثرية الشعب، مع طغيان المطامع الفردية على المصالح العامة.
ثم يقول الدكتور عبد الرحمن الكيالي أيضاً في تعليل أسباب فشل الحكم الوطني وقيام الانقلابات بعده: "ومن العوامل التي أدت إلى فشلنا وفساد سياستنا، أن قادة الكتلة الوطنية لم يكن لهم منهاج مدروس معين في كيفية ممارسة الحكم، ولا برنامج واضح لإصلاح الخلل في جهاز الدولة."
وما يقوله الدكتور الكيالي، يعطي صورة واضحة عن البيئة الاجتماعية والاقتصادية، قبل الانقلاب الأول.
إذ كان الفلاحون يئنون تحت وطأة الديون التي يفرضها عليهم المرابون بفوائد مضاعفة، كما كان الفقراء يئنون تحت وطأة الضرائب الجائرة، بينما كان الأغنياء يتهربون منها بما لديهم من وساطات ومحسوبيات.
وكان التعليم يسير سيراً بطيئاً، وظلت مشاريع محو الأمية حبراً على ورق ردحاً من الزمن.
وكان الانفتاح على النظام الغربي، يسير إلى جانب الأنظمة الموروثة، فنشأ من اختلاط هذين النظامين فوضى لا حد لها في مظاهر حياتنا الاجتماعية، مما أدى إلى سلسلة من الانقلابات العسكرية [3]
ولعلنا في إلقاء الضوء على مجمل الحياة الفكرية والسياسية والعسكرية، قبل مرحلة الانقلابات العسكرية، تتضح لنا تلك الظاهرة التي شهدتها سوريا في الفترة ما بين (1949 - 1963م)، وما تلاها من صراعات وأحداث دامية حتى الآن.

فالمراقب للحركة الفكرية [4]:

يلاحظ أن الفكر الديني هو الذي كان يسيطر عموماً على عقول العامة والخاصة من مختلف الطوائف والطبقات، ثم برز فكر وافد جديد متأثر بالثقافة الغربية سواء عن طريق المدارس التنصيرية، أو البعثات إلى فرنسا، والدول الأوربية، أو عن طريق بعض الشبان الذين درسوا في (استنابول) عاصمة الخلافة، وقد تأثروا بدعاة الإصلاح والتجديد، كما كان يطلق عليهم.
فلما عاد أولئك جميعاً، ساهموا في إذكاء الروح القومية وبعث الوحدة العربية، وإحياء التراث العربي... كما ساهموا في عملية الصراع ضد حركة القومية الطورانية.

ومن أولئك المتعلمين، وجلهم من المحامين والصحفيين، وكبار العسكريين والإداريين الذين خدموا في أجهزة الدولة العثمانية، تشكلت الكتلة الوطنية في عهد الانتداب الفرنسي بعد عام /1920م، وحملت لواء الحرية والاستقلال ومن ثم وضعتميثاقاً وطنياً، كان شعاره: "الدين لله والوطن للجميع".

فكانت الكتلة الوطنية أشبه بحزب علماني على الطريقة الفرنسية، تضم عناصر من مختلف الطوائف.

وفيما عدا ذلك برزت إلى الوجود طليعة من القلة المتعلمين خريجي جامعات أوروبا، أو الجامعة الأمريكية في بيروت، يزعمون حرية الفكر، ويدعون إلى إصلاح جذري في كل مجالات الحياة.. متأثرين بمبادئ الثورة الفرنسية أو مبادئ الثورة الماركسية، ولكن أثر هؤلاء كان ضعيفاً بادئ الأمر.

أما التعليم فكاد أن يقتصر على أبناء العائلات الميسورة، أو الطبقات المتوسطة، بينما كان الريف يعيش أهله في جهل مطبق، إذ كانت الأمية متفشية وقد بلغت نسبتها 80 %، إلا أن الحكومات الوطنية، التي توالت خلال عهد الانتداب وما بعد الاستقلال، عملت على فتح المدارس والمعاهد.

وكانت حلقات الدروس في المساجد، والمواعظ التي كانت تلقى فيها، قد ساهمت في تثقيف أبناء المسلمين إلى حد كبير.

---

(1)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص62 - 72.

(2)ينظر كتاب المراحل: للدكتور عبد الرحمن الكيالي، ج4/825، 635، وهو مؤرخ وشاهد عيان على تلك المرحلة، كان قد استلم وزارة المعارف خلال فترة الانتداب، وعدة مناصب وزارية أخرى.

(3)النكبات والمغامرات: تاريخ ما أهمله التاريخ من أسرار الانقلابات العسكرية السورية/؛ 9491 - 8591م. بشير فنصة - رئيس تحرير جريدة الأنباء وألف باء.
دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع/ دمشق/ 6991م.

(4)ينظر: النكبات والمغامرات /ص86 - 96/ بشير فنصة.

الجيش (5):

تكون الجيش الوطني بعد جلاء القوات الفرنسية عن أرض الوطن، من فلول الجيش المختلط والحرس السيار، الذي كان تحت إمرة القادة الفرنسيين مباشرة (6).

وقد فضل الفرنسيون أيام الانتداب تجنيد مختلف الأقليات الدينية والعرقية: كالدروز والنصيرين والإسماعيليين والأكراد والشركس. فيما يسمى بالقوات الخاصة للشرق الأدنى، وتطورت فيما بعد لتصبح هي القوات المسلحة السورية واللبنانية.

ولم تشجع فرنسا المسلمين السنة للانخراط في الجيش جرياً على سياسة المستعمرين "فرق تسدْ."

وقد دعمت هذا الاتجاه، العائلات العربية الثرية من أهل السنة بصورة غير مباشرة، وذلك برفضها إرسال أبنائها للتدريب العسكري في قوات لاح أنها تخدم المصالح الفرنسية (7).

وثم عامل اقتصادي واجتماعي، دفع لبروز الأقليات في الجيش، حيث أن المناطق الريفية الفقيرة قدمت أبناءها لتوفر فرصة جيدة للتمتع بحياة أكثر رفاهية، من تلك التي يوفرها القطاع الزراعي، خلافاً لأهل السنة من سكان المدن الكبرى، وقد تمتع النصيريون بأكثرية في الجيش منذ عام/ 1955 حتى أن العقيد عبد الحميد السراج رئيس مكتب المخابرات، قد اندهش لدى اكتشافه أن مالا يقل عن 65% من ضباط الصف كانوا تابعين للطائفة النصيرية (8).

كما أن العائلات المسلمة مالكة الأراضي، كانت تحتقر الجندية كمهنة، بسبب سيطرة العاطفة الوطنية عليها، وتعتبر الانتساب إليها في فترة ما بين الحربين العالميتين خدمة للفرنسيين".

لقد غفل اليمين المحافظ في سوريا عن الجيش كقوة سياسية في ظروف نكبة مهلكة، دمرت فيما بعد نفوذ العائلات الإقطاعية وتجار المدينة (9).

فمن هذا المزيج تكونت القوات السورية الوطنية، وصدر بعد ذلك قانون الخدمة العسكرية الإلزامية.

وقد كان هذا الجيش الحديث النشأة والتكوين يفتقر إلى الكثير من مقومات الجيش الانضباطي، من تدريب وسلاح وروح معنوية عالية..

وهذه المواصفات، جعلت الجيش السوري الناشئ مطية سهلة للمغامرين من ضباطه، وكان سبباً من أسباب الشقاق والتمزق داخل صفوفه، ومن ثم انشغاله عن واجبه المقدس في حماية البلاد، والدفاع عن حدودها، وزجه بعد ذلك في خضم السياسة والنزاعات الحزبية والطائفية والعشائرية.

وخلاصة القول:إن هذا الجيش الذي دُفع للقيام بالانقلاب الأول، كان جيشاً ناشئاً، ويعتبر إلى حد بعيد من بقايا الجيوش المرتزقة أيام الانتداب الفرنسي الغاشم (10).

---

(5)ينظر كتاب النكبات والمغامرات /ص68 - 96 /بشير فنصة.

(6)الحرس السيار: كان يتكون من شرذمة من العساكر المرتزقة توضع تحت تصرف المستشارين والمندوبين السياسيين الفرنسيين، لقمع كل تمرد في صفوف الفلاحين، وتميزت هذه القوات بأعمالها الوحشية ضد الأهالي.

(7)الصراع على السلطة في سوريا: د: نيقولاوس فان دام/ الطبعة الثانية/ القاهرة مكتبة مدبولي/ 5991/ ص15 - 25.

(8)المرجع السابق/ ص35.

(9)الصراع على سوريا: باتريك سيل، ترجمة سمير عبده، ومحمود فلاحة/ ص06 - 16/ مكتبة طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق/ 3891م.

(10)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص86 - 96.

نكبة فلسطين عام /1948م:

لقد صعق العرب في شتى أقطارهم لما حل بهم من هزيمة منكرة في فلسطين، وهبت الأمة من غفلتها تطالب بإزاحة الحكام عن مناصبهم، فسارت المظاهرات في الشوارع في عواصم البلاد العربية كالقاهرة ودمشق وعمان وبغداد، وألقيت الخطب النارية، وامتلأت الصحف بحملات النقد والتشهير بمن كانوا السبب وراء مأساة فلسطين.
وهب الشعراء في كل قطر ينظمون القصائد، ويبكون النكبة والمجد الضائع.
قال الشاعر العراقي "عدنان الراوي" قصيدة بعنوان: (النشيد السادس) منها هذه الأبيات (11):

نهبوا منا الربوع الخضر بل داسوا الكرامة
واستباحوا حرمات العرب فينا والشهامة
ولقد كنا على آثارهم مثل النعامة
رأسها في الرمل والجسم مباح يا سلامة
لست أدري هل سنبني مجدنا يوم القيامة؟!

وقد تكشف ضعف الجيش السوري خلال هذه الحرب، فاستقال وزير الدفاع أحمد الشراباتي في 24/آيار/1948م، بعد إعلان قيام إسرائيل في 15/آيار من نفس العام، وقد كان الشراباتي يمنع رئيس أركانه من زيارة الجبهة (12).
وتولى جميل مردم رئيس الوزراء، وزارة الدفاع بنفسه، وتقاعد عبد الله عطفة رئيس الأركان العامة، واستبدل به حسني الزعيم مدير الأمن العام.
وقد وجهت اتهامات بالرشوة والربح الفاحش، ولا سيما في قضية الضابط (فؤاد مردم) الذي أرسل بمهمة عسكرية لإيطاليا، فابتاع سلاحاً، وبسبب الإهمال أو الخيانة، في عدم وصول السلاح واعتراض إسرائيل لتلك الصفقة، بسبب أن فؤاد مردم، كان قد وقع في حبال فتاة تعمل في الاستخبارات الإسرائيلية (13).
وقد أشار إلى هذه الفضيحة الشاعر عمر أبو ريشة في قصيدة له مشهورة، وجه الاتهامات فيها لرئيس الوزراء جميل مردم وحكومته منها قوله (14).

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم
كيف أغضيتِ على الذل ولم تنفضي عنك غبار التهم
ودعي القادة في أهوائها تتفانى في خسيس المغنم
رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتّم
لامست أسماعها لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم
لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم
فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم
إن أرحام البغايا لم تلد مجرماً مثل هذا المجرم
كيف ترجو أمةٌ عزتها وبها مثلُ جميل المردم

كانت هذه الحرب تجربة قاسية بالنسبة للضباط السوريين الشباب، وكانت نقطة انعطاف خطيرة، إذ اعتقدوا أن زعماءهم السياسيين كانوا مهملين إلى حد الإجرام، فقد ذهبت القوات السورية إلى المعركة بعتاد لا يتجاوز بضع مئات من الطلقات لقطعة السلاح الواحدة (15).
وكان جميل مردم قد استقال من رئاسة الوزارة، في أوائل كانون من عام/ 1948م، بعد توجيه أصابع الاتهام إليه.

وأخذ شكري القوتلي يبحث يائساً عمن يتولى الوزارة حتى قبلها أخيراً خالد العظم.
وهكذا تضافرت الأحداث الداخلية والخارجية، لتمهيد السبيل أمام قائد الانقلاب الأول، وصاحب البلاغ رقم (1)، الزعيم حسني الزعيم (16).

---

(11)نشرت هذه القصيدة في جريدة الأنباء الدمشقية، وانظر النكبات والمغامرات/ ص97 - 08.
(12)أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث: هاني الخير/ ص92 يقول المؤلف: ذكر ذلك لي الزعيم أمير شلاش في 42/ آيار/ 8491م.
(13)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص55 - 65. وأديب الشيشكلي لهاني الخير/ ص03 - 33.
(14)المرجع السابق.
(15)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص65.
(16)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص08.

البرلمان السوري والعهد الدستوري الأول

كان القوتلي أول رئيس للجمهورية في العهد الوطني، وفي عهده قام عهد برلماني دستوري تنافست فيه الأحزاب لكسب ثقة الشعب وتوالت على الحكم حكومات متعددة، كان لها بعض المواقف السليمة إزاء الاستعمار الاقتصادي الجديد، وحيال الأحلاف الأجنبية المشبوهة، كحلف بغداد، ومشروع سوريا الكبرى (17).
أما البرلمان السوري، فكان ناشئاً تسوده الفوضى....
"وكانت المفردات السياسية الرصينة، من أمثال كلمة "نائب" و "معارضة"، ورئيس المجلس، ولجنة الشؤون الخارجية"، لم تفلح في ستر الفوضى الفاجعة، التي حكمت البرلمان السوري.

وفي ذكريات نائب، كتب حبيب كحالة ما يلي:
"نظرت حولي، وكان ما رأيته فقط...رجالاً لا يوحد بينهم شيء، ولا يشتركون في أية مبادئ، ولا يربطهم تنظيم حزبي، وقد وصلوا إلى البرلمان بأساليب خادعة مقنعة، من انتخابات فوضوية تحت ستار الحرية، فكان بعضهم أمياً، وآخرون أدباء مرموقون، وكانت لغة بعضهم الكردية أو الأرمنية، ولم يعرف آخرون سوى اللغة التركية، ولم يزد الأمر عن مسرحية وتمثيل أدوار" (18).
وكان لا بد للسياسيين المتعبين، الذين صرفوا طاقاتهم في جدل منهك مع الفرنسيين، وللمؤسسات القليلة التجربة ولتداعي الولاءات العائلية، والرشوات الحكومية، وللجيش السيء التدريب والتجهيز، كان لا بد لهذه كلها أن تصاب بجراح ثخينة في حرب فلسطين (19).
ويضاف إلى ذلك أن الزعامات التي تعمقت جذورها منذ أيام المستعمر الفرنسي، أخذت تعتبر أن كل من يعارضها خائن، ولذلك بدأ حكم القوتلي يتعرض للنقد الشديد، وأخذ وزير الداخلية (صبري العسلي) يقول: "لا يجوز لأفراد الشعب إبداء الرأي طالما أنهم استعملوا حقهم بالتصويت يوم الانتخاب" (20).

---

(17)النكبات والمغامرات/ ص07 - 27.
(18)ذكريات نائب/ ص34، الملاحظة 193/ وقد نشرته صحيفة المضحك المبكي، وهي صحيفة ساخرة، كان رئيس تحريرها السيد حبيب كحالة، وانظر الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص53.
(19)الصراع على سوريا/ ص54.
(20)هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني/ ص53، دار الأنوار/ دمشق 1999م/ الطبعة الرابعة/ دمشق - بيروت.

دور الأحزاب السياسية في هذه المرحلة:

كان كبار التجار قد هيمنوا على السياسة السورية، وكانت الكتلة الوطنية عبارة عن حركة وطنية موحدة، خلال حقبة النضال ضد الاستعمار، وكان هنالك تنافسات داخل تلك الكتلة، تثيرها السلالات العائلية والتعصب للمدن الكبرى، وتظهر خلال الانتخابات النيابية، ثم بدأت الكتلةالوطنية تتفسخ وتتعرض للأحزاب الأكثر حداثة وتنظيماً (21).
ومهما يكن من أمر فإن رجال الكتلة الوطنية، الذين حملوا لواء التحرير الوطني، كان معظمهم ممن يحملون الأفكار الجديدة، ويتأثرون بالتيارات الثقافية الغربية، ومنهم من حمل السلاح وقاد ثورة مسلحة ضد فرنسا، كإبراهيم هنانو.
كما كان شعار الثورة هو: الجلاء والاستقلال والحرية، والإخاء والمساواة، و "الدين لله والوطن للجميع."
وهذا يوضح تأثرهم بالعلمانية الغربية، ومبادئ الماسونية.
وكان من أبرز رجالاتها "شكري القوتلي، وهاشم الأتاسي وسعد الله الجابري، وجميل مردم وفارس الخوري، وناظم القدسي ورشدي كيخيا وآخرين (22).
وفي ربيع عام 1947م، توحد شتات الجناح الحاكم من الكتلة في الحزب الوطني.
وكان معقله دمشق، حيث يوجد للقوتلي وصبري العسلي ولطفي الحفار وفارس الخوري أتباع شخصيون، حتى عكس الحزب السياسة الدمشقية بأضيق صورها فلم يطرح الحزب أي منهاج مفصل، ولم يمارس أي نظام على أفراده.
وقد حظر آنذاك نشر الآراء والأفكار في الانتخابات لضمان دعم الرجال الأقوياء (القبضايات)(23).
حيث كان هؤلاء يحمون الضعيف من القوي، ويتلقون الرشاوى من الأثرياء... إلا أن هذه الظاهرة اختفت بعد عام 1950م، بسبب الانتقال إلى الأحياء الحديثة، ولأن الأحزاب العصرية، ضبطت عناصرها من الشباب (24).
وفي شهر آب من عام 1948م، شكل معارضو القوتلي في الكتلة الوطنية حزباً أطلقوا عليه: حزب الشعب، وقاد هذا الحزب وجهاء من مدينة حلب هم: رشدي الكيخيا وناظم القدسي، ورشاد برمدا، ومعظم هؤلاء كانوا على صلة طيبة مع حكام العراق، وذلك كي يعيدوا وضع حلب الاقتصادي التقليدي، الذي كان لها قبل قيام الجمهورية السورية (25).
وكان زعماء حزب الشعب يتمتعون بسمعة جيدة تفوق ما كان يتمتع به منافسوهم من رجال الحزب الوطني، وكان حزب الشعب يمثل المصالح التجارية في حلب والمنطقة الشمالية، حيث كانت مدينة حلب تسيطر لعدة أجيال على الطريق التجاري العظيم من أوربا والأناضول إلى بلاد الرافدين وإيران والهند، عندما ازدهرت أثناء وحدة الدولة العثمانية.
لقد كان حزب الشعب حلبياً أولاً، إذ ألقى بثقله السياسي كي يزيل الحدود السورية العراقية، ويحطم الحواجز التجارية والحدود السياسية التي خنقت سوريا، ولم يكن هاشمياً ولا ملكياً كما يُظن (26).
وعموماً فإن الحزبين السابقين، كان قد تركز اهتمامهما على تسلم السلطة، كي يوسعا مصالح أتباعهما ومصالح عائلاتهم، وقد حاول رجالهما خنق أية معارضة جادة، سواء كانت في البرلمان أم في الشارع، فكان همهم ينحصر في صيانة وجودهم السياسي، والحفاظ على قدر محدود من استقلال البلاد. (27).

ثم تشكلت أحزاب على أساس عقدي قومي، فكان حزب البعث العربي الاشتراكي ثم الحزب القومي السوري.

وكان زكي الأرسوزي أحد كبار النصيريين في اسكندرونة قد شكل عصبة العمل القومي عام/ 1936م. وكان أول حزب في سورية، يقوم على أسس من المبادئ العلمانية الاشتراكية، وقد انضم إليه بادئ الأمر "صبري العسلي" ، ثم تحول إلى الحزب الوطني وصار من زعمائه، ثم انضم إليه "نذير فنصة" . و "أحمد الشراباتي" الذي صار وزيراً للدفاع الوطني فيما بعد، وانضم إلى هذا الحزب عدد من الشبان المتمردين على سياسة الكتلة الوطنية التقليدية (28).

حزب البعث العربي الاشتراكي:

شكله ميشيل عفلق وصلاح البيطار عام/ 1947م، وهو حزب علماني جعل شعاره "وحدة ـ حرية ـ اشتراكية" و "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".

وركز في ممارساته على الهجوم على الأحزاب التقليدية، والحزب يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقيم، لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي.

وحينما توصل إلى الحكم اصطدم مع الواقع، وتنكر لشعاراته ومبادئه، وخاض صراعاً ضد قياداته التاريخية وزج بهم في السجون، أو صفّاهم على أيدي الرفاق...

والحزب يعتبر أن الإسلام ما هو إلا مرحلة من مراحل التعبير القومي ليس إلا...

كان ميشيل عفلق من نصارى سوريا، من مواليد دمشق عام/ 1910م، درس في باريس دراسته الجامعية، والتقى مع صلاح البيطار خلال دراستهما هنالك، وتشربا الروح القومية السائدة في أوروبا، وتعاهدا على العمل معاً، ثم عادا إلى سوريا عام/1933م، يحملان الأفكار القومية الغربية، ليطبقاها في ديار الإسلام...

وقد ساهم في تأسيس الحزب أيضاً، جلال السيد وزكي الأرسوزي ثم اندمج حزب البعث، والحزب العربي الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني ، في حزب واحد سمي "حزب البعث العربي الاشتراكي" وذلك في عام 1953م.

وأصبح للحزب أدوار فاعلة في الانقلابات والحكومات التي تعاقبت على سوريا، وانغمس في صراعات حزبية وطائفية جرّت على البلاد الويلات.

ويمكن أن نلخص أبرز مبادئ الحزب وعقائده فيما يأتي:

-إن الحزب يجعل الاشتراكية ديناً وللعلمانية اللادينية مسلكاً ومنهجاً، وكان من أبرز أهدافه فصل الدين عن شؤون الحياة، وعن قضايا الحكم والسياسة.

-ويجعل الرابطة بين العرب هي رابطة الدم واللغة والتاريخ والأرض، ويلغي رابطة الدين، بحجة أنها تمزق الأمة.

-ويعتبر أن الإسلام مجرد قيم روحية، وشعائر للعبادة، لمن أراد ذلك.

-والحزب يتابع خطوات الماركسيين في الأفكار والممارسات العملية، والخلاف بينهما، أن الماركسية أممية، أما البعث فقومي، وما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الأساسي في فكر الحزب ومعتقداته (29).

الحزب القومي السوري الاجتماعي:

أسسه أنطون سعادة، وكان حزباً فاشياً، هدفه الرئيسي إحياء سوريا في حدودها التاريخية، وتتضمن "سوريا ولبنان والأردن والعراق وسيناء وقبرص."

والسوريون (في نظر سعادة) هم ورثة الحضارات القديمة، وليسوا جزءاً من الأمة العربية.

وقد شددت مبادئ الحزب على تبني العلمانية وإجراء التحديث وكانت أوامر الزعيم مقدسة، كما كان أنصاره يتميزون بالروح الفدائية والطاعة العمياء، ولم تكن لهم شعبية تذكر في بلاد الشام، ولذلك كان أسلوب المؤامرات والاغتيالات هو السائد لدى الحزب.

وقد قام أعضاء الحزب باغتيال عدنان المالكي، أحد كبار الضباط البعثيين في دمشق/1955م، ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان خلال زيارته للملك عبد الله/1951م، وحاول الحزب تدبير انقلاب في لبنان، لكنه فشل، فصفي الحزب في كل من سوريا ولبنان.
وكانت حكومة سوريا أيام حسني الزعيم، قد اعتقلته وسلمته إلى لبنان، حيث اتهم بالتآمر على سلامة لبنان الخارجية وحكم عليه بالإعدام، ونفذ الحكم فيه رمياً بالرصاص في الثامن من شهر تموز لعام/1949م. وسعادة في الأصل من مواليد لبنان، وينتمي إلى النصرانية (30).

الحزب الشيوعي السوري:
وكان الحزب الشيوعي السوري قد بدأ نشاطه عام/1922م معتمداً على الأقليات، وتولى زعامته في عام/1932م، خالد بكداش، وهو من أصل كردي، وكان الحزب يعمل على نطاق سوريا ولبنان، كما كانت مكانته تتأثر بموقف الاتحاد السوفييتي من القضايا العربية، وكان هو الحزب الوحيد الشيوعي في البلاد العربية آنذاك، وكان له ممثل في البرلمان السوري (31).

جماعة الإخوان المسلمين:
أما جماعة الإخوان المسلمين، فقد أسست في مصر عام/1928م وتبنت مبادئ الإسلام، ساعية لإنشاء الدولة الإسلامية، وقد ظهر الإخوان بشكل رسمي في سوريا في أيلول/ 1946م، وأثار نجاحهم المتواضع في الانتخابات السورية قلقاً كبيراً في أوساط العلمانيين وفي المؤسسات الغربية، ثم ظهروا ثانية في الانتخابات النيابية عام/ 1949م، في أعقاب الإطاحة بحسني الزعيم، وكانت الجماعة بقيادة مؤسسها الدكتور مصطفى السباعي، وكانت كتلتها في البرلمان تحمل اسم الجبهة الاشتراكية الإسلامية.
وقد طالبت هذه الجبهة بإجراء إصلاحات اجتماعية، وباتخاذ موقف مناوئ للغرب، إضافة إلى المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية (32).
وكان شعارها وشعار الإخوان عموماً يتمثل في نداء: (الله أكبر ولله الحمد) و "الله غايتنا والقرآن دستورنا ومحمد زعيمنا والجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا."
وقد عملت الظروف السابقة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إضافة إلى الصراعات الحزبية، على إشاعة القلق، واختلال التوازن في البلاد، مما دفع ببعض القادة العسكريين، من ذوي الطموح الشديد إلى القيام بانقلابات عسكرية، أشاعت في البلاد الفوضى والاضطراب، وفسحت المجال للتدخل الأجنبي في توجيه سياسة البلاد.
وقد تمكنت قوى الشر الصليبية والصهيونية والشيوعية، من تمرير مخططاتها عن طريق هذه الانقلابات وعن طريق قادتها الضباط، وذلك بسبب الإرهاب العسكري وغياب رقابة الأمة الواعية، وإبعاد هيمنة الشريعة الإسلامية، ومن ثم تسلط الأحزاب العلمانية، والأقليات الطائفية على مقدرات الجيش والحكومات المتتابعة.
قال بن غوريون رئيس وزراء دولةإسرائيل سابقاً في كتابه "أعوام التحدي" (33):
"إن إسرائيل ستبقى عنصراً غير مرغوب فيه في المنطقة، إلى أن تسيطر طبقة العسكريين ومفلسفوها ، مشيراً إلى أنّ الهوة ستزول حتماً بين إسرائيل ودول المنطقة، حالما تسود الاشتراكية والعسكرية على حياة دول المنطقة" (34).

(21)الحرب السرية في الشرق الأوسط من عام 1949 - 1961. ص14/ أندرو راثمل - ترجمة محمد نجار/ الأهلية للنشر والتوزيع بعمان/ 1997م.

(22)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص60 - 61.
(23)القبضايات: كلمة تركية الأصل، تعني القوة والفتوة والجلافة.
(24)الصراع على سوريا: باتريك سيل، ص49.
(25)الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل/ ص14.
(26)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص49 - 50.
(27)الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل/ ص15.
(28)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص63.
(29)ينظر: كتاب حزب البعث، تاريخه وعقائده، سعيد بن ناصر الغامدي ص9 - 14/ وص112 بإيجاز/ دار الوطن - الرياض/1411هـ. والحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب/ ص(33) وما بعدها، مكتبة المنار - الأردن.
(30)ينظر: الهلال الخصيب، د. محمود حسن صالح منسي/ ص241 وص242، ومشكلات الشرق الأوسط: إبراهيم علوان/ ج2/ص17 - 18.
(31)الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي/ ص240 - 241.
(32)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص17، ترجمة محمد نجار. وتفصيلاً لذلك ينظر: الدكتور مصطفى السباعي، حسني أدهم جرار/ ص52 - 54.
(33)أعولم التحدي نقلاً عن "المسلمون والحرب الرابعة" ص23.
(34)قد تحقق توقع بن غوريون عندما سادت اشتراكية عبد الناصر وحزب البعث في دول المنطقة المتاخمة لإسرائيل.
وهاهي مساعي الصلح تخيم على قادة تلك الأقاليم باعتراف ذليل وتطبيع سقيم لصالح الكيان الصهيوني.

الفصل الثاني: عهد الانقلابات العسكرية (1949 - 1958م)

المبحث الأول: الانقلاب الأول بقيادة حسني الزعيم

- موجز عن حياته
- أحداث الانقلاب
- إنجازات الزعيم ومواقفه السياسية
- الأسباب الكامنة وراء الانقلاب
- هل كان انقلاب الزعيم مرتباً من خارج البلاد؟!
- الزعيم أمام المشاريع المشبوهة
- نهاية عهد الزعيم وإعدامه

المبحث الثاني: انقلاب اللواء سامي الحناوي

- ظروف الانقلاب ودوافعه
- الانقلاب الجديد وصاحبه
- انقلاب الحناوي ومشروعا الهلال الخصيب وسوريا الكبرى
- الفصل الأخير من مسرحية الانقلاب الثاني

المبحث الثالث: انقلاب العقيد الشيشكلي

- ظروف الانقلاب ودوافع الانقلابيين الجدد
- قائد الانقلاب وأبرز صفاته
- إنجازات الشيشكلي ومواقفه الغربية في سوريا
- سياسته تجاه مطامع الدول الغربية السياسية
- المعارضة السياسية وإسقاط الشيشكلي عن الحكم
- التمرد العسكري ومغادرة الشيشكلي للبلاد

المبحث الأول : انقلاب حسني الزعيم

كانت سوريا مجالاً للصراع السياسي والأطماع الدولية والعربيةفسُوريا تحتل موقعاً مركزياً .. وكانت عاملاً حاسماً في ترجيح محاولات الاتحاد السوفييتي والدول الغربية خلال صراعها على منطقة الشرق العربي.

كما شهدت سوريا معارك سياسية حاسمة في سياستها الداخلية حول حلف بغداد، ومشروع سوريا الكبرى، ومبدأ ايزنهاور."

"فالصراع على السلطة، كان يجري في دائرة أوسع من حجم السياسيين وقادة الضباط، الذين انخرطوا بمشكلاتها وتورطوا فيها مباشرة"(1) .

وكان صاحب الانقلاب الأول هو الضابط حسني الزعيم، وهو من مواليد حلب/1889م، التحق بالجيش العثماني حين تلقى علومه العسكرية في (دمشق وحلب واستنبول).

والزعيم ينتمي إلى أسرة غنية من التجار، تعود في أصولها إلى الأكراد، والذين عرفوا حسني الزعيم قالوا: "إنه مغامر قليل المثل العليا، وغيرمستقر عاطفياً، كان سهل الإثارة متهوراً" (2).

يقول عنه الصحفي بشير فنصة: "كان حسني الزعيم علمانياً، يكره التعصب المذهبي، وكنت ألحظ عليه كغيره من الضباط، حبه للظهور بمظهره العسكري الصارم، وولعه الشديد بالأوسمة والألبسة المذهبة والمقصبة.

واكتشفت فيه بالتدريج أنه يحلم بأنه سيصبح محرراً للبلاد كمصطفى كمال، فقد كان معجباً به أشد الإعجاب، ولكنه على جهل مطبق بشؤون السياسة الخارجية(3) .

وقال باتريك سيل: "إن الرجال الذين يعرفون الزعيم، يعرفون أنه مغامر قليل المثل العليا، وأنه كان غير مستقر عاطفياً، شجاعاً إلى حد التهور، ولكنه قليل المواهب في رسم الخطط الحربية الاستراتيجية، وسجله العسكري في فلسطين لم يكن شائناً ....

وقد كان انقلاب الزعيم (العميد) حسني الزعيم أول تدخل للجيش في السياسة في منطقة الشرق الأوسط، فأقام بذلكمثالاً لطالما احتذي فيما بعد(4) .

أسر بيد الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى في مصر، ثم التحق بالجيش الفيصلي.. ثم بقطاعات الجيش الفرنسي، وبلغ فيها رتبة (كولونيل - عقيد) عام/1941م، وفي عام 1948م/ عين مديراً عاماً للشرطة، وفي 30/ آذار/1949م قام بالانقلاب العسكري الأول على حكومة شكري القوتلي الدستورية آنذاك(5) .

---

(1)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص4، والصراع على سوريا: باتريك سيـ ل.

(2)الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ص20، المنارة ـ بيروت ودمشق/ 1418هـ - 1998م.

(3)النكبات المغامرات: بشير فنصة/ص195.

(4)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص69 - 70.

(5)النكبات والمغامرات/ ص84/ بشير فنصة.

أحداث الانقلاب

وفي 30/ آذار/1949م، في تمام الساعة السابعة صباحاً، أذاع راديو دمشق البلاغ رقم واحد وفيه:

"مدفوعين بغيرتنا الوطنية، ومتألمين مما آل إليه وضع البلد من جراء افتراءات وتعسف ممن يدّعون أنهم حكامنا المخلصون، لجأنا مضطرين إلى تسلُّم زمام الحكم مؤقتاً ... وسنقوم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز، غير طامحين إلى استلام الحكم، بل القصد هو تهيئة حكم ديمقراطي صحيح، يحل محل الحكم الحالي المزيف... هذا وإن كل محاولة ستقمع فوراً وبدون شفقة أو رحمة" "في 30 آذار/1949، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة" (6).

ومنذ تلك اللحظة بدأ أول فصل من فصول المأساة، مأساة الانقلابات العسكرية، التي اكتوت البلاد بنارها، كما اكتوى العسكريون بحرها قبل غيرهم.

وقبل هذا الانقلاب، كانت المظاهرات الصاخبة قد قامت إثر نكبة فلسطين، تطالب بتخلي الحكومة برئاسة خالد العظم عن الحكم، وكان السخط ضد حكام العرب عاماً .

وكان فيصل العسلي، النائب في البرلمان، وصاحب الحزب لاشتراكي التعاوني، قد شنّ حملة شعواء على قائد الجيش حسني الزعيم، ومن ثم وجه إليه اتهامات شنيعة في البرلمان، تتعلق بالغش في التموين والسّمنة الفاسدة المستوردة لتموين الجيش، والاتهام بالاختلاسات المالية.

ونظمت حملة في صفوف النواب لتخفيض ميزانية الجيش، وتخفيض رتبه ورواتبه، فاشتدت نقمة حسني الزعيم على السياسيين وشاركه في هذه النقمة جماعة من الضباط (7).

وكان أكرم الحوراني يقف إلى جانب الزعيم ويدعمه، كما كان نذير فنصة مدير جريدة ألفباء (وعديل الزعيم) يسانده في الحكم.

وقد تحدث الزعيم خلال مؤتمر صحفي حضره الصحفي (بشير فنصة) كان قد عقد في مقر رئاسة الأركان العامة في 1949/3/30، تحدث عن أسباب الانقلاب فقال: "إن سببه الأول هو الهجوم المنكر على الجيش من البرلمان، ثم ما لمسه من سخط الشعب على الوضع القائم، وبسبب اعتقال بعض الضباط بتهمة السرقة والرشوة، وهم أبرياء من ذلك" (8).

وقد اعتقل الرئيس شكري القوتلي وأودع في المستشفى العسكري كما اعتقل رئيس وزرائه خالد العظم، وأغلقت الحدود بين سوريا والأردن، وقطعت الاتصالات الهاتفية بين البلدين وكانت برقيات التأييد وقصائد الشعراء تمدح الوضع الجديد التي كانت تتوالى بكثرة حتى أصبحت أكداساً على مكتب إدارة جريدة (ألف باء)، وكان أكثرهم من الذين يدينون بالولاء لولي نعمتهم شكري القوتلي، إذ كانوا على الدوام يسبحون بحمده.

وكان أكرم الحوراني يخط البيانات حول تمسك الزعيم بحقوق الإنسان، وسعيه لبث الروح الديمقراطية بين أبناء الشعب، ويضمنها ما يجول برأسه من أحلام، لا كما يجول برأس الزعيم من أطماع وشهوة إلى السلطان.

وبانتهاء اليوم الثاني للانقلاب أصدر الزعيم أمراً عسكرياً نصَّبَ نفسه بموجبه رئيساً للدولة، ثم صدرت مراسيم ذات صبغة إدارية.

وسارت المظاهرات في الشوارع تأييداً لبطل الانقلاب، ونادى المنادي: ألا زغردي يا شام..!!

لقد مر الانقلاب الأول بسلام، إلا أنه فتح الباب على مصراعيه أمام انقلابات أخرى متتالية، سفكت فيها دماء غزيرة وقتل خلق كثير، وعذب وأهين الآلاف من عسكريين ومدنيين، كان وقودها العسكريين أنفسهم أكثر من المدنيين (9).

وبعد خمسة أيام من الانقلاب لم يعد أحد يجرؤ على التحدث عن الديمقراطية والحرية وعودة الحياة النيابية... وقد منح الزعيم المرأة حق التصويت، وأعلن بأنه سينصف صغار الموظفين ويقوم بتوزيع الأراضي على الفلاحين.

وفي تاريخ 1949/4/11م، جاء في تعليق بجريدة "تايمز" اللندنية: "أن حسني الزعيم، قد بدأ في خطته لتنفيذ آرائه التقدمية، وأنه أنهى حكم العائلات الغنية في سورية، وقضى على المحسوبية والشفاعات والرشوات"(10).

وبعد تمام الانقلاب، وجه ميشيل عفلق، باسم اللجنة التنفيذية لحزب البعث كتاباً إلى قيادة الجيش، أيّد فيه الانقلاب وطالب بإصلاحات في البلاد، وتأمين الحريات العامة.

وفي 24/آيار/1949م، وجه عفلق مذكرة إلى الزعيم، يشير فيها إلى بعض السلبيات.

وفي 62/ حزيران، اعتقل حسني الزعيم أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب البعث الموقعين على البيان، كما اعتقل عدداً كبيراً من أعضاء الحزب، وأودعهم في سجن المزة، وتعرض الكثير منهم إلى الضرب والشتائم، ومختلف ألوان التعذيب...

وقد انهار عفلق عميد الحزب، وبعث برسالة إلى حسني الزعيم تتضمن الاعتذار عما بدر منه في شدة لهجة البيان.

وكان في الرسالة ما يشبه التعهد بترك العمل السياسي والانصراف عنه.

وكان الزعيم قد اعتقل كثيراً من السياسيين وقادة الأحزاب، وبعد ثلاثة أسابيع تم الإفراج عن السجناء كافة، وعن عفلق قبل ذلك بعشرة أيام.

قال بعض المراقبين: "إن الرسالةالعفلقية قد ذَمَتْ عن مزاج عاطفي وبنيان رخو."

ورغم كل الانتقادات التي تعرض لها البعثيون آنذاك، فإن عفلق لم يفصل من الحزب، وبقي في سدة زعامته.

---

(6)النكبات والمغامرات/ ص86 - 87، والانقلابات العسكرية في سوريا/ محمد أبو عزة/ ص30

(7)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص88 - 89.

(8)المرجع السابق/ ص91.

(9)النكبات والمغامرات/ ص93 - 94، ص108.

(10)المرجع السابق/ ص133، ص115.

إنجازات الزعيم ومواقفه السياسية

لقد هز انقلاب الزعيم المجتمع الدمشقي، وأخرجه من تعصبه الشديد وتقاليده الموروثة، وأعلن على الملأ سخطه على اللباس العربي التقليدي، فامتلأت الشوارع بمجموعات غربية وقديمة من القبعات الأوربية، وبرزت النساء أكثر حرية في الحياة العامة، إلا أن الزعيم كمناور سياسي، كان أقل نجاحاً، فقد أطارت السلطة لبه، وأصبح همه أن يكون رئيس جمهورية، يتساوى مع الملوك ورؤساء الدول، فكان عُرضَة لنوبات تفقده كل منطق.... كما ذكر ذلك الأمير عادل أرسلان، وهو من كبار مؤيديه(11).

لقد نبه حكم الزعيم الرأي العام إلى أخطار الدكتاتورية العسكرية... والخروج الصارخ على التقاليد الدينية الإسلامية، وقد ندد بإصلاحاته العلمانية الإخوان المسلمون الذين تزايد نفوذهم أواخر الأربعينات... أما مهام الحاميات في المدن الرئيسية، فقد تجلى اعتماده فيها على الوحدات الكردية والشركسية، مبعداً القوات العربية الصرفة إلى الجبهة، وهنا صارت الصحف العربية خارج سوريا، تهاجم بعنف باسم العروبة والإسلام "الجمهورية الكردية العسكرية"، وتعيد إلى الأذهان أصله الكردي(12)

وقد حاول الزعيم جاهداً أن يقوم بإنجازات وإصلاحات عليها طابع التحديث ـ حسب زعمه ـ كإصدار القانون المدني الجديد، والقيام بالإصلاح القضائي، ومجموعة من الإنجازات الأخرى.

ففي تاريخ 1949/5/19م، عقد مجلس الوزراء برئاسة حسني الزعيم جلسة استثنائية للنظر في مشروع القانون المدني الجديد، الذي أصر الزعيم بتشجيع من الأستاذ أسعد الكوراني "وزير العدل "أن يكون فاتحة الإصلاح القضائي في البلاد، وكانت اللجنة المكلفة بذلك، قد اقتبست جميع المواد من القانون المصري..

وبعد يومين صدق مجلس الوزراء بالإجماع على القانون المدني الذي ظل نافذ المفعول في البلاد، وذلك بسبب إصرار الزعيم على إنجازه(13).

ويقول بشير فنصة: "خلال زيارتي لوزير العدل أسعد الكوراني، سألته عما جرى في لجنة الدستور، فقال في "1949/4/20م" في فندق أمية: "إن الدستور الجديد تبنى ميثاق حقوق الإنسان، كما ألغى نظام الطائفية، وألغى التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وجعل التعليم الابتدائي مجانياً وإلزامياً" ونُشر ذلك التصريح في صدر الصفحة الأولى من جريدة (ألف باء).

وبدأت مراسيم الزعيم تصدر بترفيع عدد من ضباط الجيش، وكان في مقدمتهم العقيد سامي الحناوي صديق الزعيم الحميم، فأصبح برتبة زعيم "عميد"، وشملت الترفيعات مئات الضباط، وفي الوقت نفسه صدر مرسوم بتعيين محسن البرازي وزير الخارجية السابق، وزيراً مفوضاً لسورية في القاهرة، وكان البرازي يناصب نوري السعيد العداء جهراً .

وبزعم تطهير الجيش من العناصر الفاسدة، صدرت مراسيم بتسريح أعداد كبيرة من موظفي الدولة، من مختلف الوزارات والمؤسسات، مما أحدث ضجة كبرى في البلاد... ولا شك أن بعضهم قد ذهب ضحية الوشايات، رغم كثرة أصحاب السوابق في الرشوات وأبناء الذوات الذين جاءت بهم الشفاعات(14)

وخلال استفتاء شعبي، انتخب الزعيم رئيساً للجمهورية بتاريخ 1949/6/17م، ولم يرشح أحد نفسه "بطبيعة الحال" لمنافسة الزعيم على الرئاسة، وفاز بـ "73 ألف صوت" من أصل "81،600 صوت"تقريباً، وصار برتبة مشير.

ثم عين المشير حسني الزعيم، محسن البرازي رئيساً للوزراء، وأمره بتشكيل الوزارة الجديدة.

وكان أول تدبير سيئ قام به البرازي هو عزله للدكتور أسعد طلس مباشرة بعد استلامه منصبه، وهو عديل اللواء الحناوي، عزله عن جميع مناصبه في الخارجية والدفاع، وأعاده إلى سلك التعليم، مما كان لذلك الأثر السيء في القضاء على حسني الزعيم وحكمه بتأييد من نوري السعيد والعراق(15).

أبرز مواقفه السياسية:

كانت للزعيم مواقف واضحة من التيارات السياسية والحزبية داخل البلاد.. ومن أبر تلك التيارات المتباينة:

-تيار: يتزعمه فارس الخوري، يؤيده فيه أسعد الكوراني ونذير فنصة، وينحصر هدفه في إطفاء النيران التي أشعلتها الانقلابات العسكرية، والعودة في البلاد تدريجياً إلى عهد دستوري جديد.

-التيار الثاني: كان يتزعمه أكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح البيطار، وكان ينادي بإصلاح نقابي فوري وجذري، على أسس اشتراكية مهما كلف الأمر.

-التيار الثالث: ويتزعمه رشدي كيخيا وناظم القدسي، زعيما حزب الشعب، ويقول بوجوب انسحاب الجيش فوراً إلى ثكناته، وإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي.

أما الحزب الوطني، فكان يدعو إلى المهادنة مع الجيش والسعي إلى انتخابات جديدة.

أما الشيوعيون وهم قلة في البلد، فقد زج الزعيم بالمئات منهم في السجون، وهم الذين أعلنوا عداءهم للزعيم وانقلابه، وطالبوا بإعادة الحياة النيابية الدستورية إلى البلاد(16).

ثم قام الزعيم بإصلاحات عديدة: لأنه لا يستند إلى تأييد شعبي، شأن زعماء الانقلابات عادة، فاهتم بالمشروعات العمرانية، وإقامة ميناء اللاذقية، وإجراء إصلاحات زراعية.

وقام بمشروع الإصلاح المالي، وطهر جهاز الدولة من العناصر الفاسدة، كما وضع مشروعاً لتوحيد اللباس، وإلغاء الطربوش، ومشروع تأمين النقل الجوي، وجعل مطار دمشق مطاراً دولياً .

هذا مع استتباب الأمن وتضاؤل نسبة الجرائم.

كما شرع ببناء عدد وفير من المدارس والمستشفيات وشق الطرق العامة(17).

وقد ظهرت مطامع ملك الأردن، وقيادة العراق في سوريا، لأن الزعيم رفض مشروعات "سوريا الكبرى والهلال الخصيب".

ففي تاريخ 1949/4/26م، دعا الزعيم إلى مؤتمر صحفي في مبنى قيادة الأركان العامة.

واستهل تصريحه (بدون مقدمات) بحملة شعواء على الملك عبد الله ونوري السعيد والوصي على العرش عبد الإله وقال: "إن هؤلاء لم يعترفوا بالوضع الجديد في سورية، وهم يتآمرون علينا، وقد حشدوا قواتهم على الحدود السورية، بغية تحقيق مشروعهم المسمى "بالهلال الخصيب" ومشروع "سورية الكبرى"، وهدد بأنه سيأتي بالملك عبد الله إلى دمشق ويشنقه في المرجة.

وتبودلت الحملات الصحفية والإذاعية بين سوريا والعراق، وراح الوصي ونوري السعيد يحيكان خيوط المؤامرات بالاتفاق مع بعض الجهات السورية لإسقاط حكومة الزعيم والتخلص منه(18)

وفي مقابلة لبشير فنصة مع الزعيم في منزله قال:(19) "استهل الزعيم حديثه بالشكوى من مضايقات نوري السعيد وجماعته، ومن الملك عبد الله وإصراره على تحقيق مشروع سورية الكبرى وقال: الكل طامعون في هذا البلد، الذي لم يمض على استقلاله التام سوى سنوات

معدودات، لذلك فإني لا أقبل أن أسلم البلد إلى حكام مشبوهين، باسم الوحدة أو الاتحاد، إنهم يريدون عرشاً، وشعبنا لا يحب الملكية والملوك... إن سورية ستظل جمهورية حرة مستقلة، وسوف نعمل مع مصر على اتحاد غير مرتبط بأي حليف أجنبي...

وأسر إليك أنهم إذا واصلوا مضايقتنا، واستمروا في حشودهم على حدودنا، فلن أتأخر عن الاتفاق مع روسيا لتصبح حليفتنا ولتندفع نيران الحرب العالمية الثالثة بعد ذلك من هنا، من دمشق" "وكان تارة يتكلم باتزان وحكمة وتعقل، وأخرى يذهب به الغضب مذهب السوقة والجهلة من الناس، وكان تقليده الأعمى لمصطفى كمال لا حد له."

مسألة أنطون سعادة:

في الثامن من تموز/1949م، أعدمت حكومة لبنان أنطون سعادة، زعيم الحزب القومي السوري، بعد محاكمة عسكرية قصيرة.

وكان سعادة قد طورد من قبل حكومة لبنان، وتمكن من اللجوء إلى دمشق وقبل لاجئاً سياسياً فيها، ثم وضع إمكانيات الحزب تحت تصرف الزعيم حسني، وقد اتفق مع حسني الزعيم على عصيان يقوم به الحزب القومي في لبنان، بتمويل وتسليح سوري.

وبعد فشل العصيان المسلح..سُلِّم سعادة لقوى الأمن اللبناني في القصر الجمهوري بدمشق، وأعدم في اليوم التالي لوصوله بيروت.

فلماذا غدر الزعيم بسعادة؟! قد يكون أسقط من حساباته قضية سعادة لأنها خاسرة، وكانت هنالك ضغوط لبنانية وتوسلات من مصر وبعض الدول الغربية لتسلم سعادة (20) على أن الشيشكلي هو الذي نقل رغبة حسني الزعيم إلى أنطون سعادة لزيارة دمشق، واستضافته كلاجئ سياسي له مطلق الحرية في العمل السياسي، وكان الشيشكلي من المعجبين بمبادئ القوميين السوريين، ولذلك كان الثأر شديداً من حسني الزعيم على يد بعض الضباط من الحزب القومي السوري: كفضل الله أبو منصور وّهو درزي أيضاً " وعاصم مريود وغيرهما.

لم يستمر حكم الزعيم طويلاً، إذ دام (137 يوماً فقط)، فما الأسباب الكامنة وراء سقوطه السريع؟!(21) قد يرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل نوجزها فيما يأتي:

- تعطيل نشاط الأحزاب دون حلها.
- إغضاب الدوائر الإسلامية والمحافظة، بتشجيع السفور واستيلاء الدولة على الأوقاف، واقتباس القوانين المدنية الحديثة.
- انتشار الاستياء والسخط بين ضباط الجيش، حتى من قبل من عاونوه في الانقلاب، حيث أخذ يحيط نفسه بهالة من العظمة، حتى أنه قد منح نفسه رتبة المارشالية.
- اعتمد على الأقليات العنصرية والطائفية، فكان يولي الأكراد والنصيريين المناصب الحساسة في الجيش، وترك الضباط العرب على الجبهة أمام إسرائيل، كما اختار حسني البرازي الكردي الأصل رئيساً للوزارة.
- وثق صلاته وصلات نظامه بفرنسا "ضد مشروع الهلال الخصيب"، مما أثار نقمة الوطنيين الذين كانت ذكرى الانتداب ما تزال عالقة في أذهانهم.
- تسليمه أنطون سعادة إلى حكومة لبنان، وقد أعدم، فانتقم الضباط القوميون السوريون والدروز من الزعيم، وكانوا من أكبر منفذي انقلاب الحناوي ضده. ولا ننسى تدخلات حكومة العراق، ومساعدتها للحناوي في انقلابه على حسني الزعيم.

---

(11)الحياة البيروتية في 23/ آب/1949م، والصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص86 - 91

(12)جريدة النهضة/ عمان - في 27/ حزيران/ 1949م، وينظر الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص93.

(13)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص133، 140.
(14)النكبات والمغامرات/ص149، ص152.
(15)المرجع السابق/ ص163، ص169 - 170.
(16)ينظر: النكبات والمغامرات/ ص136 - 137.
(17)الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي/ ص232، والنكبات والمغامرات/ بشير فنصة، ص188 - 189.
(18)النكبات والمغامرات/ ص143، وما بعدها.
(19)المرجع السابق، ص157، 158.
(20)ينظر: الحرب السرية في الشرق الأوسط: آندرو راثمل ترجمة: محمد نجار/ ص64 - 73، وأديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث في سوريا: هاني الخيّر/ص44 - 49.
(21)ينظر: الهلال الخصيب: د. محمود حسن منسي/ ص232، وص233.

الأسباب الكامنة وراء انقلاب حسني الزعيم

هنالك أسباب عامة تتعلق بالحالة المتردية في البلاد، كقضية فلسطين وحالة الجيش، وقضايا الفساد ومستوى التعليم والأمية(22).
هنالك أسباب مباشرة طغت على السطح قبيل الانقلاب، يضاف إلى ذلك طموحات العسكريين إلى السلطة، وعلى رأسهم حسني الزعيم قائد الانقلاب.

وكانت وزارة خالد العظم منشغلة بمسألتين خطيرتين هما:
-**مسألة** عقد اتفاق نقدي مع فرنسا، ومسألة منح شركة التابلاين الأمريكية تسهيلات لمد أنابيبها التي تحمل النفط من السعودية حتى البحر المتوسط.
وكان ذلك لا يتم إلا عن طريق التفاوض مع فرنسا والولايات المتحدة، لتوقيع اتفاقيات خاصة، وهو التوجه الذي كان يتعرض لانتقادات مريرة داخل مجلس النواب.. وكان خالد العظم يرى أنه لتدعيم الليرة السورية المهتزة لا بد من عقد هذه الاتفاقيات.. ولكن اعتراض مجلس النواب لم يمنع العظم من عقد اتفاقياته المذكورة.
وحتى تصبح الاتفاقيات نافذة، كان يلزم تصديق مجلس النواب عليها، وهذا ما كان ليتحقق لولا انقلاب حسني الزعيم وأنصاره من الضباط القدامى في الجيش، ومعظمهم كان من أفراد العائلات الكبيرة المتنفذة الذين أدرجهم الفرنسيون في سلك "القوات الخاصة " (23).

والمسألة الثانية: هي نكبة فلسطين، إذ تبرم الجيش بسبب نتائج الحرب مع إسرائيل، وتبرم لإهمال الحكومة تسليح الجيش وتأمين السلاح والعتاد اللازم إلى الجبهة، مما مهد للانقلاب العسكري(24).
ويرى آخرون وعلى رأسهم خالد العظم: "أن الأسباب الحقيقية للانقلاب تنحصر في كونها حركة طائشة قام بها رجل أحمق متهور، هو حسني الزعيم، أراد أن يحمي نفسه من العزل والمحاكمة، بتهمة الاشتراك في صفقات مريبة وخاسرة، تعاقدت عليها مصلحة التموين في الجيش، مع بعضالمتعهدين الذين قدموا بضاعة فاسدة، وقبضوا ثمنها مضاعفاً ."
ويكمل العظم الرواية بقوله: "وفي جلسة النواب في 17/ آذار/1949م/ شن النائب فيصل العسلي حملة عنيفة على حسني الزعيم، منددا ً بأعماله ومواقفه، كما اتهمه بالتآمر مع الملك عبد الله، وطالب بإحالته على المحاكمة.. على أن العظم كان يعامل الزعيم بأسلوب متعال.
وعندما أحس الزعيم بالخطر بدأ يجتمع بكبار الضباط لتدبير الانقلاب، وقد اكتشف القوتلي أن هنالك اتصالات بين الملك عبد الله وحسني الزعيم وأشار إلى ذلك فيصل العسلي في هجومه على حسني الزعيم" (25).
وقد غضب الضباط، (وهم ليسوا بالموالين للقوتلي) من المعاملة المهينة التي لقيها أحدهم، وهو الزعيم "أنطون البستاني" الذي اتهم بالإثراء الفاحش غير المشروع، بسبب مسئوليته عن غش السمنة ومواد التموين الأخرى المرسلة للجيش.
لقد رأى الضباط ـ وحسني الزعيم صديق البستاني ـ تدخل السياسيين السافر واتهام الضباط بالرشوة واللصوصية، حتى صار صبية الشوارع في دمشق، يمسكون أنوفهم حين كان الضباط يمرون على الأرصفة، وكأنهم يقولون: كم هي سيئة رائحة السمنة؟!
ولربما شملت هذه الفضيحة حسني الزعيم نفسه، فقد بعث إليه البستاني من السجن رسولاً يقول له: "أخبر الزعيم أنه إذا كان هنالك استجواب فسأرغم على قول كل شيء"، وبذلك قام حسني الزعيم بانقلابه لينقذ نفسه والبلاد، ويلاحظ أن سجل أعماله السابقة ليس بالنظيف (26).

وكان قد تبين أن السمن مأخوذ من بقايا عظام الحيوانات (بعد التحليل المخبري)، ولم ينفذ الزعيم أوامر القوتلي بسجن البستاني، فهو صديقه، كما أن الحالة النفسية للضباط كانت مهزوزة بسبب حرب فلسطين، وما تعرضوا له من سخرية تحت قبلة البرلمان، وبسبب فضيحة السمن المغشوش(27).
كل تلك الأسباب قد هيأت الظروف للانقلاب العسكري الأول في سوريا.

---

(22)تحدثنا عن هذا الموضوع في الفصل الأول من هذا الباب.
(23)الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ ص41 - 42. المنارة/ بيروت، دمشق/ 1998 - 1418هـ.
(24)المرجع السابق.
(25)مذكرات خالد العظم: ج2/ص181، الدار المتحدة للنشرة بيروت.
(26)الصراع على سورية: باتريك سيل/ص67 - 68.
(27)السابق، و هاني الخير في كتابه: أديب الشيشكلي/ ص37.

هل كان انقلاب الزعيم مرتباً من الخارج؟ أم أنه رتب اللعبة وحيداً دون أي سند خارجي؟!

يقول خالد العظم في مذكراته: "ربما نظرت الولايات المتحدة بتعاطف إلى أي فرد يتعهد بزوال المعارضة في البرلمان، ونيل التصديق على اتفاقية التابلاين، وقد تكون شجعت حسني الزعيم على تنفيذ انقلابه."
وقد بنى العظم استنتاجه على أن الزعيم سرعان ما صدق الاتفاقية في 16/آيار/1949، قبل انقضاء أقل من شهرين على وقوع الانقلاب.
وأكد ذلك مايلز كوبلاند في كتابه: "لعبة الأمم" حيث قال: "كان انقلاب حسني الزعيم من إعدادنا وتخطيطنا، فقد قام فريق العمل السياسي بإدارة "الرائد ميد"، ومن خلال صداقته مع الزعيم، بإيحاء فكرة الانقلاب العسكري، حيث وضعت السفارة الأمريكية في دمشق كامل الخطة."...
ومن ثم وصف كوبلاند حسني الزعيم بقوله: "كنا ننشد ضالتنا في رجل متعطش إلى تسلم السلطة.. ولكن دراسة نفسية مجردة لسلوك الزعيم أظهرت أنه لم يكن "مجنون سلطة" إلى الحد المطلوب، فقد كان يرضى بالمظاهر الخارجية، وما كان ليقلقه أن يبقى تابعاً لنا طالما كنا نتمثل له قياماً كلما دخل علينا، ونخاطبه بلفظ "صاحب الفخامة" (28)

ويقول صاحب كتاب الحرب السرية في الشرق الأوسط (29) :
"ورغم ما ذكره كوبلاند: لا يوجد دليل قوي وملموس من أن الانقلاب خطط له في واشنطن"
"لقد كان هناك بعض التفاهم مع الولايات المتحدة في تنفيذ مصالحها حول خط التابلاين."
"وقد أنكر كوبلاند في كتابه "لعبة اللاعب"، بأنه كان هو وميد، العقل المدبر للانقلاب، إلا أنه ادعى بأنه قدم للزعيم المشورة في التخطيط للانقلاب" "ومن المحتمل أن ادعاء كوبلاند في كتابه لعبة الأمم، يعود إلى نزعته المعروفة في المبالغة بدوره، أكثر من الحقائق الواقعة" (30).
هناك من يقول بأن فرنسا كانت تقف وراء انقلاب الزعيم، وذلك بسبب تطور علاقات الطرفين خلال مدة حكم الزعيم، ففي 16/ نيسان/1949م، أقر الزعيم الاتفاق المالي الذي وقعه رئيس الوزراء السابق خالد العظم في شهر شباط، حيث أتاح له قروضاً حصل عليها الزعيم من فرنسا بقيمة خمسة ملايين جنيه إسترليني، كما أصبحت فرنسا الممول الرئيسي بالأسلحة لسوريا..
ومع ذلك فلم يكن هنالك دليل على أن فرنسا شجعت أو كانت وراء انقلابه في البدء. وقد يكون الأمر ـ كما يقول شوكت شقير رئيسحكومة الزعيم العسكرية ـ أن إقرار حسني الزعيم للاتفاق المالي مع فرنسا، ما كان إلا لحاجة الزعيم الملحة للحصول على أصدقاء بعد الانقلاب ليس إلا. (31)
وعلى كل حال فإن فكرة انقلاب الزعيم التي عزيت إلى كل من الولايات المتحدة، وفرنسا أو غيرهما، ينبغي أن تصنف ضمن فرضيات المؤامرات التي قد تحتوي على خيال أكثر من الحقيقة(32).
وعلى الجبهة الإسرائيلية: برهن الزعيم عن رغبة ملحة للتحرك قدماً في محادثات الهدنة، وذكر زير خارجيته (عادل أرسلان) أن الزعيم كان راغباً في الاجتماع مع رئيس وزراء إسرائيل آنذاك (بن غوريون)، وعندما عرض الزعيم توطين (25 ألف لاجئ فلسطيني في سوريا) تملك وزارة الخارجية الأمريكية فرح غامر(33).
يقول محمد حسنين هيكل: "لقد كان الصراع بين شركة البترول البريطانية العراقية، وشركة أرامكو الأمريكية، هو المحرك الأساسي لسلسلة من الانقلابات العسكرية، التي وقعت في سوريا سنة/1949.

وقد بدأت السلسلة بانقلاب في دمشق قاده اللواء حسني الزعيم، وتبين أن الانقلاب من ورائه شركة أرامكو التي وقع لها حسني الزعيم على امتياز بمد خط لأنابيب البترول بين السعودية وموانئ البحر المتوسط بسوريا (التابلاين).
وما هي إلا أيام حتى وقع انقلاب قاده اللواء سامي الحناوي، وتبين بعد قليل أن القوة المحركة هي شركة البترول البريطانية العراقية، وكان أول قرار للحناوي هو إلغاء اتفاق خط أنابيب التابلاين..." (34).

---

(28)ينظر: لعبة الأمم، مايلز كوبلاند/ ط بيروت/ 1970م، ص73، 83.
(29)أندرو راثمل/ ترجمة محمد نجار/ ص52 وما بعدها.
(30)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص52، ص55، ص61.
(31)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ص50.
(32)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص64، ص56.
(33)المرجع السابق.
(34)ملفات السويس حرب الثلاثين سنة: محمد حسنين هيكل/ مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة/ ص104 - 105؛ نقلاً عن كتاب أديب الشيشكلي لهاني الخيّر/ص52 - 53.

موقف حسني الزعيم من المشاريع المشبوهة

حاول الزعيم أن يجس النبض للسير في أكثر من اتجاه:

"الهلال الخصيب والعراق، مشروع سوريا الكبرى؛ جامعة الدول العربية والقاهرة والرياض"... ثم فضل الاتجاه الأخير للحفاظ على الجمهورية (35).

وكانت مصر قد تملكت زعامة العرب بسبب تبنيها لسياسة الجامعة العربية منذ/1945م، فقضي بذلك على مشروعي سوريا الكبرى والهلال الخصيب، اللذين كانا في الحقيقة خطتين لتوحيد آسيا العربية مع استثناء مصر وشبه الجزيرة العربية.

وقد حصلت مفاوضات بين سوريا والعراق، لكنها لم تسفر عن نتيجة مرضية، بسبب طموحات حسني الزعيم من جهة، وتردد نوري السعيد إزاء ذلك من جهة أخرى، وكره الجمهور السوري للملكية، وإعاقة فرنسا لهذه المشاريع، لأنها تعتقد أن بريطانيا وراءها(36)

وخلال الأسبوع الأول من قيام الانقلاب كانت دمشق مثل قطعة الحلوى، يحط عليها الذباب القادم من العراق والأردن ومصر..وذلك انعكاساً للمعركة التي كانت تدور بين أنصار مشروع سوريا الكبرى والهلال الخصيب، من جهة ومشروع جامعة الدول العربية من جهة أخرى، وهو المشروع الذي بات ضعيفاً بعد النتائج المأساوية للحرب العربية في فلسطين(37).

مشروعا الهلال الخصيب وسوريا الكبرى:

عُرِضَ مشروع الهلال الخصيب الذي تبناه نوري السعيد، وسورية الكبرى الذي حمل لواءه الأمير عبد الله علانية ولأول مرة أثناء الحرب العالمية الثانية.

فقد شجع سقوط فرنسا، نوري السعيد على الاعتقاد بأن بريطانيا لا بد أن تؤيد مشروعاته لتحقيق أهداف العرب القومية؟! فعرض رأيه هذا على وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط "رتشارد كاسي"، أوائل عام/ 1942م، ثم قدم في مذكرة حول القضية العربية، مع إشارة خاصة إلى فلسطين، واقتراحات تسوية دائمة، ثم وزعت سراً على الجهات المختصة (38).

واقترح السعيد خطة على مرحلتين: الأولى توحيد سوريا ولبنان وفلسطين والأردن في دولة واحدة، أما شكل الحكم والوحدة، فيجب أن يقرره الشعب بنفسه، مع منح الأقلية اليهودية في فلسطين شبه استقلال ذاتي، بضمانات دولية، وتوفير الحماية اللازمة لنصارى لبنان.

أما المرحلة الثانية، فهي أن تربط سوريا الكبرى (بعد قيامها) بالعراق في جامعة دول عربية تنضم إليها دول عربية أخرى وفق مشيئتها (39).

أما مشروع الأمير عبد الله بن الحسين، فيتلخص في إعادة توحيد الأقطار الأربعة "سوريا الكبرى"تحت قيادته، وحل مشكلة اليهود في فلسطين بمنحهم استقلالاً ذاتياً إدارياً، وإذا لم يتحقق توحيد الأقطار العربية الأربعة حالاً، فليكن البدء بتوحيد سورية وشرقي الأردن، مع العمل لضم سوريا ولبنان بتشكيل اتحاد على نمط الولايات المتحدة...

إذن فإن لب اقتراحات عبد اللهو دمج سوريا والأردن حالاً .

ولم يدع الملك عبد الله مناسبة تمر دون أن يؤكد هذه القضية، وقد جوبهت تصريحاته بعداء مكشوف من القاهرة والرياض وبيروت ودمشق(40) .

كما أن بريطانيا لم تشجيع قيام اتحاد بين العراق والأردن، رغبة منها في الحفاظ على موقعها القوي في الأردن بعيداً عن تسرب النفوذ العراقي، كما أن قيادة العراق ـ عبد الإله والملك الصغير فيصل الثاني ـ لم توافق على اتحاد هاشمي يقوده الملك عبد الله (41)

واستمر اهتمام عبد الله بسوريا متأججاً حتى اغتياله في عام/1951م، على حين بقيت التدخلات العراقية سمة دائمة للسياسة السورية حتى قيام الوحدة مع مصر عام/ 1958م (42).

فقد كان نوري السعيد يسعى حثيثاً لإسقاط نظام حسني الزعيم، وبدأ بالعمل مع بريطانيا أولاً للتدخل العسكري، فرفضت بريطانيا ذلك، ثم بدأ بإجراء محادثات مع كل من الحزبين الوطني

والشعب، وعارضت بريطانيا تلك الخطط خشية من التدخل المصري وجامعة الدول العربية، والاضطرابات المتزايدة في سوريا، مع وجود إمكانية للتغلغل الشيوعي..
أما حسني الزعيم فقد كان يرتاب من سياسة بريطانيا، ويعتقد بأنها كانت تقف وراء المؤامرات التي تحاك ضده (43).
لقد وقف حكام سورية في العهد الوطني الجديد ضد هذين المشروعين، لا كراهية منهم بالوحدة، بل لاعتقادهم أن هذين المشروعين سيجران سورية التي استقلت حديثاً، إلى عجلة الأحلاف الأجنبية، وكان من أشد المعارضين لهذه المشاريع: شكري القوتلي وصحبه من الوطنيين القدامى.
وبعد الانقلاب الأول، بدأت المحاولات الرامية إلى تحقيق تلك المشاريع، ففي 1949/4/16م، هبط نوري السعيد، رئيس وزراء العراق إلى دمشق فجأة، والتقى بحسني الزعيم، إلا أن الأخير تردد في قبول المشروع، واستشار أصحابه، فنصحوه بالبعد عن مشاريع الأحلاف المشبوهة، وعمل بنصيحتهم، ومن هنا بدأ الخلاف يدب بين سورية والعراق وكذا الأردن، وهدد حكام العراق بنسف الزعيم وعهده (44).
وقد أرسل الزعيم سكرتيره (نذير فنصه) إلى مصر لمقابلة الملك فاروق للاتفاق معه على قيام تعاون وثيق بينهما. وفي 1949/4/22، فوجئ الناس في مصر والشام، بوصول حسني الزعيم إلى القاهرة بصحبة سكرتيره الأول (نذير فنصة) الذي مهد لهذه الزيارة، واستقبله الملك فاروق استقبال الفاتحين، وعُقد بينهما اجتماع تاريخي، أسفر عن تفاهم تام بين الزعيم والملك، ووضعا أسس وحدة ثنائية بين مصر وسوريا.
وقد نجحت سياسة مصر في استمالة سورية الجديدة إلى صفها، ضد الأحلاف المشبوهة والقواعد العسكرية الأجنبية، في الوقت الذي كانت فيه مصر تناضل للتخلص من القواعد العسكرية البريطانية على أراضيها (45).

---

(35)الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي/ص231.
(36)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص71 - وما بعدها.
(37)الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ ص60.
(38)الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص27، 28.
(39)المرجع السابق.
(40)ينظر: مذكرات الملك عبد الله بن الحسين/ ص264، وما بعدها/ الدار المتحدة للنشر/ بيروت/ 1979، والصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص30.
(41)الصراع على سوريا/ ص31 - 32.
(42)المرجع السابق.
(43)الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص40، 44.
(44)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص117 ، 118، وينظر: الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ/ ص324 - 326، منشورات المكتبة العصرية/ صيدا - بيروت/ 1966م.
(45)النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص124.

النهاية المأساوية لعهد الزعيم

لقد أمسك الزعيم بمقاليد السلطة "ولم‌يدم حكمه إلا أربعة أشهر وسبعة عشر يوماً " كما يمسك رئيس عصابة بمقاليد السلطة داخل عصابته.. وأفراد العصابة يطيحون برئيسهم عندما يبدأ الشك يتسرب إلى نفوسهم بأن رئيسهم قد غدر بهم أو خذلهم.
لقد عامل ضباطه ومرؤوسيه بقسوة بالغة، كما كان يُعامَل في ظل الظروف العسكرية تحت مظلة الانتداب، فأصبح الزعيم لا يمثل أكثر من نفسه، سواء في علاقاته مع أنصاره أو في طبيعة معاملته للشعب السوري، ولذلك كانت نهايته دموية [46].
وقد دبرت حكومة العراق انقلاباً عسكرياً على حسني الزعيم، عن طريق سامي الحناوي، واستغلت الثارات عند الدروز والقوميين السوريين وباقي الناقمين على الزعيم، وتم اعتقال الزعيم وإعدامه في ليلة 14/ آب/1949م.
وكان رئيس الحرس المكلف بحماية منزل المشير حسني الزعيم هو النقيب "خالد عيسى"، قد رشيَ بمال عراقي يسيل له اللعاب عن طريق الضابط (عصام مريود)، فاستلم الحرس دون أية مقاومة، لا سيما وأن النقيب خالد عيسى كان قد جرد حرس المشير من أسلحتهم قبل تنفيذ الانقلاب بعشر ساعات، مشيعاً بأنه سيأتي عوضاً عنها بأسلحة جديدة...
وقد شق الملازم أول (فضل الله أبو منصور) بقواته طريقه إلى داخل فيلا المشير، فوجده في الصالون بملابسه الداخلية "سروال وقميص قطن"، فصفعه على وجهه بلؤم، ووجه إليه تهمة الغدر بأنطون سعادة، وأوثقه ثم وضعه داخل مصفحة، ونقله مع معاونيه إلى جهة المزة.. ثم ألحق به بعد قليل رئيس وزرائه "محسن البرازي"... والضابط أبو منصور، كان من الحزب القومي السوري، ومن دروز جبل حوران الناقمين على حسني الزعيم...
وعلى طريق المزة الصحراوي، وحين شاهد الزعيم والبرازي مفرزة الإعدام، ذات الوجوه القاسية الملامح، انهار البرازي من المشهد المرعب، فخاطبه المشير حسني بالفرنسية قائلاً : كُن رجلاً ...الموت واحد."!
وكان الضابط عصام مريود قد أبلغ الضابط (فضل الله أبو منصور) بأن القيادة العليا قد حكمت على حسني الزعيم ومحسن البرازي بالموت، وأمره بتنفيذ الحكم فوراً .
واستمر إطلاق الرصاص على الزعيم زهاء خمس دقائق، كان الرصاص خلالها يخترق جسمه كخيط من نار، ثم داس الضباط الثلاثة جثته بأرجلهم وهم: الضابط الطيار عصام مريود، والملازم الأول فضل الله أبو منصور، والضابط حسين الحكيم [47].
ويذكر صبري العسلي ـ من رؤساء الحكومات السابقين ـ أنّ حسني الزعيم عندما أنزل من السيارة مع محسن البرازي على طريق المزة المقفرة لإعدامهما، قال للجنود الذين أشهروا رشاشاتهم وبنادقهم: "أنا حسني الزعيم، أنا الذي جعلت لكم كرامة، وللجيش هيبة، أتقتلوني بدلاً من قتل هؤلاء الكلاب السكارى؟!".
وبالفعل أدار الجنود أسلحتهم صوب الضباط الثلاثة، واشتبكوا معهم بالأيدي، ثم انهمرت النيران على الزعيم والبرازي[48].
لقد كان الزعيم تواقاً للسلطة... وله كلمة مأثورة، كان يرددها في مجالسة الخاصة منذ طفولته وهي قوله:ليتّني أحكم سوريا يوماً واحداً، ثم أُقتل في صباح اليوم التالي."!!
وقد استطاع تحقيق حلمه الذهبي هذا... فحكم سوريا "137يوماً " وفي اليوم الأخير من ولايته، استقرت في أماكن متعددة من جسمه "176 رصاصة" [49].
وبذلك أسدل الستار على أول انقلاب في سوريا، لتتوالى بعده الانقلابات العسكرية، بينما تضيع الأمة ومصالح الأمة على أيدي العسكريين من عشاق السلطة.

(46)لعبة الأمم: مايلز كوبلاند/ ص76، 78/ بتصرف وإيجاز.

(47)ينظر: أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث في سوريا: هاني الخيّر(ص55 - 56).
(48)أيام حسني الزعيم، 137 يوماً هزت سورية - نذير فنصة/ ص97، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
(49)صور وطرائف من تاريخ دمشق: هاني الخير/ ص233، مؤسسة النوري للطباعة والنشر -دمشق.

المبحث الثاني :
اللواء سامي الحناوي صاحب الانقلاب الثاني

ظروف الانقلاب ودوافعه:
في 14/ آب/1949م، أطيح بحسني الزعيم في انقلاب قام به الحناوي قائد اللواء الأول.
وقد أثار هذا الانقلاب تكهنات من أن هناك أيادي خارجية تورطت فيه.
وكان الانقلاب نكبة حادة لأصدقاء الزعيم السابقين، فأعلن الملك فاروق الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام في مصر.
كما أن الصحافة الأمريكية حزنت على الزعيم، حيث صورته بأتاتورك سوريا، ورثته كبار صحفها.

وكانت أصابع الاتهام موجهة إلى بريطانيا، فقد نشرت صحيفة "فرانس تيرو" الفرنسية تقول: "إن نظام الزعيم كان معادياً لكل المشاريع البريطانية في سوريا، وذكر باتريك سيل أن الحناوي كان خيار العراق للإطاحة بحسني الزعيم[1] .
وتتفق معظم المصادر على أن الحكومة العراقية، وقد امتعضت من اتجاه الزعيم وسياسته الممالئة لمصر، تاقت لترى في دمشق حكومة على صلة ودية معها، وكانت مستعدة لأن تدفع مقابل إزاحته.. وقد دفعت الكثير من أجل ذلك.
فكان الزعيم الحناوي وصهره أسعد طلس ومساعدوه في الجيش هم وسيلة السياسة العراقية، إضافة إلى تأييد حزب الشعب.
وكان الحناوي لا يتمتع بالمؤهلات المطلوبة التي تساعده على البقاء في السلطة، ولربما كان العميل الغبي لمطامع العراق، ولأعداء حسني الزعيم داخل سوريا، ولم يمارس أية قيادة سياسية فعالة في تمرده.

روى حسن الأطرش: أنه قابل (أكرم الحوراني) الذي رأى وجوب إزاحة الزعيم، وأن الضباط الدروز يجب أن يسهموا في إزاحته، فقال: "لم أوافق على مقتل حسني الزعيم، ويكفي أن يقبض عليه ويودع السجن.. ولكن الحوراني قام من وراء ظهري بعقد اتفاق مع عدد من الضباط الدروز الذين كان لمعظمهم صلات بالحزب القومي السوري، وكان لديهم سببان للسعي إلى الانتقام، وذلك أنهم دروز وقوميون سوريون متحمسون للثأر."
وكان حسني الزعيم قد أمر كتيبة مدرعة بالتوجه إلى جبل الدروز حيث يوجد المتآمرون المتمردون، فهم يملكون كمية من السلاح، ويستعدون للتمرد[2] .

وكان على رأس الانقلابيين الضابطان الدرزيان "أمين أبو عساف وفضل الله أبو منصور" من جبل العرب، الذي انقلب عليه حسني الزعيم حين ساورته الشكوك في تآمر سكانه عليه متعاونين مع الهاشميين وحزب الشعب.

وقد أرسل الزعيم قوة كبيرة إلى حامية السويداء ليلقي الرعب في نفوس سكان الجبل.. ولذلك تعاون الضباط الدروز وزعماء الجبل وأكرم الحوراني للإطاحة بالزعيم [3].
والحقيقة أن القيادة العراقية كانت قد رتبت للانقلاب، واتفقت مع الضابط السوري الطيار "عصام مريود"، لتكون طائراته على أهبة الاستعداد لنقل الانقلابيين إلى بغداد إذا فشلت تلك المحاولة [4].

وسرت شائعة قوية بين الناس ورجال الصحافة أنّ اغتيال حسني الزعيم ومحسن البرازي، لم يكلف الوصي على عرش العراق ونوري السعيد أكثر من مائلة ألف دينار، وزعت بمعرفة أحد المقربين جداً من الحناوي، على المتآمرين [5].
وقد انكشف دور العراق برد الفعل الفوري، إذ أرسل كل من الملك عبد الله، ونوري السعيد بتهانيهما مع وفودهما إلى الزعيم الجديد في دمشق فور نجاح الانقلاب [6].

---

[1]الحرب السرية في الشرق الأوسط: ص74، 78 أندرو راثمل/ ترجمة محمد نجار.
[2]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص104 - 106.
[3]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص77.
[4]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/74.
[5]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص238.
[6]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص107.

أضواء على الانقلاب الجديد وصاحبه:

كان الحناوي قد أمر بأن يذاع البلاغ العسكري رقم (1) في 14/ آب/1949م، والذي جاء فيه: "قام جيشكم الباسل بالانقلاب لينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت إليها، ولكن زعيم ذلك الانقلاب ـ حسني الزعيم أخذ يتطاول هو وحاشيته على أموال الأمة.. ويعبث بالقوانين وحرية الأفراد... ولهذا وبعد الاعتماد على الله عزم جيشكم الباسل أن يخلص البلاد من الطاغية ورجاله، فأنقذ شرف البلاد، وآلى على نفسه أن يسلم الأمر إلى الأحرار المخلصين من رجالات سورية، وسيعود الجيش إلى ثكناته، ويترك السياسة إلى رجالاتها" [7].

وكان أول مرسوم أصدره اللواء سامي الحناوي ليلة 14/آب قد قضى بتعيين عديله الدكتور أسعد طلس أميناً عاماً لوزارة الخارجية من الدرجة الأولى، وكان أسعد طلس هو الذي يدير السياسة الخارجية والداخلية من وراء الستار.

لقد انتقم أسعد طلس لكرامته المهدورة، وكان انتقاماً رهيباً حقاً ...

كما أصدر الحناوي مرسوماً يقضي بتأليف حكومة جديدة، عين فيها الأتاسي رئيس الجمهورية السابق رئيساً لمجلس الوزراء، وعين فيها خالد العظم وزيراً للمالية، وناظم القدسي للخارجية، وعفلق للمعارف، وأكرم الحوراني للزراعة...[8]

ونُشر بعد أسابيع من الانقلاب الثاني قانون الانتخابات الجديد وقد وصفته الصحف بأنه تقدمي يقضي على سيطرة رجال الإقطاع والمال، وأعطيت المرأة فيه حق التصويت.

وصرح أكرم الحوراني بأن هذا القانون ألغى المذهبية كخطوة أولى "أي ألغى الطائفية"، تتلوها نتائج اجتماعية كبيرة...

وعادت جريدة "البعث" للصدور، ودارت مباحثات بين أقطاب البعث وحزب الشعب حول إمكان وضع قائمة انتخابية مشتركة بين الحزبين، وأعلن الحزب الوطني على لسان رئيسه بأنه لن يشترك في الانتخابات لأن الضمانات غير كافية.

وبدأ الزعيم الجديد يندفع بخطوات حثيثة، نحو الطريق التي سلكها الزعيم الراحل ـ حسني الزعيم ـ، حتى أن أحد نواب حزب الشعب اقترح إقامة تمثال للحناوي في ساحة المرجة، بوصفه محرر الشعب من الطغيان؟! [9]

وعقدت الجمعية التأسيسية جلستها قبل ظهر الاثنين في 1949/12/12م، وانتخب السيد رشدي كيخيا رئيساً لها، وحضر الجلسة اللواء الحناوي وكبار الضباط من مؤيديه...

ثم عقدت الجمعية جلسة أخرى في 1949/12/14م، انتخبت فيها السيد هاشم الأتاسي رئيساً للدولة، وبعد خمسة أيام من هذا التاريخ، فوجئ الناس ببلاغ رقم (1) لانقلاب جديد [10]

والحقيقة أن الأمر بعد أن استتب قليلاً لجماعة الانقلاب الثاني سرعان ما دب الخلاف بين ما سمي بالمجلس الحربي الأعلى، وضباط الوحدات في مختلف القطاعات العسكرية، وأصبح قائد الانقلاب في واد، وضباطه في واد آخر، كل ذلك رغم تأليف حكومة مدنية، ومن ثم إجراء انتخابات نيابية، وتأليف جمعية تأسيسية جديدة، وإعلان دستور جديد.

وسرعان ما برز من صفوف الجيش ضباط ينتمون إلى أحزاب معينة، وكتل وعشائر وطوائف متباينة [11].

عصفوا بالانقلاب وقائده الحناوي، وبدأت لعبة الانقلابات تأخذ منحى جديداً ...

والحناوي:

من مواليد حلب/ 1896م، تلقى دراسته الأولية في دار المعلمين، وفي عام/1916م، دعي إلى الخدمة العسكرية من قبل السلطنة العثمانية، ونقل إلى معهد استانبول العسكري، وفي 1917/7/24 تخرج برتبة مرشح ضابط.. ثم أرسل إلى جبهة فلسطين، وهنالك انضم إلى

الضباط العرب الذين التحقوا بجيش الشريف فيصل، وتابع دراسته العسكرية في دمشق وتخرج برتبة ملازم في الجيش العربي.
وبعد احتلال فرنسا لسوريا، انضم إلى سلك الدرك في لواء اسكندرون، ثم انضم عام/1928م، إلى جيش الشرق المختلط، الذي كان تحت القيادة الفرنسية.
ورقي في هذا الجيش إلى رتبة نقيب، وترفع إلى رتبة مقدم فعقيد فزعيم "أي عميد"، وكان ذلك أيام حسني الزعيم. ثم قام بانقلابه، وأصبح برتبة لواء "جنرال" [12].
كان الحناوي جندياً بسيطاً قليل المطامع السياسية، خدم دون أن يلمع في الجيش العثماني ولا القوات الخاصة، وكانت خطوته الأولى في رفع الحظر عن الأحزاب السياسية وتسليم السلطة إلى المستقلين في البلاد [13].
وبعد أن أسدل الستار على الفصل الثاني من سلسلة الانقلابات العسكرية، بدأت الصحف والإذاعات والمحافل السياسية، تتناول الحناوي بالتشهير والتجريح، وتتهمه بخيانة الجمهورية وبيع البلاد للأجانب فأصبح معالي اللواء سامي الحناوي؛ بين عشية وضحاها عسكرياً خائناً فسبحان مغير الأحوال" [14].

---

[7]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ص73.
[8]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ص213.
[9]النكبات والمغامرات/ ص222 - 223، وص225.
[10]المرجع السابق.
[11]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ص213.
[12]النكبات والمغامرات/ص204، بشير فنصة.
[13]الصراع على سورية/ص108.
[14]النكبات والمغامرات/ص237.

الانقلاب الجديد ومشروعا: الهلال الخصيب وسورية الكبرى:

كان مشروع الهلال الخصيب هو المحور الأساسي لسياسة الانقلاب الثاني، وكان هم الحكومة الجديدة التي شكلها هاشم الأتاسي هو تنفيذ هذا المشروع... وكان الأتاسي قد شارك حزب البعث والحوراني وحزب الشعب في القناعة بهذا المشروع.
وكان قد وصل ثلاثة وفود من بغداد للتهنئة ثاني أيام تشكيل الوزارة: وفد رسمي، وآخر إعلامي، وثالث عسكري، نزلوا في فندق الشرق بدمشق.
وكان رشدي كيخيا ـ رئيس حزب الشعب ـ يسعى حثيثاً لإقناع رجالات السياسة بمشروع الهلال الخصيب "وحلف بغداد" [15]
والمعروف أن عبد الإله ـ الوصي على عرش العراق ـ كان يرغب بقوة في وضع يده على سورية، وخاصة أن الملك فيصل الثاني ـ ابن أخته ـ كان يقترب من سنّ الرشد، ومعنى ذلك أن عبد الإله سيفقد الامتيازات التي يتمتع بها، فهو يطمع في عرش سوريا بدلاً من ذلك.
وقد صوت مجلس النواب السوري إلى جانب قيام الوحدة مع العراق، ولم يصوت إلى جانب مجيء الوصي عبد الإله إلى دمشق ليحكم سورية، في الوقت الذي كان سامي الحناوي رئيس الأركان العامة، أداة طيعة في أيدي حاشيته الموالية للعراق [16].
واستمرت الاتصالات بين الحكومتين السورية والعراقية فوصل إلى دمشق السيد فاضل الجمالي وزير خارجية العراق، بمهمة مستعجلة، واتصل بكبار الشخصيات السورية، وأجرى مفاوضات مطولة معهم بحضور الدكتور أسعد طلس أمين عام الخارجية، وعديل الحناوي، ثم واصل سفره إلى لندن [17].
وكان الملك عبد الله بن الحسين يعمل لحسابه الخاص، غير آبه بتحركات الوصي والسعيد باشا فقد سافر فجأة إلى لندن للاتصال بحكومة بريطانيا إثر انقلاب الحناوي، وصرح هنالك للصحف قائلاً : "بأن سورية الكبرى آتية بلا ريب، وسيحكمها الهاشميون" [18].

إلا أن بريطانيا كانت تعارض خطط الملك عبد الله، لأسباب كثيرة، فقد جاء في افتتاحية جريدة "الديلي تلغراف"، صباح 1949/6/19م ما خلاصته:
"أن خطط العاهل الأردني تهدف إلى توسيع تخوم مملكته، ولكن من الضروري أن تأخذ بعين الاعتبار مقاومة سورية ومصر والسعودية لهذه المطامع."
"وإن الذي لا يسمح لبريطانيا بدعم أهداف الملك عبد الله، هو وجود مشاكل دبلوماسية كثيرة، تقف في وجه بريطانيا وتحول دون مساعدة الملك عبد الله، وهي مشاكل لا تتعلق ببريطانيا وحدها، بل بدول أخرى، وأن الاتحاد العربي لا يزال مجرد فكرة" [19].

والحقيقة أن التيارات المعارضة للاتحاد كانت كثيرة:
ـ ففرنسا مثلاً كانت تخشى ضياع نفوذها الأدبي والثقافي في سوريا ولبنان، حال قيام الاتحاد، ولذلك كانت ترفضه بشدة.
ـ والأوساط الوطنية كانت مترددة في قبول فكرة الارتباط مع العراق والأردن، لارتباطهما بمعاهدة مع الإنجليز خلافاً لأوضاع سوريا ولبنان..
ـ وكانت مصر تعارض هذا الاتحاد بشدة، وكان الملك فاروق يكره "الهاشميين" ويعاكس كل مشروع يزيد في قوتهم.
ـ بينما كان رشدي كيخيا ـ زعيم حزب الشعب ـ يرى أن فكرة الاتحاد مع العراق تخلصهم من نفوذ أركان الجيش السوري، لأنه سيذوب أمام قوة جيش العراق [20].

ـ وبعد تفاؤل قادة بعض الأحزاب الموالية للاتحاد والكتل النيابية، سرعان ما وقع الخلاف بين قادة الأحزاب والضباط أنفسهم، فكان حزب الشعب يؤازر الحناوي، بينما قام زعماء الحزب الوطني والنواب الاشتراكيون ينددون بمواقف حزب الشعب، ويشيرون إلى وجود مؤامرة، وأحلاف جديدة، من شأنها الإطاحة باستقلال سورية الجمهورية.. وعادوا إلى مهاجمة مشاريع الوصي ونوري السعيد والملك عبد الله ملك الأردن[21] .
وكانت هذه المشاريع من أبرز أسباب الإطاحة بالحناوي ومعاونيه.

---

[15]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ ص79 - 80.
[16]المرجع السابق/ ص90، 92.
[17]النكبات والمغامرات/ ص218.
[18]جريدة المصري القاهرية/ عدد 14 آب/1949.
[19]ينظر: النكبات والمغامرات/ ص218.
[20]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ص96.
[21]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص222 - 223.

الفصل الأخير من مسرحية الانقلاب الثاني:

في صباح 1949/12/19م، أعلن المذيع بلاغاً رقم (1) بتوقيع أديب الشيشكلي، جاء فيه: "إلى الشعب السوري الأبي، لقد ثبت لدى الجيش أن رئيس الأركان العامة، اللواء سامي الحناوي وعديله أسعد طلس، وبعض ممتهني السياسة في البلاد، يتآمرون على سلامة الجيش، وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع الجهات الأجنبية، وأن ضباط الجيش يعلمون هذا الأمر منذ بدايته، وقد حاولوا بشتى الطرق أن يحولوا دون إتمام المؤامرة، فلم يفلحوا، فاضطر الجيش أن يقضي على هؤلاء المتآمرين، وليست للجيش غاية أخرى، وأنه يعلن، بأنه سيترك أمر البلاد في أيدي رجالها الشرعيين، ولا يتدخل إطلاقاً في القضايا السياسية اللهم إلا إذا كانت سلامة البلاد تستدعي مثل ذلك". " العقيد أديب الشيشكلي"

وقد تم اعتقال اللواء سامي الحناوي في نفس اليوم، وهرب الدكتور أسعد طلس إلى لبنان، واعتقل الضباط الموالون للحناوي، ولم يعتقل من السياسيين أحد [22].

وبالتالي علقت الدوائر البريطانية ـ حسبما ورد في برقيات رويتر ـ على الانقلاب السوري الجديد بقولها: "إنه بداية النهاية لمشروع سورية الكبرى، ومشروع اتحاد سورية والعراق" [23].

وهكذا كلما قام انقلاب، شتم أصحابه في بلاغاتهم قادة الانقلاب السابق، واتهموهم بالخيانة والتآمر...

فبينما حكم حسني الزعيم (137يوماً)، دام حكم الحناوي أربعة أشهر وخمسة أيام.. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وبعد فترة أفرج عن اللواء الحناوي، وعن رفاقه من الضباط المعتقلين.

والتجأ الحناوي إلى لبنان يرافقه أهل بيته، ومعهم العقيد محمود الرفاعي والعقيد عصام مريود، وكان الإفراج قد تم في 7/أيلول عام/1950م.

وتمكن محمد بن أحمد آغا البرازي، الملقب بـ "هرشو" من اغتيال اللواء الحناوي في بيروت في "1950/10/31م"، انتقاماً لمقتل ابن عمه "محسن البرازي" رئيس وزراء حسني الزعيم.

كان هرشو من الشباب المثقف ومن أهل اليسار، درس في المعهد العلماني في بيروت، وانصرف بعد تخرجه إلى الإشراف على مزارع والده في مدينة حماة.

وكلمة هرشو لفظة تركية معناها "النمر" أطلقها أبوه عليه تيمناً بالقوة على عادة الأكراد، إذ كان قد رزق ثماني بنات، وكان هذا هو ولده الوحيد.

نقل جثمان الحناوي إلى حلب، حيث دفن هنالك، وسار في جنازته جمع غفير.. وبذلك توارى الحناوي كخيال لاح ثم امَّحى [24].

---

[22]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص229 - 230.

[23]المرجع السابق/ص233.

[24]ينظر: النكبات والمغامرات: بشير فنصة - ص240 - 248.

المبحث الثالث :
العقيد أديب الشيشكلي يقود الانقلاب الثالث

ظروف الانقلاب ودوافعه:
كان الشيشكلي يمثل السياسة السورية المعادية لاتجاه العراق الملكي ومشروع الهلال الخصيب...
قام بالانقلاب ليدافع عن نظام الحكم الجمهوري في سوريا، وينقذها من النفوذ البريطاني والوحدة مع العراق الملكي.
وقد استسلم الحناوي للانقلابيين الجدد، عندما توجهت مفرزة من الدبابات والآليات العسكرية من اللواء الأول، بإيعاز من العقيد أديب الشيشكلي، وبقيادة العقيد أمين أبو عساف، ومساعدة النقيب فضل الله أبو منصور، وهما درزيان ينتميان إلى الحزب القومي السوري[25] .
وكان العقيد الشيشكلي قد أذاع البلاغ رقم (1)، وذكر فيه مسوِّغات الانقلاب، ومن أهمها الاتفاق بين الحناوي وبعض السياسيين السوريين لإعلان الاتحاد مع العراق، وأن الحناوي كان قد أعد العدة مع بعض أنصاره لاعتقال الضباط المناوئين [26].
كما أن أكرم الحوراني هو الذي وضع اللمسات الأخيرة للانقلاب، وكان من عادته أن يقف وراء كل انقلاب عسكري جديد، يدعمه بقلمه ورأيه وأنصاره، ثم لا يلبث قليلاً حتى يصطدم بصخرة الحكم العسكري، فيعلن احتجاجه، ثم يتوارى عن الظل استعداداً لانقلاب جديد [27].
وقد استفاد الشيشكلي قليلاً من التجارب السابقة، فلم يُعْدم أحداً من زملائه الضباط، ولم يعتقل أحداً من رجال السياسة، إلا أنه كان يسير نحو الحكم المطلق بخطوات وئيدة متزنة...
وقد ترك الأمور السياسية بيد السياسيين؛ فاستمر هاشم الأتاسي رئيساً للدولة، وكلف خالد العظم بتشكيل الوزارة في 1949/12/25، بقرار من ضباط الانقلاب.
وفي ليلة 1950/11/28م، شكل معروف الدواليبي حكومة جديدة، لكنه اصطدم مع قائد الانقلاب، ورفض أي تعديل في الوزارة، فكان رد العقيد صاعقاً، فقد أمر بإلقاء القبض على الدواليبي، وأعضاء حكومته، وعدد من ذوي الميول الهاشمية..
وفي 1950/11/29م، أذيع بيان بأن الجيش قد تولى المسؤولية من أجل سلامة البلاد وأمنها، واتهم حزب الشعب بأنه المسؤول عن الانقلابات الفائتة.. واشتدت قبضة الجيش على الحكم في البلاد[28]
يقول خالد العظم في مذكراته: "المسؤولية الكبرى تقع على عاتق "الحزب الوطني"، و "حزب الشعب"، فقد قبل الأول التعاون مع حسني الزعيم، وتسلم حزب الشعب الحكم من سامي الحناوي، رغم أنه حل مجلس النواب، لقد فكروا في الحكم أولاً، ثم إجراء انتخابات يسيطرون على نتائجها" [29].
لقد كان العقيد أديب الشيشكلي، أكثر دهاء وصلابة ومهارة سياسية من سابقيه، وكان أطول مدة، إذ سيطر على سياسة سورية طيلة أربع سنوات، ودافع عن نظام الحكم الجمهوري في سورية، لينقذ بلاده من النفوذ البريطاني، والوحدة مع نظام الحكم الملكي في العراق [30].
وكان الشيشكلي يشارك أكرم الحوراني في توجهاته السياسية ضد مشروع الهلال الخصيب.

وكان عهد الشيشكلي يتميز بفترتين واضحتين.
الفترة الأولى:
تمتد من (1949 - إلى 1951م)، كان يقوم خلالها بالإشراف والمراقبة على الحكومات، والجمعية التأسيسية، بشكل غير مباشر.

الفترة الثانية:
ما بين (1951 - 1954م)، وفي هذه الفترة تولى الشيشكلي السلطة بنفسه، وقام بتشديد قبضته على البلاد.

---

[25]أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث في سورية: هاني الخيّر ص67 - 68، مكتبة الشرق الجديد/ دمشق/1995م.
[26]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/107.
[27]السابق/ص108، وأديب الشيشكلي، لهاني الخير/ص235.
[28]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ ص125.
[29]ينظر: مذكرات خالد العظم: ج2/ الدار المتحدة للنشر، والمرجع السابق/ص156.
[30]الصراع على سورية: باتريك سيل/ص120 - 122.

قائد الانقلاب: وأبرز صفاته ومؤهلاته:

ـ كان الرجل من مواليد حماة عام/1910م، دخل الجيش المختلط الفرنسي، ورقي حتى رتبة ملازم أول.
ـ وكان قد فرض عليه الحرمان من الترقيات العسكرية، كما فرض عليه البقاء في المناطق الريفية النائية، ثم نقل إلى دمشق بعد أن أمضى سبع سنوات في المناطق النائية، وذلك بسبب تمرده على قوة الانتداب، ولمشاركته في الحركة الوطنية.
ـ في سنة 1944م، هرب من الجيش ليساهم مع صديق طفولته في حماة (أكرم الحوراني) في الثورة على الفرنسيين، وخاصة بعد توتر العلاقات مع الانتداب الفرنسي والحكومة السورية.
وفي سنة/1945م اقتحم مع أخيه (صلاح الدين الشيشكلي يساندهما الأهالي في حماة)... قلعة حماة، وطردوا الحامية الفرنسية منها.
ـ ثم التحق بالقوات الوطنية، وقاد فوجاً من جيش الإنقاذ في فلسطين، وكان برتبة نقيب وذلك عام/1947م.
وقد أربك العدو الإسرائيلي في المنطقة الشمالية من فلسطين وألحق به خسائر ليست قليلة، فغدا اسمه ينقل على كل لسان.
ـ تسلم في عهد الزعيم مديرية الشرطة، ورفع إلى رتبة عقيد. ثم سرحه حسني الزعيم قبل انقلاب الحناوي بأيام.
وعاد إلى الخدمة في الجيش إثر الانقلاب الثاني وتسلم قيادة اللواء الأول.
ـ وفي 1949/12/19م، قام بالانقلاب الثالث وأطاح بالحناوي وعهده...
ـ وبعد عدة سنوات اغتاله شاب درزي يسمى "نواف غزالة" ثأراً لأحداث جبل الدروز الذي هاجمه الشيشكلي آخر أيامه بالقوات المسلحة.
كان ذلك في 27/أيلول/1964م، ثم نقل الجثمان إلى سوريا، ودفن في مدينة حماة مسقط رأسه.
وكان أديب الشيشكلي وأكرم الحوراني عضوين في الحزب القومي السوري في أوائل شبابهما [31].
ومن صفات الشيشكلي، أنه كان جندياً بارد الطبع، ذا موهبة في حياكة الدسائس وتنظيم الرجال... كان خلال الأشهر الطويلة من عامي/1950 - 1951م/ وهو يعمل خلف الستار، في فترة إعداد ضروري لاستلامه مقاليد السلطة كاملة...

وقد كان انقلاب الشيشكلي وإطاحته بالحناوي ورجاله سبباً في انهيار آمال الهاشميين بشكل محزن، إلا أنّ تلك الآمال لم تنطفئ نهائياً [32].

وكانت الفترة الطويلة التي استلم فيها السلطة ما بين 1949 حتى 1954م، تتميز بتبدلات عميقة في حياة سورية السياسية، وبملابسات بعيدة المدى في تاريخ ذلك البلد [33].
كان الشيشكلي يحب نابليون، كما كان خبيراً دعائياً من الطراز الأول، وكانت مصالح سوريا تأخذ مركز اهتمامهأولاً إذ كان يعتقد أن سورية هي البلد الوحيد المستقل، وأنّ جميع الدول العربية، لم تستكمل استقلالها كما استكملته سوريا.

وقد أحب الملك الأردني (طلال بن عبد الله) وظل يدافع عنه، ويرفض أن يصدق ما قيل عن مرضه النفسي، واحتجازه في أحد المصحات النفسية في تركيا [34].
ولم يكن على صلة طيبة بالملك عبد الله بن الحسين، فقد كتب في مذكراته [35].

"إن سورية اليوم في موقف يخاف عليها من الشيشكلي، فهو لا يسير إلا بحراسة ولا ينام إلا بحراسة، وإنْ لم ينجه الله فسيكون حتفه من حرسه، وهكذا فأهل الحرص والغدر يحيق بهم مكرهم".
ومن الغريب أن يتعرض الملك عبد الله إلى الاغتيال، فيموت قبل الشيشكلي بمدة طويلة.

---

[31]ينظر في ترجمة الشيشكلي: كتاب هاني الخير/ أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث/ ص20 - 25/ والنكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص254، والصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص62.
[32]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص122 - 124، وص160.
[33]المرجع السابق.
[34]أديب الشيشكلي، صاحب الانقلاب الثالث: هاني الخيّر "ص169."
[35]الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين: ص265، الدار المتحدة للنشر/ بيروت/ الطبعة الثانية/ 1979م.

إنجازات الشيشكلي وأبرز مواقفه السياسية:

تميزت الفترة الأولى من حكم الشيشكلي بأنه سمح للحكومة المدنية بأن تمارس مهامها في إدارة البلاد لمدة عامين...
وتصارعت السلطات المدنية بعد ذلك مع السلطات العسكرية، في حين أن التنافس داخل الأركان العامة كان شديداً، ولربما أدى إلى إراقة الدماء، وبنفس الوقت كانت الأحزاب الراديكالية وبشكل بارز حزب البعث والشيوعي وكذا القومي السوري، قد شقت طريقها لإزالة هيمنة الأحزاب التقليدية على البلاد[36] .
ولذلك قام الشيشكلي بانقلابه الثاني، وكان السبب المباشر هو الصراع على السلطة بين الجيش وحزب الشعب، واقتراح حزب الشعب لتسلم الدواليبي منصب وزير الدفاع كان قد أزعج الجيش أيضاً، ورحبت كل من باريس وواشنطن بهذا الانقلاب، وكانت رغبة الشيشكلي في الحصول على السلاح قد قادته لإقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة، كما أن واشنطن يهمها كبح المد اليساري في سوريا [37].
وبعد ازدواج الصلاحيات بين الجيش والسلطة المدنية، أُعلن في راديو دمشق في 29/تشرين الثاني/1951م، البلاغ رقم (1)، تسلم بموجه الشيشكلي زمام السلطتين التشريعية والتنفيذية، وحل البرلمان واعتقل أعضاء الوزارة الجديدة، برئاسة الدواليبي، وعين اللواء فوزي سلو رئيساً للدولة، وشكلت وزارة جديدة [38].
وقد وقع اختيار الشيشكلي على فوزي سلو، ليتسنى له من خلاله أن يمارس الحكم المطلق، دون أن يظهر تحت الأضواء الكاشفة [39].

فلماذا كان الشيشكلي متردداً في الإمساك بمقاليد الأمور؟!
وهل كان وحيداً في الظلال الخفية؟!
ـ في الحقيقة أن الشيشكلي كان هو المسيطر الخفي على سوريا، منذ انقلابه الأول/ 1949م في كانون الأول.
وبرز كسيد لا يُنازل بعد انقلابه الثاني في تشرين الثاني/1951م وخلال هذه الفترة برز أكرم الحوراني (وحزبه العربي الاشتراكي) كأقرب المقربين، وأطلق منهاجه من أجل العمال والفلاحين.
كما تعاون في البداية مع قيادات الحزبين: القومي السوري، والبعث العربي.
ومنع منظمات الشباب والنوادي من ممارسة أي نشاط سياسي، وأخضع الأجانب إلى رقابة شديدة، ثم أمر في كانون الثاني/1952م بحل الإخوان المسلمين، وأغلقت مكاتبهم ومدارسهم، وكذا الحزب الاشتراكي التعاوني وزعيمه فيصل العسلي.
ثم أمر بحظر عام على كل الأحزاب السياسية في نيسان/1952م وبذلك فقد أحكم قبضته على البلاد، وتمكن من شطب "حزب الشعب" من الحياة السياسية في سورية[40] .
وفي 24/تموز/1952م، قام الشيشكلي بتأسيس حركة سياسية أطلق عليها اسم: "حركة التحرير العربي"، ليكون هذا التنظيم هو الوحيد في سورية، فكانت حركته من الناحية الأيديولوجية ذات نمو هجين، فقد كانت تستعير الأفكار من مصادر عديدة مختلفة التوجهات، فدعت إلى قومية عربية مناضلة، وتبنت سياسة اجتماعية واقتصادية تقدمية، وادعى الشيشكلي بأن سوريا قد اختارها القدر لتحرير الأمة العربية من الاستعمار والفقر والجهل والانقسامات.

وفي مسائل التنظيم شُكلت حركة التحرير على نمط الحزب القومي السوري، فكانت الميليشيات الحزبية ترى خارجة من قيادة الحزب في دمشق، وداخلة إليه في مشية عسكرية، يحيي أفرادها بعضهم بعضاً برفع الأيدي [41]
وافتتح الشيشكلي المراكز لتلك الحركة في المدن الكبرى، وكان يأمل أن تمنح الحركة نظام حكمه قاعدة شعبية واسعة وأعلن بأن "حركة التحرير العربي"ليست حزباً جديداً، بل هو محاولة صادقة مخلصة لجمع العناصر الطيبة من جميع الأحزاب [42].
وقد رفض زعماء الحزب القومي السوري التعاون مع حركة التحرير العربي، كما أن الهوة اتسعت بين الشيشكلي وكل من حزبي البعث والاشتراكي العربي، وصار الحوراني وزملاؤه مصدر تهديد للشيشكلي وخاصة داخل الجيش.
كما لجأ الحوراني وعفلق والبيطار إلى بيروت، ومنحوا هنالك اللجوء السياسي، وصاروا ينتقدون الشيشكلي في لبنان [43].
لقد استلم الشيشكلي عدة مناصب قبل أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية، كنائب لرئيس مجلس الوزراء، ورئيس الأركان العامة ووزير الداخلية، وإن كان هو المسيطر الحقيقي على البلاد.
وفي شهر تموز/3591م، رشح نفسه لرئاسة الجمهورية، ولم يتقدم معه أحد، وانتخب من الشعب انتخاباً عاماً وسرياً مباشراً، وفاز بنسبة تفوق (96%) من أصوات الناخبين، وهي النسبة المعدة سلفاً لأكثر الانتخابات في بلادنا العربية مع الأسف.
كما أجريت انتخابات عامة للمجلس النيابي بنفس العام، وفازت حركة التحرير بـ72 مقعداً من أصل82، وفاز الحزب القومي السوري بمقعد واحد؛ والمستقلون بـ (9) مقاعد، بينما قاطعت أحزاب المعارضة الانتخابات [44]

وخلال فترة حكم الشيشكلي، قام بإجراء إصلاحات متنوعة:
من ذلك وضع قيود شديدة على خروج الأموال من البلاد.
وتأميم بعض الشركات الأجنبية، ورفع الضريبة على الدخول، وإصدار قانون بتحديد الملكية الزراعية في كانون الثاني/1952م، وزيادة حصة الفلاحين المستأجرين إلى 75% من المحصول بدلاً من النصف.

ومن ذلك إنجاز وضع الدستور السوري وتصديقه ونشره عام/1950م (أيلول) وكان من أبرز مبادئه، أن الجمهورية السورية، جمهورية عربية، وأن الشعب السوري جزء من الأمة العربية، فكان أسبق الدساتير العربية في النص على ذلك، وقيد أن دين رئيس الدولة هو الإسلام [45].
وقاد الدكتور مصطفى السباعي معركة القرآن تحت قبة البرلمان، كما قاد المظاهرات في دمشق من أجل إقرار دستور إسلامي، وتمكن رحمه الله وإخوانه من استبعاد الطابع العلماني عن الدستور وفرض الطابع الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية، وقد استمرت مناقشات الدستور ثلاثة أشهر من أجل وضع قوانين إسلامية في صلب الدستور، وأهمها "أن الإسلام دين الدولة الرسمي."
كما طالب في المجلس النيابي، بتدريس القضية الفلسطينية كمادة أساسية في مناهج التعليم، وفيه أقر هذا الاقتراح ونفذ بالفعل [46].

إلا أن مادة دين الدولة الإسلام بعد أخذ ورد عدلت لتصبح: "دين رئيس الجمهورية الإسلام" وأن الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع، وحرية الاعتقاد مصونة، والدولة تحترم جميع الأديان السماوية [47].

والحقيقة أن معارك الإسلاميين داخل المجالس النيابية لتحكيم شريعة الإسلام، قد بدا عوارها، وكانت مبددة لأوقات الإسلاميين، لأن الطواغيت وقادة الانقلابات العسكرية، سرعان ما يلغون أية مكاسب إسلامية، ويضعون قادة الحركات الإسلامية في السجون وهذا ما حصل أيام الشيشكلي للدكتور السباعي، وتكررت المأساة في عدد من الأقطار الإسلامية، كمصر والسودان والأردن... ولا بد من التفكير بأساليب بديلة.

---

[36]الحرب السرية في الشرق الأوسط: ترجمة محمد نجار/ ص93/ص114.
[37]المرجع السابق.
[38]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ص319 - 320.
[39]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص164 - 167.
[40]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ص164 - 167.
[41]الصراع على سوريا: باتريك سيل ص170، ص168 - 169.
[42]المرجع السابق.
[43]الحرب السرية في الشرق الأوسط، ص122 - 123.
[44]الحرب السرية في الشرق الأوسط/ص124، وأديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث: هاني الخير/ ص114 - 115.
[45]الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي/ص35.
[46]ينظر كتاب الدكتور مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة: حسني أدهم جرار/ص103 - 104/ مؤسسة الرسالة/ بيروت، ودار البشير/ عمان/ 1415هـ - 1994م.
[47]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص280.

سياسة الشيشكلي تجاه مطامع الدول الغربية في سوريا:

لقد دعمت الولايات المتحدة نظام الشيشكلي بصورة سرية فقد رغب في تقليص التوتر مع إسرائيل، وكانت حكومته قد اتخذت موقفاً معادياً لإسرائيل.
وفي شهر كانون الثاني لعام/1953م، وخلال محادثة جرت بين السفير الأمريكي في دمشق "جمس موس" وبين الرئيس فوزي سلو، اعترف فيها سلو "بحق إسرائيل في الوجود وتنبأ بالسلام معها، شريطة أن تتخلى إسرائيل عن تكتيكها الاستفزازي".
وكان الشيشكلي متحمساً لإجراء حوار مع إسرائيل، كي يتم تقليص التوتر من جراء "الاشتباكات الحدودية المتكررة إلا أنه لم يكن راغباً بخوض مخاطرة إجراء مفاوضات لعقد معاهدة سلام معها."
وبنفس الوقت قاومت حكومة الشيشكلي الضغط الأمريكي من أجل توطين اللاجئين الفلسطينيين، ومع ذلك فرغم الشكوى من العبء الاقتصادي، فإن حكومته عملت على توطين ثمانين ألف لاجئ بصورة حذرة...
وكان هم الشيشكلي الرئيسي هو الحصول على مساعدات عسكرية أمريكية، وفي شهر أيلول منحت حكومته مساعدات مالية وفنية من أجل تنفيذ مشاريع بنية تحتية [48].
وفي مذكرات خالد العظم ما يلقي الضوء على مطامع الدول الغربية في سوريا، فقد كانت مطامع بريطانيا عن طريق مشروع الهلال الخصيب واضحة، ثم أصبح المشروع يسمى "حلف بغداد" بعد انضمام بريطانيا وباكستان وإيران إليه.
وفي الحقيقة ما كان هذا الحلف إلا حلقة من حلقات النطاق الكبير الذي أعدته المخابرات المركزية الأمريكية لإحاطة الاتحاد السوفيتي بحزام يحصر النشاط السوفييتي [49].
ثم يقول العظم في مذكراته: "عندما كنت رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية، عرض سفير بريطانيا عام/1949م، عرضاً لعقد اتفاق مع سوريا تصبح بموجبه خاضعة لنفوذ بريطانيا وتحل بريطانيا محل فرنسا.. وكنا قد لجأنا إلى المواربة، بسبب ضعفنا بعد نكبة فلسطين...
وبعد ذلك طوى انقلاب حسني الزعيم إمكانية التفاهم مع بريطانيا لميوله الفرنسية" "فما كان من بريطاينا إلا أن لجأت إلى تدبير انقلاب معاكس قضى على حسني الزعيم، واستولى على الحكم جماعة من المدنيين والعسكريين، ممن يميلون إلى العراق والإنجليز، وقامت فكرة الاتحاد السوري العراقي، ليتم لبريطانيا السيطرة على الشرق العربي كله".
"ولم تثمر هذه المحاولة، إذ قام انقلاب عسكري آخر، تولاه الشيشكلي، فأبعد فكرة الاتحاد، وقضى على سيطرة حزب الشعب، وعلى توجيه السياسة الخارجية السورية وفق سياسة بريطانيا."

"وكانت أمريكا تسعى هي الأخرى لعقد حلف تكون هي نواته، فعملت على تحقيق هذه الفكرة بواسطة حلف دفاع مشترك بين جميع الدول العربية، وقد رفضت سوريا هذا الحلف عام/1951م" [50].

وازدادت مطامع الولايات المتحدة، فقدمت عرضاً سخياً عن طريق سفيرها في دمشق لتأسيس مصفاة لتكرير النفط في حمص، وكان عميلهم المعتمد، أحد أفراد حزب الشعب "مخائيل إليان" وكانت هناك طبخة أمريكية عن طريقه القيام بانقلاب أمريكي، وطلب تكاليف المشروع نصف

مليون ليرة... لتقدم للعديد من الضباط الموالين للعراق وسياسة ولي عهده... كما اشترط إليان تأييد أمريكا المباشر للحكومة الجديدة.
وفعلاً سُلّم المبلغ إلى "مخائيل إليان" قرب كازينو بلودان، لكن المؤامرة فشلت بسبب العدوان الثلاثي على مصر، على أن يتم الأمر في 25/تشرين الثاني من عام1956 م [51].

---

[48]الحرب السرية في الشرق الأوسط /ص118 - 120.
[49]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ص234.
[50]مذكرات خالد العظم: الجزء الثاني، وينظر الانقلابات العسكرية في سوريا لمحمد أبو عزة/ص234 - 236.
[51]الانقلابات العسكرية: أبو عزة/253 - 263 وكتاب: حبال من رمل لضابط المخابرات الأمريكية "إيفلاند."

المعارضة السياسية وإسقاط الشيشكلي عن الحكم:
كانت العروبة شعاراً مميزاً استعمله الشيشكلي للقتال به في بداية حكمه، وربما دفعه لذلك علاقاته شبه السرية مع الحزب القومي السوري، ومعرفته بأهدافهم، حيث كانت تتعارض مع القومية العربية.
وبعد حل الأحزاب السياسية، قدم الحزب القومي السوري نفسه إلى الشيشكلي على أنه قوة سياسية منظمة ليقيم معه تحالف ضرورة لا تحالف مبدأ [52].

وكان أعداء الشيشكلي يتمثلون في:
الدروز وحزب الشعب وأصدقائهما من البريطانيين وحزب البعث وضباطه، ولا ننسى دور العراق المستمر في التآمر مع أصدقاء الهاشميين في الداخل.
وقد اعتاد الشيشكلي أن يقول: "إن أعدائي يشبهون الأفعى، رأسها جبل الدروز، ومعدتها حمص، وذنبها حلب، فإذا سحقت الرأس ماتت الأفعى".
وقد كان الشيشكلي محقاً في خوفه من الدروز، إذ دفعت بهم صلاتهم بالأردن إلى جعلهم وسيلة في يد النفوذ الهاشمي في سوريا، كما قامت بريطانيا بتغذية صلاتها ببعض العائلات الدرزية [53].
فحينما ثار الدروز ضده قمع ثورتهم بقسوة، فتوجه اللواء السادس نحو الجبل واحتلت قوات الجيش السويداء، اعتقلت زعماء الدروز وسقط عدد من القتلى في 1954/1/31م، وفر سلطان الأطرش إلى الأردن ومعه بعض رجاله.
وقد وضع الجيش يده على كميات من السلاح استخدمها الدروز في ثورتهم، وكانت الأسلحة قد دخلت الجبل عن طريق إسرائيل، وقامت السلطة بعرضها في معرض في جامعة دمشق، ونشرت الصحف السورية تفاصيل تلك المؤامرة وكيفية دخول تلك الأسلحة إلى الجبل [54].
كما أنهم حصلوا على مخزون من الأسلحة من العراق، إذ كانوا يستعدون للزحف نحو دمشق، ولذلك دكت بعض قرى الجبل بالمدفعية، وقد اتهم الشيشكلي إسرائيل في محاولة التدخل الدبلوماسي والعسكري في الأحداث الجارية.
وذكر راديو إسرائيل أن الأحداث في سوريا تمنح إسرائيل فرصة ممتازة للتدخل [55].
أما حمص معدة الأفعى: فهي حصن عائلة الأتاسي، والمركز الرئيسي للمعارضة خلال فترة حكمه، وكان فيها كثير من قادة حزب الشعب.
وقد عقد مؤتمر شعبي كبير في حمص، انضم إليه ممثلون عن جبل الدروز وزعماء الأحزاب "الشعب ـ الوطني ـ البعث" وصدر بيان حمص في 4/تموز/1953م، فكان هو البادرة الأولى للمقاومة ضد حكم الشيشكلي.
أما حلب ذنب الأفعى عند الشيشكلي، فقد بدأت بالتحرك إذ كانت معقل أعدائه من حزب الشعب، وهي مدينة تموج بالأقليات العنصرية والدينية ممن ناصبوه العداء.
ثم قامت المظاهرات الطلابية في أوائل كانون الأول لعام/1953م في معظم مدن سوريا فاعتقل الشيشكلي الكثير من القادة السياسيين، وأعلن حالة الطوارئ في البلاد [56].
وكانت رقابة الشيشكلي شديدة على الفكر، مما دفع المعارضين إلى العمل السري، إضافة إلى المواطنين بسبب القسوة والظلم، وقد طبع حزب البعث منشورات بتوقيع "العمال الأحرار" كلف منصور الأطرش ـ أحد أبناء سلطان الأطرش ـ بتوزيعها، فألقي القبض عليه وعلى كمية المناشير عند مدخل السويداء، وكانت المناشير تدعو للثورة على الشيشكلي في كافة المحافظات [57].
وكانت حكومة العراق تشجع العصيان ضد الشيشكلي.

وكانت تؤيد "حركة سوريا الحرة" بقيادة (محمد صفا) أحد الضباط السوريين المقيمين في العراق.
وقد كشفت تقارير خليل مردم بك السياسية، سفير سوريا لدى العراق، عن تورط الحكومة العراقية، ولو بصورة خفية في تأييد ودعم المعارضة السورية المؤلفة من مدنيين وعسكريين، وفيها تقارير عن أفعال كل من العقيد المتقاعد "محمد صفا"، والملازم الأول المسرح "مصطفى الدواليبي" شقيق الدكتور معروف الدواليبي، والضابط السابق "عصام مريود."
وكانت حكومة بغداد تغض الطرف عن تلك النشاطات السياسية خلال الأعوام (1951 - 1953م) [58].
لقد كانت عراق نوري السعيد لا تغيب عن مجرى الأحداث السورية، وخاصة إذا علمنا أن زعيم الحزب الوطني "صبري العسلي" قد تلقى من العراق خمسة عشر ألف دينار، أثناء المعركة ضد الشيشكلي، وقد اعترف بذلك خلال محاكمات ثورة 14/تموز/1958م في العراق.
وكان العسلي قد أصبح نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة، جمال عبد الناصر، وطالب بإعفائه من منصبه بعد هذه الفضيحة.
وبعد مقابلة له مع عبد الناصر أذاع بياناً يبين فيه ظروف المبلغ الذي قبضة من حكومة العراق سنة/1954م، وقال إنه من قبيل نجدة الشقيق للشقيق في ظروف تدبير الثورة ضد الشيشكلي [59].

---

[52]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص165، 167.
[53]المرجع السابق/ص178 - 179.
[54]الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي، ج2/ص45.
[55]الحرب السرية في الشرط الأوسط/ص128 - 129.
[56]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص180 - 183، والانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص176 وص178.
[57]المرجع السابق.
[58]ينظر: تقارير الخليل الدبلوماسية: خليل مردم بك/ص204 وما بعدها/ مؤسسة الرسالة في بيروت/ والانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص197 - 198.
[59]ما الذي جرى في سوريا: محمد حسنين هيكل/ ص177 - 178. طبع الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، والانقلابات العسكرية في سوريا/ ص189 - 190.

التمرد العسكري ضد الشيشكلي:

تجمعت أركان المعارضة ضد حكم الشيشكلي، وانبثق عنها التمرد العسكري في 25/شباط/1954م، إذ تحرك النقيب مصطفى حمدون في حامية حلب، واحتل مبنى الإذاعة، وأذاع أول نداء للثورة طالباً من الرئيس مغادرة البلاد تجنباً لسفك الدماء.

ومصطفى حمدون ضابط بعثي من جماعة أكرم الحوراني، وكان الحوراني يشنّ حملة صحفية من بيروت ضد الحكم في سوريا، فطلب الشيشكلي طرده من لبنان، فانتقل إلى روما لاجئاً سياسياً .

وقد شارك في التمرد المقدم فيصل الأتاسي في حلب، وهو ابن أخ الرئيس السابق هاشم الأتاسي، وكذلك العقيد أمين أبو عساف في دير الزور، وكان يمثل الجبل الذي ضربه الشيشكلي بقوة، والنقيب مصطفى حمدون من تلامذة الحوراني المقربين، وتمردت بقية المدن السورية [60].

وقد طالب المتمردون الشيشكلي بمغادرة البلاد حقناً للدماء وأذيع البيان الأول من حلب، وفيه توجيه الاتهامات للشيشكلي بالفساد والاضطهاد والإرهاب.

وكان قسم كبير من الضباط المتمردين من الدروز والنصيريين وكان النصيريون حاقدين لمقتل أحد زعمائهم غيلة وهو الضابط محمد ناصر في شهر تموز/1950م، كما عانى الدروز من قمع ثورتهم على يد الشيشكلي [61].

واجتمع الشيشكلي بمستشاريه وأركان قيادته ولاسيما الزعيم (شوكت شقير) رئيس الأركان العامة، في: 25/شباط/1954، فأشار معظمهم بسحق المؤامرة، وكانت تؤيدهم قوات ضخمة، ترابط في درعا والسويداء وقطنا والقابون والجبهة، إضافة إلى قوات الهجانة.

إلا أن الرئيس آثر الاستقالة حقناً للدماء، وطلب من أنصاره التفاهم مع الآخرين [62].

وغادر دمشق مع مجموعة من أنصاره، متوجهاً إلى لبنان، ثم توجه إلى السعودية فالبرازيل.

وأذيع نص الاستقالة؛ الذي بعث به لدى مغادرته، إلى رئيس مجلس النواب وفيها: "رغبة مني في تجنب سفك دماء الشعب الذي أحبّ، والجيش الذي ضحيت بكل غال من أجله، والأمة العربية التي حاولت خدمتها بإخلاص صادق، أتقدم باستقالتي من رئاسة الجمهورية، إلى الشعب السوري المحبوب."

وقد أغفلت إذاعة دمشق إيراد الأسطر الأولى من رسالة الاستقالة التي وضح فيها، بأنه قادر على إلحاق الهزيمة بالثائرين، ولكن على حساب إحداث تمزقات في الجيش.

ومما جاء في الرسلة أيضاً : "قام بعض ضباط الجيش مدفوعين بتأثيرات حزبية بالثورة، في بعض المناطق السورية في محاولة لإسقاط النظام الدستوري الحاضر، وكان من الميسور أن أقمع هذه الحركة.." [63].

لماذا رضخ الشيشكلي لمطالب الانقلابيين؟!

لماذا لم يحارب حتى النهاية؟! رغم احتكاره الكبير للدبابات والمدافع الثقيلة في قطنا ودمشق، وكان لديه أكثر من فرصة للسيطرة على الحاميات الثائرة!!

وقد أشار الشيشكلي في رسالة استقالته إلى أنه كان في استطاعته أن يسحق الثائرين، ولكن على حساب انشقاق في الجيش، والجيش "من لحمنا ودمنا" كما قال، وذلك سوف يضعف دفاع سوريا في وجه العدو الصهيوني المتربص على الحدود.

وربما كان يعتقد بأنه لو استدعى الأمر نشوب قتال، فإن الثائرين قد يطلبون تدخل جيش العراق، وبذلك يفتحون أمام العراق باب الدخول إلى سوريا، الذي يحرص في سياسته على إبقائه موصداً .

إضافة إلى أن الشيشكلي، ربما يكون قد ملّ الصراع مع المعارضة، وأن وجود مال في مصارف أجنبية، قد يشجعه على الانسحاب بكرامة، وقد أحسن بذلك صنعاً [64].

وربما وجد من الأفضل له الاستسلام حقناً للدماء وتربصاً لفرصة أخرى يستعيد فيها عرشه، وجاءت هذه الفرصة سنة 1956م [65].

وكان الشيشكلي منتبهاً إلى قضية تدخل جيش العراق، وما قد يجره على سوريا من ويلات، منها ردة الفعل العنيفة لدى إسرائيل ضد سوريا، وقد نبهه إلى ذلك سفير أمريكا في دمشق والذي زاره في قصر الرئاسة ظهر يوم العصيان المسلح في حلب، ولذلك قرر الاستقالة [66].

وقد تأكد ذلك مما جاء في مذكرات "موشي شاريت" [67]، فقال: "في 1954/2/25م، تمردت القوات السورية المرابطة في حلب ضد نظام الشيشكلي، فكتب شاريت في حينه: "أنّ لافون حاول إقناعي بأن هذه هي الفرصة الملائمة للعمل والتحرك لاحتلال المواقع على الحدود السورية خلف خطوط الهدنة، لأن سوريا بدأت تتفكك، وحكومتها على وشك السقوط.. وأن قوات العراق دخلت سوريا". "فقلت له: يجدر بنا الانتظار قبل اتخاذ قرارنا النهائي، فأكد لي أن عنصر الزمن ثمين جداً ... ثم وافق ابن غوريون على الاقتراح، وعارضه شاريت بعد اجتماع بينهم محذراً من الأمم المتحدة...." "وفي جلسة لمجلس الوزراء وافق المجلس على رأي شاريت، ورفض مناشدة لافون الحماسية" [68].

---

[60]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص190 - 191، وأديب الشيشكلي: هاني الخير/ص130 - 131.

[61]الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص132 - 134.

[62]أديب الشيشكلي: هاني الخيّر/ص132 - 133، عن مقابلة للمؤلف مع عبد الحميد خليل أمين عام وزارة الداخلية وأمين حركة التحرير العربي في 7/ تموز/1919م.

[63]المرجع السابق.

[64]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص192 - 193.

[65]أديب الشيشكلي قائد الانقلاب الثالث/هاني الخير/ص141.

[66]أديب الشيشكلي قائد الانقلاب الثالث: هاني الخيّر/ص135.

[67]شاريت: أول وزير خارجية لإسرائيل، ورئيس وزرائها عام/1953 - 1955م.

[68]الإرهاب الإسرائيلي المقدس: دراسة في يوميات شاريت ص33 - 37، منشورات منظمة الشعب العربية الأمريكية/ الشارقة/ قلاً عن كتاب أديب الشيشكلي لهاني الخيّر(ص135 – 137).

الفصل الثالث: تطور الأحداث السياسية بعد سقوط الشيشكلي (1954 – 1963)

المبحث الأول: العهد الدستوري وعودة الجيش إلى ثكناته (1954- 1958م)

- لمحة عن الحياة السياسية في هذا العهد
- أماني الهلال الخصيب وظهور حلف بغداد
- تآمر حكومة العراق الملكية على سوريا
- تكتلات كبار الضباط في هذا العهد

المبحث الثاني: سنوات الوحدة والانفصال (1958 – 1963)

- التقارب بين القطرين: مصر وسوريا
- الوحدة المرتجلة والتناقضات المتعددة
- لماذا انهارت الوحدة بهذه السرعة؟! بسبب:
- ديكتاتورية عبد الناصر
- وانتهازية قادة البعث العربي الاشتراكي
- عهد الانفصال: (1961 - 1963م)
- كيف وقع الانفصال؟!
- انقلاب انفصالي آخر مركزه مدينة حلب: بعثي وناصري
- وقفة مع المؤسسة العسكرية في هذه المرحلة

المبحث الأول :
العهد الدستوري وعودة الجيش إلى ثكناته

لمحة عن السياسة الداخلية في هذا العهد:
بعد مغادرة الشيشكلي للبلاد عام/1954م دخلت سوريا في عهد دستوري جديد، فعادت الأحزاب إلى نشاطها، وأطلقت الحريات العامة، وانسحب الجيش إلى ثكناته.
ففي الأول من آذار عام/1954م، استقبلت دمشق الرئيس هاشم الأتاسي استقبالاً رسمياً، وبعد وصوله كلف صبري العسلي برئاسة الوزارة.
عادت الحكومة الدستورية إلى البلاد بقيادة الساسة المدنيين، الذين طردهم الشيشكلي عن الحكم عام/1951م، ومع ذلك فإن تعاقب حكومات ضعيفة، وقصيرة الأمد لم يوصل البلاد إلى الاستقرار المنشود.
وخلال هذه الفترة تفسخت تحالفات الزعماء التقليديين وتجلى ذلك واضحاً في الحزبين السياسيين: "الوطني والشعب" إذ لم يكونا قادرين على مقاومة تحدي الحزبين: "البعث والقومي السوري."
"وكان حلف بغداد "تركيا ـ العراق" قد ظهر وأعلن في بيان للدولتين حول التوصل إلى معاهدة دفاعية بينهما، في 1955/12/13م، وانضمت إليهما بريطانيا في شهر نيسان من نفس العام" [1].
ورغم كل ذلك هل أصبح الجو مهيئاً لممارسة حياة نيابية كريمة؟!
الحقيقة أن باب الانقلابات العسكرية لم يقفل لأمد طويل... فقد أصبح تدخل الضباط في الأمور السياسية شيمة من شيمهم إذ سرعان ما بدأت تظهر الكتل المتنافسة في صفوف الجيش.
من بين تلك الكتل، كتلة المقدم عبد الحميد السراج صاحب "المكتب الثاني"، أي جهاز المخابرات، الذي بات يرصد تحركات السياسيين وعامة الناس.
وكتلة العقيد أمين النفوري، الذي عين رئيساً للأركان العامة، وكتلة الضباط البعثيين والاشتراكيين، وكتلة اللواء عفيف البرزة وهو من دعاة التحالف مع السوفييت، ومن أصحاب الاتجاهات اليسارية.
وهنالك كتل أخرى، منها الواضح الأهداف، ومنها المتأرجح، ومنها الغامض المرامي، الغريب الأحلام[2].
الحقيقة أن الجيش أصبح حجر الزاوية في الحياة السياسية السورية، منذ عهد حسني الزعيم، وأضحى سبباً من أسباب التسلط والإرهاب، في وجه السياسيين والأمة عموماً ...
فقد أصبح كل ضابط مهما تكن إمكانياته، يمني نفسه باحتلال مبنى الإذاعة، وإذاعة البلاغ رقم (1) لو تيسرت له شلة من الأصحاب.. ومن ثم تسلل ضباط البعث والأقليات الباطنية ليحكموا البلاد حكماً تعسفياً، في العقود التالية.
وفي هذا العهد قامت انتخابات نيابية في 1954/8/20م، وحُدّد عدد النواب للمجلس بـ "139 نائباً."
وبتاريخ 1954/8/7م، زحفت دمشق لاستقبال شكري القوتلي رئيس الجمهورية السابق، الذي نحاه حسني الزعيم عن الحكم، بعد أن قضى في المنفى عدة سنوات[3]
وفي هذا العهد بدأت تتبلور سياسة الأحزاب تدريجياً وجرت محاولات للتآلف بين الحزبين الكبيرين "الوطني والشعب" ولكنها باءت بالفشل.
أما حزب البعث فقد نشط بين العمال والمثقفين وصغار الكسبة، وساهم إلى حد كبير في إضرابات العمال في دمشق وحلب خاصة.

وبدأت بذور الاشتراكية تنمو في المنطقة العربية، إلى جانب حركات التحرر الوطني... وإن كان التيار اليساري قد أخذ شكلاً واضحاً قوياً في سوريا، أكثر منه في أي قطر عربي آخر[4].

وفي هذه المرحلة الحرجة اغتيل العقيد عدنان المالكي، معاون رئيس الأركان، على يد عضو من أعضاء الحزب السوري القومي وذلك في 22/نيسان/1955م، والمالكي من حزب البعث العربي.

وكان لهذا الحادث أثره على السياسة السورية، كما كان سبباً في تصفية الحزب القومي السوري، إذ قامت السلطات باعتقال الكثير من أفراد الحزب المذكور، ومن بينهم أرملة أنطون سعادة زعيم الحزب الذي أعدم في لبنان أيام حسني الزعيم[5].

وحوكم كثير من أعضاء الحزب، وكان المتهم في اغتياله رقيب أول نصيري "يونس عبد الرحيم"، بمعاونة محمد الدبوسي وفؤاد جديد وهما نصيريان كذلك، وبديع مخلوف، وحكم عليهم بالإعدام، وانتحر القاتل مباشرة وجميعهم أعضاء في الحزب القومي السوري.

كما حكم بالإعدام غيابياً على زعيم الحزب (جورج عبد المسيح)، وغسان جديد (مقدم مسرح _ نصيري بارز أخو صلاح جديد) وسامي الخوري وغيرهم.

وحكم على آخرين بالسجن والأشغال الشاقة، مثل الدكتور عصام المحايري، وجولييت المير، أرملة سعادة وآخرين، وقد بلغت جلسات المحاكمة في المحكمة العسكرية (19 جلسة) صدقتها محكمة التمييز في شهر تموز/1956م[6].

وكان المالكي قد ألف قبل مقتله بقليل "مجلس ثورة"، ليستأصل العناصر العسكرية الموالية للحزب القومي السوري، وينسف خلاياه الحزبية... وكان قد سُرح غسان جديد من الجيش قبل مقتل المالكي بأسبوعين، في حين هدد عبد المسيح بتسليمه لحكومة لبنان، التي حكمت عليه بالإعدام.. وقد كانت قوة الحزب القومي السوري آنذاك تقدر بثلاثين ضابطاً، ومائة من ضباط الصف.

وفي 29/حزيران نشر قرار الاتهام الموجه إلى (140عضواً) من أعضاء الحزب... واتهم البيان ثلاثين منهم بجرائم عقوبتها الإعدام، ومن ذلك جرائم القتل، والاتصال بدول أجنبية، وحض أفراد الجيش على العصيان.. والقيام باتصالات بالحكومة العراقية وعرض خدماتهم لتنفيذ السياسة العراقية بسورية، والاتصال بأمريكا بغرض القيام بانقلاب عسكري بسوريا، وعلى رأس هؤلاء: رئيس الحزب جورج عبد المسيح، وعصام المحايري الأمين العام للحزب، وأرملة أنطون سعادة [7].

---

[1]الحرب السرية في الشرق الأوسط/ ص139، 145.

[2]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص334.

[3]النكبات والمغامرات/ص339.

[4]المرجع السابق/ص345 - 346. ،ص361 - 362.

[5]المرجع السابق.

[6]ينظر: كتاب عدنان المالكي (ثلاث رصاصات في الملعب البلدي) محمد نمر المدني/ منشورات الدار الحديثة ـ دمشق/1996م.

[7]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص314 - 315، وهيئة الإذاعة البريطانية في 15/تموز/1955م، و6 أيلول/1955م.

أماني الهلال الخصيب (وحلف بغداد) تظهر من جديد:

إن اشتراك العراق في المؤامرة على الشيشكلي وفرحها الجلي حين سقوطه، آثار الشكوك في أن خطوة أخرى ستتم لتنفيذ وحدة الهلال الخصيب.

وكانت العواطف المشايعة للهاشميين في سوريا، لا تزال قوية آنذاك، فكثير من الرجال المتنفذين ولا سيما في شمالي البلاد رأوا في الوحدة مع العراق (رغم الوجود البريطاني هناك) أنها من الأمور العربية والوطنية.

وهنا بدأ عبد الناصر يبشر بأن جميع الروابط مع الأجنبي خيانة، وأن العرب يجب أن يتحدوا فقط مع العرب، وكانت صورة العراق لم تشوه بعد بالقمع والغلو اللذين شهدتهما السنوات الأربع الأخيرة من الحكم الهاشمي الزائل.

فلماذا لم تستغل تلك الظروف المواتية الفريدة؟!

لقد أتى الإخفاق بسبب الرجال المترددين حول هذا الموضوع، وحزب الشعب كان منقسماً حول القضية، وعدد كبير منهم لم يكونوا على استعداد لقبول حكم عبد الإله، ولا امتداد الصلات البريطانية العراقية القائمة على معاهدة إلى سوريا.

وقد رأت بغداد أن آمالها تخيب مرة بعد أخرى بسبب الانقلابات السورية المتكررة، وأصبحت حذرة من عدم الاستقرار في سورية وفي ريبة قوية من السياسيين السوريين الذين يتجمهرون لاستلام الأموال، ولكن قلما يُسلمون سلعاً " مقابل ما يأخذون[8]

أما حلف بغداد، الذي هو امتداد لمشروع الهلال الخصيب، فقد كان ذا تأثير عميق على السياسة العربية عموماً وهذا الحلف وُضع أصلاً لغرضين اثنين:

-فهو سلاح عسكري ضد الاتحاد السوفييتي، وأداة سياسية للقوة البريطانية والعراقية في العالم العربي.

إلا أن الحلف ولد مشلولاً منذ البداية، بسبب التناقضات الأمريكية الإنجليزية، ليتحطم فيما بعد على صخرة التناقض المصري ـ العراقي.

وكانت النواة الأولى لهذا المشروع هي الميثاق العراقي التركي، للتعاون المتبادل بينهما، والذي وقع في 24/شباط/1955م وعرف باسم "حلف بغداد" [9]

وقد كانت تدخلات العراق سمة من سمات سياستها مع سورية، وهذا ما جاء في اعترافات نائب رئيس الأركان العراقية السابق "اللواء غازي الداغستاني"، عندما حاكمتها لحكومة الثورية في بغداد في آب من عام/1958م، بتهمة التآمر على سوريا، فقال خلال دفاعه: "سيدي الرئيس، سادتي أعضاء المحكمة العسكرية العليا، لقد جعلت معظم الحكومات العراقية من التدخل في الشؤون الداخلية لسورية مبدأ معمولاً به منذ أيام حسني الزعيم إن لم يكن قبل ذلك"، فهدف السياسة العراقية منذ عام/1949م وما بعد، هو الأخذ بيد أصدقائها في دمشق للوصول بهم إلى الحكم، على أمل الوحدة مع العراق فيما بعد، وقد عملت المساعدة العراقية مثلاً على الإطاحة بحسني بآب/1949م، والشيشكلي في شباط/1954م، ولكن هذين العملين لم يكونا إلا نوراً مشعاً ساطعاً في مسعى دائب [10].

---

[8]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص221 - 222.

[9]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص246، 253.

[10]المرجع السابق/ ص348 - 349.

تآمر حكومة العراق الملكي على سوريا:

بعد ثورة تموز وسقوط الحكم الملكي في العراق، كشفت محاكم الثورة هنالك ما كان يحاك ضد سوريا، وما كان يقدم من دعم مالي وأدبي لمتورطين من القيادات السورية.
من ذلك ما صرح به الدكتور معروف الدواليبي في مقال له خلال تعليق له على الوثائق السرية البريطانية التي نشرت سنة/1984م، قال: "إن العراق هو الذي دعاني لرئاسة الجيش الغازي لسوريا أيام حكم الشيشكلي."...
ثم يوضح هذا الدور الدكتور فاضل الجمالي الذي كان وزيراً للخارجية، ثم رئيساً للوزارة العراقية، قال: "إن مما قمنا به هو تقديم العون المادي والأدبي للأحرار السوريين، الذين عملوا لإزاحة الشيشكلي عن الحكم، وكان العراق مؤيداً لهم في ذلك."
ثم يقول: "إن الدواليبي أرسل رسالة يطلب فيها عون العراق فدعوناه للتباحث حول نوع المساعدة، فقدمَ إلينا سراً، واقترح وضع عدد من الجنود العراقيين تحت قيادته، ليدخل سوريا فاتحاً، لأنه هو رئيس الوزراء الشرعي قبل الشيشكلي، فلم نرغب بذلك تجنباً للمضاعفات الدولية وحقناً للدماء.. ثم غادرنا الدواليبي إلى لبنان وقد وعدناه بتقديم الدعم للسوريين إذا قرروا هم من الداخل مقاومة الشيشكلي".
"ثم يمضي رئيس وزراء العراق الأسبق قلاً زرتُ لبنان لهذا الغرض ومن ثم اجتمعت ليلاً بالأمير عبد الإله في قصر الرحاب في بغداد.. وقررنا إرسال (صالح جبر) إلى بيروت ليقدم للساسة السوريين العون المادي والأدبي وبتوجيه من هاشم الأتاسي، فقام صالح جبر بالمهمة خير قيام.." [11]
ويلاحظ أن قادة حزب الشعب تلقوا الدعم المالي والأدبي من العراق، وكذلك كان صبري العسلي زعيم الحزب الوطني قد نال حصته من ذلك الدعم منافساً لحزب الشعب، وقد صرح هو بذلك بعد أن كشفت أوراقه عام/1958م.

على أن هنالك مؤامرة أخرى بعد ابتعاد الشيشكلي عن البلاد، قد أشار إليها اللواء غازي داغستاني خلال دفاعه عن نفسه أمام محكمة الثورة عام/1958م، فقد قال: بأن حكومته: (عبد الإله ونوري السعيد) قد كلفته بالاتصال بالشيشكلي في سويسرا، فقابله وقدم له جزءاً من المساعدة المالية، على أن يقابله ثانية في بيروت، وفعلاً قدم إلى بيروت سراً في تموز/1956م، وتعاون معه الحزب القومي السوري، فقدَّم له سيارة وحرساً، وترأس (الرئيس السابق لسوريا) عدداً من الاجتماعات، حضرها أقطاب المؤامرة وزعماء الحزب السوري القومي، إلا أن الشيشكلي آثر الانسحاب أخيراً. إذ تبين له أنه ليس له أنصار بسورية وفي 1956/12/22م، كُشفت المؤامرة، ونشرت قائمة بأسماء المشاركين فيها تضمنت أسماء (47 متهماً على رأسهم: أديب الشيشكلي وصلاح أخوه، وإبراهيم الحسيني والشريف ناصر خال الملك حسين، وحسن الأطرش وهايل السرور ومنير العجلاني ومخائيل إليان، وغسان جديد، وعدنان الأتاسي، إذ تآمروا مع النظام العراقي لقلب نظام الحكم بسوريا [12].
وقد هُرّبت الأسلحة إلى داخل سوريا، ودفع للسياسيين وضباط الجيش، وحصل هجوم إسرائيلي على الأردن، لإعطاء ذريعة للجيش العراقي للتحرك نحو الأردن وليدعم انقلاب سوريا [13].
وافتتحت المحاكمة في 1957/1/8م، على مدرج جامعة دمشق، وكان العقيد عفيف البزري رئيساً لتلك المحكمة العسكرية، وتراوحت الأحكام بين الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة علماً أن معظمهم كان خارج سوريا [14].

يقول خالد العظم عن هذه المؤامرة:
"أولى تلك المؤامرات اكتشفت في أواخر عام/1956م، إبان حوادث قناة السويس، فألقي القبض على النائبين منير العجلاني وعدنان الأتاسي وآخرين، وحكمت المحكمة المؤلفة برئاسة عفيف البزري بالإعدام على الأتاسي وسامي الحكيم وهايل سرور أحد مشايخ البدو، وعلق التنفيذ على تصديقه من قبلي، باعتباري وزيراً للدفاع...وتشاورتُ مع القوتلي وعبد الناصر حيث كنا في مصر، واتفقنا على استبدال ذلك الحكم بالأشغال الشاقة... وكان بطل حلف بغداد في سوريا، وعميل نوري السعيد، هو (مخائيل إليان) الذي هرب إلى لبنان عند اكتشاف المؤامرة، ولحق به كثيرون كفيصل العسلي...
وتشكلت في بيروت كتلة من المدنيين والعسكريين السوريين، راحوا يمدونهم بالأموال الطائلة وبالأسلحة والذخائر، وقد اشترت هذه الكتلة عدداً من النواب ومشايخ العشائر، وتحالفوا مع جماعة الحزب القومي السوري، وبدأوا محاولات لتأليب أركان الجيش السوري..." [15].

---

[11]تأملات في الحياة السياسية السورية: غسان إمام/ الشرق الأوسط العدد "5600" في 1994/3/29م.
[12]أديب الشيشكلي: هاني الخير/ص147 - 150، في مقابلة مع عبد الحميد الخليل في 7/تموز/1995م وينظر الصراع على سوريا/ باتريك سيل/355 - 356.
[13]الانقلابات العسكرية في سوريا: أبو عزة/ص265 وتصريح إيفلاند رئيس المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط في كتابه "جبال من رمل."
[14]أديب الشيشكلي: هاني الخير/ص150 - 151.
[15]ينظر: مذكرات خالد العظم/ الجزء الثاني/ والانقلابات العسكرية في سوريا/ ص265 - 266، وص270.

تكتلات كبار الضباط:

وخلال هذه المرحلة، بدأت تكتلات كبار الضباط تبرز بقوة.. فهم يكرهون حزب الشعب، ولذلك لجأوا إلى الرئيس عبد الناصر لإقامة الوحدة بين مصر وسوريا، وليتخلصوا من الصراع بين كتل الضباط، فذهبوا سراً ودون علم الحكومة، وألحوا على عبد الناصر إعلان الوحدة وبسرعة [16]

وكان قد تم اتفاق بين الضباط لاقتسام المراكز الأساسية في الجيش على النحو التالي:

-العقيد عفيف البزري رئيساً للأركان.

-العقيد أمين النفوري: نائباً لرئيس الأركان.

-المقدم مصطفى حمدون: رئيساً للشعبة الأولى "شؤون الضباط".

-المقدم عبد الحميد السراج: رئيساً للشعبة الثانية "أمين القوات المسلحة."

-المقدم أحمد عبد الكريم: رئيساً للشعبة الثالثة "العمليات والتدريب."

-المقدم أكرم ديري: قائداً للشرطة العسكرية.

وكان هؤلاء يمثلون التكتلات الثلاثة الرئيسية.

كتلة النفوري وفيها طعمة العودة الله، وأحمد عبد الكريم وجادو عز الدين.

كتلة السراج ومعه البعثيون.

كتلة الضباط الدمشقيين: وتضم أكرم ديري ورفاقه [17].

كما تضاعف عدد المنضمين للكلية العسكرية في حمص خلال فترة الاستقلال(1946-1958م)، والقادمين من الأرياف، والطبقات الفقيرة وخاصة من أبناء الأقليات الطائفية.

فقد وجدت هذه الفئات من الطوائف "النصيرية ـ الدروز ـ والإسماعيلية" فرصتها الذهبية في الانضمام لتلك الكلية العسكرية في حمص، نظراً لضيق المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية أمامها.

ولذلك أصبحت أغلبية المنضمين إليها من أبناء هذه الأقليات الطائفية، بينما انشغل أهل السنة وشبابهم في العمل التجاري، الذي كان يدر عليهم أرباحاً كبيرة.

وكان وجود هؤلاء النفر في إدارة الكلية، قد جعلهم يتحكمون في سياسة القبول للمتقدمين الجدد.

وبذلك صارت الأكاديمية العسكرية في حمص بؤرة خطيرة للنمو والتوالد في النفوذ الطائفي، وهذا لم يمنع بطبيعة الحال وجود بعض الضباط السنة في الكلية المذكورة.

ولعل انقلابات حسني الزعيم والحناوي والشيشكلي، وجميعهم سنة ولبعضهم قرابات كردية، كانت من بعض الوجوه محاولة لتصحيح الوضع الطائفي داخل الجيش السوري [18].

---

[16]المرجع السابق.

[17]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ص273 - 274.

[18]مجلة الدعوة المصرية، العدد (71) الحلقة الثانية بعنوان: تقرير سياسي عن التوزيع الطائفي في حزب البعث والجيش في سوريا.

المبحث الثاني :
سنوات الوحدة والانفصال 1958–1963 م

على طريق الوحدة مع مصر (التقارب بين القطرين)

بدأت الحكومة السورية تتقرب من مصر، منذ عام/1956 فقد صرح الدكتور ناظم القدسي في 1956/1/24 في القاهرة "بأنه إذا ما اتحدت الدول العربية كافة، لتشكيل جمهورية واحة، فإن هذه الدولة ستكون من أكبر دول العالم."

وفي عهد وزارة صبري العسلي، جرى البحث في مسألة الاتحاد بين القطرين بناء على رغبة الأكثرية النيابية" [19]

وقد سعى السياسيون في سوريا ومصر نحو التقارب بينهما من أجل الوقوف أمام التحالفات المشبوهة، ومطامع دولة إسرائيل.

ومما زاد من الضغوط الدولية، تدخل الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، وإدراكها لحدوث "فراغ" وخطر على المنطقة من جانب الاتحاد السوفيتي، ولذلك أصدر الرئيس الأمريكي "أيزنهاور" مبادئه المعروفة من أجل أن تملأ الولايات المتحدة هذا الفراغ.

وكانت مبادئ أيزنهاور، تنص على أن تقدم الحكومة الأمريكية المساعدة لصد عدوان الشيوعية الدولية، بناء على طلب الحكومات المعنية في المنطقة.

وكانت أمريكا تعتقد أن سوريا تتعاون مع الدول الشيوعية اقتصادياً ، فكل هذه المخاوف أدت إلى إسراع الخطا نحو الوحدة.

وكانت قد نشأت بين عبد الناصر وحزب البعث علاقة خاصة حتى أصبح حزب البعث في عام /1956م من أشد الداعين له حماسة..

وكانت سياسة مصر مبنية على سياسة الجامعة العربية منذ عام/1945م، والقائمة على أساس إقامة تكتلات بين دول الجامعة تحت زعامتها، وليس في تحويل وحدات عربية آسيوية صغيرة إلى وحدات أكبر...

وكان عبد الناصر، يرغب في السيطرة على السياسة الخارجية للدول العربية المجاورة، بتنحية الحكومات المعادية والإطاحة بها، إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك، وليس بالاتحاد معها أو إلحاقها به [20]

وبسبب ما تقدم، وبسبب ظروف المنطقة، اعتنقت مصر فكرة القومية العربية، بروح هادئة عملية، من غير أن يملي إيمان عميق الجذور بالوحدة السياسية، كما هو الأمر بالنسبة لسوريا[21]

وكانت قوى اليسار: قد دفعت بالمسؤولين في سوريا للتوجه نحو مصر، فبعد عام 1955م، أخذ الروس يعرضون الدعم والتأييد والسلاح لمواجهة الأخطار الغربية، ولذلك أخذت سوريا تستهدف قيام ثورة شعبية في سوريا، تدار من قبل الحزب الشيوعي من خلف ستار، وهنا يأتي دور خالد العظم، ذلك أنه ليس له ماضٍ نضالي ضد الفرنسيين، وليس له حزب سياسي يدعمه ولذلك بدأ يلتفت نحو اليسار باحثاً عن التأييد، وربما كان سنده الرئيسي خالد بكداش، الذي كان في مركز يتيح له توجيه تعليمات لعفيف البزرة رئيس الأركان العامة.

وبذلك كانت سوريا تحكم من قبل جبهة تقدمية منذ عام 1956م، ولكن من خلف ظهر الحكومة، وكان من قادة هذه الجبهة البارزين: خالد العظم وخالد بكداش وزعماء البعث "الحوراني والبيطار"، إضافة إلى صبري العسلي الذي دعم مركزه من خلال استغلاله الماهر لخلافات الآخرين.

وكان هؤلاء الخمسة يجتمعون في منزل العظم مراراً، من أجل المناقشة والتنسيق السياسي، وقد تقاسموا السلطة مع حلفائهم من العسكريين: السراج (مدير المخابرات العسكرية" وعفيف البزري والنفوري مع خالد العظم[22]

وكان الصراع بين كتل الجيش السوري من أبرز الأسباب للارتماء في أحضان مصر والتوجه نحو عبد الناصر:

"كانت الوحدة في إحدى جوانبها حصيلة صراع طويل بين الجيش والسياسيين في سوريا، وهو صراع شغل السياسة السورية منذ عام/1949م، فاضطر الضباط إلى التوجه نحو القاهرة بسبب فشلهم في الاتفاق فيما بينهم...

فقد أدت التنازعات والعداوات السياسية منذ أواخر عام 1957م، إلى تحويل الجيش السوري إلى مجموعة من الأجنحة المتصارعة، مما جعلهم يلقون بأنفسهم في أحضان الوحدة وعبد الناصر، ليتخلصوا من تلك الصراعات" [23]

ومن أجل ذلك سافر وفد مكون من "14ضابطاً" صباح 1958/1/12م، دون علم الحكومة، والتحق بهم صلاح البيطار وزير الخارجية... وتوصلوا بعد ذلك (في شهر شباط/1958م) إلى ميثاق الجمهورية العربية المتحدة.

وكان عبد الناصر يطلب التمهل في الوحدة الاندماجية، إلا أن العسكريين تحدثوا عن حالة الفرقة بينهم، والتي كانت تؤدي إلى إعلان حالة الاستنفار الدائم في الثكنات لأن كلاً منهم يتوجس خيفة من الآخر، ويمكن أن تتدهور حالة البلاد في نزاعاتهم.

ثم وصف الضابط حالة الانقسام بين الأحزاب السورية، التي تنافرت اتجاهاتها السياسية، وتحدثوا عن نشاط الشيوعيين وعن أسلحة تُهرّب إلى سوريا عن طريق أنصار حلف بغداد... وعن الشخصيات السياسية المتهالكة، على قبض الأموال من الخارج، مما يعني أن سوريا أصبحت وطناً معروضاً للبيع [24]

ومن ثم توجه وفد إلى القاهرة يمثل العساكر والنواب والوزراء، وعرضوا على عبد الناصر إعلان الوحدة، على أن تكون تامة شاملة بين القطرين.. واستمر عبد الناصر يطلب إليهم مهلة للتفكير في الأمر، أو هكذا كان يتظاهر ولكنهم أصروا عليه لقبول طلبهم، فكان لهم ما أرادوا.

فأعلن بعد ذلك قيام الجمهورية العربية المتحدة في 22/شباط/1958م، وأعلن الرئيس شكري القوتلي من شرفة قصر الرئاسة في القاهرة تنازله عن الحكم للرئيس عبد الناصر في خطابه المشهور، وسط احتفالات رسمية وشعبية منقطعة النظير[25].

وأطلق على القوتلي لقب المواطن الأول في الجمهورية العربية المتحدة.

وكان إعلان هذه الوحدة أملاً طالما سعى إليه السوريون منذ اشتراكهم في ثورة الشريف حسين، وابنه فيصل، ومساهمتهم في حكومته في دمشق.

إلا أنها فرحة لم تكتمل، وآمال أحبطت، بسبب مجموعة من العوامل والظروف، بحيث لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات.

---

[19]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ ص400، وص411.
[20]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص406 - 408.
[21]المرجع السابق/ ص408.

[22]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ ص411 - 412.
[23]الصراع على سوريا: باتريك سيل/ص416.
[24]الانقلابات العسكرية: محمد أبو عزة/ ص317 - 318.
[25]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ ص311، والنكبات والمغامرات: بشير فنصة/ص440 - 442.

الوحدة المرتجلة والتناقضات المتعددة:

كان قيام الجمهورية العربية المتحدة قراراً تاريخياً، حقق آمال الأمة بالوحدة.
ففي 5/شباط، كان قد تم ترشيح جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية، وذلك ضمن جلسة لمجلس النواب السوري، تحولت الجلسة في نهايتها إلى مظاهرة شعبية، تعالت فيها الهتافات لعبد الناصر.
وفي 22/شباط/1958م، تم الاستفتاء في سوريا ومصر على انتخاب الرئيس، ففاز عبد الناصر بنسبة 2.99[1]وهي النسبة التي جرى عليها مَنْ بعده من الرؤساء في العالم الثالث، وكانت صناديق الاقتراع قد ملئت بالأوراق التي زادت في بعضها على عدد المسجلين .[2]
وكانت السياسة الداخلية لعبد الناصر، والسياسة الخارجية، قد أدت كلها إلى تناقضات غريبة، انتهت إلى مأساة وإحباط، وتمزيق كيان الوحدة.
وكان الارتجال والعجلة، وعدم التخطيط من أبرز أسباب الانفصال.
وسوف نلقي الضوء على محوري سياسة عبد الناصر (بعد الوحدة) في الشؤون الداخلية والخارجية.
السياسة الداخلية لعبد الناصر خلال سنوات الوحدة:
عندما كان الوفد العسكري بمصر يطالب بتحقيق الوحدة، كان عبد الناصر قد وضع خطتين يرى أنهما لازمتان لموافقته.
الأولى حل الأحزاب السياسية في سوريا، أسوة بما يجري في مصر.
والثانية حل المجلس العسكري السوري، وإبعاد الجيش كلياً عن السياسة في سوريا.
وبعد المناقشات أعلن الوفد موافقته، وأعلن الأمين العام لحزب البعث حل الحزب، وذلك في 25/شباط/1958م [3].
وكان أول قرار اتخذه عبد الناصر، هو عزل اللواء عفيف البزرة من منصبه كقائد للجيش السوري، الذي سمي بالجيش الأول في دولة الوحدة، وبإحالته على التقاعد بعد أن أنعم عليه برتبة فريق.
كما أصدر عدة قرارات بتسريح مجموعة كبيرة من الضباط السوريين ممن كانوا يوالون عفيف البزرة، باعتبار أنهم من أصحاب الاتجاه اليساري، وعهد إلى المقدم عبد الحميد السراج، مدير المخابرات السورية بجميع السلطات التنفيذية والسرية، وأطلق يده في تصريف شؤون القطر السوري.
ثم شكل وزارة اتحادية، مقرها القاهرة، تضم أكثر من خمسين وزيراً من رجال القطرين، وكان بينهم عدد كبير من كبار الضباط السوريين الذين كانوا يسيطرون على قطاعات الجيش.
وهكذا عادت البلاد إلى الحكم العسكري المباشر، حكم عسكري مباحثي فريد من نوعه، في الإرهاب والتجسس، ثم صدرت قرارات بإلغاء جميع المؤسسات الدستورية والمنظمات الشعبية، وحل جميع الأحزاب، وكفى الله المؤمنين والعساكر القتال؟! [4].
وبعد بضعة أيام، بدأ قادة حزب البعث يشعرون بالندم ومدى التضحية التي قدموها في سبيل الوحدة؟!
وبعد ثلاثة أيام من تولي عبد الناصر للسلطة في سوريا، قام بتشتيت أقطاب حزب البعث، وإبعادهم إلى خارج سوريا ثم قام بحركة تنقلات شملت الضباط البعثيين، فقد نقل بعضهم إلى مصر، وتم توزيع آخرين ضمن سوريا، بحجة إعادة التوازن داخل صفوف الجيش.
ولكن هذه التنقلات لم تمنع الحزبيين من ممارسة نشاطهم حتى وهم في القاهرة.
فقد شكل الضباط (وأكثرهم من البعثيين والباطنيين) لجنة عسكرية بعثية، وهم حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد عمران "وهم نصيريون"، وعبد الكريم الجندي "إسماعيلي"، ومصطفى

طلاس "أحد أذنابهم"، وكان البعثيون قد استلموا في مصر مراكز حساسة، فكان حافظ الأسد مسؤولاً عن مطار القاهرة العسكري، ومصطفى طلاس رئيساً لأركان الكتيبة الرابعة المدرعة في الإسماعيلية، وهكذا كان تسللهم المريب.[5]

ومنذ اليوم الأول للوحدة، كان البعثيون يطرحون على عبد الناصر وجهات نظرهم للإصلاح، وذلك بتصفية الشيوعيين من الجيش وقدموا عن طريق مصطفى حمدون قوائم بأسماء الضباط الماركسيين، وكان عفيف البزرة يتبنى الأفكار الماركسية، وقام بنقل للرئيس عبد الناصر مخاوفه من تغلغل ضباط البعث، وقدم له قوائم بأسمائهم.

وعندما احتدم الصراع بين الطرفين، سرح عبد الناصر عدداً من الضباط الشيوعيين، فقدم البزرة استقالته احتجاجاً على ما يجري[6].

وفي أواخر عام/1959م، كان الخلاف البعثي مع عبد الناصر قد استفحل، مما جعل وزراء البعث يقدمون استقالتهم، وهم: أكرم الحوراني وصلاح البيطار، ومصطفى حمدون، وعبد الغني قنوت[7].

وازداد التذمر عند أكثر العسكريين والمدنيين السوريين، ولم يمض ستة أشهر على إقامة الوحدة.

فكان عفيف البزرة أول المتذمرين، فقد حلم بتسلم قيادة الجيش الأول ورئاسة المجلس التنفيذي، لكنه وجد نفسه عاطلاً عن العمل، وهو برتبة فريق.

ومن ثم وقع الضرر على الملاكين الذين شملهم قانون الإصلاح الزراعي بكل شدة.

وأوذي التجار بسبب قرارات وزارة الاقتصاد، التي كانت تبيح الاستيراد وتمنعه بدون تروٍ، وحسب المصالح الخاصة.. ووجد المئات من الموظفين المدنيين والعسكريين أنفسهم في الشارع، بعد صدور قرارات تسريحهم العشوائية..

وكثر المصريون الذين وفدوا بالآلاف، ليعملوا في كل شيء ويزعمون "مباهاة" أنهم من رجال المباحث، جاؤوا ليراقبوا الأوضاع لمصلحة الوحدة، أما رجال الأحزاب فقد أصبحوا من رواد المقاهي العامة، يقضون أوقاتهم في قراءة الصحف والمجلات.. [8]

وكان لعبد الحميد السراج [9]: جهاز أمني رهيب، كان خليطاً من أسوأ النماذج البشرية، يقومون بالقتل والسلب والنهب والسرقة، ويضايقون المواطنين لأتفه الأسباب، ومن خلال الإرهاب في التحقيق، مع فرض إتاوات كبيرة على التجار ثم أسندت إليه سكرتارية الاتحاد القومي في سوريا أيضاً، ومنصب رئيس المجلس التنفيذي الذي عين به عام/1960م وكذا منصب رئيس المؤسسة الاقتصادية بعد ذلك، مما جعله يمسك بقبضته كافة الأجهزة الإدارية والسياسية والأمن والاقتصاد، ولم يسبق لأي مسؤول في سوريا أن تمتع بهذه السلطات من قبل، مما جعله يطمح لأن يكن رجل سوريا الأوحد في حمى عبد الناصر وظله.[10]

وكان الضباط المصريون قد جاؤوا إلى سوريا بنفسية متعالية فكان كل واحد منهم يعتبر نفسه أنه هو عبد الناصر، وكانوا غالباً يتجاوزون التسلسل العسكري، ولم يكد يحل ربيع عام/1961م، حتى كانت سوريا كلها في حالة غليان عامة[11]

ولذلك قال عبد الناصر خلال زيارته إلى اللاذقية، بمناسبة ما يسمى بالعيد الثاني للوحدة، في خطاب له من شرفة نادي الضباط: "إن الذين يتصدون الآن لمسيرة الوحدة من أصحاب الشعارات الفارغة ـ يقصد البعثيين ـ ويضعون العراقيل في طريقها، سندوسهم بالجزم" .[12]

لقد كان بريق الوحدة العربية بشكل عام، تحت قيادة عبد الناصر خارج مصر أشد منه داخلها، وكان عبء النظام البوليسي وفشل الاقتصاد الاشتراكي، ظاهراً واضحاً في مصر.

أما سوريا فقد أصبح التذمر شديداً، لأن هيمنة مصر كانت قوية، وبسبب حل الأحزاب السياسية، ووضع الضباط السوريين في مناصب أقل شأناً .

وبحلول عام/1959م، انتشر الشعور بعدم الارتياح في سوريا من تطبيق الإجراءات الاشتراكية، مما سبب عداء التجار للحكم وخاصة في المدن الكبرى، إضافة إلى استياء السياسيين، وضباط الجيش، ومرور مواسم الجفاف والقحط على مدى ثلاث سنوات متتابعة.. كل ذلك أدى إلى الانفصال السريع ·[13]

السياسة الخارجية خلال سنوات الوحدة:

لقد أشعل عبد الناصر الثورات في أنحاء العالم العربي، فعم التوتر والاضطراب في المنطقة.

وقد أشار نائب رئيس الموساد "ياكوف كروز" إلى ذلك حين قال: "لقد أطلق جهاز المخابرات المصري والسوري العنان لعملياتهما التخريبية المشتركة ضد كل من لبنان والعراق والأردن، وكان العمل السري هو الشكل الرئيسي في ذلك الوقت للاتصال بين الجمهورية العربية المتحدة والبلدان الأخرى·"

وقد بدت سوريا ومصر في أوائل عام/1958م، تتصدران الموجة الحادة الداعية إلى القومية العربية، والمناهضة للإمبريالية وأدت الموجة العارمة الموالية للناصرية، إلى الإطاحة بالحكم الملكي في العراق في شهر تموز، واستخدمت كل من مصر وسوريا العمليات السرية والإرهابية في نطاق لا مثيل له، لإشعال الاحتجاج والسخط عند الشعوب" ·[14]

وقد دفع قيام الوحدة بين سوريا ومصر كلاً من الأردن والعراق إلى إنشاء الاتحاد الهاشمي بينهما في 14/شباط/1958م، ووصف ملك العراق "فيصل الثاني" هذا الاتحاد على أنه "انعكاس للتطلعات والطموحات الحقيقية للشعب العربي، إلا أن هذا الاتحاد لم يدم سوى خمسة أشهر، فحصل في 14/تموز انقلاب دموي في العراق، ذهب ضحيته الملك والأسرة الحاكمة ونوري السعيد، وألغي الاتحاد، ورحب عبد الناصر بالنظام الجديد في العراق [15].

لقد أشعل عبد الناصر الثورات في معظم أنحاء العالم العربي مدعوماً بقوى خارجية خبيثة منذ عام/1952م، واستراحت دولة إسرائيل خلال سنوات الوحدة بسبب حسن الجوار وتشديد قبضة عبد الناصر على الجيش والمواطنين، خلافاً للسنوات التي سبقت عهد الوحدة.

وكان رأي المخابرات المركزية الأمريكية: أنّ عبد الناصر كان زعيماً وطنياً، يمكن أن يؤمّن تعاونه ضد الاتحاد السوفييتي بواسطة التوجه الأمريكي، ولذلك ساعدت أمريكا في تدريب ضباط المخابرات المصرية منذ عام1952 م [16].

يقول مايلز كوبلاند خلال تعليقه على حرب عام/1967م: "لقد مهدنا ـ نحن الأمريكيين ـ الطريق لناصر، ولقد سلك هذا الطريق، ولم يكن من المخالفين، ولو أننا رسمنا له طريقاً آخر مختلفاً، فلعل الأمور كانت ستجري على غير هذا النهج، ويبقى دور ناصر في مستقبل أمريكا معتمداً على نوع المستقبل الذي يخبئه لنا القدر" [17].

ويقول في موطن آخر حول علاقة عبد الناصر مع الدول المجاورة "وعندما شارف عام/1958م على الانتهاء، كان عبد الناصر قد بلغ ذروة القوة، إلا أنه فشل في ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة، كما فشل في ضم الأردن لها، بعد قيامه بمحاولة انقلاب أخرى هناك...

وهكذا بدا عبد الناصر في الأوحال غرقاً، وفي لمتاعب غائصاً، تعصف به الأنواء، وتنزل به الكوارث من العالم العربي، إلا أن تلك الهزائم المتلاحقة، عادت إليه بأرباح ومساعدات مالية وفنية لا حصر لها سواء من أمريكا أو روسيا...

فقد بلغ حجم المساعدات في السنوات الأربع التالية لعام/1958م، أكثر من مليار من الجنيهات المصرية، أي حوالي "2.3 مليار دولار" [18].

لقد كان ذلك ثمناً لتفجير الثورات والانقلابات في أنحاء العالم العربي، وقد انجذب الفلسطينيون في الأردن، وعدد من أهل الأردن إلى الحركة القومية على طريقة عبد الناصر أملاً في نصر

قضيتهم، وكثيراً ما قمع هذا التيار بشدة من قبل الحكومة، وكثيراً ما تفجّر الوضع واضطر الملك حسين أن يقف مواقف معينة أيام الأزمات، كما حدث في السنوات التي سبقت وتلت حرب/1967م.

كما أن السياسة المصرية تمكنت من إيجاد صدى إيجابي في أحداث لبنان، خاصة بين صفوف أهل السنة والدروز وقسم من نصارى الأرثوذكس، فتجسد التيار الناصري في لبنان، في عدد من المنظمات الناصرية، التي ما تزال موجودة حتى يومنا هذا، مثل "المنظمة الناصرية الشعبية" في صيدا "والاتحاد العربي الاشتراكي"، وقد اتحدا عام/1987م [19].

وحول دور عبد الناصر في قضية فلسطين وتنازلاته المشبوهة تحت ظل شعارات الضجيج الإعلامي، والتطبيل المأجور يقول كوبلاند:

"كان عبد الناصر وضباطه يعتبرون هزيمة الجيش المصري في عام/1948م، هزيمة مريرة يصعب تناسيها، وأن شعور الكراهية لإسرائيل أمر لا يمكن التغاضي عنه كمبررات لأية ثورة في البلاد."

"ولم تمض خمس سنوات على تلك الهزيمة في فلسطين، حتى كانت مناقشات عبد الناصر ورفاقه مع المئات من الضباط، قد انتهت إلى رأي معاكس، ولم يستفتحوا ثورتهم بهذه الشعارات، لأنها لن تفيد الثورة شيئاً ".

"وقد أخبر عبد الناصر، ضابط الاستخبارات الأمريكية "روزفلت" بأن نقمتهم ستُصب في الدرجة الأولى على كبار ضباط الجيش المصري المتورطين في نكبة عام/1948م، ثم على بقية حكام العرب والبريطانيين، وأخيراً على إسرائيل؟!" [20].

وقد كشفت مذكرات "موشي شاريت" أن مصر كانت تفضل حتى عام/1955م، أن تتجنب الدخول في أي صراع مع إسرائيل، وما يتطلبه ذلك من زيادة في التسلح.

وتجمع المصادر الأصلية الفلسطينية والإسرائيلية، على أن مصر كانت تعارض معارضة مطلقة أي هجمات فلسطينية على إسرائيل، في الوقت الذي كانت تجري فيه محادثات سرية بين عبد الناصر وشاريت.

وأن دراسة أجراها المستعرب الإسرائيلي "يهود يعاري" تستند إلى "سجلات المخابرات المصرية العسكرية التي استولت عليها إسرائيل خلال حرب سيناء، تؤكد أن السلطات المصرية كانت حتى الغارة على غزة تتبع سياسة ثابتة في إيقاف أي تسلل فلسطيني من قطاع غزة إلى إسرائيل، وأن السياسة الجديدة لتنظيم الفدائيين، وتحويلهم إلى أداة رسمية في الحرب ضد إسرائيل لم تبدأ إلا في أعقاب الغارة على غزة" [21].

---

[1]هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني/ دار الأنوار، دمشق وبيروت/ص110 - 111.
[2]الانقلابات العسكرية: محمد أبو عزة/ص315.
[3]هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني/ ص113، دار الأنوار/ 1999م، ط4/ دمشق وبيروت.
[4]النكبات والمغامرات: بشير فنصة/ص443 - 445.
[5]هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني/ص114 وما بعدها.
[6]هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني/ ص116.
[7]المرجع السابق/ص919، والانقلابات العسكرية في سوريا ص338.
[8]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص334 - 335.
[9]وزير داخلية سوريا، ورئيس المخابرات العامة فيها.
[10]هؤلاء حكموا سوريا/ص122 - 123، والحرب السرية في الشرق الأوسط/ص220.
[11]الانقلابات العسكرية في سوريا ص339 - 340.
[12]المرجع السابق/ص339.

[13]الحرب السرية في الشرق الأوسط/233.
[14]الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل/ص219.
[15]الحرب السرية في الشرق الأوسط/ص225، ص221.
[16]المرجع السابق.
[17]لعبة الأمم: مايلز كوبلاند/ص322: تعريب مروان خير/ بيروت/ 1970م.
[18]لعبة الأمم: مايلز كوبلاند/ص278.
[19]ينظر: الشرق الأوسط الحديث/ج4/ص25 - 27، ترجمة د. أسعد صقر، إشراف ألبرت حوراني وزملائه.
[20]لعبة الأمم: مايلز كوبلاند/ ص89 تحت عنوان: فشل في سوريا وأمل في مصر (1951 - 1952) عندما كانت المخابرات الأمريكية تبحث عن الزعيم المقترح صاحب الانقلاب القادم.
[21]ينظر: يوميات شاريت، نشرت بالعبرية في تل أبيب، وينظر أبو إياد في كتابه: وطني وأرضي ص22 نقلاً عن الشرق الأوسط، الحديث/ الجزء الرابع، ترجمة الدكتور أسعد صقر ص31.

لماذا انهارت الوحدة بهذه السرعة؟!

إن سياسة عبد الناصر الداخلية والخارجية، قد أدت إلى انهيار الوحدة بعد ثلاث سنوات، رغم أنها كانت محط آمال الأمة العربية منذ مطلع هذا القرن.
لقد كان قيام الوحدة المرتجلة، دون تخطيط في المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية، من أبرز أسباب تمزق الوحدة.
كان تحقيق الوحدة قد اعتمد أساساً على زعامة عبد الناصر[22] وخروجاً من تناقضات الحكم في سوريا قبل الوحدة...
وكانت قرارات شهر يوليو "تموز" الاشتراكية من أهم دوافع الانفصال..
وكان اعتماد عبد الناصر على شخص واحد في إدارة الإقليم الشمالي "عبد الحميد السراج" قد جعل بعض العناصر التي اشتركت في إقامة الوحدة، تسارع إلى تأييد الانفصال كما أن عدم الاتصال الجغرافي بين الإقليمين، كان له دور فعال في ذلك الانفصال...
ولا ننسى نزوع السوريين إلى الروح الفردية، والثورة على أية سلطة تفرض عليهم القيود"[23]
رحم الله أياماً خلت، حينما كان الناس هم الناس، أما اليوم فقد روضهم هذا الطاغوت النصيري طوال نصف قرن فاستكانوا...ولعل فرجاً قريباً سيأتي من عند الله.

ويظهر أن دكتاتورية عبد الناصر كانت سبباً في مآسٍ ثلاث قاتلة وهي:
1- محاولة القضاء على الإسلام عقيدة وشريعة.
2- محاولة القضاء على حرية الفرد وإذلاله.
3-انهيار كيان الدولة سياسياًوعسكرياً واقتصادياً [24]
فعبد الناصر بحكم تكوينه النفسي، ذو طبيعة دكتاتورية حاقدة، وكانت طبيعته هذه تأبى عليه أن يشرك أحداً معه في الرئاسة، وتأبى عليه أن يظهر بمظهر المعتمد على غيره عند تقرير القانون أو تطبيقه، ولا سيما بالنسبة للإسلام الذي يجهله كل الجهل[25]

وقد اصطنع عبد الناصر عدة أسس لتحقيق دكتاتوريته وضمان استمرارها وهي:
- إقامة نظام سياسي لا تعارضه أية قوى سياسية أو اجتماعية.
- رفض المعارضة أياً كان نوعها رفضاً كاملاً .
- الإرهاب الفكري والسياسي والاجتماعي.
- اصطناع أسلوبين في الحكم، أسلوب التظاهر بالديمقراطية لمخادعة الشعب والعالم، وأسلوب دكتاتوري خاص بالمعاملة الفعلية الواقعية للشعب[26].
ومن طبيعته أنه لا يسهل عليه إقامة علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع أي إنسان، فهو متشكك دائماً، وهو الحذر المليء بالمرارة، العصبي المزاج، على حد تعبير السادات.
وهو يميل إلى العمل السري، فلا يقبل إلا الرئاسة..
ومما يجسد دكتاتوريته هو تميزها بشذوذ ليس له نظير في تاريخ الزعامات الدكتاتورية، التي امتحنت بها الإنسانية، ذلك أن عبد الناصر رغم تمجيده للشعب وتسبيحه بفضله، فإنه يزدريه تعللاً لفرض وصايته عليه[27]
أما الوحدة، فكان سعي عبد الناصر الدؤوب بغرض وحدة تكون ـ كما يزعم ـ نواة للوحدة العربية الشاملة، دون أن يكترث مطلقاً بنوعية الشخصيات التي يقيم معها اتفاق الوحدة، من حيث عقيدتهم الدينية، وماضيهم السياسي ونظرتهم إلى الإسلام.. وهذا ما حذر منه كمال الدين حسين "عبد الناصر" حين سعى إلى الوحدة مع سوريا، فقد قال له "إنني لا أثق فيهم.. وأرى أن

البعثيين المسؤولين عن الأمور في سوريا حالياً عملاء، وميشيل عفلق على رأسهم، هؤلاء أكبر عملاء يعملون ضد الإسلام.. واعتقادي أن الوحدة "مش حتنفع"، إنما يريدون الاستناد إلينا فترة من الزمن، حتى تقوى حركتهم ثم ينفصلون"[28].

أما قضية القومية والعروبة، فعبد الناصر لم يكن يعرف إلا القليل عن العرب عندما قام بانقلابه، بل لم يكن يشعر أنه عربي..ولكنه أصبح زعيماً عربياً بعد أن دخلت كلمة "عرب" القاموس السياسي لشعوب المنطقة.. بل عندما ازدادت زياراته للأقطار العربية بعد عام/1952م، فبددت شكوكه السابقة بالعرب، وبات ينكر آراءه ومواقفه السابقة، وصار يتمتع بشعبية واسعة لدى الأوساط السورية وفي لبنان والأردن وليبيا[29]

ولما أصبحت القومية العربية تياراً قوياً في الستينات تبناها عبد الناصر، ودعا إليها وسخر لها أجهزة إعلامه، وإمكانات دولته العسكرية والمادية..
واستقطبت أعداداً من دهماء الناس، الذين كانت آذانهم أوعية لألفاظ عبد الناصر، وعبارات أحمد السعيد من خلال إذاعة صوت العرب وغيرها.

وخُدع الناس بزعيم القومية العربية، وتصوروه المنقذ، لأنه خادعهم، فصور لهم الوحدة مع سوريا أنها بداية وحدة الأمة العربية، وصور لهم أنه هو المدافع عن الإسلام في الوقت الذي قتل فيه دعاة الإسلام، وفعل بهم ما لم تفعله محاكم التفتيش مع مسلمي الأندلس.
وصور لهم أنه سيلقي إسرائيل في البحر، فابتلعته إسرائيل، وفرقت قواته وأجهزته، وبعد حين تبين للجميع أن هذا الانتفاخ القومي الناصري، لم يكن سوى طبل كثير، لما وخزته إبر التجارب والواقع لم تجده شيئاً [30].
فقد افتضح أمره، وبان عوار ضجيجه، وخرج من المعركة مقامراً ذليلاً .

دور حزب البعث في انهيار الوحدة:
كان لحزب البعث العربي الاشتراكي دور كبير في تمزيق وحدة الأمة والتآمر على مصالحها وآمالها.
كانت الوحدة لدى الحزب ـ كما هي لدى عبد الناصر ـ شعاراً يخفي وراءه الانتهازية والطموحات الشخصية.
لقد راهن قادة الحزب على الوحدة لتحقيق أهدافهم، فكان مكر عبد الناصر أشد وأدهى، ثم وقع الصراع المرير بين الطرفين وتحطمت آمال قادة البعث..
ـ إذ كان أكرم الحوراني مطمئناً إلى أن عبد الناصر، سيوكل إليه مقاليد الأمور في سوريا، كأن يكون نائبه في حكم البلد...
ـ وكان صلاح البيطار يحلم بوازرة الخارجية للدولة الجديدة..
وكان ميشيل عفلق، قد استخدم منبر جريدة البعث الناطقة باسم الحزب، لتكون رسوله إلى عبد الناصر.. والتقى بعبد الناصر، وأظهر له بأنه سيكون فيلسوف الدولة الجديدة، وأرسطو القرن العشرين...
كانت الوحدة حلاً لمشاكل الأساتذة الثلاثة من قادة الحزب، وإنهاء لتناقضاتهم مع قواعد الحزب، التي بدأت تشهد تكتلات متنافرة[31].
لقد خاب ظنهم، فشردهم عبد الناصر، زعيم القومية العربية، ذلك القائد الملهم، كما كانوا يزعمون... فاستقال وزراؤهم وتآمروا بعد ذلك على الوحدة، أمل الجماهير، طالما بشروا بها في شعارهم "وحدة ـ حرية ـ اشتراكية."

لهذه الأسباب مجتمعة، ولسياسة عبد الناصر الدكتاتورية، انهارت الوحدة، بانقلاب جديد وعهد جديد... عهد الانفصال.

---

[22]الهلال الخصيب: د. محمود حسن منسي/ ص246، ص248.
[23]المرجع السابق.
[24]الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم: محمد عبد الواحد حجازي، الزهراء للإعلام العربي/ القاهرة/ 1409هـ - 1988م (ص86، 107)
[25]المرجع السابق.
[26]المرجع السابق/ص115.
[27]الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم/ص120، 125.
[28]المرجع السابق: ص143 - 144، وكمال الدين حسين هو أحد رجال الثورة المصرية، ووزير التعليم في الجمهورية العربية المتحدة.
[29]لعبة الأمم: مايلز كوبلاند/ص90.
[30]انظر كتاب: حزب البعث، تاريخه وعقائده/ سعيد بن ناصر الغامدي/ دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى/1411هـ/ص7.
[31]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ص315 - 316.

عهد الانفصال: (1961 - 1963م)

من الأسباب التي أدت إلى انهيار الوحدة سريعاً، إضافة إلى ما سبق في الفقرة السابقة:
التنظيمات السرية في الجيش السوري قبيل الانفصال، ومن ثم تحركها للقيام بحركة الانفصال عن مصر.

ومن أبرز هذه التنظيمات:
1- تنظيم حيدر الكزبري: ويضم وحدات البادية المحمولة، وبعض العسكريين المبعثرين قرب دمشق.
2- تنظيم أكرم ديري: الذي كان على صلة بعدد من الضباط الدمشقيين، حتى وهو وزير في دولة الوحدة، وكان النحلاوي يتعاطف مع الضباط الدمشقيين، ويسهل أمورهم، ومن خلال أكرم الديري، تعرف عبد الحميد السراج على تكتل النحلاوي.
3- تنظيم عبد الكريم النحلاوي: وكان من أبرز هذه التنظيمات فقد كان يشمل أكثر التشكيلات العسكرية والمراكز الحساسة، والتي كانت تتمركز في قطنا والقابون والكسوة.
وكان في مقدمة ضباط تنظيمه: مهيب الهندي، هشام عبد ربه، وتيسير الطباع، موفق عصاصة، عبد الغني دهمان.
4- تنظيم المقدم عبد الله شيخ عطية: وكانت هذه الفئة حريصة على بقاء الوحدة مع مصر.. ولذلك عمل النحلاوي على نقل عبد الله شيخ عطية إلى الكويت كملحق عسكري ثم شتت مجموعته[32].
وكان هنالك تكتل سري للضباط البعثيين والنصيريين، ظهر تأثيره بعد هذا العهد.
كيف وقع الانفصال؟!
في صباح 28/أيلول/1961م، داهمت قوات البادية بقيادة حيدر الكزبري، مقر إقامة المشير عبد الحكيم عامر، والقيادات العسكرية والمصرية.. وكان في انتظار تلك القوات الضباط: عبد الكريم النحلاوي وعبد الغني دهمان، وهشام عبد ربه.
ثم أذاع الانفصاليون بلاغهم الأول، الذي أعلنوا فيه فصل الوحدة بين القطرين، وفي اليوم التالي أعلنوا عن تأليف حكومة سورية برئاسة مأمون الكزبري، قريب حيدر الكزبري[33].
وبدأت محطة دمشق تعزف النشيد الوطني السوري، الذي لم يسمع منذ ثلاث سنوات.
ثم أصدر النحلاوي ـ قائد الانقلاب ـ تعليماته بالقبض على الضباط المصريين، الذين كانوا يعملون في وحدات الجيش السوري للحيلولة دون قيامهم بأي نشاط معاد.
كما أذيع من إذاعة دمشق إنهاء حكومة الوحدة، وبيانات حول التسلط المصري، ومفاسد عبد الناصر ومساوئ حكومته[34].
وفي الثاني من شهر تشرين الأول/1961م، اجتمع السياسيون القدامى، ثم وضعوا وثيقة الانفصال، التي صاغها صلاح البيطار ونجيب الأرمنازي، ووقع الحضور على البيان، وكان من ضمنهم قيادات حزب البعث.
وبدأت الصراعات تظهر من جديد بين كتل الضباط في الجيش، ولم تنته تلك الصراعات، حتى استيلاء الأسد على السلطة[35].
ثم انتخب مأمون الكزبري لرئاسة مجلس النواب، وناظم القدسي رئيساً للجمهورية في 1961/12/14م
وكانت قد أجريت انتخابات نيابية، شهدت صعود السياسيين القدامى أمثال: خالد العظم، وصبري العسلي. ومأمون الكزبري، وعصام العطار، وخسر الجولة صلاح البيطار وآخرون...

ثم شكل معروف الدواليبي الوزارة، وأعلن في بيان وزارته مدى الأضرار الاقتصادية التي حلت في البلاد خلال عهد الوحدة، وكان ذلك في 1962/1/8م
وتذمر بعض الضباط من حركة نقلهم، فقابلوا عبد الكريم النحلاوي وعبد الكريم زهر الدين وكان من أعضاء الوفد:
محمد عمران - صلاح جديد - عبد الكريم الجندي - أحمد دباس، ولم يسفر الاجتماع عن شيء، والتحق الضباط بقطاعاتهم[36].
ومنذ أن تشكلت حكومة الانفصال، أعلنت الأردن والسعودية والعراق وتركيا، تأييدها للحركة، مما أوجد وضعاً معقداً لمعالجة الوضع بالنسبة لعبد الناصر.
ورغم ذلك كانت المظاهرات المؤيدة للقاهرة، تجتاح المحافظات السورية طوال 28/ أيلول/1961م، مما دفع بقوات الانفصال لاستعمال العنف مع المتظاهرين وقمعهم بقوة... أما في القاهرة فقد أرسل عبد الناصر مجموعة من المظليين إلى اللاذقية، لكن قوات الانفصال اعتقلتهم وأفشلت مهمتهم[37].
واستمر الصراع بين الضباط من قادة الانفصال، فقد اعتقل النحلاوي زميله حيدر الكزبري، وأودعه سجن المزة إلى جانب السراج.
ثم قام انقلاب انفصالي آخر مركزه حلب، ضد النحلاوي الذي كان يرصد تحركات البعثيين والناصريين، وخاصة بعد اتفاق هؤلاء، ومباركة القاهرة لهذا المحور المتمثل بالعقيد جاسم علوان، والمقدم محمد عمران، وكان مع هذا التكتل حافظ الأسد وصلاح جديد.
وقد قرر هؤلاء إنهاء الانفصال، على لسان قائد الانقلاب الجديد اللواء عبد الكريم زهر الدين (في20/آذار/1962م)، وأدت هذه الحركة إلى إبعاد قادة الانفصال: النحلاوي ومهيب الهندي، وتعيينهما ملحقين عسكريين في كل من فرنسا وإيطاليا[38].
كما أودى هذا الانقلاب بوزارة الدواليبي وجميع أعضاء حكومته ثم أودعوا السجن.
يروي خالد العظم في مذكراته فيقول: "كانت البلاغات هذه المرة غامضة، لم نعرف ما إذا كانت الحركة ناصرية أم عسكرية محلية فحسب، وتبين لنا بعد ذلك أن عصياناً عسكرياً قام في حلب، وأبعد على أثره عبد الكريم النحلاوي ورفاقه إلى سويسرا، كما اعتقل ناظم القدسي رئيس الجمهورية، وأودع المستشفى العسكري، حتى كان يوم/13 نيسان/1962م، أخرج القدسي من سجنه في المستشفى العسكري، ليتسلم عمله كرئيس للجمهورية، وشكل بشير العظمة حكومة جديدة [39].
وقفة مع المؤسسة العسكرية خلال هذه المرحلة:
لقد برز الضباط من أهل السنة خلال فترة الانفصال، وظهروا على مسرح الأحداث، وخاصة الضباط الدمشقيون، فقائد الانقلاب على الوحدة "النحلاوي" كان دمشقياً، رغم أن معظم المسؤوليات العسكرية والأمنية أسندت إلى الضباط السنة، أيام الوحدة مع مصر.
وبعد رحيل النحلاوي ورفاقه من كبار الضباط الدمشقيين، بدأت الموجة المضادة للدمشقيين السنة، داخل القوات المسلحة، وحل محلهم الضباط المنحدرون من الأرياف، ومعظمهم من البعثيين والأقليات الطائفية، وكل من لا يضمر لدمشق وأهل السنة إلا كل كراهية وبغض [40].
كانت فترة الوحدة مع مصر فترة جمود سياسي بالنسبة لأبناء الأقليات الدينية من "النصارى والدروز والنصيريين والإسماعيليين"، ولعل ذلك من الأسباب التي دفعت تلك الأقليات للنظر إلى حركة/8/ آذار/1963م، على أنها فرصة ذهبية نادرة، لتصفية حسابات سياسية غابرة.
إذ بدأت الأقليات الطائفية تلعب دورها السياسي الذي طالما انتظرته طويلاً، وخاصة النصيريون، إذ تغلغلوا في مجلس الوزراء والقيادة القطرية لحزب البعث الحاكم وداخل المؤسسة العسكرية حيث بلغت نسبة الضباط النصيرين 49/بعد عام/1963م، وارتفعت أيام

صلاح جديد (1966 - 1970م) إلى (64%)، وتأتي بعدها نسبة الضباط الدروز والإسماعيليين، وذلك ما سوف نتحدث عنه في الباب القادم إن شاء [41].

---

[32]هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني/ص127 - 129.
[33]الانقلابات العسكرية، ص344، وهؤلاء حكموا سوريا، ص132.
[34]المرجع السابق.
[35]الانقلابات العسكرية/ ص349.
[36]الانقلابات العسكرية في سوريا/ص 350 - 352.
[37]هؤلاء حكموا سوريا/ص136 - 138.
[38]هؤلاء حكموا سوريا/ ص141، والانقلابات العسكرية في سوريا، (ص360 – 370).
[39]ينظر: الجزء الثاني من مذكرات خالد العظم، والانقلابات العسكرية في سوريا/ ص356 - 360.
[40]ينظر: مذكراتي عن فترة الانفصال، عبد الكريم زهر الدين/ ص22، وص372، ومجلة الدعوة المصرية: العددان (71 و 75)
[41]المرجع السابق.

الباب الثاني
انقلاب الثامن من آذار وتسلط حزب البعث
التصفيات الدموية: الحزبية والطائفية (1963م – 1970)

- **الفصل الأول**: تكتل الأقليات الطائفية ضد أهل السنة
- **الفصل الثاني**: الصراع بين النصيريين والدروز
- **الفصل الثالث:** الصراع ضمن الطائفة النصيرية
- **الفصل الرابع**: حزب البعث الحاكم وجني الأشواك الدامية

الفصل الأول: تكتل الأقليات الطائفية ضد أهل السنة

المبحث الأول: حزب البعث يصفي معظم الضباط من أهل السنة

- انقلاب الثامن من آذار/ 1963م واحتكار الحزب للسلطة
- انقلاب الناصريين ونتائجه المريرة، في 18/ تموز - 1963م
- التكتل الطائفي داخل الجيش وتسريح مئات الضباط من أهل السنة

المبحث الثاني: التخطيط النصيري للانفراد بالسلطة

- مؤتمر حمص عام/ 1963م، والقرارات الخطيرة
- تغلغل النصيريين في الحزب والحكومة

المبحث الثالث: الصراع بين القيادتين القومية والقطرية

- سيطرة الثلاثي النصيري: عمران - جديد - الأسد، والتخلص من عمران لتسرعه في كشف المخطط
- انقلاب 23/ شباط/ 1966م، والإطاحة برئيس الدولة أمين الحافظ وبالقيادة القومية على يد التكتل الباطني
- تخلص النصيريين من الطوائف الأخرى
- ماذا قال الرفاق الحزبيون عن بعضهم بعد انقلاب شباط 1966م

الفصل الأول :
تكتل الأقليات الباطنية والطائفية

كان انقلاب الثامن من آذار/1963م، انتصاراً لحزب البعث العربي الاشتراكي من جهة، وفرصة ذهبية لظهور الأقليات الباطنية من دروز وإسماعيلية ونصيرية من جهة أخرى، وكذلك النصارى فالأقليات الباطنية جاءت من الريف والجبل، بحكم نشأة الحزب بعيداً عن المدن الكبرى، حيث أن معظم أهلها من السنة.
ـ يقول الدكتور سامي الجندي، وهو من مؤسسي الحزب القدماء:
"لقد انتشر الحزب في الريف، ولكنه كان ضعيفاً في دمشق وباقي المدن السورية، وصار الحزب كبيراً في جسمه صغيراً في رأسه، حيث أن الأقليات الدينيةكانت متواجدة أصلاً في الريف، ومنها النصيريون والدروز، وأن المدن كانت أساساً مسلمة سنية، في تكوينها الديمغرافي" [42]
وقد ندر في فرع دمشق الأعضاء الدمشقيون الذين ينحدرون أصلاً من عائلات دمشقية، ففي سنة/1964م تجمد نشاط الحزب فيها، لأن أعضاء الحزب كانوا غرباء عن دمشق، حتى اضطرت القيادة القطرية في الحزب أن تطعم قيادة فرع دمشق وفرع حماة بعناصر جديدة، وخاصة حينما واجه الحزب مشاكل عديدة في المدينتين المذكورتين، باعتبار أن معظم أهلهما من السنة، وفي عام/1964م، ثار أهل حماة ضد النظام، فقمعت الثورة بقسوة ووحشية.
وقد قام عملية القمع الدموي في حماة، ضابط بعثي درزي، هو حمد عبيد، وقصفت المساجد وأولها مسجد السلطان[43]

[42]كتاب البعث: د. سامي الجندي/ ص39 - 40، طبعة بيروت، 1969.
[43]ينظر: حزب البعث، مطاع الصفدي/ص341.

المبحث الأول

تصفية الضباط السنة بعد انقلاب الثامن من آذار

لقد تغلغلت الأقليات الباطنية في حزب البعث، مما جعل تأثير الحزب في الأوساط الإسلامية ضعيفاً، وصارت سياسته مناوئة لتوجهات المسلمين وعقائدهم.. عدوانية لأبناء أهل السنة في الجيش وقوى الأمن...
ففي الفترة التي أعقبت انقلاب النحلاوي في 1962/3/8م كانت التسريحات (في أوساط المسلمين السنة داخل المؤسسة العسكرية) قوية وعنيفة، واستلم الضباط الباطنيون محل الضباط المسرحين، الذين كانوا من دمشق خاصة وعامة أهل السنة في المدن الأخرى[44]
وعندما جاء انقلاب الثامن من آذار/1963م احتكر البعث السلطة.

1 - انقلاب الثامن من آذار/1963م واحتكار البعث للسلطة:
تجمعت القوى العسكرية المناوئة للانفصال، وهم الضباط الناصريون والوحدويون، وكذا الضباط البعثيون والذين ينتسبون إلى الأقليات الباطنية من الدروز والنصيريين...
فقام هؤلاء جميعاً بانقلابهم ضد حكومة الانفصال وضباطها.. وكان عدد من الضباط الباطنيين قد عادوا إلى الجيش بعد أن كانوا مفصولين من الجيش ومنهم: محمد عمران وحافظ الأسد، وصلاح جديد وعبد الكريم الجندي وآخرون.
وقد ترأس العميد لؤي الأتاسي المجلس الوطني لقيادة الثورة فترة من الزمن، فيما ترأس صلاح البيطار الوزارة [45]
وكان اللواء زياد الحريري (رئيس الأركان) هو الذي قاد الانقلاب إلا أن شركاءه البعثيين، استغلوا رحلة قام بها إلى الجزائر فجرّد من وظيفته وعين سفيراً في إسبانيا [46]
وفي 14/آذار/1963م، كان قد توجه وفد إلى القاهرة من أجل المفاوضات لصالح الوحدة.
وكان من أعضاء الوفد: نهاد القاسم "نائب رئيس الوزراء"، عبد الكريم زهور ـوزير الاقتصاد ـ، اللواء راشد قطيني (معاون القائد العام للقوات المسلحة"، اللواء زياد الحريري (رئيس الأركان) والمقدم فواز محارب والمقدم فهو الشاعر "عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة."
واجتمع بهم عبد الناصر وبعض رجاله، وانضم إليهم وفد العراق بعد ثورة البعث، منهم: صالح السعدي ـ نائب رئيس الوزراء ـ ووزير الدفاع (صالح مهدي عماش)
وكانت المباحثات تدور حول اتحادٍ بين الجمهوريات الثلاث، لكنها لم تسفر عن شيء[47]
ويلاحظ أن البعثيين السوريين، لم يكن لهم تمثيل واضح في مباحثات الوحدة وأن شركاءهم في الانقلاب كانوا يظنون أن الوحدة مع مصر قاب قوسين أو أدنى.
ففي سوريا كانت المنازعات قد أثيرت منذ الأيام الأولى لثورة آذار، إذ شكل جاسم علوان ورائف المعري ومحمد نبهان، وذوقان قرقوط... منظمة سرية أطلقوا عليها "أنصار الوحدة"[48]
وكانت إذاعة عبد الناصر، قد بدأت تذيع تقارير مباحثات الوحدة والاتحاد خلال شهري "آذار ونيسان" وأظهرت قادة البعث ـ عفلق والبيطار ـ بمظهر المفاوضين الدنيئين، وجعلتهما سخرية للسامعين.

وكان الصراع بين الناصريين والبعثيين، قد فجر الأوضاع في سوريا، وبرز الصراع قوياً داخل الجيش، وكان المجلس الوطني لقيادة الثورة (8/آذار/1963م) يتكون من هيئة سرية تتألف من عشرين عضواً، ثمانية من الناصريين، واثني عشر من البعثيين.
وسرحت اللجنة العسكرية ما يزيد عن خمسين ضابطاً من الناصريين واستقال بسبب ذلك: وزير الدفاع "محمد الصوفي وهو ناصري، وراشد قطيني رئيس الأركان ـ ناصري أيضاً، ثم استقال معهما خمسة وزراء ناصريين[49]

2 - انقلاب الناصريين في 18/تموز ونتائجه المريرة:
قام الضباط الناصريون والوحدويون بمحاولة انقلابية على سلطات حزب البعث، بقيادة: اللواء لؤي الأتاسي، وجاسم علوان، ورفاقهما، وكانت القاهرة تؤيد هذه الحركة.
لكن خطة الانقلاب فشلت، وتسربت أخبارها عن طريق بعض النصيريين المشاركين في تلك المحاولة، أمثال: محمد نبهان، الذي كان جاسوساً لصالح الطائفة النصيرية [1]
وبعد فشل المحاولة الانقلابية، شُكّلت محكمة عرفية من شركاء الثورة، برئاسة المقدم صلاح الضللي، وعضوية النقيب محمد رباح الطويل، والنقيب سليم حاطوم، والنقيب سليمان العلي في 19/تموز، وأصدرت أحكاماً مختلفة فأُعدم هشام شبيب (عقيد)، وصدرت أحكام أخرى مختلفة ما بين الإعدام: لجاسم علوان، ومحمد نبهان، ورائف المعري، وآخرين حيث بلغ عددهم العشرين ضابطاً وانقلابياً، وبالأشغال الشاقة والمؤبدة والسجن سنوات عدة للآخرين...
وعين اللواء أمين الحافظ وزيراً للداخلية [2]
لقد تم احتكار البعث للسلطة بعد هذه الأحداث، فتمكن الضباط الطائفيون من السيطرة على اللجنة العسكرية المنوط بها الإشراف على التنظيم العسكري البعثي في صفوف الجيش والقوات المسلحة، تأسست هذه اللجنة عام/1959م خلال الوحدة مع مصر، وكانت في البداية تتكون من خمسة ضباط ثلاثة منهم نصيريون (محمد عمران ـ صلاح جديد ـ حافظ الأسد) واثنان اسماعيليان (عبد الكريم الجندي وأحمد المير)، ثم وسعت اللجنة وصار عدد أعضائها خمسة عشر عضواً كانوا كالتالي:
5نصيريون ـ 2 من الإسماعيلية ـ 2 من الدروز سليم حاطوم وحمد عبيد، وستة من السنة منهم "موسى الزعبي، ومصطفى الحاج علي، وأحمد سويداني، وأمين الحافظ، ومحمد رباح الطويل" [3]

3 - التكتل الطائفي داخل الجيش وتسريح المئات من الضباط السنة:
لقد تم تسريح ما لا يقل عن سبعمائة من كبار الضباط السنة، بعد انقلاب 1963/3/8م، وتم تعيين مثل هذا العدد لملء الفراغات من أبناء الطائفة النصيرية، فصارت قيادة اللجنة العسكرية بين ثلاثة من الضباط النصيريين "عمران ـ جديد ـ الأسد."
وصار صلاح جديد رئيساً للأركان العامة في الجيش (ما بين شهر آب/1963م، وشهر أيلول/1965م؛ وأصبح حافظ الأسد قائداً لسلاح الجو، ومحمد عمران وهو أكبرهم سناً، يتحكم بقيادة القوات الخاصة، أي اللواء المدرع السبعين، وكان دائم الحضور جنوبي دمشق، ويشكل العمود الفقري لجهاز البعث العسكري.
ومن خلال هذه الأجهزة العسكرية الهامة، استطاع النصيريون التحكم بمصير سوريا لفترة طويلة، فتخلصوا من رفاقهم الناصريين والوحدويين: "لؤي الأتاسي، وزياد الحريري، محمد الصوفي، محمد الجراح، جاسم علوان".
ويلاحظ أن هؤلاء جميعاً كانوا من الضباط السنة، ولو بحكم المولد والنشأة.

وقد بدأ الثلاثي النصيري (عمران ـ أسد ـ جديد) يكرس الطائفية، أوساط الطائفة النصيرية والجيش السوري.

يقول منيف الرزاز: "إن رائحة التوجه الطائفي داخل الحزب بدأت تظهر بعد أن كانت همساً ... ثم تطورت هذه الأصوات إلى اتهامات لا تفتقر إلى الأدلة الكافية" [4]

لقد كان انقلاب الثامن من آذار، نقطة تحول أساسية في تاريخ سوريا المعاصر، من ناحية بروز الدور السياسي للأقليات الطائفية، وخاصة النصيريين.

ولقد ضمر دور المسلمين السنة، وخاصة في المدن الكبرى، بعد ذلك الانقلاب المشؤوم، فتم انحسار دور أبناء المسلمين في تلك المدن "دمشق ـ حلب ـ حمص ـ حماة."

"فبعد انقلاب آذار/1963م، أصبح تمثيل الضباط النصيريين في القيادات القطرية يشكل أعلى نسبة حيث وصلت إلى نسبة (37.7%) وبعدهم الدروز (9.4) ثم الإسماعيليون [5]

يقول الدكتور سامي الجندي أحد مؤسسي حزب البعث، وكان قد تقلد منصب وزير الإعلام بعد انقلاب آذار: "إنه بعد أن أسندت إليه مسؤولية وزارة الإعلام بثلاثة أيام، زاره "الرفاق" في مكتبه من أبناء طائفته مطالبين بالتخلص من أبناء دمشق وحلب وحماه وتعيين أبناء الطائفة في وظائفهم مكان المسلمين" [6]

كما أن الصراع على السلطة بدأ يظهر بين قادة اللجنة العسكرية البعثية عقب الانقلاب الناصري الفاشل في (18/ تموز/1963م) حيث لجأ هؤلاء القادة إلى تجميع عسكريين حولهم، ممن تربطهم بهم روابط طائفية أو عشائرية أو إقليمية.

ونتيجة لذلك قُوِّضت بنية القيادة والانضباط، داخل القوات المسلحة وداخل تنظيم الحزب العسكري بشكل ملحوظ" [7]

وفي تقرير حزبي، وصف أمين المكتب التنظيمي العسكري لحزب البعث هذه العملية فقال: "لقد وصل التنظيم إلى حالة من التشويه، لم يعد من الممكن تحملها من قبل الرفاق، وحل الولاء الشخصي والتكتلي محل الولاء الحزبي" [8]

وكان أهل السنة هم الخاسرين في كل مرحلة، فقد عانى أبناؤهم من التمييز لدى تقدمهم للالتحاق بالكلية العسكرية ومراكز التدريب الأخرى، وتكرر الأمر عندما جند أعضاء جدد في الحرس الوطني البعثي، أو الشعبة السياسية والمخابرات، بينما كان (العلويون والدروز والإسماعيليون) والنصارى ـ الروم الأرثوذكس ـ يحظَوْن بتميز إيجابي في المعاملة في كثير من الحالات [9]

وطبقاً لمطاع الصفدي ـ بعثي قديم ـ، في كتابه حزب البعث: "فقد أغلق باب الكليات العسكرية ومختلف المدارس العسكرية في وجه شباب المدن السنية، حتى أن دورات كاملة من هذه الكليات قد سرحت جميعها من الخدمة قبل أن تتخرج" [10]

وكل من عاصر تلك الفترة يعلم ذلك جيداً .

هذا وإن تقويض سلطة القادة العسكريين بالسيطرة على الولاءات الطائفية التي دَتبعهم في قطعهم، لم يكن بظاهرة جديدة في تاريخ الجيش السوري، فقد استخدمت مثل هذه التكتلات على سبيل المثال خلال "فترة الانفصال."

ففي بداية عام/1963م، فشل المقدم الدمشقي عبد الكريم النحلاوي في محاولة استرداد سلطته على الجيش، وأحد أسباب فشله يعود إلى أن بعض الضباط فقدوا السيطرة على جنودهم الذين رفضوا الامتثال لمزيد من الأوامر، لقادتهم الدمشقيين أو الذين هجروا وحداتهم العسكرية، بتحريض من الشيوخ النصيريين" [11]

وهكذا أحكمت القبضة على مقدرات البلاد، من قبل الأقليات الطائفية، فظهرت أحقادها الدفينة، وتعاونت على الفتك بأهل السنة، حتى ولو كان الضباط السنيون متحللين سلوكياً، فجرة مجرمين

أخلاقياً، ذاق المسلمون على أيديهم الويلات كما هو شأن الباطنيين، ومن هؤلاء أمين الحافظ، يوسف زعيّن، أحمد سويداني.
ثم تطورت الأحداث فأطاح التعاون الباطني برئيس الدولة أمين الحافظ وبعصابته من أهل السنة، تحت شعار الإطاحة بالقيادة القومية، وذلك في حركة 23/شباط/1966م إذ تعاون فيها الدروز والإسماعيليون مع النصيريين في تلك الحركة.
ثم تخلص النصيريون من رفاق التآمر والإجرام، من الدروز والإسماعيليين، فسجن كثير منهم، وأعدم آخرون وبذلك تدور على الباغين الدوائر.
واستمر مسلسل التناحر والتصفيات داخل الطائفة النصيرية، فانتصرت العشائرية والانتهازية والطائفية على بعض رموز الطائفة النصيرية، فتخلص حافظ الأسد من خصومه: صلاح جديد ومحمد عمران وآخرين..
وهاهو التناحر يستمر، والتفرد بالسلطة يلقي بكابوسه على الأمة، ولا نجاة من الله إلا إليه.

---

[44]التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ ص159، طبعة بيروت/1967م.
[45]هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني/ص149.
[46]هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني، ص151.
[47]الانقلابات العسكرية في سورية: محمد أبو عزة/ص386.
[48]المرجع السابق/ص389.
[49]ينظر: الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/406.
[1]الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة/ ص 604.
[2]الانقلابات العسكرية/ ص410 - 411، وهؤلاء حكموا سورية/ص151.
[3]ينظر: التجربة المرة: منيف الرزاز/ص87، والبعث لسامي الجندي ص85، ومقال في مجلة الدعوة المصرية العدد (72)، بعنوان: سقوط سوريا في براثن الأقليات الطائفية.
[4]التجربة المرة/ص159.
[5]الصراع على السلطة في سوريا/ص130، د. نيقولاوس فان دام.
[6]البعث: سامي الجندي/ص136.
[7]الصراع على السلطة في سوريا/ ص64، طبعة/1995م.
[8]حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر السوري، المكتب العسكري، مشروع تقرير عن واقع الحزب في التنظيم العسكري، 1965/10/19م.
[9]الصراع على السلطة في سوريا/ص66، والتجربة المرة: د. منيف الرزاز/ ص159، وجريدة النهار/9 تموز/1963م
[10]كتاب حزب البعث: مطاع الصفدي/ص339 - 340.
[11]البعث: د. سامي الجندي/ص109 - 110، والصراع على السلطة في سوريا/ د. نيقولاوس فان دام/ص68.

المبحث الثاني :
المخططات النصيرية للتفرد في السلطة

في المبحث السابق عرفنا كيف كان النصيريون يتسللون إلى مؤسسات الجيش والحزب بخطاً حثيثة، وتخطيط سري ماكر.
ـ دخلوا في تشكيل نواة عسكرية سورية في القاهرة عام/1959م، واستغلوا قرار إبعاد سبعمائة ضابط بعد الثامن من آذار/1963م، بإشغال معظم أماكن هؤلاء بضباط من أبناء الطائفة.
ـ وخلال أشهر قليلة بعد هذا الانقلاب المشؤوم، أبعدوا خصومهم من العسكريين البارزين الناصريين والوحدويين والمستقلين، عن المراكز الحساسة في الجيش.. فكان لذلك أثره في سيطرة الطائفة على معظم قيادات الجيش القريبة من دمشق، وتنشيط فروع الحزب في محافظة اللاذقية، وخاصة الموالين لهم، على حساب الفروع الأخرى.
ـ كما أنهم كثفوا جهودهم في قبول عدد كبير من أبناء طائفتهم في الكلية العسكرية والحرس القومي والمخابرات..
وفي ضوء الانقلاب الفاشل الذي قام بن جاسم علوان عقد في حمص بعد 18/تموز/1963م، مؤتمر حضره عدد كبير من زعماء الطائفة النصيرية وضباطها البارزين منهم: محمد عمران ـ إبراهيم ماخوس ـ حافظ الأسد، صلاح جديد وغيرهم . انظر : أبو موسى الحريري "العلويون النصيريون" بيروت 1980م/ص234 - 236، والنصيرية: تقي شرف الدين/ص169 - 173.

المؤتمر النصيري المنعقد في حمص/1963م والقرارات الخطيرة

كان مؤتمر حمص أبرز مؤتمرات الطائفة النصيرية من أجل التخطيط للاستيلاء على السلطة في سوريا، وقد دأبوا على التآمر والتخطيط منذ بداية الاستقلال.

وقد عقد الضباط النصيريون مؤتمراً في قرداحة عام/1960م لهذا الغرض، كما أنه حضر في مؤتمر حمص عام/1963م مشايخ الطائفة وعدد من كبار الضباط، وتوصلوا إلى ضرورة قيام الدولة النصيرية، تحت ستار حزب البعث مؤقتاً .

وحضر ذلك المؤتمر: محمد عمران، وصلاح جديد، وحافظ الأسد، وعزت جديد، وإبراهيم ماخوس، وقد وزعت عليهم الألقاب والرتب الطائفية السرية.

وحضر من مشايخ الطائفة: الشيخ علي ضحيَّة، والشيخ أحمد سليمان الأحمد، والشيخ سليمان العلي، وآخرون [13].

وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات التالية:

1- ترفيع محمد نبهان إلى رتبة "نجيب"تقديراً لدوره في انقلاب 18/تموز/1963، فقد اشترك "مُدسوساً " ومن خلاله تمكن النصيريون من الاطلاع على نوايا وخطط الناصريين فباء انقلابهم بالفشل [14].

2- منح محمد عمران الوشاح البابي الأقدس، وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريين.

3- تنشيط العمل بالمخطط الموضوع، حول انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسمه في مؤسسات الجيش، إثر قرار اتخذ بتكليف من مشايخ الطائفة لدعوة أبنائها بضرورة الانخراط في القوات المسلحة.

4- التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية، وجعل عاصمتها مدينة حمص.

5- تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية في الجيش ومنحه رتبة دينية رفيعة "مقدّم."

كما منح حافظ أسد رتبة "نجيب"، أما عزت جديد وعلي حماد، فقد منح كل منهما رتبة "المختص"[15].

6- مواصلة نزوح النصيريين من قرى الريف والجبل إلى المدن وخاصة حمص واللاذقية وطرطوس.

7- التغرير بالضباط الدروز والإسماعيليين، للتعاون معهم مؤقتاً، ثم استئصالهم وإبعادهم عن صفوف الجيش، وإحلال عناصر نصيرية محلهم مستقبلاً .

8- تسليم القيادة السياسية إلى إبراهيم ماخوس، ثم إعداده ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيرية المنشودة على أثر قرار طائفي، لإحلاله محل والده في رتبته الدينية [16].

ومن أنظمة الطائفة النصيرية وأعرافها، أن للأحلاف والعشائر النصيرية في سوريا أكثر من زعيم أو رئيس، ويكون على رأس كل عشيرة شخص يدعى "مقدم؛ ورغم أنّ زعامة العشيرة كانت تنتقل عن طريق الوراثة، إلا أنه كان بالإمكان الوصول إليها عن طريق مؤهلات شخصية، أو التأثير في الأحداث، كعائلة الأسد أخيراً، إذ اكتسبت مكانتها عن طريق النفوذ الكبير الذي حققته العائلة على صعيد الجيش ومؤسسات السلطة[17].

وبذلك فقد تحددت معالم المخطط النصيري:

فقد استمر أبناء الطائفة من الضباط في إقامة تكتلات عسكرية خاصة بهم، وأصبح اللواء صلاح جديد ـ رئيس الأركان السوري ـ يتلقى المزيد من الدعم من قبل الضباط النصيريين.

وقد أحس بهذا الاتجاه كل من أمين الحافظ ـ رئيس الدولة ـ والمقدم أحمد السويداني، رئيس المخابرات العسكرية، وانتقدا (محمد عمران) لنشره الطائفية وتعزيزها، وشاركهما في الانتقاد ظاهرياً كل من صلاح جديد وحافظ أسد بعد انكشاف أمر محمد عمران بصورة ملفتة للنظر...

وقد تمكن الأسد وجديد من إخفاء نزعتهما الطائفية إلى حين، واستمرا في مواقعهما القيادية بفضل الدعم الكبير لهما من الضباط النصيريين، وكان الجميع ينتظرون الفرصة الملائمة لتنفيذ المخطط المرسوم، على عكس محمد عمران الذي حاول تنفيذ المخطط سريعاً .

وقد ظهرت بوادر تنفيذ هذا المخطط، من خلال دعم الضباط الدروز (حمد عبيد وسليم حاطوم" والإسماعيليين "أحمد المير وعبد الكريم الجندي"، حيث استطاع صلاح جديد أن يكسب ولاء هؤلاء وفق المخطط النصيري المرسوم.

وظهر ذلك واضحاً عندما رفض صلاح جديد وبقية الموالين له من الضباط النصيريين، التقارب مع مصر والعراق تحت ذرائع عدة، وضرورة التوجه إلى الداخل، مما سبب توتر الأوضاع، واستمرت الطائفة النصيرية في مخططها المرسوم في مناهضة قرارات القيادة القومية، وإزاحة الكثير من الضباط السنة، وإحلال النصيريين محلهم[18].

استمرار المخططات النصيرية:

لم تتوقف اجتماعات القيادة النصيرية بعد مؤتمر حمص الكبير/1963م، فقد توالت الاجتماعات تخطط وتتآمر وذلك في:

- جب الجراح "وتقع قرب حمص" في 1968/1/31، وتقرر فيها إنهاء دور المسلمين في سوريا، وتصفية قوى الدروز والنصارى.
- وفي صبورة الواقعة قرب دمشق بتاريخ 14/نيسان/1968م.
- والثالث في دمشق في الأول من شهر أيار/1968م، والرابع في بيت حافظ الأسد، وقد ضم كلاً من صلاح جديد، وإبراهيم ماخوس، وشفيق عبدو، وأحمد سليمان الأحمد، وعلي نعيسة، ومحمد الفاضل، وعزت جديد، وسهيل حسن، وآخرين [19].

ولعل كثافة هذه الاجتماعات جاءت لاقتسام الغنائم بعد عام 1967م.

---

[13]ينظر: العلويون النصيريون، أبو موسى الحريري/ص234 - 236، والنصيرية: تقي شرف الدين/ ص169 وما بعدها.

[14]النجيب رتبة دينية سرية عند النصيريين، وكذلك: رتبة الوشاح البابي وهي من الرتب العليا لدى الطائفة، ومن تلك الرتب: رتبة المقدم والمختص.

[15]انظر الهامش السابق.

[16]النصيرية: تقي شرف الدين/ بيروت/1968، ص171، وأبو موسى الحريري: العلويون النصيريون/ص235 - 236.

[17]النصيرية: تقي شرف الدين/ص170.

[18]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص172 - 173.

[19]العلويون النصيريون: أبو موسى الحريري /ص236 - 237.

تغلغل النصيريين في المؤسسات السياسية[20]

عندما أدرك النصيريون حقيقة الاتجاه القومي في سوريا، بدأوا يتسللون إلى الأحزاب ذات النهج القومي، متخذين منها غطاءً لتحقيق مخططاتهم الخبيثة والعدوانية تجاه المجتمع العربي الإسلامي ومبرراً لاقتناص الفرص المواتية في التوصل إلى سدة الحكم.. مع التركيز على أهداف الطائفة النصيرية... والمسلك الباطني المزدوج الانتهازي في كل مراحل تاريخهم.
ولطالما تعاونوا مع أعداء المسلمين خلال الحروب الصليبية، وغزو التيار لديار المسلمين، ناهيك عن دولتهم تحت النفوذ الفرنسي وتوسلهم إلى دولة المستعمر الفرنسي، حتى يبقي لهم دويلتهم الطائفية، بعيداً عن العاصمة دمشق[21]

وللطائفة النصيرية تطلعات مشبوهة وأهداف مريبة، كانت نتيجة لعوامل كثيرة من أبرزها:
1- انغلاق الطائفة على نفسها، رغم تقدم وسائل المواصلات، واحتكاك الطوائف ببعضها وخاصة بعد الاستقلال.. ورغم توحيد مناهج التعليم في البلاد، فقد استمروا في المحافظة على عقائدهم الضالة وعاداتهم المتخلفة، إلى جانب حفاظهم على المكاسب السياسية التي تم إنجازها في ظل الاحتلال الفرنسي، مع مواصلة العمل المتنوع الأساليب، وصولاً لأهدافهم الطائفية والسياسية الأخرى.

2- غلبة الولاءات الإقليمية لأبناء الطائفة على الولاء الحزبي أياً كان هذا الحزب.
فقد وجدت الطائفة أن أهداف حزب البعث القومية سوف تؤثر على أهدافهم، فسعوا للانضمام إليه بغية العمل على تهديمه من الداخل وتحريف وتشويه أهدافه، كما أن الدعوة للوحدة العربية سوف يُلغي دورها كطائفة صغيرة، لها طموحاتها في إقامة دولتها الطائفية الخاصة.
يقول الدكتور منيف الرزاز: "لما تم لهذه الفئة (بعد 23/ شباط 1966م" الأمر، انطلقت تتخلص من الحزبيين الذين لم يرضخوا لقيادتها،... هدفت إلى إنهاء حزب البعث وأنهته، وأحلت محله تنظيماً انتهازياً تابعاً للسلطة.. ثم انتهت بوضع البعثيين في السجون، واتهمتهم بالخيانة والتحالف مع الاستعمار والرجعية"[22]
كما انضم بعضهم إلى أحزاب سياسية أخرى، لإكمال نشاطهم المشبوه، فقد اغتيل العقيد عدنان المالكي رئيس الأركان العامة على يد عريف نصيري ينتمي إلى الطائفة النصيرية، وكان وراء هذا الاغتيال الضابط النصيري (غسان جديد) وهو شقيق صلاح جديد، وينتمي للحزب القومي السوري، وقد اتهم بصلته بالولايات المتحدة فسرحه عدنان المالكي من الخدمة، وكان الكثير من أبناء الطائفة في تلك الفترة ينتمون للحزب القومي السوري[23]
وكان انضمامهم لحزب البعث وغيره، أملاً في تسلم السلطة السياسية عن أي طريق ينتهزون فيه الفرصة، ساعين لإنهاء السيطرة للأغلبية المسلمة على الحياة السياسية السورية.

3- استمرار النصيريين في الهيمنة على الحزب، ويتضح ذلك من خلال الوقائع التالية[24]:
أ - إن قرار المكتب التنظيمي للحزب الذي شكل بعد انقلاب الثامن من آذار/1963، قد وظف لصالح الطائفة النصيرية التي استغلت إجراءات مرنة لقبول العديد من أبنائها في جهاز الحزب أعضاء عاملين دون توفر الشروط المطلوبة، فحدث تحول مريع في تركيبة كثير من فروع الحزب لصالحهم...
وظهر إلى الوجود عدد من الكتب الحزبية ذات ارتباطات طائفية وإقليمية، وليست ارتباطات فكرية حزبية.

"فقد تضاعفت بسبب ذلك عضوية الحزب إلى عشرة أضعاف، وسمي ذلك القرار بقرار "الزحف وسط الجماهير" وهذه الإجراءات الحزبية المتساهلة أدت إلى نشاط محموم بين فروع الحزب وشخصياته للتحكم بالكمية الهائلة من الأعضاء الجدد... ولذلك تحولت فروع الحزب في المحافظات إلى مواطئ قبلية وطائفية وعائلية... ففتح المجال على مصراعيه داخل الحزب للمقاييس القبلية والطائفية والعائلية" [25].

ب - إن فرعي حماة ودمشق للحزب لم يتلقيا إلا القليل من الدعم المادي والمعنوي من قبل اللجنة العسكرية التي يهيمن عليها النصيريون، وقد جمد نشاط فرع دمشق عام/1964م، كما أن المكتب الفلاحي لحزب البعث أصدر تقريراً عام/1965م، يشير إلى أنه بسبب الضغوطات الطائفية للنصيرية لم يتم اكتساب أعضاء جدد إلى تنظيم اتحاد الفلاحين في مناطق معينة إلا إذا كانوا من أبناء الطائفة، الأمر الذي دفع بالفلاحين المسلمين إلى عدم الانضمام إلى الحزب في مرحلة لاحقة، وخاصة بعد انقلاب 23/شباط/1966م.

ج - لاحظ التقرير التنظيمي المقدم للمؤتمر القطري السوري الثاني لحزب البعث المنعقد في آذار ونيسان/1965م، أن أعضاء فرع الحزب في محافظة اللاذقية بشكل خاص، كانوا أكثر عدداً مقارنة مع أعضاء فروع الحزب الأخرى...

فازداد حجم الفرع المدني في ذلك الإقليم بسبب سيطرة العسكريين النصيريين على مقدرات الحزب، تكثيراً للأنصار ليكون موقفهم أقوى من منافسيهم العسكريين ضمن إطار الحزب.

وبذلك يلاحظ أن العلاقات الشخصية والمنفعية للنصيريين وحلفائهم، أصبحت هي الأساس في التحالفات السياسية، خلال الأعوام "1963 - 1966م"[26].

وفي المباحث القادمة سنتحدث عن بقية عناصر المؤامرة وخبث التخطيط الماكر.

---

[20]ينظر: النصيرية/ تقي شرف الدين، ص179 - 186.
[21]ينظر تفصيلاً لذلك: الباب الرابع من هذا الكتاب/ فصل النصيرية.
[22]التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ص260.
[23]النصيرية: تقي شرف الدين/ص182 - 183.
[24]النصيرية: تقي شرف الدين/ص185.
[25]التجربة المرة/ منيف الرزاز/ص110.
[26]ينظر: النصيرية، تقي شرف الدين/ص185 - 186.

المبحث الثالث

الصراع بين أجنحة حزب البعث

بعد الانقلاب العسكري الفاشل الذي قاده الناصريون في 18/تموز/1963م، بدأ الصراع داخل الكتلة العسكرية لحزب البعث يتبلور، وبدأ قادة النصيرية في الجيش، يكرسون سيطرتهم على السلطة والمؤسسة العسكرية، بعد مناشدة صاخبة للولاءات الطائفية والقبلية والعائلية، في أوساط الطائفة النصيرية.

وقد أدى هذا التوجه إلى "انهيار كبير في نظام الحزب العلماني الذي أنشئ وهو يدعو إلى إقصاء الانتماءات الدينية والقبلية... إلا أن رائحة التوجه الطائفي بدأت تظهر همساً، ثم أخذت ترتفع وتطورت الأصوات إلى اتهامات صارخة [27].

وكانت المهمات داخل المؤسسة العسكرية، قد وزعت بتخطيط محكم، فالضباط النصيريون تمركزوا في العاصمة دمشق أو قريباً منها، بينما أوكلت المهمات للضباط السنة بعيداً عن العاصمة، وغالباً على الحدود مع إسرائيل، ليكونوا بعيدين عن مجرى الأحداث.

وقد كرس الثلاثي النصيري "محمد عمران ـ حافظ الأسد ـ صلاح جديد" جهودهم لتكثيف الأعداد الهائلة من النصيريين في أجهزة القيادة داخل العاصمة، ومن ثم تشتيت العناصر السنية في المحافظات والقرى النائية، وكانت هذه السياسة لصالح النصيريين في انقلاب 23/شباط/1966[28]

[27]التجربة المرة: منيف الرزاز، ومجلة الدعوة المصرية العدد (72) مقال بعنوان: (سقوط سوريا في براثن الأقليات الطائفية)

[28]مجلة الدعوة المصرية/العدد (72).

سيطرة الثالوث النصيري: عمران ـ جديد ـ الأسد

ازدادت الممارسات الطائفية، في الجيش والسلطة، وسارعت بعض العناصر النصيرية إلى المجاهرة بالنشاط الطائفي مما ساهم في استيقاظ المشاعر الإسلامية السنية في الجيش، وأدى ذلك إلى إقصاء محمد عمران لمجاهرته بالباطنية..
فقد كان محمد عمران يقول في كل مناسبة: "إن الباطنية، يجب أن تأخذ دورها في تحسين أوضاع تلك الأقليات، وتأخذ دورها ضد عدوها المشترك" "وأن الفاطمية يجب أن تأخذ دورها من جديد"[29].
وقد تمكن صلاح جديد وأمين الحافظ من التخلص من اللواء محمد عمران وإبعاده عن الجيش (في كانون الأول من عام/1964م) وترحيله إلى لبنان، بتهمة بناء كتلة طائفية نصيرية داخل الجيش... ولم يقتصر اتهام عمران على ضباط السنة كالحافظ وموسى الزعبي، بل تعداه إلى ضباط نصيريين بارزين، كصلاح جديد وحافظ الأسد.
ورغم أن جديد والأسد لا يختلفان عن عمران طائفياً، إلا أنهما تمتعا بقدر من التمهل والروية، بحيث لم يعلنا عن ذلك التوجه صراحة كما فعل عمران، بل استمرا في التخطيط الهادئ، مستخدمين الازدواجية والتقية، حتى توصلا أخيراً إلى تحقيق أهداف الطائفة[30].
وقد تحدثت الصحف اللبنانية في عدة مقالات عن الوضع الطائفي داخل الجيش السوري، وأضافت إلى ما سبق أن المناقشات بين القادة النصيريين تعود لاختلافات عشائرية، مشيرة إلى أن محمد عمران ينحدر من اتحاد الخياطين العشائري العلوي، بينما ينحدر صلاح جديد من اتحاد الحدادين [31].

وبدأت المسألة الطائفية تبحث صراحة في اجتماعات الحزب، وأبدى أمين الحافظ قلقه من صلاح جديد الذي نشط على الصعيد النصيري بعد إزاحة عمران، وبدأ الانشطار يأخذ مداه على صعيد الجيش، وفي النصف الثاني من عام/1965م بدأت المواجهة بين الحافظ وجديد، واستطاع صلاح جديد أن يستميل بعض القيادات الدرزية العسكرية وخاصة: سليم حاطوم وحمد عبيد.
أما الإسماعيليون ـ مثل أحمد المير وعبد الكريم الجندي ـ فلم يترددوا في الانضمام إلى صلاح جديد وقد بدأت المنافسة واضحة خلال الاجتماعات الحزبية والعسكرية، فكان أمين الحافظ يتطرق باستمرار لموضوع الطائفية ويتهم جديد بها، وكان ينتقده بشدة ببناء (كتلته العلوية) داخل الجيش ...فكان ذلك يزيد من نفور الضباط النصيريين من أمين الحافظ (رئيس الدولة) فيلتفون حول صلاح جديد، كما كان عدد من الضباط السنة يلتفون حول الحافظ، رغم معارضتهم لتكوين كتلة طائفية [32].
وخلال هذا الصراع الطائفي والتكتل الباطني ضد أمين الحافظ وجماعته، أصبح هذا الأمر شأناً يومياً، في أجهزة الحزب المدنية والقيادة القطرية، التي كان يسيطر عليها صلاح جديد وجماعته، والقيادة القومية التي كان يسيطر عليها أمين الحافظ وجماعته، بما فيهم مؤسس الحزب ميشييل "عفلق"، والحقيقة أن القيادة القومية للحزب بدأت تفقد سيطرتها على الأمور منذ انقلاب 8/آذار/1963م [33].
وكانت خطوات التأميم في القطاع المصرفي وغيره قد أحدثت اعتراضات وقيام مظاهرات معادية للدولة، وكانت خطوات التأميم قد تمت دون علم رئيس الحكومة، وكان الطاقم البعثي القديم وأمين الحافظ يقفون في وجه التجمع النصيري السري أو التقدميين كما يزعمون.

وفي عام/1965م، أقصي ميشيل عفلق عن منصب الأمانة العامة لصالح منيف الرزاز من الأردن...
وضمن الصراع العنيف بين أجنحة الحزب، بادر أمين الحافظ إلى حل القيادة القطرية في 1965/12/21م، ووضعت تحت تصرف القيادة القومية للحزب، وقرر الحافظ تشكيل حكومة جديدة ترأسها صلاح البيطار.. مما عجل في قيام انقلاب جديد ضده يقوده حاطوم وجديد والتجمع الطائفي.
وذلك في 23/شباط/1966م [34].

---

[29]يقصد بالباطنية والفاطمية: الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وعدوهم المشترك آنذاك: أمين الحافظ رئيس الجمهورية
[30]ينظر: الصراع على السلطة في سوريا/ص71، والتجربة المرة للرزاز/ص115 - 117، ومقابلة للدكتور نيقولاوس فان دام مع الرزاز في عمان/في 5 أيلول/1967م،ص71.
[31]جريدة الحياة البيروتية: في 1965/2/10م، 1966/2/15، وجريدة النهار البيروتية: 1964/12/15م.
[32]التجربة المرة/ص160، والصراع على السلطة: فان دام ومقابلة له مع الرزاز في عمان في 22/تشرين الثاني/1974م (ص76 – 77)
[33]ينظر التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ص160، والصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام/ص77 - 78.
[34]هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني/ص161 والنصيرية: تقي شرف الدين/ص173.

انقلاب 23 شباط/1966م والإطاحة بأمين الحافظ

وفي هذا الانقلاب تمت الإطاحة بأمين الحافظ رئيس الدولة، وبمعارضي صلاح جديد، كما تم الإجهاز على القيادة القومية بهذا الانقلاب العسكري الدموي، بقيادة سليم حاطوم وعزت جديد ـ وآخرين.
فقد احتشدت الوحدات المسلحة المتمركزة حول دمشق، والواقعة تحت سيطرة الضباط النصيريين والدروز، وجاءت المعارضة الرئيسية للانقلاب من المحافظات البعيدة عن العاصمة، حيث حاول العديد من الضباط السنة المساندين للحافظ أن يحولوا الموقف العسكري لصالحهم[35].

وأسفر الانقلاب الجديد عن تصفية ضباط السنة البارزين، كما تم تسريح بقية أعضاء كتلة محمد عمران، وكانت نسبة كبيرة وملفتة للنظر، من الذين تمت تصفيتهم بهذا الانقلاب من أهل السنة، ونتج عن ذلك ازدياد تمثيل الأقليات الدينية مرة أخرى...[36].
وعلى الرغم من أن صلاح جديد أصبح أقوى أركان النظام السوري بعد هذا الانقلاب، إلا أنه عين نور الدين الأتاسي رئيساً للجمهورية، ويوسف زعين رئيساً للوزراء من غير أبناء الطائفة النصيرية، لإخفاء حقيقة أبعاد الانقلاب النصيري، كما أنه كان يدرك تماماً صعوبة تولي رئاسة الجمهورية لنصيري آنذاك، ولذلك شكل تحالفاً صورياً مع هؤلاء، بحيث يشغل النصيريون المراكز الحساسة في الدولة، وعلى سبيل المثال تم تعيين حافظ الأسد وزيراً للدفاع، وإبراهيم ماخوس وزيراً للخارجية[37]
وانتهجت الحكومة السورية في عهد جناح صلاح جديد سياسة متشددة في مجال العلاقات السورية الإسرائيلية (ظاهرياً) وتأييد الفدائيين وانطلاقهم من أراضي سوريا، مما صعد الأحداث وزاد التوتر، فهددت إسرائيل في عهد إشكول باحتلال دمشق، مما مهد لحرب حزيران/1967، وسقطت على إثرها الجولان [38].
وظهر آنذاك خط ينادي بتطبيق الماركسية ودعم الكفاح المسلح الفلسطيني من الأراضي السورية، وتبنى هذا الخط عبد الكريم الجندي "إسماعيلي" ومؤيدوه، ثم ظهر خط راديكالي آخر ينادي بإصلاحات ذات طابع اشتراكي، وطالب بقطع خط البترول التابع لشركة نفط العراق، وتخريب خط أرامكو، وتزعّم هذا الخط صلاح جديد ونور الدين الأتاسي.
وفي نهاية عام/1967، تشكلت (قوات الصاعقة) وكانت مهمتها دعم العمل الفدائي ضد إسرائيل، وهي تابعة لحزب البعث.. وقامت الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش بخطف طائرات مدنية غربية مؤيدة لإسرائيل، وأجبرت على الهبوط في مدينة الزرقاء الأردنية، وذلك في 5/أيلول/1970م، دون علم الحكومة الأردنية، وتطور هذا الحدث إلى مجزرة دامية في الأردن، سميت بـ "أيلول الأسود"، وقد استمر القتال في تلك المعارك مدة عشرة أيام، بين الجيش الأردني والمنظمات الفلسطينية.
وأرسل وزير الدفاع السوري آنذاك "حافظ الأسد" لواء مدرعاً إلى الأردن في 20/أيلول/1970م، فاستولى على مدينة إربد، وسلمها للقوات الفلسطينية، ثم انسحب إلى درعا[39].
لقد كانت المأساة حادة دموية، تتسم باللامسؤولية وساءت علاقات حكومة سوريا مع جيرانها العرب، نتيجة تلك التشنجات، كما تورطت مع إسرائيل، ولم تستعد للمواجهة، فكانت هزيمة

حزيران/ عام1967 م، أو قل تسليم الجولان، وقد سبق تلك الهزيمة، إشاعة الإرهاب والمجاهرة بالإلحاد في الأوساط السورية. فكان الوضع مريباً أسود قاتماً [40].

---

[35]ينظر: التجربة المرة/ص159، والتقرير الوثائقي للحزب/ص33 - 34.
[36]الصراع على السلطة في سوريا/ص83، ونشرات القيادة القطرية السورية لحزب البعث/في14، 17، تموز/1966.
[37]النصيرية: تقي شرف الدين/ص174 - 175.
[38]تاريخ العالم العربي/فرانتس/شيبانت، سلوى الخماش/1395 - 1975م/ وفصل سوريا للخماش ص270 - 271.
[39]هؤلاء حكموا سوريا: سليمان المدني/ص172 - 174.
[40]سيأتي تفصيل ذلكفي الفصول القادمة، إن شاء الله.

النصيريون يتخلصون من باقي الطوائف

إكمالاً لمخططات الطائفة
بعد إقصاء أمين الحافظ وعصابته، وبعد إكمال سيطرة النصيريين على الجيش والحزب وأجهزة الأمن، جاءت المرحلة الثانية من المخطط النصيري، التي استهدفت إبعاد من تبقى من الضباط البارزين من أهل السنة، ثم التخلص من أبناء الأقليات الأخرى وإبعادهم عن القوات المسلحة ومراكز الدولة الحساسة وتم ذلك على النحو التالي:

أ - إبعاد الضباط المسلمين والقيادات الحزبية عن مراكز القوة [41].
ما بين الأعوام (1963 - 1966م) كانوا قد تخلصوا من أبرز ضباط أهل السنة تحت مسميات مختلفة، واستمرت هذه التصفيات بعد انقلاب (23/شباط/1966م)
ففي أوائل عام/1967م، تمت محاكمة عدد من الضباط المسلمين بتهمة الاشتراك في انقلاب خططت له القيادة القومية.
فاستقال العديد من قادة الفروع والشُّعَب والفرق من حزب البعث احتجاجاً على الهيمنة النصيرية على جهاز الحزب والقوات المسلحة، وخاصة في منطقة حوران.
وفي تلك المرحلة كان قد تم تسريح كبار الضباط السنة من أهالي حوران من الجيش عام/1966م، أمثال موسى الزعبي ومصطفى الحاج علي، وكانا عضوين في اللجنة العسكرية البعثية.
وقد هددت بعض القيادات الحزبية في محافظة درعا، بالاستقالة إذا استمر صلاح جديد وحافظ أسد على نهجهما الطائفي.
فاستقال ثلاثة وزراء هم: محمد الزعبي، وصالح محاميد "من أهل السنة"، ومشهور زيتون "نصراني من حوران"[42].
كما أن الطائفة النصيرية بدأت تتخلص من معظم العناصر الحورانية بعد حرب حزيران عام 1967م، وكان الكتلة الحورانية داخل الجيش، تكتسب قوتها دائماً من خلال التحالف مع صلاح جديد وسليم حاطوم.. فتخلصت منها، كما تخلصت من القيادات الحزبية البارزة من المدنيين من محافظة درعا.
وفي 15/شباط، عام/1968م، أعفي اللواء أحمد السويداني ـ رئيس الأركان ـ من منصبه، بعد أن اتهم بمحاولة انقلابية في شهر آب/1968م، وكان فيما سبق من أبرز أنصار صلاح جديد، وهو ضابط يعتبر من أهل السنة في حوران، ثم اعتقل في شهر أيلول/1969م، كما اعتقل كثير من أنصاره... وأودع سجن المزة، حتى شهر شباط/1994م، بعد أن قضى في سجنه حوالي (25 عاماً) [43] وبذلك تم إبعاد معظم الضباط المسلمين، ضمن مخطط رهيب مدروس.هذا رغم أن كثيراً من القيادات البعثية السنية لا تقل خبثاً وفجوراً وحقداً على الإسلام من النصيريين والدروز.

ب - إبعاد الضباط الدروز [44].
على إثر انقلاب 23/شباط كان قد تم تعيين حافظ الأسد وزيراً للدفاع، وقد لاقى ذلك انتقاداً شديداً وخاصة من قبل أبناء الطائفة الدرزية، إذ كان من المتوقع أن يشغل هذا المنصب "حمد عبيد"، وذلك أنه شغل هذا المنصب أيام حكومة زعيّن، وكان من أبرز أعوان صلاح جديد، ولم

يُعَدُ انتخابه عضواً في القيادة القطرية، فخطط لانقلاب معاكس باء بالفشل وأدى إلى اعتقاله، واعتقال المشاركين معه.
أما سليم حاطوم، فلم يكافأ على دوره في انقلاب 23/شباط وإسقاط أمين الحافظ، وما أعيد انتخابه عضواً في القيادة القطرية الجديدة، فشرع بإقامة تنظيم عسكري سري بقيادة اللواء فهد الشاعر ـ درزي ـ ضم عدداً من الضباط ولم يقبل فيه أي نصيري.
ومن ثم قام بمحاولة انقلابية أخرى انتهت بالفشل في: 8/أيلول/1966م، هرب على أثرها حاطوم وطلال أبو عسلي إلى الأردن، كما أبعد اللواء الدرزي فهد الشاعر عن القوات المسلحة، وأجبر عشرات الضباط الدروز على مغادرة سوريا، وشل تنظيم الحزب في منطقة جبل الدروز، وفي شهر آذار/1976م، حوكم الكثير من أبناء الطائفة الدرزية، بتهمة المشاركة في انقلاب على السلطة، والتحريض على الحرب الأهلية، وصدرت قرارات تقضي بإعدام وسجن مجموعة منهم، وإبعاد ضباط آخرين إلى مواقع غير مهمة[45].

ج - إبعاد الضباط الإسماعيليين:
قبل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي (في دمشق في آذار/1969م) بفترة وجيزة أحاط أنصار حافظ الأسد العسكريين بمقر العقيد عبد الكريم الجندي، الذي يعد أحد الأنصار المتحمسين لصلاح جديد، والذي كان يشغل منصب رئيس الأمن القومي والاستخبارات العامة، واختطفوا عدداً من مساعديه وأنصاره، مما دفع بالجندي إلى الانتحار، وبانتحاره وبإبعاد أحمد المير عن الجيش والسلطة يمكن القول: إن دور الإسماعيليين قد أصبح هامشياً في السلطة، وخاصة بعد تسلم حافظ الأسد لها[46].
وبذلك صفيت الأقليات الطائفية من الدروز والإسماعيليين، بعدما استخدمت من قبل النصيريين لتصفية أهل السنة من الجيش ومؤسسات الدولة.
ولم ينته المخطط عند هذا الحد، فللنصيريين تطلعاتهم في إقامة دولتهم الباطنية على قسم كبير من بلاد الشام، بالتعاون مع قوى الشر العالمية، مما سوف نتابعه في الأبواب القادمة؛ بإذن الله.

---

[41]ينظر: النصيرية، تقي شرف الدين/ص176، والصراع على السلطة في سوريا: نيقولاوس فان دام/ص(101 – 102).
[42]ينظر جريدة الحياة تاريخ: 1967/3/12م.
[43]جريدة الحياة في /شهر شباط/1994.
[44]سنفصل الصراع بين الدروز والنصيرين في الفصل القادم.
[45]ينظر: النصيرية/ تقي شرف الدين/ص177 - 179.
[46]المرجع السابق/ص179.

ماذا قال الرفاق الحزبيون عن بعضهم

بعد انقلاب 23/شباط/1966م كانت قد سقطت القيادة القومية في سوريا، وأبعدت رموزها، بعد حكم دام قرابة ثلاث سنوات، منذ 8/آذار1963 حتى 23م/شباط/1966
وكان في تلك القيادة ميشيل عفلق ومنيف الرزاز وأمين الحافظ، فكيف ذَمَّ تقويم تلك الفترة، وماذا قيل عن أصحاب هذا الاتجاه من قبل الانقلابيين الجدد؟!

يجيبنا على هذا السؤال المؤتمر القطري الاستثنائي المنعقد ما بين (10 - 27 آذار/1966م) فيقول تحت عنوان: تجربة الثورة من خلال التناقض في قيادة الحزب والسلطة:
"كان الزمن يزيد تلك التناقضات عمقاً واتساعاً ... فقد ابتليت قيادة الحزب والثورة بوجود عقلية يمينية إصلاحية غير مؤمنة باستمرار الحزب وخطه الثوري، إضافة إلى وجود عقلية فردية عملت على تعطيل دور الحزب وتجاوز مؤسساته، والتمهيد لقيام حكم فردي ديكتاتوري.
كما حاولت تلك القيادة بعقليتها الانتهازية باستمرار، استغلال مواقعها لضرب الثورة وتنفيذ مخططاتها المشبوهة كما أن العقلية الفردية، عمدت إلى استغلال أجهزة المخابرات والأمن، وتضخيم صلاحيتها وحرفها عن مهمتها الأساسية [47].
ويقول حافظ الأسد مصوراً الخلافات بين الطرفين:
"كان الكثيرون يتمنون تغييراً في القيادة وإقصاء المسؤولين اليمينيين الذين كان وجودهم يتعارض مع أهداف الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية"؟!!
"وبعد 8/آذار/1963م، أصبح التوفيق بين وجهات النظر أكثر صعوبة، وكان المنطق يقتضي صيغة معينة للخروج من هذا الوضع". "وقد تم في آذار انتخاب قيادة قطرية جديدة، أخذت على عاتقها حل القيادة القومية المشكلة في آيار من عام/1965م، على أنها غير شرعية، وقد لجأ بعض أعضاء هذه القيادة إلى الخارج، واتخذوا بغداد مقراً للقيادة القومية."
وقد شهد المؤتمر القومي التاسع للحزب ميلاد قيادة قومية جديدة في (تشرين الأول/1966م) برئاسة نور الدين الأتاسي، وصار صالح جديد هو الأمين العام المساعد لتلك القيادة [48].
ولنستمع الآن إلى رأي القيادة القومية السابقة في قادة الانقلاب الجديد "بعد 23/شباط/1966م.
يقول منيف الرزاز الأمين العام السابق لحزب البعث، تحت عنوان: (من هذه الفئة)؟!
يقول: "هذا هو حاكم سوريا الآن وهؤلاء هم حكامها... فئة صغيرة من ضباط الجيش، هدفت هذه الفئة إلى الاستيلاء على الجيش، فباسم الحزب تخلصت أولاً من جميع العناصر الحزبية: انفصالية ووحدوية.
فلما تم لها الأمر، انطلقت تتخلص من الحزبيين الآخرين.
وباسم تكوين جيش عقائدي، كونت الجيش العشائري، هدفها من ذلك إنهاء حزب البعث وأنهته، وأحلت محله تنظيماً انتهازياً تابعاً للسلطة، خاضعاً للأوامر... ثم انتهت بوضع البعثيين في السجون، واتهامهم بالخيانة والتحالف مع الاستعمار والرجعية" [49].
ويصف الرزاز مأساة الرفاق في ذلك الانقلاب فيقول:
"منذ الدقائق الأولى لانقلاب 23/شباط/1966م، أعلن الانقلابيون أنهم ألقوا القبض على الفريق أمين الحافظ رئيس الدولة، وعلى قائد الحزب ومؤسسه الأستاذ ميشيل عفلق وعلى أمينه العام منيف الرزاز، والأمين العام المساعد شبلي العيسمي، وعلى عضو القيادة القومية منصور الأطرش، وعلى رئيس الوزراء صلاح البيطار وآخرين من أعضاء القيادة القومية، ونقل معظمهم إلى سجن تدمر)[50]
ويقول زهير الماريني وهو بعثي قديم [51]مصوراً حادث الانقلاب صباح ذلك اليوم، وكان معه أحد قياديي الحزب، وكان هذا القيادي البعثي يقول له: "أتسمع الرصاص، أتسمع صوت

المدافع؟! إنهم الرفاق يقتتلون" "ماذا سيقول الناس عنا، ماذا سيقول العرب؟! لقد أشبعناهم صياحاً بأن الجيش السوري لن يقاتل إلا أعداء الأمة العربية، وهانحن نتذابح."...
"أنت تعلم أن جميع الحلول السلمية لم تجد نفعاً، لقد حاولنا. تجنب الصدام، لكنهم أرادوها مضمخة بالدم، دم الرفاق [52].
فهذه هي أخلاقيات هذا الحزب الهجين، وهذه هي الاتهامات الموجهة إلى بعضهم:
"دكتاتورية ـ انتهازية ـ خيانة ـ يمين ـ يسار ـ تنكر لمبادئ الحزب ـ طائفية وعشائرية."...
إذا كانت هذه مواقفهم ضد بعضهم، فما بالك بتعاملهم مع الآخرين؟!
أما حزب البعث في العراق، فوجه آخر للعملة البعثية إلا أن نكهة الدماء الثورية ورائحة السجون، كانت أكثر وضوحاً وأشد جلاء لدى الرفاق في العراق."
"فقد أطاح صدام حسين بأحمد حسن البكر في 17/تموز/1979م وقام بتصفية أنصار البكر، فأعدم أكثر من "22 شخصاً منهم" وقد اتهموا بالعمالة والرجعية، وأتابع الخط اليميني.. وكانت نهاية المطاف في العراق هجومه على الكويت، وكانت حرب الخليج الثانية، وتدمير العراق شعباً وجيشاً واقتصاداً " [53] وذلك ضمن مسرحية قذرة، لم تكتمل فصولها بعد.

---

[47]مقررات المؤتمر القومي الاستثنائي بين (10 - 27 آذار عام/1966م، ص58/ - 61)، والحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب/ص82 - 83، مكتبة المنار/الأردن ـ الزرقاء/1403هـ - 1983م.
[48]هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني/ص165.
[49]التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ص258 - 260.
[50]المرجع السابق/ص201.
[51]كتاب الأستاذ/ ص328 وما بعدها/زهير الماردينى.
[52]حزب البعث تاريخه وعقائده: سعيد بن ناصر الغامدي (ص22)
[53]المرجع السابق بتصرف وإيجاز/ص24 - 27.

الفصل الثاني: الصراع بين النصيريين والدروز

- تنظيم القيادة القومية بقيادة الرزاز وفهد الشاعر
- تنظيم سليم حاطوم السري
- انقلاب سليم حاطوم في: 8/ أيلول/ 1966م
- مؤتمر حاطوم الصحفي في عمان يتهم فيه النصيريين بالتخطيط لإقامة دولة نصيرية

الفصل الثاني :

الصراع بين النصيريين والدروز[1]

كنا قد تحدثنا في الفصل السابق عن التصفيات التي لحقت بالمسلمين من أهل السنة، سواء في كوادر حزب البعث أو في أوساط ضباط الجيش.

وفي هذا الفصل نتابع تصفية الدروز في الحزب والجيش، وانحصار المسؤوليات في يد مجموعة من الضباط النصيريين.

"1" تنظيم القيادة القومية بقيادة الرزاز وفهد الشاعر:

بعد انقلاب 23/شباط/1966م، تمكن منيف الرزاز الأمين العام للقيادة القومية المخلوعة من النجاة من الاعتقال، والاختفاء في دمشق، وبدأ في تشكيل تنظيم جديد للحزب كان الهدف منه إعادة تقلد القيادة للسلطة.

وقد تسلم الرزاز بنفسه القطاع المدني، بينما تسلم اللواء فهد الشاعر (الدرزي) مهمة إنشاء المكتب العسكري، وتزعم بذلك تنظيم الحزب العسكري.

وتكون المكتب العسكري الجديد على النحو التالي:فهد الشاعر أميناً،صلاح نمور (سني)، مجلي القائد مسيحي (من بصير في حوران)، علي الضمّاد(سني من حوران) [2].

وقد اتهم الرزاز حينذاك، من قبل أنصار القيادة القطرية بإعطائه تعليمات لبعض الضباط وخاصة للرائد مصطفى الحاج علي، والمقدم صلاح نمور، بقبول أعضاء من طوائف معينة (فقط) ضمن تنظيمهم ليستغلوا المشاعر الطائفية، محاولة منهم لإسقاط القيادة القطرية السورية [3].

يقول مؤلف كتاب الصراع على السلطة في سوريا، من خلال مقابلة أجراها مع منيف الرزاز في عمان في وقت لاحق، وقد علق الرزاز على تلك الاتهامات لتنظيمه الجدير بالطائفية بما يلي: "من الأصل لم أستبعد العلويين، بل على العكس، فبعد 23/ شباط، شمل التنظيم المدني (للحزب)الذي أسسناه سراً، شمل عدداً كبيراً من العلويين...

وعندما بدأنا في تأسيس التنظيم العسكري... أصر اللواء فهد الشاعر على استبعاد الضباط العلويين، طالما أن هذا العمل سري، وخشي من اشتراك العلويين، حتى لا يكشف التنظيم السري القائم... لأن الروابط العلوية في ذلك الوقت كانت في أوج قوتها، تأييداً لصلاح جديد وحافظ أسد، ولكن التنظيم المدني كان يضم علويين [4].

وحيث أن فهد الشاعر ـ درزي ـ قليل الثقة بالعناصر النصيرية، فكان من الصعب على أي نصيري أن ينضم إلى الجهاز العسكري التابع للقيادة القومية للحزب، فلم يستطع أن يتحاشى التركيز على العناصر الدرزية.

وصار الصراع (الدرزي ـ النصيري) يتقاذف القيادة القومية والقيادة القطرية للحزب، وصار على كل عضو في الحزب أن يحدد موقفه على هذا الأساس الطائفي الصرف.

لهذا استطاع سليم حاطوم أن يسيطر على فرع الحزب في جبل حوران "الدروز"، كما أنه استطاع أن يسيطر على جهاز القيادة القومية العسكري في منطقة جبل الدروز [5].

[1]انظر مفصلاً : كتاب الصراع على السلطة في سوريا: تأليف الدكتور نيقولاوس فان دام/ ص84 - 102، ومجلة الدعوة الصادرة في القاهرة: العدد (73) بعنوان: الصراع بين العلويين والدروز في الحزب والجيش.

[2]الصراع على السلطة في سوريا/ص84 ومقابلة للمؤلف مع منيف الرزاز في مان في 22/تشرين الثاني/1974م.

[3]جريدة البعث السورية في 6/شباط/1967.

[4]مقابلة مع الرزاز في عمان 1974/11/22م، والصراع على السلطة/ص84 - 85.

[5]مجلة الدعوة المصرية/ العدد (73)

تنظيم سليم حاطوم السري[6]

عقد الحكام السوريون الجدد مؤتمراً قطرياً استثنائياً للحزب. في دمشق بعد انقلاب 23/شباط/1966م، لمناقشة الأسباب التي أدت إلى ذلك الانقلاب.

وقررت القيادة القطرية في ذلك المؤتمر أن يصار إلى معاقبة الأعضاء الذين أججوا الصراع الطائفي داخل الحزب، وأعلن المؤتمر أن (حركة 23 شباط) كانت استجابة من الحزب للرد على "العقلية اليمينية الدكتاتورية" التي كان يتميز بها اللواء أمين الحافظ، والمجموعة التي كانت تسانده، وقصد بها وضع حد للمناورات الطائفية، التي كانت هي السبب في تأجيج الصراع داخل منظمات الحزب، غير أن جماعة أمين الحافظ كانت ترفض هذه الاتهامات بشدة، بل تؤكد أن المسؤولين عن الانقلاب ـ ومعظمهم نصيريون ـ هم الذين ينطلقون من منطلقات نصيرية محضة.

ومن الملفت للنظر أنه في نهاية المؤتمر لم يتم إعادة انتخاب اثنين من أبرز الضباط الدروز في التنظيم العسكري في القيادة القطرية لجديدة، التي عقد المؤتمر لأجلها أيضاً وهما (حمد عبيد وسليم حاطوم) اللذان كانا من أعضاء القيادة القطرية السورية المؤقتة، التي تقلدت زمام الحكم رسمياً في 23/شباط/1966م.. وعين حافظ الأسد وزيراً للدفاع فقوبل تعيينه بالنقد الشديد والرفض من قبل حمد عبيد، وكان حمد عبيد يعتقد بأنه سيعود لمنصب وزير الدفاع الذي كان يشغله في وزارة يوسف زعيّن التي استقالت في 1965/1/22م بعد حل القيادة القطرية القديمة.

وكان حمد عبيد قد ساند جناح صلاح جديد ضد أمين الحافظ منذ أيلول/1964م، ذلك أن صلاح جديد لم يعد بحاجة إليه في هذه المرحلة.

بدأ حمد عبيد بالاتصال في جميع الضباط المعارضين لتعيين الأسد في وزارة الدفاع، والتخطيط لانقلاب مضاد..غير أن خطته فشلت، وتم القبض عليه في الأسبوع الثاني من شهر حزيران/1966م، وعلى معظم رجاله [7].

أما سليم حاطوم فقد ضعف مركزه في الحزب بسبب النقد الشديد الموجه إليه نتيجة للقسوة التي تم بها اعتقال أمين الحافظ وإيداعه السجن [8]

كما أنه لم يكافأ على مساهمته الفعالة في تنفيذ انقلاب 1966/2/23م بل فقد اعتباره في الحزب، وشعر بأنه خدع من قبل صلاح جديد الذي كان قد أيده في الانقلاب ضد أمين الحافظ.. ومن هنا بدأ حاطوم يتصل بمجموعة حمود الشوفي (درزي) وهي من تشكيلات الدروز المدنية، ذات توجه ماركسي، وتحت قيادة حمود الشوفي الذي شغل منصب الأمين العام للقيادة القطرية في الفترة من (أيلول 1963م حتى شباط عام 1964م) بدأ العمل.

وكانت هذه المجموعة أكبر بكثير من مجموعة حاطوم العسكرية كما بدأت اتصالات بين حاطوم وفهد الشاعر قائد التنظيم العسكري للقيادة القومية، وعقدت لقاءات عديدة بين الطرفين بغية التخطيط للإطاحة بصلاح جديد والقيادة القطرية للحزب، التي صارت حكراً على النصيريين.

كما انضم لحاطوم المقدم الدرزي طلال أبو عسلي، وبعض الناقمين مثل مصطفى الحاج علي القائد (السني) لجهاز المخابرات العسكرية (وهو من حوران) [9].

---

[6]ينظر: الصراع على السلطة في سورية: د. نيقولاوس فان دام، ص86 - 90، ومجلة الدعوة/ العدد 73، والصحف الصادرة في تلك الفترة.

[7]انظر المرجعين السابقين، والتقرير الوثائقي لحزب البعث ص104 - 108، والمؤتمر القومي التاسع ص68 - 69 وجريدة النهار البيروتية/4 آذار/1966م.

[8] جريدة النهار/ في الأول من آذار/1966م.

[9]الصراع على السلطة في سورية/ص89، ومقابلة للكاتب مع الرزاز/ بعمان في تشرين الثاني/1974م.
وجريدة الثورة السورية في 1967/1/29م.

انقلاب سليم حاطوم في 8/أيلوب/1966م:

في العاشر من شهر آب/1966م، كشفت القيادة القطرية السورية بطريق الصدفة خطة حاطوم والقيادة القومية "الرزاز" للانقلاب عليها.
وتمكنت تدريجياً خلال بقية الشهر، من معرفة أسماء الأشخاص الآخرين المتورطين في هذا الانقلاب.
وكان فهد الشاعر قد اختار يوم 3/أيلول/1966م موعداً للانقلاب العسكري.
إلا أنه ما بين (25 آب والثالث من أيلول/1966م)، تكشف الجزء الأكبر من التنظيم العسكري السري للقيادة القومية المخلوعة، وتم اعتقال الكثير من ضباطه.. بما فيها أسماء المكتب العسكري واختفى فهد الشاعر بناء على تعليمات من الرزاز، وامتنع عن أي اتصال مع سليم حاطوم عسكرياً
إلا أن سليم حاطوم استمر في مسعاه للانقلاب على القيادة القطرية، حتى كان انقلابه الفاشل في 1966/9/8م
وطبيعي أن نسبة كبيرة من الدروز، كانوا ضمن الضباط المعتقلين بصدد هذه المؤامرة، حيث كانوا يشكلون الهيكل الأساسي لتنظيم حاطوم العسكري السري [10].
وكان حاطوم ومصطفى الحاج علي وطلال أبو عسلي قد كثفوا انتقاداتهم ضد القيادة القطرية، واتهامها بالطائفية، وإقصاء كبار الضباط الدروز مثل: حمد عبيد وهاهي تصدر قرارها باعتقال طلال أبو عسلي وفهد الشاعر بسبب مسعاهم لتأليب أعضاء الحزب ضد صلاح جديد والقيادة القطرية، وذلك منذ الأيام الأول لشهر أيلول/1966م [11].
ونتيجة للاعتقالات في أوساط الدروز، وتصرفات جديد والأسد الطائفية، هدد أعضاء الحزب في جبل الدروز في "مذكرة" لهم أرسلت إلى القيادة القطرية، هددوا بتجاهلهم لأية تعليمات تصدر عنها، وبمقاطعتهم لأية انتخابات مقبلة للحزب إذا استمرت عملية التصفيات ضد أبناء الجبل.
وكرد فعل أولي على هذه المذكرة، قررت القيادة القطرية للحزب إرسال (لجنة) حزبية عليا إلى السويداء، تتكون من الرئيس السوري نور الدين الأتاسي، والأمين العام المساعد صلاح جديد، وجميل شيَّا العضو الوحيد الدرزي في القيادة القطرية؛ من أجل تقصي حقيقة الوضع في السويداء.
وهنا اغتنم حاطوم وأنصاره فرصة وصول اللجنة، واعتقلوا (الأتاسي وجديد) كرهائن تستغل للضغط على القيادة القطرية في مفاوضاته اللاحقة معها.. أما جميل شيا فلم يعتقل، وهو الذي تمكن من التوسط بين صلاح جديد وحاطوم [12].

وبدأت المفاوضات بالهاتف بين حاطوم من جهة، ووزير الدفاع (حافظ أسد) ورئيس الوزراء (يوسف زعين) من جهة أخرى، ووضع حاطوم مطالبه بوضوح وهي:
1- إعادة أنصاره من كبار الضباط الدروز إلى مناصبهم في الجيش بعد أن تم تسريحهم، عقب حركة 1966/2/23م.
2- والإفراج عن جميع الضباط الدروز الذين تم اعتقالهم في أثناء تعقب القيادة القومية.
3- تسريح بعض كبار الضباط النصيريين من أنصار صلاح جديد.
4- إعادة جماعة حمود الشوفي إلى عضوية الحزب.
5- إقالة القيادة القطرية للحزب، التي تم اختيارها في شهر (آذار مارس) 1966م، وتعيين قيادة مؤقتة تتضمن في عضويتها خمسة أعضاء من جماعة الشوفي...

ولكن الأسد رفض مطالب حاطوم، وأرسل وحدات عسكرية تحمل تهديداً بقصف السويداء [13].
ونظراً لخطورة الموقف قرر كل من سليم حاطوم وطلال أبو عسلي الفرار إلى الأردن، تفادياً لاشتباك مسلح كما يقول أبو عسلي، وحصلا على حق اللجوء السياسي في الأردن [14].

وفي تقرير عن مؤامرة حاطوم، والمقدم إلى المؤتمر القطري العادي الثالث، المنعقد في النصف الأول من شهر أيلول/1966م جاء فيه:
"أيها الرفاق: إن القيادة تضع بين أيديكم قضية التآمر هذه، لتطلعوا على أبعادها، ولتقفوا عل أهدافهوهي مؤامرة ضخمة، استهدفت الحزب فكراً وتنظيماً وأشخاصاً ."
"أما الرؤوس المدبرة، فإنها عميلة مرتبطة، تسير وفق المخطط المرسوم، وتتصرف وفق الدور الذي هيئت له، وهؤلاء جميعاً كانوا خدماً لأهداف الاستعمار والرجعية، والاحتكارات الرأسمالية البترولية الضخمة في هذه المنطقة..." [15].
وتعرض التقرير لسليم حاطوم بقوله: "هذا هو كلام سليم حاطوم الذي لم يقله حتى أعرق الجواسيس، وأصحاب الصحف العميلة في لبنان والأردن".[16]
بقي أن نعلم أن سليم حاطوم هو قائد ثورة 23/شباط/ ضد أمين الحافظ، وكان حمد عبيد وزيراً للدفاع، والرزاز أميناً عاماً للحزب.
وكان حاطوم وحمد عبيد من أعتى أنصار صلاح جديد، وأشدهم وحشية في دك المساجد على رؤوس المصلين وخلال حصار مدينة حماة، وتدمير مساجدها وأبرز المباني فيها.
وشاءت حكمة الله أن يسلط بعض الظالمين عل بعض لينالوا الجزاء العاجل على أيدي الرفاق.

---

[10]الصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام/ ص92، ومقابلة الكاتب مع الرزاز في 1974/11/22م.
[11]ينظر: الحياة البيروتية 1966/9/8م، و31/تموز/1966، والمناضل: العدد التاسع/ منتصف أيلول/1966م.
[12]جريدة البعث في 1967/2/27م، والحياة في 1967/3/15م.
[13]المناضل، العدد التاسع/ لشهر أيلول/1966م، وجريدة المحرر البيروتية 1966/9/13م.
والصراع على السلطة في سورية/ د. نيقولاوس فان دام (ص94 – 95)
[14]المرجع السابق.
[15]مقررات المؤتمر القطري الثالث/ص13 - 14، وص17 - 18، والمنعقد في النصف الأول من شهر أيلول/1966م.
[16]المرجع السابق.

مؤتمر حاطوم الصحفي في عمان والدعاية الطائفية ضد النصيريين [17]

في 13/أيلول/1966م، عقد سليم حاطوم مؤتمراً صحفياً في عمّان وتحدث عما حصل في السويداء، فقال في ذلك المؤتمر الصحفي:
إن سوريا مهددة بالحرب الأهلية، نظراً للاتجاه الطائفي الذي ينتهجه كل من حافظ أسد وصلاح جديد في تسييرهما للأمور الداخلية في سوريا.
وأضاف قائلاً: "إن الروح الطائفية تنتشر بشكل فاضح في البلاد وخاصة في أوساط الجيش، وإن الفئة الحاكمة تعمد إلى تصفية الضباط والفئات المناهضة لها، وتحل مكانهم من أتباعها في مختلف المناصب، فقد بلغت نسبة العلويين في الجيش خمسة، مقابل واحد، من جميع الطوائف الأخرى)[18]
وشارك في المقابلة طلال أبو عسلي، فقال:
"إن الصراع الطائفي داخل الجيش السوري مرشح اليوم لأن يسبب حرباً أهلية في البلاد، وإن العلويين يديرون البلاد كما يديرون أي شأن يخص طائفتهم، حتى نساء العلويين بتن يعرفن عن الخطوات التي تنوي الدولة اتخاذها على صعيد الترقيات والاعتقالات قبل أن يعرفها بعض كبار المسؤولين غير العلويين" [19].
وفي 1966/9/28م، صرح حاطوم لجريدة الحياة: "إن نية العلويين عقدت العزم على تنفيذ خطة طائفية بغية إقامة نظام علوي يحمل شعار "دولة علوية ذات رسالة خالدة"، يلمع فيها العميد صلاح جديد، ونور الأنوار إبراهيم ماخوس[20]، وكان ماخوس وزيراً للخارجية آنذاك.

التصفيات اللاحقة لانقلاب حاطوم الفاشل والانتقام من الدروز:
بعد أن فشل حاطوم في انقلابه، وبعد مؤتمره الصحفي في عمان، بدأت القيادة القطرية بإجراء تصفيات واسعة النطاق في الجيش والحزب. وشملت التصفيات العديد من الضباط الدروز، وكان قد تم تسليم زمام القيادة بدلاً من المسرحين إلى ضباط نصيريين [21].
وتم التضييق على فرع الحزب في السويداء، وظل الحزب فيها مشلول الحركة لأكثر من ستة أشهر بعد فشل حاطوم، فأرسل زعيم الطائفة الدرزية برقية إلى رئيس الأركان السوري، ولوزير الدفاع آنذاك حافظ أسد يقول فيها:
"إن أبناءنا من الدروز يضربون عن الطعام، ونحن نحملكم نتائج هذا الوضع.
إن الجبل كما هو معروف من تاريخه - يقصد جبل الدروز - قادر على طرد الخونة والغزاة، ولكن عقيدة أهل الجبل تمنعنا من الثورة والتمرد ضد حكومة عربية، هذا هو الرادع الوحيد الذي يمنعنا من التمرد والاكتفاء بالمفاوضات حول مصير أبنائنا المسجونين" [22].

وتوترت العلاقات بشكل رسمي بين الدروز والنصيريين بعد نشر هذه البرقية في بيروت، وحوكم الضباط الذين اشتركوا مع حاطوم في المحاولة، وكانت العقوبة في معظم الحالات الإعدام، وبعضهم حكم غيابياً، وقد شملت عقوبة الإعدام: فهد الشاعر، سليم حاطوم، طلال أبو عسلي، وغيرهم[23]، وكان سليم حاطوم قد عاد إلى سوريا بعد اندلاع حرب 1967م، فقبضت السلطات السورية عليه، وأعدم في 1967/6/26م.
وكان من نتائج محاولة حاطوم الفاشلة تصفية كتلة الضباط الدروز، والضباط الباقين من أهل السنة، والجماعات الأخرى، فلم يعد لها القدرة على تكوين كتل قوية منفصلة يمكنها أن تهدد النظام بصورة خطيرة [24].

ولقد شكل الضباط من منطقة اللاذقية ـ أي من النصيريين ـ أعلى نسبة في المؤسسة العسكرية حيث وصلت إلى (49%) بعد انقلاب الثامن من آذار/1963م، كما ارتفعت هذه النسبة حتى بلغت ذروتها (63.2%) في عهد صلاح جديد (ما بين 1966 - 1970م) [25] ·
وكانت هذه النسب العالية هدفاً أساسياً من أهداف مؤتمرات الطائفة النصيرية تسعى إليها القيادة الدينية والعسكرية للطائفة.

---

[17]ينظر: الصراع على السلطة في سوريا: د. نيقلاوس فان دام ص96 - 98 ومجلة الدعوة الصادرة في القاهرة/ العدد (73)·
[18]انظر جريدة النهار: 1966/9/15م·
[19]السابق 1966/9/15م·
[20]جريدة الحياة: 1966/9/28م، "العميد ونور الأنوار: مرتبتان دينتيان عند النصيرية·"
[21]ينظر: جريدة الحياة في (11، 13/أيلول/1966م).
[22]انظر نص البرقية في جريدة النهار في 1966/12/21م، وانظر حول الموضوع كذلك في جريدة الحياة في 1967/3/5م·
[23]ينظر جريدة الحياة في 1967/4/2م، والصراع على السلطة في سورية/ ص99 - 101·
[24]المرجع السابق·
[25]الصراع على السلطة في سوريا/ ص130·

الفصل الثالث: الصراع ضمن الطائفة النصيرية

- بداية الصراع بين صلاح جديد وحافظ أسد
- التنافس بين جديد والأسد يمثل اتجاهين متضادين في أسلوب الحكم والطموحات الشخصية والعائلية
- انعكاس التنافس بين القيادتين على مناطق الطائفة النصيرية، واعتقال صلاح جديد وأنصاره
- انفراد الأسد بالسلطة بانقلاب 12/تشرين الثاني/1970

الفصل الثالث :
الصراع من أجل السلطة ضمن الطائفة النصيرية[*].

بعد الانتهاء من محمد عمران (اللواء النصيري) بسبب استعجاله للمخطط لدى الطائفة وانكشاف أمره، ونفيه إلى لبنان، انتقل الصراع إلى القوى المتنفذة داخل الطائفة النصيرية.
وبعد سقوط القيادة القومية في شباط/1966م، بدأ التنافس بين صلاح جديد وحافظ أسد في الجيش والحزب.
فبالرغم من أن صلاح جديد لم يعد له مركز محدد في الجيش منذ شهر آب/1965م، عندما تنحى عن رئاسة الأركان، لينتقل إلى الأمانة العامة للقيادة القطرية للحزب... بالرغم من هذا فقد ظل يمارس نوعاً من النفوذ عن طريق علاقاته الشخصية القوية داخل المكتب العسكري للحزب.
فمنذ شهر نيسان/1966م، بدأ هذا المكتب يضم في صفوفه عدداً لا بأس به من المدنيين، أما حافظ أسد الذي كان آنذاك وزيراً للدفاع، فقد كان في وضعية ملائمة لطموحاته، حيث استطاع من خلال منصبه أن يؤثر ويستميل أعداداً كبيرة من الضباط النصيريين.
إذ كان منذ عام 1964م قائداً لسلاح الجو، وخلال عملية ملء الشواغر بعد انقلاب شباط/1966م استطاع أن يعين أنصاره بشكل كثيف في إدارة ذلك السلاح.
وفوق هذا كله، كان الأسد ولسنوات عديدة مسؤولاً ـ أو أحد المسؤولين ـ عن المكتب العسكري للحزب.

---

[*] ينظر: الصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام/ص104، وحتى ص123، ومجلة الدعوة المصرية/ العدد (74) الحلقة الخامسة والصحف المحلية في تلك الفترة.

التنافس بين صلاح جديد وحافظ الأسد:

بعد حركة 23/شباط/1966، ظهرت عدة مؤشرات للتنافس بين جديد والأسد، غير أن المواجهة بينهما لم تظهر فوق السطح إلا بعد حرب حزيران/1967م.
ويرجع ذلك جزئياً إلى الاختلاف في الرأي، حول السياسة العسكرية والخارجية، وكذا الاقتصادية والاجتماعية التي كان لا بد من اتباعها آنذاك[27].
ثم أصبحت الخلافات واضحة جلية بين جديد والأسد، على مستوى المؤتمرات القطرية والقومية للحزب، والتي عقدت في دمشق في شهري أيلول وتشرين الأول من عام/1968 وظهر عندها اتجاهان متضادان:

الاتجاه الأول:
يمثله جناح صلاح جديد، وكان المؤتمرون ومعظمهم من المدنيين يرون أولوية: "التحويل الاشتراكي للمجتمع السوري"، ويرون أهمية التركيز على بناء الاقتصاد المحلي وفق هذا السياق، وممن كان يقود هذا الاتجاه: صلاح جديد، عبد الكريم الجندي، إبراهيم ماخوس، يوسف زعيّن.. وكانت هذه الجماعة ذات الميول الاشتراكية قد رفضت علانية فكرة التعاون السياسي أو العسكري مع الأنظمة العربية، التي وسمتها بالرجعية أو اليمينية، أو بكونها موالية للغرب، كالأردن ولبنان والعراق، ولم يكن لدى هذه الجماعة اعتراض على زيادة الاعتماد على الاتحاد السوفييتي، والدول الشيوعية الأخرى من الكتلة الشرقية، ما دام هذا لصالح التحويل الاشتراكي.

أما الجناح الثاني:
فكان يمثله حافظ أسد، ومصطفى طلاس وكان يرى التركيز على سياسة التعاون العسكري والسياسي مع الدول العربية كالأردن والعراق ومصر والسعودية، دون الاهتمام بألوانها السياسية، مادام ذلك في صالح الكفاح المسلح ضد إسرائيل، واقترح الأسد خلال المؤتمر أن تبدأ اتصالات مع بعث العراق الذي وصل إلى السلطة في تموز/1968م، ويمثل اتجاه القيادة القومية للحزب والتي أطيح بها في دمشق في شباط/1966م، بغية كسر عزلة سورية العربية.

غير أن جناح جديد عارض بشكل حازم اقتراح الأسد، وكان رأي جديد يتمثل في "النقاء الثوري"؟! للقيادة القطرية، وليس "في السراب العربي" الذي كانت تمثله الأنظمة العربية آنذاك.
واستطاع جناح (جديد) السيطرة على اتجاه المؤتمر وأن يجعل الشعارات المتعلقة بالتحول إلى الاشتراكية سياسة رسمية للحزب.

وكانت الشعارات آنذاك (لدى الحزب) محمومة هوجاء، لا ترى طريق التحرير لفلسطين إلا من عواصم الدول العربية أولاً ...

ولم يكن الأسد يقبل نتائج المؤتمر، ولم يكن مقتنعاً بجدواها السياسية، ويظهر هذا من رفضه اللاحق لحضور اجتماعات القيادة القطرية والقومية التي تلت ذلك المؤتمر الحزبي، وزاد على ذلك أن قدم استقالته من عضوية القيادة القطرية وتفرغ للسيطرة على الجيش.
ونادى بعزل الجيش عن القيادة السياسية للحزب، إلا من خلال القنوات الرسمية الخاضعة لموافقة وزير الدفاع أي حافظ أسد، وأصدر تعليماته للمخابرات العسكرية بمنع توزيع تعليمات القيادة القطرية على الضباط إلا بعد موافقته هو، وتخلص من بعض أنصار صلاح جديد في الجيش، فنجح الأسد فعلاً في عزل الجيش عن الحزب، وتمكن كذلك من السيطرة على جهاز

الحزب والمناصب المدنية الأخرى في الحكومة، ونشأ ما يمكن تسميته بازدواجية السلطة وانشطارها: بين القوات المسلحة وجهاز الحزب المدني[28].

---

[27]ينظر: جريدة البعث الصادرة في دمشق في 12/شباط/1967، وجريدة الراية الصادرة في لبنان في 12/تموز/1971م، (ص17)

[28]ينظر: الصراع على السلطة في سوريا/ص105 - 106، ومجلة الدعوة المصرية/ الحلقة الخامسة من العدد (74)، وجريدة الراية/5تموز/1971م، ومحاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث.

انعكاس التنافس بين جديد والأسد على مناطق الطائفة النصيرية:

لقد انعكس الصراع بين الاثنين على الطائفة النصيرية في سوريا، وخاصة في منطقة اللاذقية وفرع الحزب هناك.
ففي شهر شباط/9691م، عقب مؤتمر الحزب، حاول جناح صلاح جديد الذي سيطر على فرع الحزب في اللاذقية أن يصفي نفوذ حافظ أسد هناك، وفي أجهزة الحزب المدنية في معظم المدن السورية. بينما تم نقل بعض أنصار صلاح جديد العسكريين إلى مناصب أقل حساسية في القوات المسلحة[29].
وبدأ الأسد باتخاذ أعنف الإجراءات ضد خصومه في محافظي اللاذقية وطرطوس، بحيث فقدت القيادة القطرية للحزب معظم قوتها، فقد احتلت قوات الأسد مبنى الإذاعة في كل من دمشق وحلب، إضافة إلى مكاتب جريدتي البعث والثورة، وتم فرض الرقابة العسكرية على نشرات الأخبار والتعليقات السياسية والإعلامية، فكانت هذه التحركات أشبه بانقلاب عسكري عام داخل القطر السوري[30].
كما تم تعيين قيادة جديدة في كل من فرعي الحزب في اللاذقية وطرطوس، بعد أن أمر الأسد بإلقاء القبض على قيادتي الحزب بتهمة الإخلال بالأمن، كما أمر الأسد بوضع محافظ اللاذقية الذي كان من أنصار جديد، تحت الإقامة الجبرية، كما أمر قواته الخاصة بالهجوم على فرع الحزب في طرطوس حيث كان يضم أنصاراً كثيرين لصلاح جديد، فقد ألقي القبض على (عادل نعيسة)، وهو من جماعة صلاح جديد، وأمره الأسد بمغادرة طرطوس فوراً، وجرده من منصبه كسكرتير عام للحزب في اللاذقية وطرطوس.
وبذلك فقد صلاح جديد الكثير من نفوذه نتيجة تلك الإجراءات، ومن هنا أصدر جناح جديد جريدة "الراية" في بيروت بعد أن فقدوا السيطرة على جريدتي البعث والثورة، ووسائل الإعلام الأخرى[31].
وقبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي، الذي عقد من أجل التوصل إلى حل وسط بين الطرفين، قام أنصار الأسد العسكريون باحتلال مراكز استراتيجية هامة في دمشق وضواحيها، لتأكيد سيطرتهم على القطر خلال انعقاد المؤتمر في شهر آذار من عام/1969م.
كما قامت القوات العسكرية بمحاصرة مقر قيادة العقيد عبد الكريم الجندي، المسؤول عن جهاز الأمن القومي "إسماعيلي من أنصار صلاح جديد"، واختطفوا عدداً من أنصاره ومساعديه وصادروا السيارات الخاصة بمكتبه، وأهانوه إهانات بالغة أمام موظفيه، مما دفعه إلى الانتحار في مكتبه.
وأذيع النبأ من إذاعة دمشق لبث الرعب في صفوف أنصار صلاح جديد، فكان هلاك عبد الكريم الجندي نهاية مرحلة هامة في حياة صلاح جديد السياسية[32].
وفي أيلول من عام/1970م، كان قادة سوريا السياسيون قد أصدروا قراراً لصالح التدخل العسكري إلى جانب المنظمات الفدائية الفلسطينية، التي كانت تقاتل آنذاك ضد قوات الجيش الأردني.
وقد فشل هذا التدخل، وأشعل فتيل مواجهة جديدة، بين الأسد وجديد، وأنصار كل من الفريقين، إذ كان صلاح جديد يقف مع التدخل العسكري لصاح المقاومة الفلسطينية خلافاً لموقف الأسد وأنصاره.
فعقد المؤتمر العاشر لحزب البعث في (أكتوبر ـ تشرين الأول/0791م) وذلك للبحث مجدداً في أزمة الحزب، فأمر الأسد أيضاً باعتقال مجموعة من أنصار جديد، ليكسر معنويات منافسيه من النصيريين داخل المؤتمر، رغم أنه بدا واضحاً خلال المؤتمر أنه ليس للأسد من أنصار

سوى بعض الشخصيات الباهتة من أمثال مصطفى طلاس، أما صلاح جديد فقد استطاع أن يؤثر على مجموعة كبيرة من الحزبيين، أما في الجيش فقد كانت الساحة حكراً لحافظ أسد.

وعندما أصدر المؤتمر قراره الشهير بضرورة إعفاء حافظ أسد من منصب وزير الدفاع، ومصطفى طلاس من منصب رئيس الأركان، أمر حافظ أسد الجيش باحتلال كافة فروع الحزب، واعتقال صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي، وذلك في 13/تشرين الثاني/1970م وفرَّ كثير من أعضاء المؤتمر إلى لبنان تفادياً للاعتقال، واستمروا في معارضة النظام السوري الجديد من هناك [33].

وبقي اللواء صلاح جديد في سجن المزة حتى وفاته في 19/آب/1993م، ودفن في قريته في اليوم التالي قرب اللاذقية، أما نور الدين الأتاسي، فقد أطلق سراحه بعد أكثر من عشرين عاماً قضاها في السجن، ومات بعد ذلك بقليل.

وقد لقي العديد من البعثيين (المدنيين والعسكريين) المعارضين لحافظ أسد نفس المصير.

وانفرد حافظ الأسد في السلطة، وأصبح أول رئيس للجمهورية السورية من الطائفة النصيرية عام/1971م، (في شهر شباط) ذلك وُضِعَ حد للتقليد السوري والدستور بأن يكون الرئيس سنياً، كما أن هذا الأمر كان رمزاً واضحاً لتطور قوة النصيريين سياسياً، من طائفة دينية متخلفة (اقتصادياً) إلى مجموعة من السكان المتحررين وطنياً، وفي مركز قوي، وسيطرة على وضع البلاد ومقدراتها[35]

---

[29]ينظر: جريدة الحياة في 29/تشرين الثاني/1968م، والصراع على السلطة في سوريا/ص108.

[30]ينظر تعميم الأمين العام للقيادة القطرية السورية إلى جهاز حزب البعث السوري في 28/شباط/1969، وجريدة النهار 5/آذار/1969م.

[31]المرجع السابق.

[32]ينظر جريدة الثورة في 3/آذار/1969م، والصراع على السلطة في سوريا/ ص110 - 111.

[33]الصراع على السلطة في سوريا/ص112، وجريدة الراية في: 14 و 17/تشرين الثاني/1970، ومجلة الدعوة المصرية/ العدد (74).

[34]جريدة الحياة في 24/شباط/1994م.

[35]الصراع على السلطة في سوريا د. نيقولاوس فان دام/ص113.

انفراد الأسد بالسلطة واعتماده على الطائفة النصيرية من عشيرته وأقاربه:

بعد انقلاب تشرين ضد الحزب في 1970/11/12م، استطاع حافظ أسد أن يوسع من نفوذه في أوساط طائفته بشكل سريع وكان يعاونه في هذا مجموعة من الأنصار المؤازرين في الجيش مثل: أخيه رفعت الأسد، وعلي حيدر قائد القوات الخاصة، وعلي دوبا رئيس المخابرات العسكرية، وعلي الصالح قائد الدفاع الجوي في أول الفترة، وفي عام/1975م، كان هؤلاء هم أعضاء اللجنة العسكرية المسؤولة عن تنقلات الضباط[36].

واستمرت التصفيات ضد خصوم الأسد، ففي كانون الأول من عام/1972، تم اعتقال المزيد من أنصار صلاح جديد العسكريين والمدنيين بتهمة التآمر ضد النظام، ومعظمهم من النصيريين لأنه لم يبق غيرهم، وكان معظم المعتقلين من المدنيين، في فروع الحزب في اللاذقية وطرطوس ودمشق[37].

وقد عُيّن بعض الضباط السنة أولاً تغطية للتوجه الطائفي، أمثال: مصطفى طلاس الذي عين وزيراً للدفاع، ويوسف شكور "نصراني من حمص" عين رئيساً للأركان، في آذار/1972م.
كما عين اللواء ناجي جميل "سني من دير الزور" في قيادة سلاح الجو "ما بين تشرين الثاني/1970م حتى آذار/1978."
عُيّن هؤلاء لأنه ليس لهم أتباع في الجيش، وبغرض تهدئة أهل السنة، وتبديد الانطباع العام حول سيطرة النصيريين.

على أن الأسد لم يعتمد على هذه العناصر، بل كان اعتماده الفعلي على حفنة من الضباط النصيريين الموالين له، أمثال: علي دوبا، وعلي أصلان، وحكمت إبراهيم.. وكان الأسد يخشى من قيادات أخرى قبلية داخل الطائفة النصيرية، كانت تتعاطف مع صلاح جديد، وتثق به، وخاصة أن الأسد قد ساءت سمعته بسبب مواقفه السيئة والدموية داخل الطائفة.. فهو المسؤول عن اغتيال اللواء (محمد عمران)النصيري المنفي إلى طرابلس الشام، إذ تم اغتياله على يد عناصر تابعة للأسد في آذار/1972م.

وبدأ الأسد يهتم بإخوته، ويقدهم المناصب الرفيعة، فعين رفعت أسد قائداً لسرايا الدفاع، التي كانت ترابط قرب دمشق لحماية النظام، في عام/1970م، كما عين عضواً للقيادة القطرية في المؤتمر القطري السادس في شهر نيسان لعام/1975م، وعُيّن أخوه جميل الأسد في مجلس الشعب، كما عين عضواً في المؤتمر القومي الثاني عشر لمنظمة الحزب الحاكم، وكان اخوته الآخرون أعضاء عاملين في الحزب، وشغلوا مراكز بارزة في الجيش ومؤسسات الحزب والدولة، حتى يقوموا بمراقبة التطورات الداخلية في الحزب ومؤسساته.

وقد اعتمد الأسد بشكل كبير على أفراد عائلته الآخرين وعلى أبناء قبيلته وقريته وما يجاورها، فأصبحت سوريا الثورة مزرعة لآل الأسد وأقاربه!
ذلك أن التحديات لنظامه، نبعت من داخل الطائفة في المراحل الأخيرة من حياته السياسية[38].
ومنذ ذلك الوقت تمت السيطرة للأسد على مقدرات البلاد، بواسطة إرهاب العسكر، والتفاف الطائفة النصيرية حوله، فقد باتت تعتقد أن سبيل نجاتها في سوريا لن يكون إلا بسحق بقية الطوائف [39].

قال أنور السادات مصوراً حكومة الأسد: إنّ نظام البعث في سوريا كان أولاً علوياً، وثانياً بعثياً، وثالثاً سورياً " [40].
ورابعاً انتهازياً متلوناً مدعوماً خارجياً، ورأس حربة لتمزيق منطقة الشرق العربي تحت مظلة حزب البعث ظاهرياً .

---

[36]المرجع السابق/ص114. وقد تم الاستغناء عن هؤلاء عندما بدأ الأسد (قبل هلاكه) يهيئ الجو لولده بشار.
[37]جريدة الراية في 1972/12/4م.
[38]ينظر الصراع على السلطة في سوريا، د. نيقولاوس فان دام (ص115 وما بعدها)، وجريدة البعث11/آذار/1974، والنهار/28 آيار/1973، و5/نيسان/1975م.
[39]مجلة الدعوة المصرية: العدد (74).
[40]إذاعة القاهرة/25/آذار/1978، ومجلة أكتوبر في 26/آذار/1978م، وذلك بعد انتقاد النظام السوري لزيارة السادات لإسرائيل.

الفصل الرابع: حزب البعث الحاكم وجني الأشواك الدامية

- مقدمة
- حزب البعث هو حزب الأقليات الطائفية الحاقدة
- خيانة البعث لشعاراته في الوحدة والحرية والاشتراكية
- البعث العلماني يعلن حربه على الإسلام والمسلمين
- تسلل الجاسوس الإسرائيلي كوهين إلى دمشق وتعاون قيادات البعث معه
- سقوط الجولان وتسليم القنيطرة عام/ 1967م خلال مهزلة مفضوحة في عهد البعث وتسلطه

الفصل الرابع:

حزب البعث الحاكم وجني الأشواك الدامية

كان حزب البعث نبتة غريبة خبيثة، قدم بها مؤسسو الحزب من ديار الغرب الصليبي، فلم تثمر إلا الشوك والعلقم منذ أكثر من نصف قربن.
وكان الحزب مستنقعاً آسناً، عششت فيه الطوائف الحاقدة،والأقليات الباطنية الشريرة، ففرّخت المآسي والآلام، وحققت طموحاتها التاريخية أو كادت، من تغيير لمعالم تاريخ البلاد، وإجهاز على المسلمين من أهل السنة، ونشر عقائدها المنحرفة...
فكان التكتل الطائفي شعار المؤسسين للحزب، وكانت الجاهلية الوثنية هدفهم وأغلى أمانيهم، ومن ثم كان الصراع وكانت التصفيات في الجيش والحزب، وكانت الحرب الشرسة ضد ثوابت هذا الدين، فأشيع الإلحاد وانتشر الفساد، وهدمت المساجد، وطغى الظلم والتجسس والإرهاب...
أصبح الجيش هزيلاً ضعيفاً، إلا من غربان الطوائف الحاقدة، وخوت الأمة من معتقداتها الدينية، فكانت الهزيمة منكرة أمام إسرائيل/1967م، بل كان التسليم للجولان ثمناً لتوقف إسرائيل عن الزحف نحو دمشق، لينفرد الرفاق بالتحويل الاشتراكي، وزعامة البلاد.
كل هذه التطورات تمت في فترة وجيزة من عمر الدول، خلال السنوات السبع (1963 - 1970م)، كان كل هذا الانهيار، وما تلاها من سنوات كان المخطط أخبث والنتائج أسوء، ولله الأمر من قبل ومن بعد...

كان حزب البعث هو حزب الأقليات الطائفية الحاقدة:

وقد عرفنا هذا بوضوح خلال الفصول السابقة، إذ تعاونت الأقليات الباطنية (نصيرية ـ دروز ـ إسماعيلية)، فقضت على قوى السنة في الجيش والحزب، ثم قضى النصيريون على شركائهم الآخرين من الإسماعيلية والدروز...

كان حزباً طائفياً من خلال مؤسسيه وقادته، ومن خلال مفكريه وواقعه خلال ممارسات الحكم...

فزكي الأرسوزي: من مؤسسي الحزب كان نصيرياً، من منطقة إنطاكية، وميشيل عفلق من نصارى الشام كان قد أسس الحزب في دمشق عام/1940م، وهو نصراني من الروم الأرثوذكس، وشاركه في التأسيس صلاح البيطار وهو من فسقة أهل السنة في دمشق، زميل دراسة لعفلق في فرنسا..

ورغم أنهما من دمشق إلا أن معظم أعضاء الحزب الأوائل كانوا من المهاجرين من الريف، الذين قدموا إلى دمشق لاستكمال دراستهم، أما في دمشق فكان عدد السكان الأصليين الذين انضموا إلى الحزب قليلاً جداً [41]

"ذلك أن الشروط الاجتماعية في الريف كانت مواتية لنشوء الحزب وامتداده، فتضخم فيه، وظل هزيلاً في المدن وخاصة في دمشق، ومع الزمن أصبح الحزب جسماً كبيراً برأس صغير".

"نظراً لأن الأقليات الدينية تتركز أساساً في المناطق الريفية لأن معظم سكان المدن الكبرى من أهل السنة، فمن المنطقي أن يكون أعضاء الأقليات هم المسيطرون داخل حزب البعث" [42].

والحقيقة أن أهل السنة عموماً، كانوا لا يهضمون أفكار البعث العلمانية، ولا توجهاته الطائفية، ولذلك استمر الفتور والنفور منه، حتى كانت ثورة الثامن من آذار وما بعدها، حيث فرض الحزب على الأمة بالحديد والنار.

كان الأرسوزي من مفكري الحزب الأوائل ومنظّريه، وكان الدكتور سامي الجندي "وهو إسماعيلي"، من مؤسسي الحزب، ومن أبرز زملاء الأرسوزي، يحدثنا عن قائده بقوله: "كنا مثاليين نقيم علاقة المجتمع على الحب، كان الأستاذ "أي الأرسوزي" يتحدث كثيراً عن المسيح... ويرى أن الجاهلية مثله الأعلى يسميها المرحلة العربية الذهبية... بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ تبنّى ما كان جاهلياً في الإسلام فقط، كان إنسان الرفض، ورفضنا معه."

"ناقشته عام/1945م، بالقرآن، فعاب عليّ نزعتي الدينية قائلا: (أنت راهب في ثياب ثوري).. وقد لا يعلم كثيرون أنه بدأ يدْرُس العربية سنة/1940م، إذ كان يفضل الحديث قبل ذلك بالفرنسية[43]

فماذا ننتظر من حزب قومي، لم يعرف مؤسسه اللغة العربية حتى عام/1940م؟! وكانت اللغة المفضلة لديه هي الفرنسية؟!

ويرى الجاهلية مثله الأعلى، ويراها العصر الذهبي للأمة ولا يأخذ من الإسلام، إلا ما هو جاهلي فقط؟!

ولقد كرّم الحزب هذا الرجل تكريم الأبطال، فأنشأ له تمثالاً، لفكره الفذ وجاهليته العريقة، وتعرفه على العربية بعد عام/1940م، وجهله للقرآن وعمره ينوف عن الأربعين... فالحزب إذن ابتدأ طائفياً، وانتهى كذلك طائفياً [44].

ويستمر الدكتور الجندي، يحدثنا عن طائفية الحزب بعد أن حدثنا عن قائده فيقول:

"في الفترة التي أتحدث عنها، سألني مرة اللواء صلاح جديد فقال: كيف نعالج قضية الطائفية؟!.

قلت: بحلول ثورية. قال: كيف؟ قلت: أن تنشروا الكتب السرية، فالطوائف الأخرى تسيء الظن بكم، وتذهب إلى أنكم جمعية "نصيرية سرية"، يجب أن تبدأوا بالحلول من جذورها...

قال: لوْ فعلنا ذلك لسَحَقنا المشايخ". أجبت:ثوريّ وتَخشى المشايخ؟!! فلم يجد جواباً، بدا عليه التفكير، بدأتْ منذئذ مشاكلي مع الحكم، وعلمت فيما بعد أنه يدفع الزكاة للمشايخ ويتقرب منهم" [45].

هذا هو الحزب بلسان أبنائه وطائفته العلوية، فماذا عن قياداته النصرانية الصليبية؟!

يحدثنا عنها وعن مؤسسها عفلق، المؤتمر القومي التاسع بعد الانقلاب على القيادة القومية والإطاحة بعفلق والبيطار وأمين الحافظ. فيقول:

"أما عفلق وتاريخه الحافل بالمخازي، والتآمر على الحزب، والدور المرسوم له في ضرب هذه المنظمة، وإبقائها ضمن الإطار المحدد والمرسوم له، فأمره معروف لكل حزبي قديم، عاش أحداث الحزب واطلع على تاريخه."

فمن الذي حدد لمؤسس الحزب دوره ومن الذي رسمه له؟!

فلعل البابا في روما هو أقرب الناس لهذا التحديد؟!!

وبذلك أصبحت القيادة القطرية في دمشق طائفية نصيرية ، تعادي القيادة القومية في العراق، ذات النفوذ النصراني الدرزي، أما أهل السنة فلا بواكي لهم، ولا مناطق نفوذ ترفع راية الإسلام، فأبناؤهم جلهم مستغفلون للأحزاب العلمانية، والأقليات الطائفية، التي ركلتهم غير آسفة ولا نادمة

ويتحدث الدكتور منيف الرزاز الأمين لعام لحزب البعث بعد عفلق، شاكياً من سيطرة الطائفية على الحزب فيقول:

"وهنا لا بد لنا من كلمة عابرة حول سلاح الطائفية، هذا الداء الذي امتد إلى الحزب وضربه في صميم معتقداته...

فروائح التكتيل الطائفي بدأت تفوح من خلال التمييز في تسريح الضباط الاحتياط الذين دعوا إلى الخدمة، أو الثورة، والتمييز في قبول طلبات الكلية الحربية... وبدأت الشكوى ترتفع تدريجياً ويعلو صوتها، حتى أبعد اللواء محمد عمران "نصيري" إذ اعتبر مسؤولاً عن هذه الاتجاهات المنحرفة، واتهمه اللواء صلاح جديد، وهو نصيري أيضاً بأنه وراء هذا التقسيم، وحين وقع الصراع بين الأسد وصلاح جديد، انفتحت القضية على مصراعيها، ولم يعد الحديث خافتاً هذه المرة... وبدأ المقياس الطائفي يحل محل أي مقياس آخر".

ويختم الرزاز حديثه قائلاً : "إلى هذا الحضيض أوصلوا حزب البعث، حزب البعث الذي كان متهماً بأنه حزب الأخلاق والمحبة والرابطة القومية" [46].

لست أدري متى كان البعث حزب الأخلاق والمحبة، ولم يتحدث الرزاز وغيره عن هذه الطائفية البغيضة إلا بعد أن طاف الكيل، وأبعد هؤلاء المفكرون الحزبيون عن سدة التوجيه، وطردوا أو سجنوا، والله يسلط بعض الظالمين على بعض.

وعلى كل حال فالرزاز خبير بشؤون حزبه وهو نصراني، وسامي الجندي خبير ومؤسس... وإذا اختلف اللصوص ظهر المسروق، بين زعماء الطوائف الحاقدة.

---

[41]الصراع على السلطة في سوريا/د. نيقولاوس فان دام (ص37 – 38).

[42]ينظر: حزب البعث، د. سامي الجندي/ص38 - 39، طبعة بيروت/1969م.

[43]حزب البعث: سامي الجندي/ص27 - 28، فصل نشوء البعث العربي.

[44]الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب ص78، مكتبة المنار - الأردن، الزرقاء/1403هـ - 1983م.

[45]المؤتمر القومي التاسع، في التقرير المقدم عن المؤامرة (ص68) "ولو شاء جديد لأعاد السؤال نحو الجندي وسرية طائفته الإسماعيلية". وهناك عداء تقليدي بين الإسماعيلية والنصيرية.

[46]ينظر: التجربة المرة، للدكتور منيف الرزاز/ص158 - 160.

تخلي البعث عن رسالته وخيانته لشعاراته في الوحدة والحرية والاشتراكية:

كان البعث قد اتخذ شعاره: (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)،(وحدة ـ حرية ـ اشتراكية).
فماذا قدم البعث لتحقيق شعاراته هذه، وثالوثه المشبوه؟!
ماذا قدم في مجال شعاره الأول "الوحدة العربية"؟! قد يتباهى قادة الحزب بأنهم حققوا الوحدة مع مصر عام/1958م، والواقع أن الأمة كلها كانت تهفو إلى الوحدة، وأن الأحزاب الوطنية (حزب الشعب والحزب الوطني) هما اللذان قاما بها، وتنازل رئيس الجمهورية ـ شكري القوتلي ـ عن منصبه لصالح الوحدة..
والحقيقة أن الوحدوي لا يكون يوماً قائد وحدة، ويوماً بطل انفصال، فأكرم الحوراني وصلاح البيطار من قادة الحزب الفعليين، الذين كانوا في الحكم أيام الوحدة، وهم الذين وقعوا على وثيقة الانفصال عن مصر وتبنوا هذا الانفصال، وكانوا من أركانه الأساسية [1].

يقول الدكتور سامي الجندي: "وبعد مرور خمسة عشر عاماً في حكم سوريا والعراق، هل استطاع الحزب أن يقيم وحدة واحدة بين قطرين عربيين، وقد بلغت الدول العربية اثنتين وعشرين دولة؟!
ما مبرر وجوده إذن؟! وأين الوحدة العربية التي أفنى حياته في الدعوة إليها" [2].
ماذا قدم البعث بفريقيه للأمة ولصالح وحدتها؟!
ماذا قدم الفريق الأول حتى 23/شباط/1966؟!
وماذا قدم الفريق الثاني بعد هذا التاريخ؟! يقول الدكتور سامي الجندي عن الفريقين:
"أصبح البعثيون بلا بعث، والبعث بلا بعثيين، فأيديهم مصبوغة بالدم والعار، يتسابقون إلى القتل والظلم والركوع أمام الجزمة "أي حذاء العسكر!!"
"لم يستطع البعث أن يقيم وحدة واحدة في تاريخه، حتى بين شطريه، فهل تنتظر الوحدة من العشائر والقبائل الهمجية، التي اصطبغت أيديها بالدم والعار والمتسابقة للقتل والظلم والركوع أمام مهماز الجزمة، ومتى تحققت الوحدة في التاريخ على يد الطائفية والعشائرية الحاقدة؟![3]
يقصد بالعشائر الهمجية، أي عشائر النصيرية المتخلفة.

رفع البعث شعار الحرية [4]
"لم يعرف الحكم إلا تسلطاً وتزييفاً لإرادة الجماهير، ورفعت هذه الفئة شعار الاشتراكية واليسار، فكانت اشتراكيتهم فوقية قطرية مستبدة.
ورفعت شعار مقاومة الاستعمار والرجعية، وقدمت لها هدية، هو رأس حزب البعث" [5]
ولا مجال هنا للحديث عن حرية الشعب الذي كان مصفداً في الأغلال بيدي البعث العربي، فإذا كان البعث يعاني من دكتاتورية أجنحته على بعضها، فمن أين تمنح الحرية للأمة العربية؟!
يكفي أن نستمع إلى قادة الحزب عن رأيهم في الحرية التي دعوا إليها، وما مبررات ثورة 23/شباط/1966م على البعث نفسه؟!

ـ هذا منشور داخلي يشرح الأسباب الدافعة إلى هذه الثورة، ويبين لنا مدى الحرية التي يفهمها الرفاق مع بعضهم، يقول المنشور:
"ظهر منطق الوصاية على الحكم والسلطة إلى جانب منطق الوصاية على الحزب..كان منطقاً يستهدف اقتسام النفوذ في الثورة وإحلال الفرد محل القيادة الجماعية، سواء أكانت حزبية أو حكومية. أيها الرفاق! لقد كان الهدف الرئيسي لحركة 23/شباط/هو تحقيق مبدأ احترام

الديمقراطية في الحزب، وذلك برفع سيف الوصاية عن رقاب قواعد الحزب، وإتاحة الفرصة أمامها كي تقود حزبها بنفسها نحو الغاية المرجوة" [6].

هذه هي حقيقة الحكم المتسلط الفردي قبل 23/شباط/1966م، فما هي الحرية التي قدمها ثوار 23/شباط؟!

يجيب على ذلك الدكتور منيف الرزاز الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، فيقول:

"إن حكم 23/شباط، هو حكم العنف... وإن تصورنا عن هذه المجموعة، لم يبلغ أبداً حدود التردي الذي وصلوا إليه... أكتب هذه الصفحات، وأوضاع العنف ليس لها مثل في تاريخنا، إن الذي يجري في سورية الآن لا مثيل له إلا في عهد عبد الكريم قاسم، حين تولت كنائب الشيوعيين المسلحة عمليات السجن والقتل في شوارع بغداد ومدن العراق..."

"كانت الشمس تحمل كل يوم عند مطلعها الجديد من أسماء المعتقلين، لتضم إلى القائمة من المعتقلين السابقين، حتى جاوز عددها المئات، ولما ضاقت بهم السجون، نقل معظمهم إلى تدمر، ذلك السجن الصحراوي البعيد."...

"لقد كانت سوابق النازية والفاشية، وأساليب الستالينية نموذجاً لهم في أساليب الحكم.." [7]

ويقدم لنا الدكتور سامي الجندي صورة من صور الحرية لدى البعث فيقول مصوراً تلذذهم بمشاهد الإعدام:

"وفي أستوديو التجربة، رأيت ما لا يصدقه العقل، فقد رأى أعضاء المحكمة أن يشترك الشعب بمباذلهم، فلا تفوته مسرات النصر، فعمدوا إلى تسجيل مشاهد الإعدام من المهجع إلى الخشبة، عملية عصب العينين، والأمر بإطلاق النار، ثم يندلق الدم من الفم، وتنطوي الركبتان، وينحني الجسد إلى الأمام، بعد أن تتراخى الحبال نفسها".

خُرِّجتُ ولم أقل شيئاً، فسألني أحد الضباط مسروراً: كيف رأيت يا دكتور؟! قلت: أهذا هو البعث؟!

قال: لم أفهم، أجبت: ولن تفهم!!"

وإذا بالأستاذ صلاح البيطار، يدخل لاهثاً. قال لي هل صوّرت فعلاً مشاهد الإعدام؟! قلت: نعم، قال للضباط الموجودين: "إياكم أن تنشر، فقد تسبب لنا قضية عالمية، وظل هناك حتى قصّ المختصون كل المشاهد المثيرة، ولكن بعض تلك الصور تسربت إلى خارج سورية".

ثم يتابع الجندي حديثه قائلاً: "كنا نسمع أنها أزمة تمر، وأن السجناء يرفلون في نعيم مقيم، فلا ضرب، ولا تعذيب وصدّقنا، ثم علمنا بعد شهور عديدة، أن الرفاق تعودوا عادات جديدة، فصاروا عندما يملون الحياة الرتيبة، يذهبون إلى سجن المزة، فتفرش الموائد وتدور الراح - الخمر - ويؤتى بالمتهمين للتحقيق ومن ثم تبدأ الطقوس الثورية، إذ يتفننون ويبدعون في كل يوم رائعة جديدة."

"وأظن أن الدولاب من اكتشافات آذار."

"بقي أن نسأل من هو المتهم؟ !! الجواب: كل الناس!!

فتقرير بسيط على ورقة من أحد الرفاق، تبدأ: بأمة عربية واحدة، وتنتهي بالخلود لرسالتنا، يعني شهوراً في الزنزانة، ثم إنساناً يحطم مدى الحياة" [8]

هذه شهادات قادة الحزب بتخلي البعث عن مبادئه، وتبنيه لسياسة العنف الوحشي، الذي ليس له نظير إلا في أساليب القرامطة ووحشيتهم ضد المسلمين.

وفي مجال التأميم والاشتراكية [9]:

قد يظن الإنسان أن عمليات التأميم قد أنعشت الفلاحين والعمال، وأن حلم الأجيال قد تحقق في دحر الإقطاع والرأسمالية...

لقد كانت الشعارات زائفة مروعة، فأمام التطبيل والضجيج الإعلامي، وقعت البلاد في ضائقة اقتصادية لا مثيل لها.

ولا نفتري على الحزب، فها هو الحزب نفسه يقوّم الوضع الاشتراكي في مؤسساته، ويبين مدى تطبيقه لمبادئه التي نادى به طوال حياته.

ففي تقرير المؤتمر التاسع، وفي موضوع السياسة الداخلية جاء في التقرير: "في الوقت الذي أقدمت فيه الثورة على المباشرة بالتحويل الاشتراكي، لم تتمكن من تعميق هذه التجربة وتطويرها أو حمايتها.

فقد ألحقت بها العقلية اليمينية، وكذا العقلية الفردية آثاراً سلبية مدمرة بدءاً بالتشكيك بها ووصفها بالارتجال والمزايدة، وعدم اتباع المنهج العلمي في تسييرها إلى العمل من أجل ضربها، وإفراغها من أي مضمون ثوري اشتراكي، فالرفاق ينحون باللائمة على بعضهم ليس إلا.. "إن هنالك اليوم ضائقة اقتصادية في هذا القطر نتيجة لسياسة المرحلة الماضية؟! وهي تتطلب مواجهة صريحة، وحلولاً حاسمة.. فلا بد من وضع خطة علمية للقطاع الاقتصادي، لا بد من وضع حلول عاجلة لقضايا كثيرة في هذا المضمار، وفي طليعتها معالجة الجهاز الإداري، ومكافحة الغلاء والبطالة، وتهريب الرساميل وأزمة السكن، وتسويق الإنتاج وغيرها" [10].

فحصيلة التطبيق الاشتراكي خلال أربع سنوات: غلاء في الأسعار، وبطالة في اليد العاملة، وأزمة في السكن.

ومن ثم يطلع علينا الرزاز، فيحدثنا عن اليسار المزيف ويقول: "إن يسار هذه الفئة يشبه إلى حد كبير اليسار الستاليني، فهو يسار يحمل معه كل أخطاء الستالينية وانحرافاتها..." [11]

ويحدثنا الدكتور الجندي في كتابه "البعث" عن التأميم والإصلاح الزراعي فيقول بمرارة:

"وانتهت أحلام الوحدة.. وأخذ الحكم يدور في فراغ باحثاً عن شعارات للجماهير، فدخل إلى ساحة المزايدات الاشتراكية من بابها العريض.

درسنا التأميم، فتبينا أن المعامل ـ ما عدا واحد منها ـ مدينة للدولة بأكثر من رأسمالها...

وأظنني بعد هذا، في غنى عن الحديث حول وضع المعامل وتدهورها من سوء الاستعمال، وعن العاطلين عن العمل في قلب المعامل، وهم يتقاضون راتباً على كسلهم... إن نسبة إنتاج العامل في قلب المعامل المؤممة، هي أدنى نسبة في العالم، فمثلاً أمهر عامل نسيج في العالم هو الياباني يشرف على 260مكوكاً "، وفي يوغسلافيا يدير العامل "60مكوكاً "، وفي سورية يدير العامل سبعة فقط؟!

(أما الإصلاح الزراعي فهو عجيبة القرن العشرين.. فالملكية خاضعة لأهواء موظف الإصلاح الزراعي، وقيادة الحزب المحلية، ولا سلطة لأحد عليهم)، (كان شعار التأميم والإصلاح الزراعي دائماً، هو أننا يجب أن نسبق بهما عبد الناصر... أما واقع الاقتصاد فقليل هم الذين فكروا فيه)[12]

هذا هو حزب البعث، وهذه هي شعاراته المزيفة، وهاهو الدكتور سامي الجندي أحد مؤسسي الحزب، وأحد الأركان الأساسية للثورة التي هيأت المجال لثورة الثامن من آذار/1963م، هاهو يتبرأ من الحزب، ويصاب بالإحباط نتيجة سلوكيات قادته، ويعتبر أن الانتساب إليه أضحى تهمة وعاراً . يقول:

مَنْ كان يحسب منا، أن تصبح كلمة بعثي تهمة يدفعها بعضنا عنه بسخرٍ مرّ! من كان يظن منا أن يوماً يأتي نخجل فيه من ماضينا نفر منه كذنْب اقترفناه عن عمد، فيلاحقنا في عيون البشر احتقاراً نكاد ننكر أننا كنا منه، نخفي هويتها كانت خيلاؤنا به واعتزازنا إذن غروراً؟!"

شبَابنا الذي بعثرناه على دروب الشُّعَب، أحلامنا وإيماننا، كل ذلك كان إذن عبثاً .

يكاد أحد لا يصدق أنا آمنا بقضية، يصرون على" أننا وشاة كتبة تقارير، جلادون قتلة، يتهموننا بالخيانة، يذهبون إلى أن كل ما قلناه كان انتهازية ورياء" [13]

صدق الرجل، ولا ينبئك مثل خبير بخفايا حزبه وحقائقه.
ثم يتابع قوله:وجِّدنا أنفسنا على كراسي الحكم غرَباء بعقلية جديدة، ووسائل قديمة، لَهَتْ القيادة عن رسالتها التاريخية لأنها لم تكن على قدّها... وظلت بذور فكرة البعث في أرض يباب لا نتعهدها يد أصيلة فتمرع وتخصب، فسدّرها كلٌّ على هواه، فما تعلم: ماركسية هي أم نازية، كأنها أحجية..ذابت من تناحر التيارات العقائدية، حتى ليشك بشرٌ بوجودها أصلاً " [14].

---

[1]الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ص81.
[2]البعث: د. سامي الجندي/ص161.
[3]البعث: د. سامي الجندي/ص161 - 162.
[4]التجربة المرة: منيف الرزاز/ص260، وينظر: الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ص86 - 91.
[5]المرجع السابق.
[6]ينظر: المنشور الداخلي للحزب بعنوان: أزمة الحزب وحركة 23/شباط، مقتطفات (من ص 13 إلى ص32).
[7]ينظر التجربة المرة: منيف الرزاز، بعنوان الصراع الداخلي (ص199 – 208).
[8]كتاب البعث: سامي الجندي/ ص130 - 133.
[9]ينظر: الحركات القومية الحديثة/ منير محمد نجيب، ص92 - 97.
[10]مقررات المؤتمر القومي التاسع، المنتخب في الواحد من أيلول/1966م، في السياسة الداخلية ص220 - 221.
[11]التجربة المرة: د. منيف الرزاز/ اليسار المزيف ص228 وما بعدها.
[12]البعث: د. سامي الجندي/ ص152 الوحدة الثلاثية والخلاف الداخلي.
[13]البعث: د. سامي الجندي ص9 - 10.
[14]المرجع السابق.

البعث العلماني يشنّ حربه على الإسلام وأهله:

كان البعث أول حركة قومية في الوطن العربي، تتخلى عن الإسلام، فلم تذكره في دستورها، ولم تتعرض في ثناياه حتى لكلمة الإيمان بالله، ويعتبر البعث أن القومية هي الرابطة الوحيدة بين أبناء الوطن العربي... القومية الوثنية البعيدة عن الإسلام.
لقد جاء البعث بتشريع لا صلة له بالإسلام، بل يفضل في مبادئه حكم الجاهلية، وقد أعلن صراحة تخليه عن الدين وأنه حزب علماني.
وفرضت سلطات البعث الحاكم دستوراً على سوريا لا يمت إلى الإسلام بصلة، فهاجمه كثير من الدعاة على المنابر فأودعوا السجون لسنوات عديدة، ذاقوا فيها الويلات من التعذيب الوحشي، وأفرج عنهم قبيل اجتياح إسرائيل للجولان.
صدر ذلك الدستور المشؤوم والمؤقت في شهر نيسان/1964 وفيه أن "سوريا جمهورية ديمقراطية اشتراكية."
حارب حكام البعث الإسلام عقيدة ومنهجاً وفكراً، ونشروا كتب الإلحاد والجنس في المكتبات العامة كما فرضوا الاختلاط في المدارس، وفي مخيمات الفتوة، وخلال التنظيمات الحزبية وأشباهها، وفرضوا خلع الحجاب في مدارس البنات وفي الشوارع والمنتديات العامة، حتى وقع بعض القتلى بسبب تلك الأحكام.
لقد كانت حملة شرسة، من الإفساد والتخريب، قد شملت مجالات الحياة كلها.
بعد أنْ صفوا الجيش إلا من أتباعهم، التفتوا إلى إفساد التعليم في المدارس والجامعات.. فنقلوا أكثر من ألف مدرس من وزارة التربية إلى وزارات أخرى، كالتموين والمواصلات والصناعة، وكلهم من ذوي الاتجاه الإسلامي، كما نقلوا معظم المدرسات المسلمات ذوات اللباس الشرعي، إلى تلك الوزارات.
"فتحول مدرسو التربية الإسلامية إلى كتبة في دوائر المالية والتموين وبقية المؤسسات، حتى يمنعوا تأثير مدرسي الدين ومدرساته عن الأجيال المسلمة.. كما جعلوا بعض المدرسات في المدارس المختلطة لتدريس الشباب المراهق، كل ذلك كان يتم بقوة الحديد والنار" [15]
وفي ظل ظلمات الطوارئ، كان يتم كل شيء: الاغتيال والاعتقال والتعذيب، وانتهاك حرمات النازل، وما كان يعجزهم اختلاق المثيرات...
فقد أعلنَ ناعق منهم في مجلة عسكرية قبيل عام/1967م بُأنّ الله والأديان والأنبياء، ما هي إلا دمى محنطة يجب أن تأخذ مكانها في متاحف التاريخ" [16].
وعندما فرضوا دستورهم بعيداً عن الإسلام، واعترض الدعاة في المساجد، داهمت كتائب الحاقدين المدن السورية وهاجموا مدينة حماة/1964م، وهدموا مسجد السلطان فيها على رؤوس المصلين وطلبة العلم، واللاجئين إليه هرباً من القصف والدمار.. تم ذلك أيام رئاسة أمين الحافظ، المحسوب على أهل السنة، وكان قائد القوات التي حاصرت حماة وهدمت المنازل والمساجد، هو الضابط الدرزي (حمد عبيد)
وفي دمشق تابعت كتائب البعث مهمتها، فاقتحمت الآليات العسكرية مسجد بني أمية، لتجدد ذكرى هجوم القرامطة على بيت الله فقتلت الركع السجود، والمكبين على تلاوة كتاب الله، وساقت بالسياط وأعقاب البنادق أهل العلم، إلى باستيل سوريا، إلى سجن المزة.
وكان قائد الهجوم على مسجد بني أمية العقيد الدرزي (سليم حاطوم)، وكانت برقيات التأييد من الأعوان تذاع من إذاعة دمشق، وبينها ذلك البيت السفيه يعلن على الملأ نوايا القرامطة الجدد يقول سفيههم:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وكان الجند الملاحدة ينشدون:

هات سلاح وخذ سلاح دين محمد ولّى وراح

وفي حمص قاد الحملة على مسجد خالد بن الوليد، ابن حمص العاق نور الدين الأتاسي، امتطى المصفحة لتدك أبواب المسجد الكبير، وتقتل المصلين في جنباته [17].

وبذلك عاث البعث في البلاد فساداً وتخريباً ودماراً .

---

[15]الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم/ص14.

[16]مجلة جيش الشعب للمرشح إبراهيم خلاص، العدد (497)، في 25/نيسان/1967م، قبل هزيمة حزيران بشهر وعشرة أيام فقط.

[17]الإسلام في مواجهة الباطنية، أبو الهيثم/ص15، دار الصحوة للنشر/ مصر، 1405 - 1985م

الجاسوس الإسرائيلي إيلي كوهين في دمشق كاد أن يصبح وزيراً للدفاع أو رئيساً للوزراء [18]

كتبت مجلة المجتمع الكويتية تحت هذا العنوان ما موجزه:

هنالك حملة إسرائيلية لاسترداد بقايا أخطر جاسوس في تاريخ الموساد، ولعله لم يبرز على امتداد تاريخ جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية "الموساد" شخصية مغامرة وجريئة، خدمت القضية الصهيونية، والدولة اليهودية كما فعل "إيلي كوهين".

فالمعلومات التي قدمها لدولته، ساعدتها على الانتصار في حزيران/1967م، خلال ساعات معدودة، وقد أوشك هذا الجاسوس أن يتقلد منصب وزير الدفاع، بل ورئيس وزراء في عهد الرئيس (أمين الحافظ) في منتصف الستينات، قبل أن يكشف أمره عام/1965م [19].

ويقوم شقيقه "موريس كوهين"، وهو من اليهود المتدينين بتحويل كنيسه الذي أقامه في إحدى ضواحي تل أبيب إلى مركز ديني محلي ضخم تخليداً لذكرى أخيه الجاسوس.

وهناك موقع على شبكة الانترنيت متخصص لذكرى كوهين ولجمع رسائل الاسترحام، وإرسالها إلى الرئيس السوري حافظ أسد، لإطلاق سراح ما تبقى من عظام إيلي كوهين الذي عاش بين السوريين باسم "كامل أمين ثابت".

وتمثل الحملة التي يقوم بها اليهود ودولة إسرائيل، للضغط على الحكومات السورية منذ ثلاثين عاماً لتسليم رفات كوهين إلى ذويه، تمثل صورة مثيرة تعكس مدى تقديس اليهود لأحيائهم وأمواتهم على حد سواء!!!

أما اكتشاف أمره: فقد كان عن طريق سفارة الهند المجاورة لشقة كوهين في دمشق، بسبب التشويش على جهاز اللاسلكي المستخدم في السفارة حيث استعانت السلطات السورية (بخبراء روس) أحضروا جهازاً متطوراً، استطاع في النهاية تحديد مصدر التشويش في شقة كوهين، وتم القبض عليه متلبساً بالجريمة.

واعتقلت السلطات السورية أكثر من "500 شخصية" ممن كان يعتقد بصلاتهم مع كوهين، وضمت القائمة سكرتيرات في الحكومة ومضيفات طيران، كن يترددن مع مسؤولين بارزين وضباط من ذوي الرتب العالية على تلك الشقة.

هذا وكان أمين الحافظ هو الذي جاء بكوهين إلى دمشق بعد أن التقى به في الأرجنتين حينما كان ملحقاً عسكرياً عام/1960م وكان كوهين ينتحل أنه مواطن من أصل سوري ولد في بيروت، ونشأ في الإسكندرية، وهاجر إلى الأرجنتين، وبعد اكتشاف أمر الجاسوس تنصل الحافظ من معرفته به.

وكان كوهين قد تلقى دورات تدريب مكثفة في اللغة العربية واللهجة السورية، حيث كان يتكلم اللهجة المصرية إضافة إلى اللغة العبرية.. كما أنهم ذهبوا به إلى شيخ مسلم في منطقة الناصرة، يدعى "محمد سليمان" ليعلمه القرآن الكريم وصلاة المسلمين.. وكان يتردد على المساجد لتأدية الصلاة حتى يألف الدين الإسلامي ويتشربه "حسب اعترافات الموساد."

وكان كوهين مخلصاً للعمل الذي جاء من أجله إلى سوريا، فاستأجر شقة مقابل قيادة أركان الجيش السوري، في شارع تكثر فيه السفارات الأجنبية في دمشق.

وكانت شقته مفتوحة لكبار المسؤولين في عهد أمين الحافظ، وإلى كبار الضباط، بل كان كوهين يعطيهم مفاتيح شقته أحياناً للعربدة والفسق والفجور، دون أن يشاركهم، ودون أدنى حرج من وجودهم في شقته التي كانت تحتوي على أجهزة الإرسال والتجسس، ولم يكن ذلك يثير ريبتهم، وكان الجاسوس مطمئناً إلى استحالة كشف هويته.

وكان قد أغدق الهدايا الثمينة على كبار المسؤولين وعلى نسائهم، باعتباره أحد أثرياء المهجر؟!!

ومن خلال موقع شقته المطلة على مقر قيادة الجيش السوري، وانفتاح المسؤولين والضباط عليه دون حرج، كانوا يكشفون له أدق المعلومات العسكرية الخاصة بالجيش، وبالمناوشات بين الجيش السوري وجيش إسرائيل على جبهة الجولان، ومن خلال تردده على قيادة الأركان ومرافقته لبعض الضباط إلى معاينة الجبهة في الجولان وما فيها من استعدادات للحرب.. أدى الدور المنوط به.

فكان كوهين يجمع هذه المعلومات الحساسة الخطيرة، ويرسلها إلى مسؤوليه في الموساد عن طريق اللاسلكي، والأجهزة الدقيقة التي كانت في حوزته.

وحوكم كوهين، حَاكَمهُ الذين صحبوه ورافقوه، وأهدى إليهم وإلى نسائهم: سليم حاطوم، وأمين الحافظ... الخ.

ولم تسمح السلطات السورية لأحد بمقابلة كوهين قبل إعدامه، سوى صحفي لبناني نقل عنه قوله" :ذهبت إلى سوريا للعمل من أجل بلدي، من أجل مستقبل شعبي وزوجتي وأطفالي الثلاثة، ويهمني أن يعرف الناس أنني لم أخن إسرائيل قط.

لمحة عن حياة الجاسوس:

كان كوهين قد انضم إلى الموساد عام/1960م، وبعد تدريب مكثف، أرسل إلى الأرجنتين على أنه مواطن سوري، وهنالك تعرف على أمين الحافظ الملحق العسكري لسوريا، ثم توطدت العلاقة بينهما، وأقنع الحافظ كوهين بالانضمام إلى حزب البعث.

وبعد انقلاب الثامن من آذار/1963م، عين الحافظ رئيساً للجمهورية السورية، وبعد ذلك الانقلاب المشؤوم انتخب كوهين عضواً في القيادة القومية لحزب البعث، وصار يحضر جميع الاجتماعات القيادية في الحزب، وأصبح مقرباً من الدوائر الرسمية العليا.

تمت محاكمة الجاسوس، ما بين 28/شباط - 19 /آذار لعام/1965م، أمام محكمة عسكرية، تجاهل خلالها أنه يعرف أحداً من أعضاء المحكمة، وكان مطمئناً إلى أن رفاقه في الحزب، والذي كان قد أغدق عليهم الأموال والهدايا، لن يضحوا به.

وفي 8/أيار/1965م، صدر حكم الإعدام ضده، وبعد عشرة أيام، تم إعدامه شنقاً في دمشق.

لم يستطع رفاق كوهين في السلطة، وممن حاكموه، لم يستطيعوا حمايته أمام الجماهير التي عرفت قصته بعد أن فضح أمره.

---

[18]ينظر مجلة المجتمع: بقلم محمود الخطيب - عمّان/ العدد 1344، ذو الحجة 1419هـ، 1999/4/6م.

[19]المعروف أنه عرض على كوهين منصب وزير المغتربين، لكنه رفض ذلك المنصب حتى لا تسلط عليه الأضواء، وكيلا يكتشف أمره.

سقوط الجولان وتسليم القنيطرة عام/1967م [20]

كانت السلطات السورية قد صعدت التوتر في إعلامها، من أجل تعجيل المعركة مع إسرائيل، رغم أنها لم تتفرغ لها أصلاً منذ انقلاب آذار عام/1963م، فالتصفيات في الجيش، والصراع بين قادته وبين أجنحة الحزب، كانت تهيئ للهزيمة المنكرة.

يقول الدكتور سامي الجندي:
كانت آرائي كلها ضد الحرب، ولم أُخفِ أبداً أن الحكم كان يعد لهزيمة.. بل كان يعد لهزيمة العرب الآخرين، كي يبقى هو "الثوري الوحيد، سيد المناخ الثوري العربي" [21] بينما كان وزير الدفاع حافظ الأسد يقول: "هناك إجماع في الجيش السوري، الذي طال استعداده ـ ويده على الزناد ـ على المطالبة بتعجيل المعركة، ونحن الآن بانتظار إشارة من القيادة السياسية" [22].
بدأت المعارك على الجبهة المصرية، ولم تشترك سوريا في الحرب إلا بعد ثلاثة أيام؟! وبدأت الشائعات تسري عن أوامر صدرت عن القيادة بالانسحاب، وهنا بدأ عدد كبير من الضباط بالانسحاب، وأشاعوا بأن أوامر القيادة العامة صدرت بالانسحاب كيفياً، فانهزم قائد الجيش "اللواء أحمد السويداني" عن طريق مدينة (نوى) إلى دمشق تاركاً وحدات الجيش في الجبهة دون قيادة "سني من حوران ومن أنصار صلاح جديد" وانهزم قائد الجبهة العقيد "أحمد المير ـ إسماعيلي"، وغادر الجبهة فاراً على ظهر حمار، لأنه لم يجرؤ على الفرار بواسطة آلية عسكرية خوفاً من القصف الجوي.
وعندما اتصل العديد من الضباط بوزير الدفاع حافظ الأسد بالأجهزة اللاسلكية، أجاب بأنه أخذ علماً بالوضع وأنه اتخذ الإجراءات اللازمة؟!!
ثم دب الفزع مع قصف الطيران الإسرائيلي، وانقطاع التموين، وانتشار الفوضى، فاتجه أكثر الضباط (مولين الأدبار"نحو دمشق طلباً للنجاة، تاركين جنودهم كتلاً لحمية وقليل جداً هم الضباط (من غير البعثيين) الذين صمدوا وقاتلوا ،وبلغت الخيانة ذروتها عندما أذيع البيان الفاجر الذي أعلن عن سقوط القنيطرة، قبل وصول العدو لها بيوم وليلة.
وقد شهدت أرض الجولان وما حولها من طرق مؤدية إلى دمشق، كما شهدت سهول حوران المأساة المروعة منذ صباح الجمعة وحتى صباح الأحد في 11/حزيران/1967م شهدت آليات محروقة، وعربات انقلبت خلال عملية الفرار من قصف الطائرات، وأسلحة جديدة تلمع تحت أشعة الشمس وقد تركها الجند بين الأعشاب وحقول المزروعات.
لقد صدر البلاغ الفاجر من إذاعة دمشق صباح السبت في العاشر من حزيران، الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وهو يعلن سقوط القنيطرة بيد قوات العدو، صدر البلاغ رقم "66" وهو يحمل توقيع وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد [23].
فالجيش السوري لم يبدأ الحرب إلا بمناوشات بسيطة في اليوم الثاني، تقول جريدة النهار البيروتية: "لم تبدأ سوريا الحرب إلا صباح السادس من حزيران، رغم أن سوريا هي سبب الحرب، وهي الداعية إليها".. فلماذا تأخرت (22 ساعة) عن دخول الحرب الفعلية؟! لا بد أن هنالك خطة مريبة مُبيّتة.

يقول الدكتور سامي الجندي مشيراً إلى تلك الخطة:
"عندما نتتبع فصول معركة الجولان، نجد أن العسكريين الذين قاوموا، فعلوا ذلك دون أوامر، أما الذين صدرت إليهم الأوامر فقد انسحبوا بناء على خطة، ترى ما هي الخطة؟!"

تم إخلاء السكان من الجولان منذ 5/حزيران، لماذا؟! لست بحاجة إلى القول: إن سقوط القنيطرة قبل أن يحصل، هو أمر يحار فيه كل تعليل نبنيه على حسن النية."
"فوجئت لما رأيت على شاشة التلفزيون ـ في باريس ـ مندوب سوريا في الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة، ووصول قوات إسرائيل إلى مشارف دمشق، ومندوب إسرائيل يؤكد أن شيئاً من ذلك لم يحصل" "قال لي الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية السوري: إنها كانت خطة ماهرة لإرعاب العالم من أجل إنقاذ دمشق" [24].
لقد كان أكثر من (90%) من ضباط وحدات الألوية من المعلمين الذين دربوا مؤقتاً، وهم من البعثيين أو النصيريين وتركت الوحدات المدربة القوية والحزبية داخل البلاد، لتحمي الثورة من الشعب المسكين!!
وكان البعث وحكومته قد سرحوا الضباط الأكفاء من ذوي الاختصاص، وشردوا آخرين سجناً وتقتيلاً قبل حزيران العار [25].

يذكر سعد جمعة، رئيس وزراء الأردن خلال تلك الحرب: "بأن برقية عاجلة جاءت إلى مسؤول سوري، حول تطمين إسرائيل للنظام الحاكم في سوريا، وأنها لا تنوي مهاجمته، وبإمكانها أن تتعايش مع الحزب الاشتراكي، والطائفة العلوية؟."!!
"وبينما كان المسؤول السوري يعرض المقترحات الإسرائيلية كانت الطائرات الإسرائيلية، تدمر المطارات والطائرات السورية" [26].
فهل هذه هي الخطة المشؤومة التي أشار إليها وزير الخارجية ماخوس، خلال حديثه مع سامي الجندي؟!
وفي أحد اجتماعات الحزب التي أعقبت الجريمة.. قال إبراهيم ماخوس أمام الرفاق: "لا تنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلي، هو إسقاط الحكم التقدمي الثوري في سوريا، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث هو عميل لإسرائيل"؟! [27].
وقد صرح قائد الجيش البعثي (أحمد السويداني) بأنه لم يُستشَر في البلاغ الذي أعلن سقوط القنيطرة، وإنما سمعه من الإذاعة كغيره من المواطنين" [28].

وخلاصة القول من خلال رأي الدكتور الجندي وتصريحات المسؤولين السوريين، وزير الخارجية ماخوس، وقائد الجيش السويداني، وما نقله رئيس وزراء الأردن سعد جمعة، وهو رأي كل مواطن بسيط، عاش أحداث حزيران في سوريا هو: "أن المفاوضات السرية كانت قد تمت بين سوريا وإسرائيل، وانتهت المفاوضات على أن يتم تسليم الجولان دون قتال، مقابل تراجع إسرائيل عن احتلال دمشق، ومن أجل ذلك أعلن عن سقوط القنيطرة عاصمة الجولان، وأخليت من السكان، وغادرها المحافظ ـ عبد الحليم خدام ـ قبل وصول قوات إسرائيل بثلاثة أيام، وتم انسحاب الجيش السوري عن الجبهة، بهذه المسرحية العجيبة" [29] أما ما عدا ذلك من ضجيج وتطبيل، فهو أسلوب باطني بعثي رخيص.
وهل انتهى حصاد الأشواك والعلقم، نتيجة لسياسة البعث الباطني الحاقد، عند هذا الحد؟! أم أن مسلسل التآمر يستمر طويلاً للإجهاز على المسلمين وديارهم؟! [30]. وهاهي المفاوضات ناعمة الملمس تستأنف تحت جناح ولي نعمتهم "كلنتن" في واشنطن، قبل نهاية القرن العشرين بأيام، من أجل القيام بمسرحية جديدة، لم تكتمل فصولها بعد.

[20] انظر مفصلاً، سقوط الجولان لخليل مصطفى بريز، ضابط الاستخبارات في الجولان قبل الحرب، طبعة مصر، دار النصر للطباعة الإسلامية،1980، والصراع العربي الإسرائيلي: محمد بن عبد الغني النواوي/ص390 - 440 الجزء الأول، 1403 هـ0 1983م.

[21]كسرة خبز: د. سامي الجندي ص15، وهو من أعمدة النظام الحاكم كان وزيراً للإعلام، ثم سفيراً لسوريا في باريس خلال فترة الحرب.
[22]جريدة الثورة في 20/آيار/1967م.
[23]ينظر:سقوط الجولان، خليل مصطفى بريز/ص96 - 106.
[24]كسرة خبز: د. سامي الجندي ص16 - 18، الطبعة الثانية، بيروت ـ دار النهار للنشر.
[25]سقوط الجولان/ص165 وما بعدها.
[26]المؤامرة ومعركة المصير: د. سعد جمعة/ص109 - 111، الطبعة الثالثة.
[27]ينظر سقوط الجولان/ص262، وما بعدها.
[28]المرجع السابق.
[29]الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ص105.
[30]وفي الباب القادم سوف نرى كيف أكمل حافظ الأسد المخطط التآمري طوال ثلاثين عاماً ضد المسلمين وديار المسلمين.

الباب الثالث : عهد الرئيس حافظ الأسد (1970 - 2000م)

- **الفصل الأول**: حافظ الأسد من هو؟! وكيف وصل إلى قمة السلطة؟
- **الفصل الثاني**: السياسة الداخلية لحكومة الأسد
- **الفصل الثالث:** سياسة الأسد الخارجية وتناقضاته في المجالين العربي والداخلي
- **الفصل الرابع:** مَنْ سيخلف الأسد على رئاسة الدولة؟!
- **الملاحق**

الفصل الأول: حافظ الأسد من هو؟! وكيف وصل إلى قمة السلطة؟

- أصوله النصيرية وانتماءاته الحزبية
- استغلاله لحزب البعث والتخلص من قياداته التاريخية
- اعتماده على الطائفة النصيرية من خلال أهله وعشيرته وأعوانه
- حافظ الأسد أول نصيري يتسلم منصب رئاسة الجمهورية في سوريا
- ملامح من خطة الأسد في حكمه... وكثافة أجهزة الأمن والإرهاب

الفصل الأول:
حافظ الأسد: من هو؟! وكيف وصل إلى قمة السلطة في البلاد.

أصول الأسد وانتماءاته الحزبية:
تعتبر فترة حكم الأسد ظاهرة غريبة في تاريخ أمتنا المعاصر ويعتبر استمراره في الحكم مدة ثلث قرن أشد غرابة...
وخاصة إذا عرفنا خلفيته الحزبية والطائفية...
كان الأسد ضابطاً مغموراً، يكره الإقدام والمغامرة، تسلل إلى انقلاب الثامن من آذار، دون أن يكون له يد في صنعه، فلم يكن عضواً في قيادة ذلك الانقلاب/1963م وبعد توالي الفتن والانقلابات، أصبح الأسد عضواً في مجلس قيادة الثورة، وفي القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم [31].
وفي 23/شباط/1966م، سيطرت الطائفة النصيرية بالتعاون مع الأقليات الدينية الأخرى على الحكم، وأطاحت بالقيادة القومية لحزب البعث، وبرئيس الدولة أمين الحافظ.
ومن ثم أطاحت القيادة النصيرية بشركائها في الثورة، بسليم حاطوم وبقية الضباط الدروز... فخلا الجو لمحور صلاح جديد وحافظ أسد...
واستمر مسلسل الصراع، فقام الأسد بما سماه الثورة التصحيحية في 16 تشرين الثاني/1970م، ضد شركائه الباقين فأطاح بصلاح جديد وعصابته، وأودعهم السجون السورية بما في ذلك رئيس الدولة ـ نور الدين الأتاسي ـ ورئيس مجلس الوزراء ـ يوسف زعين ـ.
وكان الأسد شريكاً في الحكم بعد الثامن من آذار/1963م من خلال القيادة القطرية ووزارة الدفاع.
لقد تسلل الأسد إلى الحكم بعد الصراع الدامي بين أجنحة الحزب، ومن خلال تخطيط الطائفة النصيرية.. بعد أن تعاونت الأقليات الباطنية في الجيش، وبعد أن "تجاهلت الأحزاب العلمانية الإسلام كعقيدة دينية يقوم عليها بناء الأمة، وكانت المحصلة شيئاً مخجلاً، فقد وقع منذ عام/1949م إلى اليوم أكثر من ثمانية عشر انقلاباً، وحكم البلاد أكثر من (55 حكومة)، وحورب الإسلام عقيدة وشريعة" [32].

ولد حافظ الأسد في 1930/10/6م، في قرية ـ قرداحة ـ في جبال العلويين من محافظة اللاذقية، ونشأ في أسرة مستورة الحال، وكان جده (سليمان الأسد) ممن وقعوا على وثيقة قدمت للمستعمر الفرنسي، تضمنت الاعتراض على وحدة سوريا واستقلالها، وتطالب باستمرار استقلال الدويلة العلوية تحت مظلة فرنسا؟!
وحافظ أسد ينتسب إلى قبيلة "النمالاتية"، وهي فرع من عشيرة (المتاورة).. وكان الأسد متعاطفاً مع الحزب القومي السوري في مطلع حياته، ثم دخل الكلية العسكرية عام/1952م، وتخرج منها عام/1955م [33].

[31]الصراع العربي الإسرائيلي: ج 1 محمد بن عبد الغني النواوي، ص357.
[32]الدكتاتورية: محمد عبد الواحد حجازي/ص154.
[33]النصيرية: تقي شرف الدين/ص187.

استغلاله لحزب البعث والتخلص من قياداته التاريخية:

برز اسم حافظ الأسد بعد انقلاب 8 آذار/1963م، من خلال اللجنة العسكرية، كما شارك في انقلاب/1966م، ضد أمين الحافظ، ثم انفرد في السلطة بعد انقلاب/1970/11/19م فقد ركب الموجة المواتية، موجة حزب البعث، واشترك في التخطيط والتنفيذ لتغلغل الطائفة النصيرية من خلال اجتماعات الطائفة وقادتها العسكريين والمشايخ المعتمدين عندهم، بهدف السيطرة على البلاد، وإقامة حكومتهم المنتظرة [1].

وإذا أردنا معرفة أبعاد شخصية الأسد، وأبعاد فترة حكمه، لا بد من إلقاء الضوء على جذوره الحزبية والطائفية.

فحزب البعث: الذي ينتسب إليه حافظ الأسد، هو الحزب الذي ضم "إيلي كوهين" الجاسوس الإسرائيلي، باسم "كامل أمين ثابت"، وكان قد تعرف عليه أمين الحافظ، حينما كان ملحقاً عسكرياً لسوريا في الأرجنتين، وأصبحت له صلات قوية بضباط البعث وقياداته أمثال: حاطوم والحافظ والضللي.

وحزب البعث هو الذي شكا منه طاغوت مصر جمال عبد الناصر، الذي تضرب بدهائه الأمثال، ناهيك عن غدره ومكره وبطشه بزملائه، ومع ذلك اعترف بتفوق بعث العفالقة عليه فقال: "أنا شفت من البعث السوري ما لم يره إنسان" "ولا بد أن أقول:أني مَدْيان بالشك وعدم الثقة من البعث السوري" [2].

وحزب البعث هو الذي تنكر لمبادئه عملياً، وخان رسالته بعدما وصل إلى سدة الحكم، وذلك باعتراف قادته ومنظريه فمؤسس حزب البعث، ميشيل عفلق نصراني، وزكي الأرسوزي "نصيري" من المؤسسين للحزب، وقد ساهم معهما عدد من فساق المسلمين أمثال صلاح البيطار، وغيره.

قال عفلق في كتابه، "في سبيل البعث:"

"إن التعجيل في النضال الاشتراكي، يقضي على مخاوف الأقلية اليهودية في استحالة تعايشها السلمي العادل مع العرب؟"

وكشف الصهيوني "فنربروكوي" عضو حزب العمال البريطاني عن محادثات جرت بينه وبين قيادة حزب البعث في سورية عام 1958م، عن مدى التقارب بين الحزب وإسرائيل فقال:

"على الاشتراكيين الإسرائيليين، أن يعلموا أن الأستاذ ميشيل عفلق، الأمين العام لحزب البعث يقول بكل صراحة:إنّ الشعب اليهودي قد جاء إلى الشرق الأوسط ليبقى فيه" [3].

فهؤلاء هم عفالقة البعث، وهذه تصريحات قادتهم ومؤسسيهم، وقد جاءت القيادة القطرية، والطائفة النصيرية لتكمل عملية الصلح والاستسلام لليهود.

---

[1]ينظر: المخطط النصيري للانفراد في السلطة، الباب الثاني، الفصل الأول من هذا الكتاب.

[2]محاضر محادثات الوحدة/ص49، وص12، نقلاً عن الصراع العربي الإسرائيلي، ج1/ص381.

[3]من مقال ـ فنربروكوي ـ في مجلة نظرة جديدة الإسرائيلية في عددها الصادر يوم 7 شباط/1958م، نقلاً عن كتاب: المسلمون والحرب الرابعة/ص117 وما بعدها.

الطائفة النصيرية التي اعتمد عليها في حكمه:

فهي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، تسكن حالياً جبال النصيرية حول اللاذقية، وفي الساحل الشمالي لسوريا، كانت فقيرة متخلفة نسبة إلى بقية مناطق سوريا، ولا تزيد نسبتهم (عن 10 - 12%) بالنسبة إلى سكان سوريا.

وتنسب هذه الطائفة إلى محمد بن نصير البصري النميري، وهو فارسي الأصل، زعم أنه ممثل لمحمد بن الإمام الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية، ثم ادعى أنه نبي من عند الله ، وادعى بعد ذلك الربوبية، وقال بإباحة المحارم، وتحليل الشذوذ الجنسي بين الرجال[4]

وقد غلا النصيريون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالوا بألوهيته، مع اعتقادهم بتناسخ الأرواح، والتأويل بالباطن والتقية، ويرون إسقاط التكاليف الدينية عن أتباعهم.

ومفهوم العبادة عندهم يتلخص بالحب والطاعة والولاء لأئمتهم ورؤسائهم، ويغني ذكر هؤلاء عن الوضوء للصلاة والاغتسال من الجنابة.

والنصيريون يبيحون الخمرة ويعظمونها، وتقدم مع المرأة للشاب الداخل في أسرار الدين، باعتبارهما جزء من الضيافة للمستجد في تعلم أسرار الدين، فهم يبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضاً، لأن المرأة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة فرجها إلى أخيها المؤمن فقط، وهذا ما يفسر تساهلهم في قضايا العرض في العصر الحديث[5].

إضافة إلى فقرهم المدقع الذي كان يدفعهم إلى تشغيل بناتهم في المدن الكبرى، أو بيع بعضهم لهنَّ بأسعار زهيدة كما هو معروف لدى أهالي سوريا قبل عقود من هذا القرن.

" وموقف النصيرية من الأديان والشرائع السابقة، هو موقفعداء ومناصبة، وموقف نسخٍ وإلغاء."

وقد لعبت عزلتهم الاجتماعية والجغرافية دوراً كبيراً في انطواء الطائفة على نفسها، وما ينتج عن ذلك، من تعصب وترقب وحذر"[6]

وقد ركب النصيريون الموجة العالية باستمرار، إذ كانت لهم اليد العليا في الحزب القومي السوري، حين كانت له الغلبة السياسية المؤثرة في البلاد، حتى إذا تهاوت قوته، انتقل الثقل السياسي إلى حزب البعث، سارعوا في الانضمام إليه منذ عام/1957م، ثم تسللوا إلى قيادته القطرية، والانفراد بمقاليد الحكم في البلاد، وهو ما خططوا له طويلاً ...[7].

هذا هو حافظ أسد، وهذه هي أصوله في الحزب والطائفة.

---

[4]فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي/ص103، طبعة النجف/1969م.

[5]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب، "ص341، ص369، وص390"؛ وتفصيلاً لذلك: الباب الرابع من هذا الكتاب/ فصل النصيرية.

[6]النصيرية: تقي شرف الدين/ص39 - 40.

[7]الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم: محمد عبد الواحد حجازي ص156/الزهراء للإعلام العربي - 1409هـ - 1988م، القاهرة.

الأسد ورئاسة الجمهورية: (1970م)

فرض الأسد نفسه لرئاسة الجمهورية بالقوة العسكرية، وأصبح أول رئيس جمهورية من غير أهل السنة، في تاريخ البلاد.
وقد اختير رئيساً منذ عام/1970م، بنسبة 99.2% من الأصوات، كما تزعم وسائل الإعلام المحلية، وهذه نسبة سحرية لا تعرف إلا في بلدان العالم الثالث، وقد تولى كبرها جمال عبد الناصر، وسار على منواله القادة العسكريون: حسني الزعيم، أديب الشيشكلي وآخرون، فهل هنالك مرشح آخر ينافس هؤلاء؟! وهل يجرؤ أحد أن يقول: لا؟!
ومَنْ لا ينتخب الرئيس لا يمكن أن تسهل له معاملته داخل سوريا هذه الأيام، لأن البطاقة الانتخابية لا بد من إبرازها عند كل معاملة رسمية، والويل لمن لا تكون أختام الانتخابات كاملة، سواء في انتخابات الرئاسة أو مجلس الشعب.
" ولذلك بلغت نسبة انتخاب الأسد في الولاية الخامسة 99.98% من الأصوات، كما صرح بذلك وزير الداخلية السوري، الدكتور محمد حربة في مؤتمره الصحفي، وأن عدد غير الموافقين كان "219 خصاً " فقط [8].

والذين تابعوا عملية الانتخاب هذه، وجدوا غرائب وعجائب تكاد لا تصدق. فقد بلغ الذعر والتزلف عند عامة الشعب السوري مبلغاً عظيماً، إذ قتلت روح الصراحة عند أكثرهم، بعد أن قتلوا جذوة العقيدة في النفوس، وظهرت انحرافات خطيرة لم تعرف في تاريخ البلاد من قبل.
من ذلك ما نقله شهود عيان حول مظاهر انتخابات الرئيس الأخيرة:
ـ أنه قد علقت لوحة كبيرة في دمشق كتب عليها:
"إله في السماء وإله في الأرض" تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
ـ كما نقل عن بعض مشايخ السلطة المتزلفين قوله: مَنْ أطاع حافظ أسد فقد أطاع الله ، ومن عصى حافظ أسد فقد عصى الله".
ـ وكُتب على بعض جدران دمشق: "طلبنا من الله المدد، فأرسل لنا حافظ الأسد."
وكان أحد باعة البطاطا في مدينة سورية ينادي على بضاعته: "آخر بيعة يا بطاطا!!"، فأخذت قوات الأمن ذلك البائع المتجول المسكين، وأودعته السجن، وعذّب عذاباً شديداً، ظناً منهم أنه يعرض ببيعة الرئيس، وبعد أن أُفهم جريمته؟! وخرج من سجنه، صار ينادي: "إلى الأبد يا بطاطا"؟!
وذكر أن الشوارع قد غصت بالمواطنين حول عدد من السفارات السورية في الأقطار العربية، وهم يرقصون فرحين ينادون (بالدم نفديك) رغم أن أكثر هؤلاء المتملقين لا يحملون جوازات سفر من بلادهم ولا من تلك القنصليات!!
وقد تكررت هذه المسرحية عند انتخاب ولده بشار فكانت نسبته 97.29 ٠ %

[8]جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1999/2/12م، وجريدة الرياض بنفس التاريخ.

ملامح خطة الأسد في حكمه:

لقد استغل الأسد تطلعات النصيرية لإقامة كيان مستقل لهم، وسخر الحزب وأجهزة الأمن المختلفة لتحقيق أهدافهم، والتوصل إلى ما تصبو إليه نفسه من طموحات وأغراض، فأحكم القبضة على البلاد، واعتمد على بعض الضباط والسياسيين من غير الطائفة ممن لا رأي لهم في صنع القرار، وتعاونت معه بعض الأحزاب فيما سمي "بالجبهة الوطنية التقدمية"، التي تقرر إنشاؤها بعد 1970/11/16م، وتتألف من حزب البعث، وقسم من الحزب الشيوعي السوري، والاتحاد الاشتراكي العربي، وحركة الاشتراكيين العرب، ومنظمة الوحدويين الاشتراكيين، والمنظمات الثلاثة الأخيرة ذات توجه ناصري اشتراكي.
وكانت مهمة الوزراء المسلمين شكلية للاستهلاك والتمويه فقط..
ويزعم هؤلاء أن هدف الجبهة التقدمية هذه، هو تنسيق نشاط جميع القوى السياسية من أجل تحرير الأرض العربية المحتلة بعد 5/حزيران/1967م، إلى جانب تحقيق الوحدة العربية؟!!

وحزب البعث بقي ستاراً لحافظ أسد[9] وطائفته، لأن قادة الحزب قد سجنوا أو قتلوا، وبقي الحزب مظلة للجبهة التقدمية وتوجهات الحكم الجديد.
وهذه الجبهة عدد ممثليها محدود، وفاعليتها تتميز بالتبعية للطائفة والحزب.
ومن الرجوع إلى المادة الثامنة من الدستور السوري نرى مصداق ما تقدم، ففيها:
"إن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة، ويقود جبهة وطنية تقدمية، تعمل على توحيد طاقات جماهير الشعب، ووضعها في خدمة أهداف الأمة."
فأي إرادة للشعب في اختيار ممثليه، إذا كان الحزب مفروضاً بحكم الدستور لقيادة الدولة والمجتمع؟!

وقد اعتمدت خطة الأسد في حكمه على ست قواعد هي[10]:
1- توفير الأمن للحكم وللطائفة النصيرية.
2- السيطرة على القوات المسلحة مع الاعتماد على كتلة الضباط الموالين له من الطائفة النصيرية، ممن تمركزوا في مواقع استراتيجية في القوات المسلحة، وإبعاد العناصر المناوئة إلى الجبهة مع إسرائيل أو إلى لبنان.
3- تسخير الاقتصاد السوري لإنشاء دولة خاصة بالنصيريين.
4- صد كل تحرك شعبي معارض، وسحق الاتجاهات السنية، ومطاردة أصحابها في كل الأقطار.
5- محو المقومات الإسلامية للشعب السوري، ومسخ هويته وأخلاقه، ونشر الفساد بكل أشكاله.
6- محالفة القوى الخارجية، التي تضمن استمرار النصيريين في تسيير دفة الحكم في البلاد، ومن ثم إقامة دولتهم المنتظرة.

بهذه الخطة الطائفية العنصرية، عمل الأسد على إحكام قبضته على سوريا، واقتضى ذلك أن تتنوع أجهزة الأمن التي تكفل حمايته.
وأهم هذه الأجهزة الأمنية:
ـ جهاز المخابرات العامة، وجهاز أمن الدولة الذي يضم أكثر من عشرين ألف شخص، قياداته نصيرية، ومهمة الجهاز هو التجسس على كل بيت، وملاحقة كل مواطن.

ـ جهاز الأمن المركزي والمخابرات الجوية.
ـ سرايا الدفاع، وكانت تضم أكثر من عشرين ألف شاب علوي، كان يقودهم رفعت الأسد، ويرابطون حول دمشق لحماية الرئيس، وهم الذين نفذوا مجزرة تدمر.
وقد جعلت رئاسة الأجهزة الأمنية والفرق العسكرية تحت قيادة أبناء الطائفة[11].
وقد نشرت هذه الأجهزة الرعب والإرهاب في البلاد بشكل مفزع، لم تعرف له البلاد مثيلاً ..
ومن أجل إكمال السيطرة على الجيش، فتحوا أبواب الكليات العسكرية على مصراعيها ليلتحق بها الشباب النصيري دون غيرهم، وجندوا أعداداً كبيرة من أبنائهم ولاسيما في القوات الخاصة.
كما أنهم سخروا معظم الدخل القومي لدعم المنطقة النصيرية وازدهارها، فوسعوا ميناء اللاذقية، وأقاموا فيها جامعة وأنشأوا لها إذاعة، وأعدت جبال النصيرية، لتصبح مناطق سياحية فخمة، وشقت الشوارع العريضة في كل المدن والقرى النصيرية، حتى تصبح المنطقة دولتهم المقبلة بكل المؤسسات والمنشآت الملائمة.
وكل من زار تلك المناطق يعرف هذه الحقائق تماماً [12].
وبذلك امتص النصيريون خيرات البلاد، وسيطروا على قدراتها، فحق الاستيراد والتصدير لهم، ورئاسة المناصب والمؤسسات بأيديهم، والتهريب الضخم المسلح لأفراد عائلة الأسد وبقية الموالين لها، أما بقية المحافظات السورية فقد أهملت، وأصبح أبناء الشعب السوري يلهثون وراء لقمة الخبز، وأضحت البلاد تقترب من مجاعة قاتلة، ولا عجب في ذلك فالأموال استثمرت في مناطق النصيريين، ولمصلحة أبناء الطائفة، فسبحان مغير الأحوال، ومقلب الأمور خلال السنين والعصور.
ومجمل الأوضاع المعيشية والأمنية، أذل المسلمون في سوريا، حتى لا يفكروا إلا في أمور معيشة الأسرة وتدبير ضروريات الحياة.

---

[9]هؤلاء حكموا سوريا: د. سليمان المدني ص182، دار الأنوار ـ دمشق وبيروت ط. رابعة/1999م.
[10]ينظر: الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم/ص156 محمد عبد الواحد حجازي، الزهراء للإعلام العربي.
[11]المرجع السابق/ص156.
[12]الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم/ص157.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية لحكومة الأسد

- **المبحث الأول**: تحطيم قيم المجتمع وإشاعة الإرهاب في البلاد
- **المبحث الثاني**: مواجهة القمع النصيري وارتكاب المجازر الوحشية في ديار المسلمين
  - ثورة الإسلاميين ضد القمع النصيري
  - قيام الجبهة الإسلامية في سوريا
  - صور مرعبة من المجازر الوحشية في مدن أهل السنة
  - وقفة أمام الأحداث الدامية في هذا العهد

المبحث الأول :
تحطيم قيم المجتمع وإشاعة الانحلال والإرهاب

لقد ظهرت الخلفية الطائفية بأحقادها وشرورها، من خلال إشاعة التحلل الخلقي وانتشار الرشوة والمظالم، وإشاعة الذعر والإرهاب داخل البلاد وخارجها، وسوف نلقي الضوء على هذه الموضوعات فيما يأتي بإذن الله.

1- نشر الإباحية والانحلال الخلقي:

الطائفة النصيرية لا تقيم وزناً للأخلاق والمروءة، ولا يخجل أتباعها من انتشار الرذيلة والإباحية في صفوفهم، ويعلم هذا كل من خالطهم عن كثب.

وجذور هذا الانحراف بدأت منذ كان مؤسس مذهبهم "محمد بن نصير" ينادي بالمتعة ويدعو لها، كما كان يدعوا إلى نكاح الرجال بعضهم بعضاً، لأن هذا من التواضع والتذلل، ويفسر لنا هذا الإباحية المطلقة التي تظهر خلال أعيادهم الكثيرة، النيروز والميلاد وغيرهما، حيث تدار كؤوس الخمرة، ويختلط الحابل بالنابل من نساء ورجال[13].

ذلك أن المرأة في نظر النصيريين لا تستحق تلقي الدين وتحمل واجباته، وهي - عندهم - كالحيوان، لأنها مجردة عن وجود النفس الناطقة.

"ولذلك فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم؛ لأن المرأة لا يكتمل إيمانها إلا بإباحة فرجها إلى أخيها المؤمن، وفي ذلك اشترطوا ألاّ يباح ذلك للأجنبي، ولا لمن هو ليس داخلاً في دينهم"[14].

وأهالي سوريا يعرفون أن النصيريين كانوا قبل خمس وثلاثين سنة يبيعون بناتهم كما تباع الدابة، وكان متوسط سعر الفتاة يبلغ ألف ليرة سورية، أي ما يعادل (مائتي دولار).

وقد حاول النظام النصيري البعثي في السبعينات، إقامة معسكرات مختلطة لشبيبة الثورة من الجنسين، ولكنه فشل ولله الحمد رغم ما بذلوه من جهد، وتراجعوا أمام غضبة المسلمين في مختلف المدن السورية.

كما فتح النصيريون باب تطوع النساء في المظلات والشرطة وقوات الأمن، وسيّروا دوريات من قوات الأمن النسائية في شوارع دمشق وحلب وغيرهما من المدن السورية، ومارست هذه الدوريات الاعتداء على المسلمات المحجبات، فكن يمزقن الحجاب بحرابهن، ويتركن المرأة لتسير سافرة إلى بيتها.

وفشلت هذه الظاهرة بفضل الله، رغم ما بذلته السلطة من جهد، وقد سقط عدد من القتلى بسبب تلك الاعتداءات السافرة.

ولا يغتر أحد بتراجع النظام أمام غضبة المسلمين، وزعمه بأنه لا علم له بما حدث، كما أننا لا نقيم وزناً لشيوخ السلطة الذين يوظفون أنفسهم في خدمة كل جائر والعياذ بالله[15].

هذا وقد حورب الحجاب في المدن السورية، وشجع السفور والتكشف وغدا الاختلاط المشين هو السائد في الشارع والمدرسة والأعراس وكثرت الرذيلة، ورفع الحياء عند كثير من الأسر، فعمت البلوى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد حاول النظام النصيري البعثي أن ينشر الانحلال بين صفوف المواطنين بطرق مختلفة شيطانية.

فمنع الحجاب في المدارس الثانوية والجامعات، وعلى البنات أن يخلعن حجابهن عند أبواب المدارس، وغالباً ما تكون المدارس مختلطة بين الجنسي، ناهيك عن الاجتماعات المختلطة في الحفلات واللقاءات المشبوهة، وفوق ذلك كله فهناك المعسكرات المختلطة للصف الأول الثانوي باسم الفتوة، واتحاد الشبيبة وما أشبه ذلك.

وأصبحت الدولة تدمر الفطرة السوية والذوق الإنساني الرفيع...
ومنذ عدة سنوات أقيمت مهرجانات صداقة مع كشافة لبنان ومنظمات الشبيبة بين القطرين وتسيطر الدولة عليها عن طريق الأحباش[16].
فيأتي سنوياً آلاف من أبناء لبنان وبناته، للاشتراك في نشاطات مشتركة كزراعة الأشجار ثلاً .
وفي المساء تقام حفلات الرقص الصاخب والغناء المائع في أوساط الشباب والفتيات وهم في سنّ المراهقة [17].
ويتولى الدكتور عدنان طرابلسي النائب اللبناني وهو من طائفة الأحباش: رئاسة الاتحاد الكشفي العربي، وهي منظمة بعثية حبشية لبنانية.
وقد باتت المدارس منذ الثمانينات تشهد غسيل دماغ منظم للأجيال منذ المرحلة الإعدادية، ويقوم اتحاد شبيبة الثورة بنوع من استهلاك الفراغ وملئه بنشاطات بعضها مفيد "كمبيوتر ـ لغة أجنبية"، وبعضها سلبي "حفلات موسيقى ورقص؛ وبعضها مخرّب تماماً "نشاطات ترفيهية مختلطة؟!!".
أما الجامعات فالأمر فيها أشد وأدهى، وأصبح الدكتور بشار الأسد هو المشرف على كلية التربية في جامعة دمشق، وهي التي تضع الخطط للسيطرة التربوية المحكمة على المدارس والجامعات، وتوجيه المجتمع والبيت والأسرة ضمن توجه الدولة، بشكل ماكر وطويل الأمد، فهو يحاول أنْ يمسك بالمقود العلمي والثقافي في البلاد.
وبدأ يتقاسم مع عمه رفعت الأسد السيطرة على قضايا التربية، فرفعت أسد مسؤول عن رابطة خريجي الدراسات العليا.. هكذا أصبحت مستويات التخريب فإلى الله المشتكى[18].
وقد كشف مؤخراً "وإن كان الأمر لا يزال في طور سري" مجموعة من عباد الشيطان، يتراوح عددهم ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف، ومن قياداتها: لويس أبو عسلي "مخرج تلفزيوني"، وشاب يهودي يمني الأصل.
وهذه المجموعة تعتمد حفلات الروك الصاخبة في استدراج الغاصر وسلخها تدريجياً من كل خلق، كما أنها تقيم حفلات دعارة جماعية، مع استخدام المخدرات والجنس الجماعي، حتى مع المحارم[19]
"ومن المعلوم أن عبادة الشيطان صناعة إسرائيلية، فقد أكد د. مصطفى محمود: أن إسرائيل كانت أول دولة صنعت عبادة الشيطان، وأقامت له مؤسسة ولها فروع وتنظيمات وخلايا في كل البلاد، ولهذه العبادة الشيطانية أصل عبري في التوراة المتداولة، وفساق اليهود هم الذين ابتدعوا طقوس هذه العبادة، وألفوا كتبها وأناشيدها وموسيقاها وصلواتها، ومن رموزها "الصليب المعقوف ونجمة داود، والشموع السوداء وشرب الدم" "وأساليب التقرب إلى الشيطان بحفلات الجنس الجماعي، والتبول على الكتب السماوية وتمزيق الأناجيل."
"وقد جاء في التوراة المحرفة، الترجمة الفرنسية ص79، من أسفار الشريعة الخمسة، أن الرب أمر اليهود بتقريب قربان للشيطان ـ عزازيل ـ وأن هارون النبي قد فعل هذا"[20].
ومن المعلوم أن عبدة الشيطان الذين تم ضبطهم في مصر، قد شغلت قضيتهم وسائل الإعلام لفترة طويلة.

ومن مظاهر الانحلال ونشر الرذيلة:
1- أن القوات النصيرية بعد أن قامت بدك مدينة حماة، وقتل ما لا يقل عن "30 ألف" من سكانها وهدم أكثر مساجدها عام/ 1983م، سارع النظام بعد هذه الأحداث لمحو الصورة المحافظة للمدينة، عن طريق بناء كنيسة كاثوليكية، على أنقاض المساجد المهدمة، بالإضافة إلى

معهد رياضي للبنات، وبركة سباحة أولمبية، حيث تم إدخال السباحة المختلطة وتشييد أول سكن جامعي مختلط للذكور والإناث في سورية.
ودخلت النادي الرياضي ثمانون فتاة في المدينة، التي اشتهرت بمحافظتها، وقوة التيار الإسلامي فيها" [21].
وقد عمل النظام النصيري على زرع الانحلال والفساد بالقوة والترغيب، فتلوثت الأجواء النظيفة في مدن سوريا الحبيبة، وكل من زار مدنها ومصايفها، يعرف الفرق الواضح بين ماضي البلاد قبل نصف قرن وحاضرها المؤلم الحزين.
لقد أعاد النصيريون إلى الأذهان ما كان يقوم به القرامطة والحشاشون في ديار المسلمين من الإرهاب ونشر الرذيلة.

2- انتشار الرشوة وهدر حقوق المواطنين:
انتشرت الرشوة في سورة بشكل لم تعهده البلاد من قبل، وصار من المتعذر إنجاز أية معاملة دون دفع المعلوم!!
وتفنن الموظفون في هذا الجانب، فقد تؤجل المعاملة التي لا تحتاج لأكثر من تصديق، إلى عدة أسابيع، وفي معظم الحالات يطلب الموظف الرشوة مباشرة ودون وسيط، ويحدد المبلغ حسب أهمية القضية من جهة، ومع تسعيرة المؤسسة أو الوزارة من جهة أخرى.
فللجوازات تسعيرة، وللجيش تسعيرة، ولوزارة التموين تسعيرة وهكذا...[22]
كما أن هنالك تسعيرة لمن أراد مقابلة ولده السجين أو عند طلب تأشيرة الخروج، وهلم جرّا...
"وقادة الطائفة النصيرية هم المستفيدون، وهم الذين ينظمون هذه الطرق الملتوية، ولكل منهم "سُلّة" أي جماعة، مهمتها حل أخطر القضايا، بعد دفع المقسوم، ولا تسل عن الحق والباطل، أو المعقول وغير المعقول، إذا كان المبلغ المدفوع كبيراً ومجزياً !!.
وقد استغل التجار الانتهازيون هذه الظاهرة، فأقاموا علاقات متينة مع كبار الضباط النصيريين، ولجأ أكثرهم إلى مشاركة المسؤول النصيري في المؤسسة ـ أي شريك وجه ـ وما عليه إلا أن يضمن مصالح الشركة، ويسهل معاملاتها في دوائر الدولة ومؤسساتها"[23].
وكان احتكار أقارب الأسد وكبار رجاله سبباً في ارتفاع الأسعار أضعافاً مضاعفة، ولم تزد الرواتب زيادة مجزية ولهذا لم يجد ضعاف النفوس بديلاً عن الرشوة... فكان من وراء ذلك فساد الأخلاق، وفقدان النخوة، وهذا هو الذي يخطط له النصيريون[24].
وكان حمود الشوفي، الممثل الدائم لسوريا في الأمم المتحدة، قد استقال من منصبه، وعقد مؤتمراً صحفياً قال فيه:
"في ظل غياب الممارسات الديمقراطية الحقيقية، تفشت ممارسات الفساد والابتزاز والرشوة دون كبح.وإن حمْلة الأسد التي تم الإعلان عنها أخيراً، من أجل القضاء على الفساد في حكومته، قد توقفت فور أن بدأت في توريط أصدقاء شخصيين وأقرباء في مناصب حكومة وعسكرية منتقاة من قبله"[25].
هذا وإن عدم الاستقرار الذي ألم بالنظام السوري، لا يعود إلى الخلفية الطائفية للنخبة الحاكمة فقط، وإنما إلى مزيج من عوامل مختلفة: مثل الفساد والصعوبات الاقتصادية، وأساليب القمع، وغياب الديمقراطية والانضباط الحزبي، والممارسات الطائفية التي طغت على السطح، وخاصة في الفترة التي تلت التدخل العسكري في الحرب الأهلية اللبنانية[26].
والحقيقة أن نظام الحكم في سوريا أضحى يشبه شريعة الغاب في أبشع صورها، فالناس باتوا يعيشون في حالة من الفوضى لا مثيل لها، فالقوي المتنفذ يبطش بالضعيف دون خوف من سلطة، أو خشية من قانون،حتى عم الذعر وساد الفساد، وانتشرت المنكرات، وكثرت حوادث السرقة والنهب[27].

وقد تدهورت أحوال الفرد العادي بشكل واضح، فمثلاً :إنّ الراتب المتوسط "4000ل.س" لا يكفي للموظف وأسرته ثمن (5 - 6) أزواج من الأحذية، ولا (6 - 7) قمصان، ولا يكفي الراتب ثمن بدلة واحدة من نوع جيد... فأين بقية النفقات؟ من أين تسدّد أجرة البيت وفاتورة الكهرباء والهاتف إن وجد؟!

لقد أصبحت الحالة مرعبة، حتى أن بعض الأسر المستورة ولأول مرة تطلب مساعدات صريحة من أجل مصروف الأولاد والمدارس... كما أن شراء ملابس العيد للأطفال خاصة بات أمراً بعيد المنال...

لقد بدأ الفقر والعوز يغزوان الأسر، فباتت الطبقات المتوسطة تدخل في الطبقات الفقيرة...

وقد زاد الطين بلة كثرة الضرائب والرسومات والغرامات اللامنطقية، فالسطو القانوني على المواطنين ظلماً، ثم محاولة حل الأمور معهم سلمياً مقابل رشوة والرشاوى شيء لا يمكن حصرها ولا حسابها، حتى أن كثيراً من المكاتب والأعمال الناجحة قد توقفت بسبب الإنهاك المالي الذي تتعرض له...

والطبقات ذات الدخل الجيد ما عادت تستطيع أن تبني أو تدخر شيئاً .. إلا طبقة الأغنياء ذات الرصيد السابق القوي أو الوارد من خارج البلد، أو التي تشارك المسؤولين بطرق الهدايا والرشاوى، وصار الاقتصاد يئن تحت الضرائب الباهظة القاتلة والتدخل في كل كبيرة وصغيرة، والنهب والسلب والتسلط لدى المتنفذين من الحزب والطائفة.

" وإن الأقلية الحاكمة تشعر في قرارة نفسها، أنها سارقة ومغتصبة، وهؤلاء يرون أن الفرصة قد لا تتكرر، وإذاً لا بد من اغتنامها بأقصى درجة، وذلك بنهب الثروات وإفقار الشعب، عن طريق الرشاوى والاختلاسات، ونهب المشاريع العامة، وتسخير أجهزة الدولة ومرافقها لخدمة الضباط المتحكمين...

لقد تحولت أغلبية الشعب تحت وطأة هذا النظام إلى جموع فقيرة، تجهد نفسها من أجل تحصيل لقمة العيش...

فقد أفسد نظام الحكم في الأرض التي يحكمها، فقطع الأرحام، وأفسد العلاقات، واتبع سياسة فرق تسدْ، وأحيا العصبيات الجاهلية...

واشتبهت السبل والمخارج على الناس، فأصبحوا في داجية مظلمة، لا يعرفون كيف يخرجون منها"[28]

وقد أصبح "48%" من الشعب السوري تحت خط الفقر.. وبلغت الديون الخارجية "22 مليار" دولار، و 18% من قوة العمل عاطلة...

فالحالة التي وصلت إليها البلاد مؤلمة، ولعل تغريم رئيس المخابرات السابق "اللواء بشير النجار" مبلغ مليار ليرة سورية "24 مليون دولار" مؤشر على حجم الفساد الذي وصلت إليه البلاد [29].

3- إشاعة الإرهاب وبث الذعر في نفوس المواطنين:

"منذ خمسة وثلاثين عاماً، وسوريا تحكم بالحديد والنار، في ظل حالة الطوارئ المعلنة منذ ذلك التاريخ، علماً بأن إعلانها قد تم بموجب الأمر العسكري رقم (2)، تاريخ 1963/3/8م، ولا زالت سارية المفعول، وإن الاستثناء صار أصلاً ".

"فالإنسان الذي ولد في سورية عام/1963م، وما بعده، وترعرع في ظل حالة الطوارئ، وهو محروم من حقوقه الأساسية التي ضمنتها له المواثيق الدولية، كحرية الرأي والتعبير والمعتقد، إن هذا الإنسان يرى التناقض بين ما يطلع عليه من حقوق الإنسان في وسائل الإعلام الحديثة، وبين الواقع الذي يعيشه هو، مما يؤثر على نفسيته، ويولد فيها الميل للتعصب والإرهاب."

"وإن قانون الطوارئ في سورية يطبق بطريقة بعيدة عن الأسباب الموجبة لصدوره، وإن اللجنة السورية لحقوق الإنسان توجه الأنظار إلى أن الذين يكونون ضحايا الأحكام العرفية من سجن لآماد غير محددة أو مصادرة لأموالهم، لا يجدون أي جهة قضائية يتظلمون إليها، وإن اللجنة لديها عشرات الأشخاص قد تعرضوا للسجن الطويل الأمد، ومنهم من تعرض للإيذاء الجسدي، دون أن يقوم أحد منهم بأي عمل مخالف للقانون، وإنما فقط بسبب آرائهم"[30].

"فالذين بلغوا سنّ الرشد من أبناء الشعب السوري، وحالة الطوارئ معلنة، قد أصبحوا الآن في التاسعة والأربعين من عمرهم وهم لم يتذوقوا طعم الحرية في حياتهم، وإنما سمعوا عنها من الذين تجاوز عمرهم الخمسين عاماً ..وإنّ منعَ ذوي المعتقل من معرفة مكان اعتقاله أو التهمة الموجهةإليه، وبالتالي عدم إمكان زيارته للتحقيق عما إذا كان حياً أو ميتاً، قد ترتب على ذلك أن معظم المعتقلين بدون محاكمة إستناداً إلى حالة الطوارئ يعتبرون بحكم المفقودين لأن مصيرهم مجهول".

"**وخلاصة القول**: فإن الحاكم العرفي يملك حسب قانون الطوارئ النافذ في سوريا أن يفعل بأي مواطن "أي شخص مقيم على أرض سورية أو مارّ منها" ما يشاء بمصادرة حقه في الحرية وحجزه إلى آماد غير محدودة وصلت لأكثر من ثلاثين عاماً، ومصادرة أمواله المنقولة وغير المنقولة، حتى حقه في الإقامة والتنقل.

وبذلك تكون المواد التي وردت في الدستور السوري والمتعلقة بالحرية واحترام حقوق الإنسان، غير قابلة للتطبيق بعد أن عطلت أحكامها المادة "153" من الدستور نفسه، وما يطبق في سورية اليوم في مجال حقوق الإنسان والحريات العامة، هو قانون الطوارئ منذ م/1963م"[31].

وقد طبقت السلطات السورية شريعة الغاب بحق المغتربين وأبنائهم وعائلاتهم؛ عندما منعت عنهم أبسط الحقوق القانونية والشخصية.. فمنعت عنهم جوازات السفر، ووثائق التملك والزواج وتسجيل الولادات.

"وإن اللجنة السورية لحقوق الإنسان تشعر بقلق بالغ لإخفاق محاولات عديدة بذلت على مدى الأعوام العشرة الماضية لثني السلطات السورية عن اتباع سياستها المتشددة في مجال منع الأسر السورية المغتربة قسرياً، نتيجة للأزمة السياسية التي عانت منها البلاد من كل ما يتصل بحقوقها الشخصية، مثال حرمانها من وثائق السفر والتملك والزواج وتسجيل الولادات وغيرها... ورفض مناشدات هيئات وطنية وحقوقية، لتقديم تسهيلات تساعد على لم شمل العائلات، والتوقف عن عرقلة إجراءات تجديد وثائق السفر في السفارات السورية، وإعادة الأملاك للمغتربين في الخارج، وعدم اعتقال زوجات وأطفال المعارضين السياسيين أثناء زياراتهم لبلدهم الأصلي، أو فرض الإقامة الجبرية عليهم".

ويشكو المواطنون السوريّون من المعاملة السيئة التي يلاقونها من السفارات السورية في الخارج، ولا ذنب لأكثرهم إلا كونهم لم يتمكنوا من العودة إلى موطنهم، فحرم الأطفال الذين ولدوا خارج بلدهم من إعطائهم ما يثبت هويتهم "واللجنة السورية لحقوق الإنسان تطالب بتوقف عمليات الابتزاز التي يقوم بها موظفون و دبلوماسيون في السفارات والقنصليات السورية، حيث يجبرون المغتربين على دفع رشاوى لهم، مقابل تجديد وثائقهم الخاصة في كثير من الحالات...

ولذلك اضطر كثير من الشبان السوريين المغتربين للحصول على جنسيات بديلة، كلفتهم المبالغ الباهظة، مما أدى إلى إحداث فجوة اجتماعية، يتوقع أن تعمق من حدة الأزمة القائمة في البلاد."

"واللجنة السورية لحقوق الإنسان.. تطالب بإعادة "الشخصية القانونية" لجميع المواطنين السوريين ممن يعيشون خارج البلاد، دون تفريق على أساس الدين أو العرق أو الآراء السياسية للوالدين"[32]

وقد امتلأت سجون سوريا بالمعتقلين السياسيين، ومعظم هؤلاء مصابون بأمراض عضال، ومحرمون من المعالجة الصحية، وفي كل يوم يموت عدد من هؤلاء السجناء، نتيجة للأمراض الحادة كمرض السل وأمراض القلب والشرايين، وأمراض الجهاز الهضمي، والملاريا والشلل ومرض السكر والسرطان والأمراض النفسية والعقلية، وقد وصل إلى اللجنة السورية لحقوق الإنسان أسماء عدد من المحتجزين في سجن تدمر خاصة، والذين يعانون من هذه الأمراض[33]

وقد كثرت السجون في سوريا كثرة مدهشة، ففي مدينتي دمشق وحلب وحدهما بلغ عدد المعتقلات لمساجين الرأي ثلاثين سجناً، هذا عدا عن سجون المدن الأخرى.

ويمارس فيها أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي من ضرب وصلب وتعذيب بالكهرباء والحرق بالنار والسجائر في جسم المعتقل، وتعليق المعتقل من يديه أو رجليه واعتداء جنسي، وتعذيب ذوي المعتقل أمام قريبهم أو اغتصابهم بوجوده... الخ. وقد بلغت أنواع التعذيب والتفنن فيه حداً مذهلاً، زادت على أربعين نوعاً [34].

وسأذكر نموذجين لهؤلاء المعتقلين: وأكتفي بذلك، لأن الإحاطة بعدد المعتقلين وقصصهم يحتاج إلى مجلدات عديدة، وعشرات الآلاف ممن عاشوا تلك المأساة المروعة، التي زادت على معتقلات المسلمين في الأندلس ومحاكم التفتيش.. ما زال الناجون منهم يروون قصص التعذيب الوحشي.

النموذج الأول هو شاب أردني (محمد سليم حمّاد)، توجه إلى سوريا عام/1980م، للدراسة في جامعة دمشق، ولم يكن الشاب (محمد) قد جاوز العشرين من عمره، اعتقل في دمشق وسط مجموعة من الطلاب ولاقى من العذاب ما تقشعر له الأبدان، وقد نقل إلينا هذه المأساة وتجربته القاسية في كتاب أصدره عام/1998م، تحت عنوان "تدمر.. شاهد ومشهود"، يقع في (245 صفحة) من القطع المتوسط، صور فيه التعذيب بكرسي الكهرباء، والصعق بها وبأنواع من التعذيب لها أسماء مثل "الشبح" و"بساط الريح" و"الكرسي الألماني"، وقد استمر التعذيب والاعتقال طوال أحد عشر عاماً في سجن تدمر.

ويصف الكاتب (محمد) الأجواء الرعيبة والإعدامات المتواصلة للسجناء السياسيين، إلى جانب وفاة عدد منهم [35]

كما نقل إلينا محمد سليم حماد في كتابه الوثائقي (تدمر شاهد ومشهود) عن حالات الإعدام التي شهدها بنفسه في سجن تدمر، أو سمع أسماءهم تتلى من سجل المطلوبين للإعدام، أو بلغه من مصادر وثيقة أن إعدامهم قد تم فعلاً، وقد بلغوا "69 خصاً"، والذين أعدموا هنالك بلغوا أضعاف هذا الرقم كما يقول محمد سليم حماد [36].

والقلائل الذين أفرج عنهم، عادوا وقد عملت لهم عمليات غسيل مخ، أو باتوا معتوهين معاقين عن ممارسة دورهم في الحياة الطبيعية، أو ضمتهم مستشفيات الأمراض العقلية.

وهذا نموذج لفتاة سورية أمضت تسع سنوات في سجون الحكم السوري.

الفتاة هي: هبة الدباغ، طالبة جامعية من سورية، كانت تستعد (يوم 31/ 12/ 1980م) لتقدم الامتحان في صباح اليوم التالي (في جامعة دمشق) حينما داهم شقتها التي كانت تقيم فيها مع مجموعة من الطالبات، عصابة من عناصر الأمن السري السوري، وطلبوا منها أن ترافقهم

خمس دقائق فقط، وقد كلفت تلك الدقائق "هبة" أن تمضي تسع سنوات قيد الاعتقال، بعد أن قيدت مع زميلتين لها إلى مركز توقيف للأمن السياسي بدمشق.
ولم تتوقف معاناة المذكورة عند الاعتقال ، بل فقدت أيضاً والدها ووالدتها وثمانية من إخوتها وأخواتها في المجازر الجماعية التي ارتكبتها القوات العسكرية في مدينة حماة في شباط/ 1982م، ولم ينج من العائلة سوى ثلاثة من إخوتها يعيشون في المنفى.
وقد أصدرت (هبة) كتاباً يقع في (239 صفحة) من القطع المتوسط تحت عنوان: "خمس دقائق وحسب...!" روت فيه ما تشهده سجون سوريا من أعمال منافية لحقوق الإنسان، وفي المقابلة الخاصة التي أجريت معها عقب إصدارها لكتابها، كشفت (هبة) عن طبيعة عمليات التعذيب والقمع.
-وفي سؤال حول ظروف اعتقالها أجابت:
بأن تلك الفترة/ 1980م، كانت حملة الاعتقالات وخاصة للشبان (من الطلبة) شديدة، مما اضطر أخي الكبير لمغادرة بلدنا ثم السفر خارج سوريا، بعد أن اتهم بأنه من الإخوان المسلمين، وهذا يعني الإعدام بناء على القانون (49)، ولم أتخذ أي إجراء لأنني لم أنتسب لأي تنظيم سياسي، وليلة الاعتقال داهمت المنزل الذي كنا فيه سيارة، عسكرية فيها عشرة من رجال المخابرات، الذين فتشوا الشقة، دون إبراز أي إذن قضائي، وطلب مني أحد الضباط أن أرافقهم لمدة خمس دقائق...

س - هل كنتِ عرضة للتعذيب خلال فترة اعتقالك؟ وهل شاهدت تعذيب غيرك؟
ج - كان الضباط منذ البداية يستخدمون العبارات النابية، في شتمي وسبّي وتوجيه التهم إلي في محاولة لدفعي للانهيار... أما التعذيب البدني فقد كان لا يطاق، وشمل الضرب قدمي ووجهي وسائر أنحاء جسمي بالخيزران، كما صُعقت بالكهرباء مما أدى إلى إصابتي بالإغماء.
وشاهدت أثناء التحقيق معي سيدات أخريات تعرضن للضرب، وتمت تعريتهم وتعليقهن من أرجلهم بالسقف، وتم الاعتداء على بعض المعتقلات جنسياً، وفي حالة أخرى قطع لسان إحدى المعتقلات بالمقص، وكسر أنف أخرى، وقد دفع التعذيب الشديد إحدى المعتقلات لمحاولة الانتحار بواسطة قطعة زجاج عثرت عليها في زنزانتها، وقامت معتقلة أخرى بابتلاع حبة سمّ للتخلص من عمليات التعذيب، وقد توفيت إثر ذلك.
أما المعتقلون من الرجال فقد تعرضوا لتعذيب لا يمكن وصفه، وقد شاهدت أكثر من جثة لمعتقلين ماتوا تحت التعذيب...

س- هل كان ذلك يشمل المعتقلات السياسيات دون استثناء؟
ج- في الواقع لم نكن معتقلات سياسيات، وكنا جميعاً رهائن مقابل أن يسلم إخوتنا أو أزواجنا أنفسهم للسلطات، ولم نكن نعلم معلومات دقيقة عن أماكن وجود أقاربنا... وأكثر ما يبعث الألم هو رؤية معتقلات حوامل ولدْنَ في السجن "قطنا"، ودون أي مساعدة لهن ولا للمولود إن بقي حياً؟!!.
وقد أفادتْ بأن طبيب السجن كان قد أعطاها إبر علاجية، لوعكة صحية أصابتها، يتبين بعد ذلك أنها تسبب العقم[37]

هذه نماذج من الاعتقالات التي شملت البلاد، حتى غدت سوريا (بالنسبة لأهل السنة) وكأنها سجن كبير، تمارس فيه العقوبات المختلفة، وأنواع التعذيب الوحشي.
ولم يكتف النظام بالسجناء من أهالي سوريا، بل شمل المعتقلين من الأقطار العربية المختلفة، ممن قدموا من الأردن ولبنان وفلسطين والعراق، أو مصر وبعض دول المغرب العربي، وتم

اختطاف بعضهم من لبنان، فيما انتزع بعضهم من مقاعد الدراسة للاشتباه بأن لهؤلاء صلة بأعمال مناهضة للحكم القائم.

وأوضحت دراسة أجرتها اللجنة المركزية للتضامن مع سجناء الرأي في سوريا عام/ 1998م، أن السلطات السورية تحتفظ في سجونها بنحو (1100 سجين سياسي فلسطيني) اعتقلوا منذ (1982 - 1985م) ويتراوح عدد السجناء الأردنيين بين (700و 1200) سجين ومعتقل حيث تتكتم السلطات السورية بشأن أوضاع هؤلاء وعددهم، وأغلبهم من الطلبة الذين اعتقلوا خلال دراستهم في جامعتي دمشق وحلب، أو خلال قدومهم إلى سوريا للتجارة أو المرور أو لأغراض أخرى... وقد خرجت مظاهرات في الأردن من ذوي المعتقلين في تشرين الأول الماضي/ 1998م، ولكن دون جدوى، وقد مضى على بعض المعتقلين سواء الفلسطينيين أو الأردنيين أكثر من عشرين سنة، ومن بين هؤلاء "محمد سليم حماد" الذي وثق اعتقاله بكتابه "تدمر شاهد ومشهود".
ولا تختلف أوضاع المعتقلين من العراق ولبنان عما أوردنا، فهناك ما يقرب من "700" سجين من البلدين يعود اعتقال بعضهم إلى عام/ 1980م.
ومعظم المعتقلين اللبنانيين من أهل السنة الذين عارضوا وجود القوات السورية في لبنان[38].

وقد تميز النظام السوري بتصفيات لخصومه فقام باغتيال عدد من الشخصيات المناوئة له، ولو كانوا رفاق السلاح والحزب أمثال محمد عمران وزير دفاع سابق، وصلاح الدين البيطار اغتالوا الأول في 14/ 3/ 1972م، والثاني في فرنسا (باريس) في 21/ 7/ 1980م. وعدداً من الشخصيات من الصحفيين وغيرهم[39] ومن هؤلاء: السيدة بنان الطنطاوي في 15/ 3/ 1981م، وهي زوجة الأستاذ عصام العطار أحد قادة الحركة الإسلامية في سوريا، قتلت في الرصاص في (آخن) في ألمانيا، في شقتها، وكان المقصود زوجها، الذي كان غائباً عن الشقة آنذاك.
والشيخ صبحي الصالح: قتل في 16/ 5/ 1989م، في بيروت، وهو نائب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان، لمعارضته السلطات العسكرية السورية في لبنان.
كما حاولت المخابرات السورية اغتيال مضر بدران في أيلول 1980م، وهو رئيس وزراء الأردن، ظناً بأنه كان يتعاطف مع الإسلاميين السوريين، كما حاولوا اغتيال الأستاذ عصام العطار كما ذكرنا ذلك[40].

أما الذين قتلوا في السجون، أو ما زالوا مفقودين، أو قتلوا في الشوارع في ظروف غامضة، فحدث ولا حرج...
إن دول أوربا وأمريكا وكذلك إسرائيل، ترى أن حماية مواطنيها واجب مقدس، **وهنا يتساءل المسلمون الأحرار من رعايا الدول الثورية العسكرية قائلين:**
هؤلاء الجنرالات يقلدون الغربيين في أمور كثيرة جداً، فلماذا لا يقلدونهم في التقيد بالدستور "لو وجد" واحترام كرامة المواطن وحقه في التعبير عن رأيه؟!
وأمام الضغط والإرهاب اضطر العلماء والدعاة إلى هجرة أوطانهم والانتشار في أرض الله الواسعة، لأن الحرية عندهم أهم من المال والأرض والوظيفة.. ومع ذلك لم يسلموا من طغيان الجنرالات، وأشباه الجنرالات، لقد احتجزوا أبناءهم وإخوانهم وأقرباءهم وأصبحوا رهائن في سجون الجنرالات المظلمة.. ففيها شيوخ جاوزوا العقد السابع من سني عمرهم، ولهم في السجن عشرات السنين، وبعضهم لقي وجه ربه في سجنه...[41]

ومما ابتكره الجنرالات الجدد:تعدد أجهزة الأمن وتطويرها كماً وكيفاً، وتلتهم هذه الأجهزة معظم ميزانية
الدولة، بل تلتهم حق هذا الشعب في الحياة الكريمة، فالشعب جائع محروم ورجال الأمن يعيشون في رغد من العيش، ويبذرون أموال الأمة في حفلاتهم وما يرتكبون فيها من الفواحش والسكر والعربدة [42]
ونشاط أجهزة الأمن يتجاوز حدود الوطن ليشمل كل مكان في العالم، وسفارات الجنرالات تغص برجال المخابرات الذين لا هم لهم إلا متابعة المواطنين في الخارج والتجسس عليهم، وتدبير اغتيال الأحرار الذين رفضوا الاستسلام للطاغوت، وعارضوا حكمه، وصرنا نسمع بأن فلاناً قتلوه وهو يحاول دخول مكتبة في فرنسا، والثاني قتلوه في الشارع في إحدى مدن إسبانيا...
ولم تسلم منهم حتى النساء في خدورهن، لقد أطلقوا النار على الداعية "بنان الطنطاوي" ولا ذنب لها عندهم إلا قولها: ربي الله والتزامها بالإسلام، وقد اضطر زوجها الأستاذ عصام العطار حفظه الله، إلى مغادرة سوريا، بعد أن عاث البعثيون في أرضها فساداً ففشلوا في اغتياله، ونجحوا في اغتيال زوجته.
ولهذا فالمواطنون يعيشون - وهم خارج بلدهم- في ذعر، والعجيب أنهم لا يخشون عصابات اللصوص، ولا إسرائيل العدوة، وإنما يخشون من أبناء جلدتهم الناطقين بلغتهم[43]

إن تلك الاغتيالات والتصفيات وخاصة في صفوف العلماء والدعاة إلى الله، لتذكرنا بجرائم الحشاشين واغتيالاتهم لكبار علماء أهل السنة والقضاة والوزراء والقادة المجاهدين.
لقد تحالف أولئك مع الصليبيين وحاولوا اغتيال نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي، وقتلوا ما لا يقل عن خمسين من أولئك القادة والعلماء[44].

وإن باطنية اليوم هم أحفاد الحشاشين باطنية الأمس ولكنّ أكثر الناس يغالطون أو لا يعلمون.....
و المنافقون يطوعون فتاواهم من أجل دنيا فانية، أو تحقيق مطامع مشبوهة، والباقيات الصالحات خير لهم لو كانوا يعلمون.

---

[13] ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/د محمد أحمد الخطيب ص371.
[14] مخطوطة في تقسيم جبل لبنان ـ قسم في مذهب النصيرية، في الجامعة الأمريكية، بيروت، رقم 31، والباب الرابع من هذا الكتاب.
[15]الصراع العربي الإسرائيلي: محمد بن عبد الغني النواوي، ص(362 - 365).
[16]الأحباش: فرقة تأسست في دمشق وبيروت ولها انحرافات في العقيدة والسلوك، وتلاعب بكتاب الله وسنة رسوله اتباعاً للأهواء، وهم يقللون من شأن المعاصي كمفاخذة المرأة الأجنبية، والاختلاط بين الرجال والنساء.
[17]وهذا أمر يبثه التلفاز يومياً بشكل موجز، خلال أيام المهرجانات.
ـ صريح البيان ص269 - 272 لعبد الله الهروي الحبشي مؤسس هذه النحلة، وبغية الطالب/ص447 لنفس المؤلف.
[18]هذه الأمور يتناقلها الناس في سوريا، وهي معروفة لدى المطلعين على قضايا البلاد الداخلية.

[19]وقد نقل هذه الأخبار الثقات من داخل سوريا.
[20]ينظر: مجلة الدعوة الصادرة في الرياض العدد 1634 بتاريخ 21 من ذي القعدة/1418هـ - 19 مارس/1998م مقال بعنوان: عبادة الشيطان صناعة إسرائيلية، من كتاب صدر حديثاً للدكتور مصطفى محمود تحت عنوان: "إسرائيل البداية والنهاية."
[21]بنظر: مجلة السنة، العدد "97" - ربيع الثاني لعام/ 1421هـ، من مقال بعنوان: جذور الفساد.
[22]الصراع العربي الإسرائيلي ص366، الجزء الأول.
[23]المرجع السابق.
[24]المرجع السابق ص367.
[25]الصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام/ص149.
[26]المرجع السابق/ص148.
[27]الصراع العربي الإسرائيلي/ص371، الجزء الأول.
[28]مجلة السنة الصادرة في لندن، العدد (69) ربيع الأول 1421هـ، من مقال: حاضر الإسلام في بلاد الشام.
[29]مجلة المجتمع الكويتية، العدد (1405)، ص 28.
[30]ينظر: الإنترنت، الموقع http. www. syriah. com علي أحمد بدر: باحث في اللجنة السورية لحقوق الإنسان في 1997/9/14م.
[31]ينظر: التقرير عن انتهاكات حقوق الإنسان في سورية، التي تتم بغطاء دستوري/ إنترنت، موقع.Http.www.syriah.com
[32]اللجنة السورية لحقوق الإنسان: حرمان آلاف المغتربين القسريين من حقوقهم القانونية والشخصية في 1998/5/5م. عن الإنترنت في موقع: http. www.syriah. com..
[33]محمد سليمان، منسق اللجنة السورية لحقوق الإنسان 1997/9/8م، ينظر الإنترنت موقع http. www.syriah.com. .
[34]ينظر: قائمة بأسماء السجون والمعتقلات، وأخرى بوسائل التعذيب المستخدمة في السجون السورية، من خلال مذكرة حول أوضاع حقوق الإنسان في سورية، إنترنت، رقم الموقع Http.www.syriah. com.
[35]ينظر تفصيلاً لذلك: الملحق رقم (2) في آخر هذا الباب.
[36]ينظر: الملحق رقم (3) وفيه قائمة بعنوان /الموت والإعدام في سجن تدمر، ص230/ من كتاب "تدمر شاهد ومشهود" والكتاب مطبوع متداول.
[37]عن مذكرة حول أوضاع حقوق الإنسان في سوريا بإيجاز ينظر: الانترنيت رقم الموقع : Http.www.syriah.com. إعداد اللجنة المركزية للتضامن مع سجناء الرأي بسوريا/ 1998م.
[38] اللجنة السورية لحقوق الإنسان: ملف المعتقلين العرب في السجون السورية ..بانتظار المعالجة.
عن الإنترنت رقم الموقع.http.www.syroah.com :
[39]مثل سليم اللوزي (4/ 3/ 1981م) محرر مجلة الحوادث اللبنانية ورياض طه (23/ 7/ 1980م) صحفي لبناني شهير، وناشر صحيفة ورئيس اتحاد الصحفيين اللبنانيين.
[40]ينظر تفصيلاً لذلك: مذكرة حول أوضاع حقوق الإنسان في سوريا الإنترنت رقم الموقع : http:www.syriah.com.
[41]دور الشعوبيين والباطنيين في محنة لبنان/ محمد عبد الغني النواوي/ الطبعة الأولى/ باكستان (1410هـ - 1989م)/ ص 76 - 77.

[42]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[43]المرجع السابق: ص78.
[44]ينظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد/ ص301 - 305/ 1419هـ/ 1998م طبعة دار المعالي - عمان.

المبحث الثاني :
مواجهة القمع النصيري والمجازر الوحشية في ديار المسلمين

1) ثورة المجاهدين ضد القمع والاضطهاد:
لقد صعّد نظام الأسد المواجهة مع التيار السني، الذي ضاق ذرعاً بالتجاوزات المتكررة، والمداهمات الوحشية من رجال ذلك النظام.
وبدأت الاغتيالات تستهدف رجال السلطة منذ عام/ 1976م رداً على صنوف الإرهاب وأنواع الاعتقالات، ومداهمة بيوت الدعاة في حماة وبقية المدن السورية. وقد أوضحت جريدة النذير أسباب ثورة المجاهدين في مقالها الافتتاحي بعنوان: **"من هم وما يريدون؟ جاء فيه**[45].
"منذ ثلاث سنوات، وبتاريخ 8/ شباط/ 1976م، انطلقت أول رصاصة في سبيل الله، تفتح للجهاد والمنظم الباب الذي بدأ يؤتي ثماره الخيّرة في الأيام الأخيرة"[46]
"تلك الرصاصة كانت ثمرة معاناة مريرة وطويلة، من الظلم والإرهاب... إذ كانت سجون سوريا تعج بالمعتقلين من المسلمين السنة، وكانت دوريات القمع تصول وتجول في الأحياء الشعبية والمدارس والجامعات، وكانت الحقوق المدنية تداس بالأقدام..
وبلغت المحنة أشدها في مساجد تهدم، وعلماء يعتقلون، ومدارس شرعية تغلق، وفي التوجيه الإعلامي والتعليمي الإلحادي، وكثرت الشكاوي من التسلط الحزبي المتزايد، والانحلال المستشري ومن تهيئة نفسية وعسكرية لتهديم قوة الجيش، ومن ثم تسليم البلاد لليهود لقمة سائغة، وإحلال الميليشيات الحزبية النصيرية محل القوات المسلحة النظامية، ومن نهب لثروات الأمة بالرشوة والابتزاز والصفقات التجارية المريبة...
إن تاريخ سوريا الحديث، لم يشهد استبداداً أو فساداً فكرياً ولا إدارياً، كالذي تشهده اليوم في ظل نظام حافظ الأسد وعصابته المغامرة.
لذلك كان لزاماً أن ينبعث من رقاد العدم الأموات، وأن تنشط الهمم والنخوات، وأن يعلو صوت "الله أكبر حي على الجهاد"[47]

ولم يترك المجاهدون شباب الحركة الإسلامية، وعلى رأسهم "الطليعة المجاهدة" بقيادة مروان حديد وجماعته، لم يتركوا مجالاً للشك عن رأيهم بالنصيريين في مقالات أخرى نشرت في النذير بصفتها "صوت الثورة الإسلامية" فقد أشاروا إليهم بـ "العدو النصيري" و "الكفرة النصيريين المارقين عن ملة الإسلام" وأعلنوا أن "المجاهدين يخوضون أشرف المعارك ضد الإلحاد النصيري الحاكم في سوريا"[48]
ومن أضخم حوادث المواجهة، تلك التي وقعت في 16/ حزيران/ 1979م، في مدرسة المدفعية بحلب، عندما قتل معظم طلابها كان فيها "320طالباً عسكرياً " منهم ستون من السنة والباقون من الطائفة النصيرية [49] قتلوا في مجزرة جماعية؛ بإشراف وقيادة الشهيد إبراهيم اليوسف، آمر الدورة في المدرسة، وأحد أعضاء تنظيم الطليعة، وأعلنت الطليعة بيانها الأول على جدار المدرسة وادّعت تبنيها للعملية باسم الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين، كتيبة الشهيد مروان حديد، فأعلن النظام حربه على الإخوان المسلمين قاطبة، وعلى سائر التجمعات الإسلامية، ثم طوروها حتى صارت حرباً على الإسلام والمسلمين على اختلاف توجهاتهم.
وهنا اختلط الأمر على السلطة، فرغم أن قيادة الإخوان نفت علاقتها بالأمر، وأصدرت بياناً نشر في مجلة المجتمع الكويتية العدد (452) في 9/ شعبان/ 1399 - 3/ تموز/ 1979/ لم يفدها هذا، واعتقل قسم من قيادة الإخوان المسلمين وفر آخرون إلى الأردن[50].

وفور وقوع مذبحة حلب، انطلقت حملة شرسة لاستئصال تنظيم الإخوان المسلمين، بدأت بإعدام "15عضواً" كانوا بالسجون، وكان هؤلاء المساجين لا علاقة لهم بمدرسة المدفعية، إذ كانوا في السجن منذ عام/ 1977 [51].
وقد علقت صحيفة الأخبار القاهرية على مذبحة حلب في مقال افتتاحي بعنوان: "بحر الدم الذي تعيشه سوريا" بقولها: "لقد كانت هذه المذبحة حلقة في سلسلة طويلة من الجرائم والاغتيالات، وأعمال القمع والإكراه، التي يلجأ إليها حزب البعث العلوي لإذلال الشعب السوري وحماية نظامه، ولم يكن بد من أن يثور الشعب السوري ضد هذا الإذلال دفاعاً عن النفس" "فقد كان الانتقام من العلويين هو الدافع وراء المذبحة..."[1]
وبدأت الحملات الإعلامية للنظام، ضد الإخوان المسلمين، حتى أثارت عداوة بقية المسلمين، بدلاً من استدرار تعاطفهم بعد المجزرة ، فعلى سبيل المثال: أدى وصف الأسد للإخوان بأنهم "خونة ومرتدون وهراطقة" في خطاب له، إلى تأثير معاكس إذ حرص المسلمون السنة على الابتعاد عنه.

انظر عباراته: "اللهم العنهم وإسلامهم، لن يضمنا إسلام واحد معهم، إنهم قتلة الإسلام والمسلمين، إنهم خوّ ان الإسلام والمسلمين"[2]

لقد ظهرت باطنيته، وحقده على الإسلام واضحاً في هذه العبارات ولم يستطع كظم غيظه ومجاملة من يخاطبهم.. في تهجمه على الإسلام والمسلمين. (قاتله الله)

وصرحت صحيفة تشرين في 17/ 3/ 1980م "بأن المعركة ضد أعداء النظام لن تعرف الهوادة قبل إبادتهم جميعاً، ثم قالت: إن ملايين الأشخاص قد جندوا منذ الآن لمواجهة قوى الرجعية داخل سوريا"[3].

وأصدرت السلطات قراراً برقم "49" عام/ 1980م، أقره مجلس الشعب، يقضي بعقوبة الإعدام لكل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين، إلا أن يُعلن الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدم شخصياً إلى الجهات المسؤولة لمن هم خارج القطر، أو أن يسلم الشخص نفسه إن كان داخل البلاد... لينظر في أمره[4]

وغدت تهمة الإخوان المسلمين، تبنى على أي شبهة بسيطة أو عادية، وصارت تطلق على كل متديّن من أهل السنة، وقد أودت هذه التهم بالآلاف من الأبرياء الذين زُجّ بهمفي السجون ظلماً وعدواناً، دون أن يكون لهم صلة بالجهاد في كثير من الأحيان، ولا بأي تنظيم إسلامي آخر، وبدأت رحلة الهجرة وترك البلاد بالآلاف فارين من الواقع المرير[5]

وأصبح كثير من الشباب يتوارون في صلاتهم، ولا يؤم أكثرهم المساجد، خوفاً من التهم التي تودي إلى السجون والتعذيب، لقد عادت سياط محاكم التفتيش تلاحق المسلمين، ولكن على أيدي الباطنيين هذه المرة.
هام المسلمون من أهل السنة على وجوههم هرباً من ملاحقة محاكم التفتيش القرمطي النصيري...
هام العلماء والدعاة يتوجهون نحو أرض الله الواسعة في كل القارات، يبتغون حرية العبادة والأمان خلال عقدين من الزمن، توفي أكثرهم غرباء عن أوطانهم وذويهم، تعتلج الحسرات

نفوسهم ضارعين إلى الله أن ينتقم من الظلمة، ويخلصهم من هذه الفئة الباطنية الملحدة الحاقدة....
وأن يعيدهم إلى ديارهم بالأمن والأمان، وليس ذلك على الله بعزيز.

تراهم يحنون إلى مسقط الرأس، إلى المساجد ومجالس العلم والفكر والأدب. يقول الأستاذ العطار وهو في منفاه:

طال اغترابي وما بيني بمنقضب والدهر قد جدّ في حربي وفي طلبي
والشوق في أضلعي نار تذوبني ما أفتك الشوق في أضلاع مغترب
أين الأحبة ما بيني وبينهم لجّ البحار وأطراف القنا السُّلُب
عزّ اللقاء فلا لقيا ولا نظر ولا حديث على بعد ولا قُربِ
كما ذا أحنّ إلى أهلي.. إلى بلدي إلى صحابي وعهد الجد واللعب
إلى المنازل من دين ومن خلق إلى المناهل من علم ومن أدب
إلى المساجد قد هام الفؤاد بها إلى الأذان كلحن الخلد في صبب
الله أكبر هل أحيا لأسمعها إن كان ذلك يا فوزي ويا طربي
إني غريبٌ غريب الروح منفرد إني غريبٌ غريب الدار والنسب[6]

هكذا صنع النصيريون بالدعاة والعلماء، فحرموا ديارهم وذويهم، والعاقبة للمتقين.

---

[45]النذير نشرة سرية كانت تصدر باسم المجاهدين الإسلاميين.
[46]ذكرت جريدة الأهرام نبأ اغتيال الرائد محمد غرّة مدير الأمن بحماة في 13/ شباط/ 1976م.
[47] النذير: العدد الثاني في 21/ أيلول/ 1979م، ص 10.
[48]النذير: العدد الأول في 6/ أيلول/ 1979م، ص 3.
[49]النذير: العدد العاشر، في 1/ شباط/ 1980م، ص 10 - 11 وجريدة البعث 24/ حزيران/ 1979م.
[50]الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا، آلام وآمال/ عمر عبد الحكيم 1987م/ مخطوط/ ص33.
[51]الصراع على السلطة في سوريا/ ص139/ د. نيقولاوس فان دام.
[1]جريدة الأخبار القاهرية/ 24/ حزيران/ 1979م.
[2]ينظر: خطاب لحافظ الأسد في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القطري السوري السابع لحزب البعث في دمشق، وإذاعة دمشق 22/ 12/ 1979م، والصراع على السلطة في سوريا/ ص141، والنذير 21/ 2/ 1980م.
[3]جريدة تشرين السورية في 17/ 3/ 1980.
[4]ينظر الملاحق: الملحق رقم (4) وفيه نص القانون (49)
[5]الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا: عمر عبد الحكيم/ ص41 .
[6]من قصيدة للأستاذ عصام العطار، أوائل اضطراره للعيش في أوروبا (ألمانيا)، بعد أن لم يعد له مكان يستقر به. عن مجلة الرائد العدد "912"، الصادرة في مدينة آخن في ألمانيا، ونشرت في مجلة السنة العدد "69."

(2) الجبهة الإسلامية في سوريا[7]

هي تحالف قام بين العديد من الجماعات الإسلامية المعارضة في سوريا، شملت الإخوان المسلمين وتنظيم الطليعة المجاهدة، ولفيفاً من العلماء والمشايخ المعتدلين كان ذلك في تشرين الثاني من عام/ 1980م.

وانتخب الشيخ أبو النصرالبيانوني أميناً عاماً للجبهة، وتوفي - رحمه الله - في غربته.

وكانت الجبهة قد أصدرت بياناً سياسياً تحت عنوان:

"بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها"، موقعاً عليه من قبل قادتها: "الشيخ سعيد حوى - رحمه الله - ، والأستاذين علي البيانوني وعدنان سعد الدين"[8]

واحتوى البيان السياسي على نداء خاص للعلويين "من أجل مراجعة حساباتهم" والعودة "إلى التعقل قبل فوات الأوان."

"كما تم الإفصاح عن أن الأمور قد وصلت إلى مرحلة اللاعودة إلى نظام البعث السوري، ولن تكون هنالك هدنة إلا بانهياره"[9]

وفي تلك المرحلة كثرت الكتب التي تتهم الطائفة النصيرية بالكفر والردة عن الإسلام مثل: (النصيرية دراسة تحليلية) لتقي شرف الدين، وكتاب (النصيرية حركة هدمية)، الصادر في بغداد، وعدة أعداد من نشرة النذير.

كما ظهرت كتب في الرد على الاتهامات من قبل كتاب نصيريين مثل كتاب: "العلويون بين الأسطورة والحقيقة" للمحامي النصيري هاشم عثمان، من مدينة اللاذقية وفي الكتاب شتم وتجريح لكبار علماء أهل السنة، كابن تيمية والذهبي والشهرستاني - رحمهم الله تعالى - ، ولكل من تناول النصيرية في كتبه، والكتاب مليء بالمغالطات العجيبة[10]

وصدر كتيب بعنوان: "عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين العلويين" للشيخ عبد الرحمن الخيّر، وهو من مشايخ العلويين المتنفذين، وقد ناقش فيه الذين ادعوا أن العلويين غير مسلمين[11].

وكلا الكتابين يموه الحقائق ويتجاهل الوثائق الدامغة حول عقائد النصيرية، وهي مسطورة في كتبهم ومخطوطاتهم وفيها تبيان لبعدهم عن الشيعة الجعفرية[12]

وقامت الجبهة الإسلامية أصلاً من أجل توحيد الجهود، لوضع حد للتسلط النصيري، وإزاحة الإرهاب والمظالم عن المسلمين، والمناداة بتحكيم الإسلام في شؤون الدولة والمجتمع.

---

[7]ينظر: الصراع على السلطة في سوريا/ ص158 - 161.

[8]بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها، دمشق في 9/ 11/ 1980م.

[9]ينظر: المرجع السابق/ ص11 - 12.

[10]العلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان/ بيروت - 1980م.

[11]عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين العلويين: عبد الرحمن الخير دمشق/ طبعة ثالثة/1992م

[12]ينظر تفصيلاً لذلك الباب الرابع من هذا الكتاب/ فصل النصيرية.

(3) صور من المجازر الوحشية التي ارتكبها النظام في ديار المسلمين:

بدأت قوات الجيش، تساندها القوات الخاصة بقيادة علي حيدر تداهم مدينتي حلب وحماة، بعد القلاقل الدامية والإضرابات التي قامت في شهري آذار ونيسان من عام/ 1980م، وقد تم حصار المدينتين وتمشيطهما بالتعاون مع سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد، بحثاً عن الإسلاميين وكل من يتعاطف معهم، وقد سقط العديد من القتلى والجرحى خلال تلك العمليات[13].

وتذكر الصحف الخارجية، ومصادر الإسلاميين العديد من المواجهات الدامية التي وقعت خلال النصف الأول من عام/ 1980 **وكان من أبرز تلك المجازر:**

مجزرة جسر الشغور: في 10/ 3/ 1980م.

فقد حاصرت القوات الخاصة تلك المدينة الواقعة في محافظة إدلب، وقصفت المدفعية والصواريخ المنازل والمنشآت، فهدم عشرون منزلاً وخمسون حانوتاً، وقتل ما يزيد عن مائة شخص كما اعتقل المئات، وشكلت القوات العسكرية محكمة ميدانية في مكتب البريد التابع لتلك المدينة[14]، وأعدم المئات من أهلها.

وقد استمرت هذه المجزرة ثلاثة أيام تحت القصف والتمثيل بجثث الأطفال والنساء والشيوخ.

وتكررت هذه المجازر: ففي دمشق داهمت القوات المسلحة ساحة العباسيين وهاجمت المنازل المجاورة بالقذائف المكثفة، فدكت البيوت وكانت الحصيلة مقتل ستين شخصاً وجرح "150 آخرين" وتدمير ثلاث بنايات، في 18/ آب/ 1980م.

ومجازر سوق الأحد في حلب/ 13 تموز/ 1980م، قتل فيها (43 وجرح 150 آخرين).

ومجزرة هنانو بحلب (11/ آب/ 1980م) في أول أيام عيد الفطر المبارك، إذ أجبرت الوحدات الخاصة عدداً من المسلمين على الخروج إلى مقبرة هنانو، وفتحت عليهم نيران الأسلحة المختلفة، وحفرت خندقاً كبيراً في المقبرة وألقيت فيه جثث الضحايا، وبلغ عدد الضحايا (83 خصاً).

وفي حمص كانت مجزرة البساتين (16 آب/ 1980م) يوم الجمعة والمنطقة تقع على نهر العاصي.

ومجزرة سرمدا في (25 تموز/ 1980م)، حيث مثلوا بالمواطنين الأبرياء وأحرقوا بعض المنازل، ونفذوا حكم الإعدام في ساحة المدرسة بعدد من الأبرياء.

وتنوعت الجرائم، التي تهون أمامها جرائم (نيرون)، **إذ جمعت القوات السورية "400" شخص كمعتقلين** في مدرسة ثانوية في مدينة الرقة في منصف أيلول/ 1980م، وأحرقتهم في ليلة ممطرة حيث قتل الجميع، ولم ينج منهم أحد، وصدر بيان عن السلطات المحلية في وقت لاحق تحدث عن نشوب حريق في إحدى المدارس أدى إلى قتل بعض الأبرياء، وأنه تم إخماد النار بعد وقت قصير[15]

أما أبشع المجازر وأشدها وحشية فهي مجزرة تدمر في 27/ حزيران/ 1980م:

إن محاولة فاشلة لاغتيال الأسد في دمشق (26 حزيران 1980م) على طريق المطار بدمشق، قد عمت الطائفة النصيرية بموجة من الغضب.. مما أدى إلى هذه المجزرة، التي تهون أمامها مجازر دير ياسين ومسجد الخليل في فلسطين.

وفي اليوم التالي صدرت الأوامر لوحدتين من سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد، يقودهما الرائد "معين ناصيف" نائب رفعت وصهره "نصيري"، ليتوجه بالطائرات إلى سجن تدمر الحربي، وكان عدد الطائرات المروحية (12) طائرة تحمل كل واحدة منها "30عنصراً" من سرايا الدفاع، وهنالك طوقت السجن، وطلبت من المعتقلين الخروج من مهاجعهم حيث أطلقت عليهم النيران، وألقيت القنابل الحارقة وقاذفات اللهب من فوق سطح السجن، وبلغ عدد الضحايا نحو "700 شخص" يضمون نخبة من الأطباء والصيادلة والمهندسين والمحامين والقضاة والمدرسين، ومن الطلاب والعمال والفلاحين، وتوجد اعترافات مسجلة مع بعض عناصر الأمن السوري الذين شاركوا في هذه المجزرة عندما ضبطوا في وقت لاحق أثناء محاولتهم اغتيال رئيس الوزراء الأردني، مضر بدران، في أيلول/ 1980م، وعرضت تلك الاعترافات على تلفزيون الأردن[16].
تم ذلك بصورة وحشية، وقد تعالت الصرخات بين نداء "الله أكبر" وبين الصياح والهلع، ورغم أن النظام حاول أن يحيط العملية بجو من السرية إلا أن التفاصيل ظهرت فيما بعد[17]

لقد تمت المجزرة في ظرف أربعين دقيقة، كما تقول شهادة الشهود الموثقة لدينا بصوت وصورة بعض المنفذين، ولم ينس الجناة الإجهاز على كل جريح.
وقد اتخذت اللجنة المركزية للتضامن مع سجناء الرأي في سورية، يوم 27/ حزيران/ 1980م، يوماً عالمياً للتضامن مع سجناء الرأي في سوريا، وأن تبقى ذكرى المأساة متجددة مع المطالبة بإعادة الحقوق المسلوبة إلى مساجين الرأي الأحياء[18]
هذا وفي غضون أسبوعين من محاولة اغتيال الأسد، أصدر المجلس الوطني السوري في 7/ تموز/ 1980م قانونه (49)، الذي يقضي باعتبار عضوية الإخوان جريمة عظمى يستحق صاحبها "الإعدام"[19].

وفي عام/ 1981م، أُعلن عن إحباط محاولة انقلابية:
واعتقال لفيف من الضباط الإسلاميين، وعلى رأسهم العميد تيسير لطفي - رحمه الله - ، وقد ذكر أن العدد تجاوز أربعمائة ضابط هم حصيلة الإسلاميين في الجيش.... على مدى أكثر من خمسة عشر عاماً من التخفي والصبر، وخاصة أن كل الكوادر الإسلامية في الجيش قد صفيت عبر حملات الإعدام والتسريح المنظم، وقد أعدمت السلطات هذه المجموعة من الضباط - رحمهم الله -، بسرعة رهيبة.

ومن ثم اعتقل أحد مراسلي المجاهدين والضباط مع الخارج وتحت التعذيب تسربت أنباء عرف أن مركز الثقل هو مدينة حماة، فضرب حولها طوق شديد من الحصار، بعدة فرق من الجيش، وبدأت الدولة بسلسلة من الاعتقالات الجماعية العشوائية بالآلاف، وقررت قيادة المجاهدين المواجهة لأنها كشفت[20].
وبعد حصار دام أكثر من شهرين كانت الدولة تنسف كل بيت (تشك أن فيه مسلحين) على رؤوس أصحابه وجيرانه، وكانت أعمال التمشيط تتم بوحشية بعد قصف المنازل وإطلاق النار عليها، دون رعاية لحرمة ولا عرف ولا دين...
وكان الصدام قد وقع في 25/ 1/ 1982م، على أن تتحرك ضمائر المسلمين في المدن الأخرى وفي الجيش، ولكن لم يحصل شيء من ذلك، وكانت المأساة وكانت النهاية والدمار[21] كانت نهاية المجزرة قد تمت بحلول 20/ 2/ 1982م، في حين أن إذاعة بغداد بقيت تزعم أن المقاومة مستمرة - على لسان بعض القادة من الإخوان - وتزعم عزمها على إنجاد حماة خلال شهرين بأسلوب يثير الرثاء والأسى[22].

وكانت المجازر في حماة قد بدأت عام/ 1980م ما بين (5 - 12 من شهر نيسان)، وتكررت في (21 أيار/ 1980م)[23]
وما يتبع ذلك من الاعتقالات والتمشيط للأحياء، والاعتداءات الوحشية على السكان.

مجزرة حماة الكبرى عام/ 1982م:
خلافاً للمرات السابقة التي داهم فيها رجال النظام هذه المدينة الباسلة، وعانى سكانها من شتى أنواع القمع في نيسان ربيع الدم/ 1981م، إذ قامت سرايا الدفاع بإعدام أكثر من (مائتي شخص)ما في ذلك عائلات بأسرها في ضواحٍ مختلفة من حماة.
فإن المداهمات هذه المرة تحولت إلى المواجهة المسلحة بين النظام النصيري وقوات المعارضة الإسلامية، وصعّدت الأحداث إلى ثورة المدينة بأسرها، واستمرت المعارك مشتعلة مدة شهر تقريباً (من 2 شباط - حتى 28 منه /وقد جرّت القوات الغازية المجاهدين إلى الثورة، رغم عدم تكافؤ الفرص، واتسمت المواجهة بأقصى وسائل العنف وسفك الدماء والتخريب، وهو ما لم تشهده سوريا من قبل[24].
فقد قتل ما لا يقل عن (30 - 35ألفاً) من المواطنين، وتم قذف ودك أحياء بكاملها، ومن ثم أزيل عشرات المساجد والمناطق التاريخية نتيجة القصف المدفعي.
وكثيراً ما دخل فجرة الجيشالمساجد فنكلوا بالمصلين ومَزّقوا المصاحف، وخرجوا يعربدون ويطلقون النار في كل جهة، ناشرين الذعر والإرهاب في أوساط المدنيين العزل[25]
وقد شملت قوات النظام المحيطة بحماة، وحدات من سرايا الدفاع "رفعت الأسد" ووحدات من القوات الخاصة بقيادة "اللواء علي حيدر" واللواء المدرع السابع والأربعين، بقيادة العقيد "نديم عباس" وهو تابع للواء "شفيق فياض"، وشاركت وحدات من المخابرات العسكرية، وكتائب تابعة لحزب البعث.
وكان هؤلاء الضباط من الطائفة النصيرية.... وقد تراوحت هذه القوات ما بين "12 إلى 25 ألفاً " [26]
وفرضت السلطات تعتيماً إعلامياً على ما يجري في المدينة، وقطعت طرق المواصلات المؤدية إليها، ولم تسمح لأحد بالخروج منها.

وقد أفنيت أسر بكاملها، فتم تجميع الشباب والرجال والنساء ثم رشُّوهم جميعاً بالرصاص، لقد خربت حماة ودمرت أحياؤها، خربوا ما لا يقل عن نصف المدينة، وشردوا ما لا يقل عن مائة ألف من سكانها، وكوفئ المجرمون القتلة بالترفيع والعلاوات بدلاً من محاكمتهم كمجرمي حرب ومن بين هؤلاء العقيد رفعت أسد، الذي عين نائباً لرئيس الجمهورية، لشؤون الأمن القومي، كما منح كبار الضباط في لجيش والمخابرات رتباً أعلى، وعين محافظ حماة "محمد حربة" وزيراً للداخلية[27].
وذلك استهتار مقصود، وإجرام متعمد.

ومن أبشع جرائمهم الوحشية تلك التي وقعت في حي واحد "في منطقة الباشورة" صباح الاثنين في 8/ شباط/ 1982م، حيث أبديت أسر بكاملها[28]
وفي آذار/ 1982م، ألقى حافظ الأسد خلال ذكرى ثورة الثامن من آذار خطاباً مشحوناً بقذف الإخوان الذين تم سحقهم على حد قوله:
ومما ورد في خطاب الرئيس الأسد قوله:
"إن الإخوان المسلمين مجرمون بحق الدين والدنيا، مجرمون بحق الشعب، بحق الله، أين هم من الإسلام؟!. أين هم من القرآن؟!...إننا لن نسمح لهم مطلقاً بتدمير إسلامنا، لن نسمح لهم مطلقاً

بتشويه تراثنا، الإسلام هو إسلام النضال العنيد ضد كل أشكال الإمبريالية، الإسلام كفاح لا يعرف التردد ضد الرجعية والاستعمار... ليمت أعداؤنا... ليمت الإخوان المسلمون"[29]
نعم أيها المفتي الكبير؟!الحقيقة أنّ الإسلام لا يلتقي مع النصيرية في قليل ولا كثير، وقد عرف هذه الحقيقة علماؤنا منذ قرون، فقال ابن تيمية رحمه الله" :النصيرية أشد كفراً من اليهود والنصارى."
كان هذا الإرهاب سبباً في تحطيم الروابط الأخلاقية داخل المجتمع الإسلامي، وباعثاً على تمزيق أواصر القربى والرحم، فبات الأخ لا يأمن أخاه، وصار الجار لا يطمئن إلى جاره... وقد تحولت سوريا إلى سجن كبير، يُطارد المواطنين بالرعب والخوف والإذلال.

---

[13]الصراع على السلطة في سوريا: نيقولاس فان دام/ ص154.
[14]المرجع السابق/ ص155، ومذكرة حول أوضاع حقوق الإنسان في سوريا وفيها قائمة تتضمن عدداً من المجازر التي ارتكبت بحق المدنيين السوريين/ ينظر الإنترنت رقم الموقع http:www.syriah.com.
[15]مذكرة حول أوضاع حقوق الإنسان في سوريا/ قامة بعدد من المجازر إنترنت رقم / http.www.syriah.com.
[16]جريدة الرأي: عمّان/ 26 شباط/ 1981م، والصراع على السلطة في سوريا/ ص 157.
[17]الصراع على السلطة في سوريا/ ص157، وانظر: تدمر المجزرة المستمرة/ دار النذير/ الطبعة الثالثة/ 1984م.
[18]اللجنة المركزية للتضامن مع سجناء الرأي في سوريا في 31/ 5/ 1998م/ ينظر الإنترنت رقم الموقع: http.www.syriah.com.
[19]الصراع على السلطة بسوريا/ ص 157.
[20]الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا: عمر عبد الحكيم/ ص 82 - 83.
[21]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[22]الثورة الجهادية: عمر عبد الحكيم/ ص 103.
[23]حماة مأساة العصر: منشورات دار التحالف الوطني لتحرير سوريا/ 1984م/ ص19 - 21/.
[24]الصراع على السلطة في سوريا/ ص 165 وما بعدها، وحماة مأساة العصر: نشر التحالف الوطني لتحرير سوريا عن المكتب الإعلامي للإخوان المسلمين.
[25]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[26]حماة مأساة العصر/ ص149.
[27]ينظر الإنترنت رقم الموقع.http.www.syriah.com :
[28]ينظر الملحق رقم (5) آخر هذا الباب، حول إبادة أسر بكاملها في مدينة حماة، عن اللجنة السورية لحقوق الإنسان.
[29]الصراع على السلطة في سوريا/ ص172، وإذاعة دمشق في 8/ آذار/ 1982م.

(4) وقفة مع الأحداث الدامية والثورة الجهادية:

لا بد من التأمل الواعي لتلك المآسي التي وقعت على المسلمين فقتل فيها من قتل، وشرد من شرد، وهدمت البيوت والمساجد...
لقد أصبحت تلك الأحداث تاريخاً يحكى، فلا بد من الاستفادة من دروسها والاتعاظ من تجاربها...إن ذلك أمر ضروري شرعاً وعقلاً ... علينا أن نقول كلمة حق عسى أن تفيد الأجيال اللاحقة، بغض النظر عن النوايا الطيبة ودوافع الجهاد العظيم.
سوف نتوقف عند الخطوط العريضة فقط، بما يتناسب مع حجم هذا البحث، ونتساءل أولاً عن الإعداد المناسب.

1- فأين الإعداد المناسب:

أين الإعداد العسكري؟!
أين هو الحد الأدنى لإعلان ثورة جهادية على السلطة والجيش؟! فالحماس العاطفي أودى بالعمل الإسلامي كله... صحيح أن النظام حاول أن يورط الإسلاميين، وجرهم إلى المواجهة... لكن من المفروض تفويت الفرصة على سلطات ماكرة حاقدة... حتى لو كانت الاستفزازات لئيمة خسيسة.
وأين هو الإعداد العقدي؟!
أين هي تربية الجنود التي ترعى جانب العبادة والإيثار، والتآخي والمودة على جانب الأثرة والحزبية؟!
لقد كشفت الأحداث عن فجوات خطيرة في هذا الجانب، حتى بين بعض قادة الحركات الإسلامية، وكوادرها وفصائلها.
لقد اعتمد الإسلاميون خلال معركتهم مع النصيرية وجيشها على الكم وليس الكيف، وخاصة بعد أن استشهد رواد الحركة الجهادية الأوائل، أواسط عام/ 1970م، وحتى آخر عام/ 1980م، وهم صفوة شبابها.
ولذلك فتح المجال أمام كم لا يملك إلا العواطف والحماس، الذي فتر بعد تراجع الأحداث...
ولم تستطع الحركة الإسلامية آنذاك إبراز إسلامية المعركة وعقدية المواجهة مع النظام النصيري البعثي...
حتى أن كثيراً من قادتها كانوا يغازلون النصيريين في تعاملهم، وبعث العراق في التحالف معه، فهل للكفر ألوان، بعضها أبيض والآخر أسود وأحمر؟!

هذه نقطة أساسية، ينبغي أن تكون هي الأهم في مجال التربية، فالقواعد يجب أن تكون راسية الدعائم، تربيتها عقدية إيمانية قبل كل شيء، وقدوتنا في ذلك تربية دار الأرقم في جنبات البيت العتيق... ومن سار على دربها عبر القرون.

2- خطأ الاعتماد على الأنظمة المجاورة كالعراق والأردن وقد كان التعاون معها توريطاً بان عواره في الساعات الحرجة.. حوصرت مدينة حماة ودكت أحياؤها، ودمرت منشآتها، والعراق يتردد وينصح بالتريث، ويحجز الشباب المجاهدين في معسكراته، هذا هو حليف الإسلاميين، فهل يخلع الثعلب جلده،ليصبح عابداً ناسكاً؟!
وقد سلم الأردن بعض الإسلاميين إلى السلطات السورية في بداية الأحداث، فأعدموا....

لقد قدمت أنظمة الجوار كلها الدليل، على أنها لا تصلح أن تكون حليفاً مصلحياً مؤقتاً على الأقل، فكلها أنظمة تخاف الإسلام وتسجن دعاته، وكان من الخطأ أن تكون التنظيمات مكشوفة أمام تلك الأنظمة.
وكان الخلل الكبير أن يزكي بعض القادة الإسلاميين بعث العراق العفلقي، ويشهد بأن قادة البعث متدينون، وأن نظام صدام حسين يتفق معهم ولا خلاف بينهم...
وقد أثارت هذه التصريحات ضجة كبيرة في أوساط الإسلاميين لما فيها من مداهنة للنظام البعثي في العراق.
يقول أحد القادة خلال مقابلة له مع مجلة الوطن العربي:
"إن حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق هو الأصل، وهو يعارض نظام الأسد، وهو من الفصائل الرئيسية التي تحاورنا معها، ولم نجد بيننا وبينهم أي تناقض... ،قد وجدنا كثيراً من الخلافات بيننا وبينه موهومة، ولا أساس لها من الصحة".
ثم يقول: "العلويون مواطنون، وكثير منهم مظلومون.. يريد حافظ أسد أن يزج بهم في أتون حرب طائفية... نحن نريد أن ننقذهم من هذا المستنقع الطائفي كي ننقذ كل فئات شعبنا"[30]

هذه مغالطات كبيرة، إذ كيف يعطى حزب علماني الشرعية والتدين، ومؤسسوه وقادته من الأقليات الدينية الحاقدة!
وكيف يخادع هذا القائد نفسه وجمهوره حول النصيرية، وقد باتت أهدافها واضحة معروفة، وأحقادها جلية مكشوفة؟!

3- ضرورة وضوح الهدف من المعركة:
لابد لكل ثورة من تحديد أهدافها الأساسية بوضوح وجلاء، فإن كان هدف الثورة الجهادية هو الإطاحة بالدكتاتور ومظالمه، فلا حاجة إلى توريط المسلمين في هذا الأتون الملتهب، وإراقة دمائهم لهذا الهدف الرخيص.
وإن كان الهدف هو تحقيق شرع الله وإعلاء كلمته خفاقة، فنعم الهدف إذن..
وعندها كان ينبغي أن يعلم الإسلاميون والمجاهدون أبعاد مبادئ حزب البعث بأجنحته المختلفة، وأن يعوا عقائد الأقليات الباطنية وعلى رأسهم النصيرية، فتكون المعاداة واضحة جلية على أساس شرعي عقدي...
وأن تكون الموالاة للمؤمنين عامة، ولو اختلفت اجتهاداتهم وتكتلاتهم.
قال تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حادّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم إخوانهم أو عشيرتهم}[31].
ومن هنا لا يصح التحالف مع بعث العراق وبقية الأحزاب العلمانية لأنه لا يؤمن جانبها، ولطالما قد خدعتنا مراراً خلال المعركة مع النظام النصيري، وخذلت المتحالفين معها حين الحاجة إليها، فلا يجوز التحالف معها وهي الأقوى، ولا لقاء بينها وبين الإسلاميين أصلاً .
كما أنه لا يجوز مداهنة النصيريين، ونعتهم بأنهم إخوتنا.

متى حارب النصيريون معنا ضد فرنسا؟ ! لقد كانوا مع الغزاة أيام التتار والصليبيين والفرنسيين، كانوا رأس حربة مع أعداء المسلمين على مدار التاريخ32]]
إن عدم وضوح الأحكام الشرعية في التربية، أوقع الإسلاميين في أخطاء فادحة وانحرافات خطيرة.
إذ قتل عدد كبير من الأبرياء على يد بعض الإسلاميين خلال عمليات التفجير ومقاومة السلطات، ومن بينهم مسلمون لا يجوز إراقة دمائهم هدراً ...

كما أن الروح الحزبية، أدت إلى التمييز في المساعدات المالية والمعيشية، على حسب الولاء الحزبي الضيق مما اضطر بعض المجاهدين إلى المقامرة بمبادئهم والتعاون مع السلطات في صلح مشبوه، جعل بعضهم يعمل لصالح النظام النصيري ضد إخوانه عموماً، وقد قبل آخرون عضوية مجلس الشعب والتسبيح بحمد الرئيس القائد في المجلس وخارجه.

وقديماً قيل: "تجوع الحرة ولا تأكل بثديها..."

أي أن المسلم يصبر ويحتسب إذا لم تتحقق أهدافه، ولكن لا يمكن أن يعمل لحساب النصيرية، أو حزب البعث العلماني، ولو أدى به الأمر إلى حياة الجوع والحرمان والتشرد حتى الموت...

أما أولئك الذين ظنوا أن التوصل إلى السلطة بات قريباً، فلن يكونوا رواد حركة إسلامية جادة...

تحقق حكم الله في الأرض...

إن عدم التخطيط وضعفه، كان خطأ فادحاً، وإلا هل كانت هنالك الكوادر الإسلامية المتخصصة لإقامة كيان إسلامي حديث؟! فلو كانت الأخوة الإسلامية صادقة هل تؤدي إلى هذه الشروخ والإحباطات في العمل الإسلامي؟!.. ويكفي المسلم النية الطيبة على كل حال "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى."

إن موالاة المشركين قضية خطيرة، لأن كره المشركين وما هم عليه يعتبر من علامات الإيمان، أما حبهم وموالاتهم فيعتبر من علامات النفاق.

أما محبة المؤمنين وموالاتهم، فمن علامات الإيمان، وهذا ما ربي عليه رجال الدعوة الأولى، بل هذا ما سار عليه المجاهدون الأبرار عبر تاريخ أمتنا الناصع.. وهذا ما ينبغي أن تتبناه كل ثورة جهادية جادة...

ولن يتحقق النصر بالتعاون مع الأحزاب العلمانية، أو الطوائف الباطنية، ولا عملاء الشرق والغرب.. وما النصر إلا من عند الله...

فالتربية العقدية الصافية هي المخرج للأمة مما تعانيه، تربية تنطلق من الاعتصام بالكتاب والسنة فهماً وتطبيقاً ، وذلك ما فهمه السلف الصالح خلال القرون الأولى المفضلة.

وهو ما طبقوه سلوكاً وتطبيقاً ومنهجاً .

فهل قامت الحركة الإسلامية بهذا الواجب الشرعي خلال إعداد أفرادها؟! وهل كان هنالك الحد الأدنى من تلك التصورات لدى المسلمين في سوريا وبلاد الشام؟!

لو كان الأمر كذلك لما اشترك كثير من شبان المسلمين في حصار ذويهم وترويعهم ونهب أموالهم، في المدن السورية، تحت قيادة القرامطة الجدد، جهلاً منهم بحقيقة الأمر أو خوفاً من رؤسائهم لأن الغالبية الساحقة من الجنود كانوا من أبناء المسلمين، فهل يصح أن يساهم هؤلاء الجنود في تلك المآسي تحت إمرة النصيريين والدروز أو الإسماعيليين؟![33].

لو كانت الأهداف واضحة، والإعداد العسكري والعقدي جلياً لالتفت الأمة حول المجاهدين، ولاعتبرت أن المعركة معركتها، والمصير مصيرها...

ولما جاء البيان التالي من قيادة الثورة الإسلامية على هذه الصورة، ولما قبلته فصائل الحركة الإسلامية أبداً .

جاء في نشرة مجلة النذير البيان التالي الذي ألقاه الأستاذ عدنان سعد الدين عضو قيادة الثورة من صوت المجاهدين في بغداد (مساء الجمعة في 25/ ربيع الثاني/ 1420هـ) وهو موجه إلى الطائفة النصيرية في سوريا، ومنه قوله34]]

"أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية، باسم المجاهدين خاصة وباسم الشعب كافة، نحدثكم ونتوجه إليكم بهذا الخطاب...

"أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية: مدوا أيديكم إلى أيدي إخوانكم في سوريا، فكلكم شعب واحد عاش القرون في سلام، وحاربوا جنباً إلى جنب لنيل الاستقلال..؟!

"وقد عشنا بينكم على سفوح الجبال وعلمنا أبناءكم، كما علم الأساتذة منكم أبناءنا، وسكنا قراكم وسكنتم في أحيائنا، وقاومنا معكم وحاربتم معنا الاستعمار والظلم والاستغلال، حتى تسلل هذا الطاغية الخائن باسم الاتجاه القومي والعمل الوطني، فتسلط على الوطن الجريح وكانت الكارثة"[35].
"أيها العلويون ضعوا أيديكم بأيدي الشعب في سوريا بكل فئاته، لغسل هذا العار عن جبين وطننا الغالي."
قيادة الثورة الإسلامية في سوريا

4- ومن الأخطاء القاتلة أن المجاهدين استهدفوا صغار العملاء وأذيال النظام، ودخلوا تلك المتاهة بشكل مضطرب غير مدروس، وكان الأولى توجيه الضربات لرأس النظام، فكانت الخسائر فادحة بعد ذلك في صفوف المسلمين.
ومن الأخطاء المؤسفة، دور الإعلام وضعفه لدى الحركة الإسلامية، وعجزه عن إبراز حقيقة التهويل والمبالغة، ومجانبة الصدق في كثير من الحالات...
وتبين ذلك واضحاً خلال أحداث حماة، إذ دأبت النذير على التهويل والتزوير، بحيث أن المواطنين اكتشفوا زيف أخبارها بعد ذلك36]]

5- استعجال المعركة قبل أوانها المناسب:
فقد كان نشاط الحركة الإسلامية في المساجد قوياً في مطلع السبعينات ولم يقابل الحزب والطائفة هذا النشاط بالارتياح فحاول استفزاز المسلمين، فحصلت احتكاكات عديدة بينه وبين الحركة الإسلامية والدعاة عموماً، كان أهمها أحداث الدستور عام/ 1973م، والتي اعتقل فيها كثير من الشباب والعلماء العاملين الذين أفرج عن أكثرهم عام/ 1978م، ثم التهبت الأحوال وانتهت بالصدام الذي فجرته الطليعة المقاتلة سنة/ 1979م[37].

فالصراع بيننا وبين النظام ليس هو الدستور، وإنما هو خلاف عقدي ابتداء، ويعتبر وجود النصيريين في قمة السلطة أمراً شازاً أصلاً، فقد احتكروا الحكم بالقوة والغدر والتآمر، وغيروا في دستور البلاد وبدلوا حسب أهوائهم ومطامعهم، وإلا متى كان منصب رئاسة الجمهورية يحلم به باطني أو نصراني، إنها لبادرة غريبة في تاريخ بلادنا عبر عمرها كله...

وماذا يفيد المسلمين كون الدستور ينص على أن دين الدولة الإسلام، أو أن دين رئيسها الإسلام، مادام التطبيق العملي شيئاً وما يسجل على الورق شيء آخر...

المهم أن المسلمين لم يستفيدوا من معركة الدستور سوى الاعتقالات، بدءاً باعتقال الشيخ مروان حديد - رحمه الله - ، وتعذيبه في السجن حتى وفاته عام/ 1976م.
وانتهاء بمسلسل الاعتقالات والمداهمات والمجازر الوحشية في أنحاء البلاد.
لقد تحولت سوريا إلى سجن كبير، ومقبرة للدعاة في كل صقع منها، والفارّون بدينهم يقدرون بعشرات الآلاف...

أما الأحياء الباقون، فتطاردهم المخاوف، وتلاحقهم رجال المباحث والمخابرات، في بيوتهم وأعمالهم، وفي مزارعهم في القرى، أما السجون، أما مراكز المخابرات أما تعطيل وثائق السفر لعامة أهل السنة، فحدث ولا حرج... ناهيك عما يدفع من رشاوى وما يجري من احتيال واغتصاب...

لقد أصبحت الحياة في سوريا العزيزة جحيماً لا يطاق على أيدي الباطنيين وضعاف النفوس من المرتزقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[30]ينظر: مقابلة لعدنان سعد الدين مع مجلة الوطن العربي، العدد "70"، أجرى المقابلة معه وليد أبو ظهر/ ص35، والمجلة تصدر في باريس.
وينظر كتاب الثورة الجهادية الإسلامية لعمر عبد الحكيم ص 124 - 125.
[31]سورة المجادلة :(الآية 22).
[32]ينظر الباب الرابع، فصل النصيرية ففيه تفصيل.
[33]ينظر: الثورة الجهادية الإسلامية، عمر عبد الحكيم/ ص 179.
[34]مجلة النذير: العدد العاشر/ 25/ ربيع الثاني/ 1402هـ - 19/ 2/ 1982م، وإذاعة بغداد بنفس التاريخ.
[35]لبيان زيف هذا الادعاء: انظر (النصيريون عبر التاريخ) آخر الباب القادم.
[36]الثورة الجهادية الإسلامية/ ص 150 - 151.
[37]المرجع السابق: ص 26، 30 - 31.

الفصل الثالث: سياسة الأسد الخارجية وتناقضاته في المجالين العربي والداخلي

- **المبحث الأول**: الازدواجية والتلون والانتهازية
- **المبحث الثاني**: موقف الأسد من الصراع العربي الإسرائيلي (سقوط القنيطرة وتسليم الجولان)
- **المبحث الثالث**: التدخل العسكري في لبنان**لمصلحة مَنْ ؟!**
- **المبحث الرابع**: تعاون الأسد مع إيران في حرب العراق وإطلاق يد الرافضة بنشاط مذهبي داخل سوريا

الفصل الثالث :
سياسة الأسد الخارجية وتناقضاته في المجالين العربي والدولي

المبحث الأول : الازدواجية والتلون

تميزت فترة الأسد من حيث سياسته على المحورين العربي والخارجي بالازدواجية والتلون والانتهازية.
وهي أبرز خصائص الحركات الباطنية، من حيث اعتقادها بالتقية، والأخذ بالباطن وإخفاء الظاهر...
فقد انتقلت سوريا في هذا العهد منذ عام/ 1970م، من بؤرة للثورة العربية، والمناداة بالتحرر العربي، إلى المتاجرة بالمبادئ القومية، والتواطؤ مع أعداء الأمة ضد قضاياها المصيرية.
فقد كرس الأسد أعماله لإبعاد سوريا عن هويتها القومية، باتجاه تسخيرها لسيطرة أقلية باطنية، لا تدين للعرب ولا للإسلام بشيء من مودة أو تعاطف...
ومن أجل إبعاد الأنظار في الداخل عن هذه السياسة، اندفع الأسد إلى البحث عن أغطية "أيديولوجية" تخفي حقيقة السلوك الطائفي من ناحية، وعن حماية خارجية، تعوض له الدعم الشعبي المفقود من ناحية أخرى[38]

وقد ظهر هذا التلون والتناقض في معظم مواقف الأسد، سواء في الصراع العربي الإسرائيلي، أو في علاقاته مع دول الجوار وبقية الدول العربية الأخرى.
"فقد سارت سوريا بصراعها مع إسرائيل على سياسة مزدوجة، فمن الناحية النظرية استمر التأييد التام للمقاومة الفلسطينية، ومن ناحية أخرى حظرت سوريا نشاط الفدائيين من أراضيها، وسعت إلى إبعادهم نحو لبنان والأردن".
"وأخذت سوريا على عاتقها شق منظمة التحرير، فأنشأت "منظمة الصاعقة" ونجحت في مهمتها بعد أن اشترت ذمم "نايف حوائمة وجورج حبش وأحمد جبريل وأبي نضال."
وأقام الأسد ما سمي "بجبهة الصمود والتصدي"، وبعد خمس سنوات من مسرحية ذلك الصمود، قال بعض زعماء منظمة التحرير: "إنها جبهة الاستسلام والتردي"[39]

وتكرر الموقف في عام/ 1982م، عندما اجتاح اليهود لبنان، وارتكب النظام النصيري حينذاك جريمتين اثنتين:
الأولى: أنهم تخلوا عن الفلسطينيين وهم يزعمون أنهم دخلوا لبنان من أجل مساعدتهم.
الثانية: أنهم تركوا القوات السورية في بيروت دون تموين، وتركوا قواتهم في البقاع أمام العدو في العراء، دون غطاء جوي، فقصفتهم طائرات العدو، ومدافعه الكثيفة، فكانت الخسائر البشرية فادحة جداً ... إذ تركهم القادة النصيريون لقمة سائغة للعدو وفريسة سهلة لقصف الطائرات[40]

ومن هنا فإن الصحف العالمية، نشرت تصريح مناحيم بيغن، رئيس وزراء العدو آنذاك "بأن حافظ الأسد رجل يحترم العهود والمواثيق". لأنه لم يتدخل لمقاومة الاجتياح الإسرائيلي في لبنان.
كما **تميزت المرحلة الأولى** من سياسة الأسد (1970 - 1977م) بمحاولات الابتعاد عن عزلة النظام البعثي أواخر الستينات وبدأ البحث عن النفوذ والتأثير السياسي على الصعيد العربي وخاصة الدول المجاورة لسوريا.

وبعد أن انفرد الأسد بالسلطة وقضى على معارضيه، أحل أعوانه في المناصب العسكرية والسياسية الحساسة، وتمكن من تحويل الجيش إلى أداة طيعة لتكريس نظامه في الداخل، وتحقيق أهدافه في الخارج...

كما اتخذ النظام النصيري من حرب عام/ 1973م، ذريعة باتجاه الحصول على المزيد من المساعدات العربية من أقطار الخليج العربي، إلا أن تلك المساعدات ذهبت إلى ركائز النظام وتحالفاته بدلاً من إعادة بناء البلاد.

فقد حصلت سوريا منذ عام/ 1975م، على مساعدات عربية سنوية، بما يعادل "1.85 مليار دولار" ولا تدخل ضمن هذه المبالغ تكاليف القوات السورية في لبنان، والبالغة "180 مليون دولار سنوياً" والتي توقفت عام/ 1982م.[41]

وتميزت المرحلة الثانية من حكم الأسد (منذ عام 1977م وحتى اليوم) بالعزلة القاتلة للنظام لأنه بني على أسس طائفية، فالرفض الإسلامي لهذا الحكم أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى عزلة النظام داخلياً وعربياً، ومعارضته لمصالح الأمة العربية العليا[42]

وظهرت الازدواجية على الصعيد الدولي، إذ استمرت سوريا تحصل على مساعدات السوفييت، وبنفس الوقت كان التدخل السوري في لبنان بموافقة أمريكا[43].

كما استقبلت سوريا الرئيس الأمريكي وقادة البيت الأبيض بترحاب شديد، فلأول مرة في تاريخ سوريا، يزور وزير خارجية أمريكا اليهودي "هنري كيسنجر" دمشق وتكررت زياراته حتى بلغت اثنتي عشرة مرة خلال شهر واحد؟!

وفي 15/ 6/ 1974م، زار الرئيس الأمريكي نيكسون دمشق يرافقه وزير خارجيته كيسنجر، واستقبله الأسد بحفاوة شديدة، في الوقت الذي كان النظام البعثي يعلن دائماً عداءه لأمريكا، ويتهم من يتعاونون معها بالعمالة والرجعية.

"فالنظام النصيري يبني سياسته الدولية على أساس المناورة والاستفادة من الفرص الناجمة عن التناقضات الإقليمية والدولية، وذلك من أجل الحصول على الدعم الذي يساعد على ضمان استمرار النظام الحاكم في السلطة.

ولذلك فنظام الأسد يعتبر بمثابة حصان طروادة داخل المنطقة العربية... فهو إحدى ركائز الدولتين الكُبريين، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، ولذلك فلا عجب أن يتمتع بدعمهما، لأنه يحقق لهما مصالحهما، ومصالحه في آن واحد"[44]

وعلى ضوء ما تقدم من خصائص سياسة الأسد نلقي الضوء على أبرز القضايا المصيرية وموقف هذا النظام منها في المباحث القادمة.

---

[38]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص193.
[39]الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي، جـ 1/ 358.
[40]المرجع السابق/ ص 368.
[41]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص 196 - 198.
[42]المرجع السابق/ ص 200.
[43]الهلال الخصيب: د. محمود حسن صالح منسي/ ص 251.
[44]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص 214.

المبحث الثاني :
موقف الأسد من الصراع العربي الإسرائيلي

كانت سوريا تتبنى قضية فلسطين بشكل إيجابي، ولكن الحال قد تغير بعد مجيء الأسد إلى الحكم، إلا ما كان من مزايدات باتت جلية مكشوفة، وقد ساهم في الهزائم المتوالية، ظهر ذلك جلياً في صنع هزيمة حزيران/ 1967م، عندما كان وزيراً للدفاع، إذ كان هو صاحب بلاغ سقوط القنيطرة رقم "66" قبل دخول قوات إسرائيل إليها[45]

وكان الأسد هو المسؤول عن فصل القوات مع إسرائيل عام/ 1974م، ولم يتخذ النظام إلا الصخب الإعلامي والتمثيل من خلال التحرك الدبلوماسي.

ويبدو أن ضم الجولان إلى إسرائيل جاء في وقت تصاعدت فيه عزلة النظام السوري عربياً وداخلياً ... كما أن في ضمها خدمة للنظام النصيري ومساعدته على إبقاء الجولان قضية سياسة حية لأغراض الابتزاز العربي والدعم الدولي[46]

أما حرب تشرين عام/ 1973م فقد قامت أصلاً بهدف تحريك قضية فلسطين نحو الاتجاه الذي يخدم الأهداف الأمريكية في الوطن العربي، ومن أجل الوصول إلى تسوية سياسية للصراع العربي الإسرائيلي

وبعد حرب تشرين عقد الأسد مع إسرائيل اتفاقية فصل القوات في أيار/ 1974م، تراجعت سوريا بموجبه مسافة/ 15 كم، شمال القنيطرة.

وكانت كميات كبيرة من المعدات البرية والجوية والبحرية السورية قد تعرضت للعطب أو التدمير، ومنها إصابة ما لا يقل عن ألف دبابة[47]

وكان الضباط الذين ينتمون للأقليات الطائفية في البلاد قد ساهموا في الهزيمة خلال هذه الحرب.

فمنذ بداية الحرب ركز اليهود في هجومهم على القطاع الشمالي من الجبهة، بسبب الدور الخياني الذي قام به المقدم الدرزي "رفيق حلاوة"، ولهذا سهُل على القوات الإسرائيلية استرداد جبل الشيخ،كما قام المقدم الدرزي "شامل المصطفى" بالهرب من الجبهة إلى إسرائيل بلباسه العسكري وما يملكه من أسرار دقيقة عن السلم والحرب، كان ذلك في يوم 7/ 10/ 1973م.

أما الضباط النصيريون فقد كانوا يحرسون دمشق على رأس قواتهم، في الكسوة وحول الإذاعة، تحسباً لأي انقلاب يقع ضد السلطة.

وكان كثير من النصارى قد ساهموا في الخيانة أيضاً، فهذا النقيب النصراني "إبراهيم بشارة" قائد سرية هندسة في اللواء "52"، كان أول من انسحب للتخلص من الحرب، ولما كشف أمره أصدرت المحكمة العسكرية عليه حكماً بالسجن المؤبد، ولكن أهله توسطوا لدى رفعت أسد، فتم الإفراج عنه.

وبعد وقف إطلاق النار، كانت قوات إسرائيل قد أصبحت على مشارف دمشق، بعد أنْ احتلت "39 قرية"، وهزم الجيش السوري هزيمة منكرة".[48].

لقد رفض الجندي السوري هذه المأساة، كما رفض احتلال إسرائيل لقرى جديدة من الجولان، فبدأت حرب الـ "81 يوماً" المسماة بحرب الاستنزاف، وكانت ثقيلة الوطأة، كثيرة التكاليف على إسرائيل، ولذلك بدأ العدو يبحث عن حل.

فبدأ وزير خارجية أمريكا "كيسنجر" وساطته في أحلك ظروف إسرائيل، كان ذلك أوائل شهر أيار/ 1974م، وفي 29/ 5/ 1974م، أي بعد شهر تقريباً أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون نبأ الوصول إلى اتفاق لفصل القوات على جبهة الجولان، وأشاد بجهود وزير خارجيته، وفي 5/31/ 1974م، تم التوقيع على فك الاشتباك في مدينة جنيف[49].

واعتبرت سوريا أن هذا لكن نصراً مؤزراً، وجلس الوفد السوري تجاه الوفد الإسرائيلي في مفاوضات رسمية في جنيف.
وكان العسكريون السوريون يحسون بالذل من بنود تلك الاتفاقية، ولذلك طلب العميد "عدنان طيارة" رئيس الفريق العسكري السوري إخراج جميع المصورين والمراسلين من مقر الأمم المتحدة أثناء التوقيع، وقد تم له ما أراد، لأنه كان يحس بأنه يوقع وثيقة ذل وخيانة.
لقد حرمت سوريا من مرتفعات الجولان، وبقيت دمشق تحت رحمة مدفعية إسرائيل، وأضحت مدينة القنيطرة تحاط بقوات إسرائيل من جميع جهاتها، وبالتالي فهي تحت حمايتها.
وكان من الشروط المتفق عليها، أن لا يقيم في مدينة القنيطرة إلا المدنيون فقط[50]
وبذلك لم يكن في عودة القنيطرة إلى سوريا مكسب، لأن التلال المحيطة بها بقيت ضمن الأراضي المحتلة، كما أن مرتفعات جبل الشيخ لم تُعَدْ إلى سوريا، وفي هذا تهديد لدمشق، وأصبحت القوات السورية مكشوفة، أمام هذه المرتفعات.
وكان الزعماء السوريون قد اتفقوا مع كيسنجر بأنهم سوف يعارضون عمليات تسلل الفدائيين من الأراضي السورية، ولكنهم لن يستطيعوا إعلان هذه المعارضة، أو أن ينصّوا عليها في اتفاقية فصل القوات[51]

وقد أوردت مجلة ألمانية "بأن حافظ أسد لن يعمل على تعريض التعامل مع السوفيات إلى الخطر، ولكنه من الناحية الواقعية أقرب من غيره إلى إسرائيل"[52].
لقد كان أثر هذه الاتفاقية عظيماً على إسرائيل، فأصبحت في فرحة غامرة، راح كيسنجر ومائير يتبادلان القبلات فور إعلانها، كما قبل (كيسنجر.. اليهودي الأصل) في المطار بتصفيق حاد للغاية، وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن القيادة العسكرية الإسرائيلية، أصدرت أوامرها بفتح زجاجات الخمر لتوزع مجاناً على جميع الجنود الموجودين على خط المواجهة مع سوريا، بعد إعلان فصل القوات في جنيف بنصف ساعة؟!.
أما حزب البعث، فقد وافق بالإجماع على الاتفاقية، وأوردت صحيفة البعث السورية، بأن القيادة السورية تمكنت من انتزاع مكاسب حقيقية في ظروف حرجة.. وعلقت إذاعة دمشق بأن الاتفاق انتصار لسوريا على إسرائيل."
"وكل شيء عند سوريا انتصار، فلقد انتصرت في حرب حزيران رغم انسلاخ (عشرة آلاف كم2) من أراضيها عنها، طالما أن البعث لم يسقط، وانتصرت في حرب تشرين لأنها خسرت تسعاً وثلاثين قرية جديدة، وانتصرت في فك الارتباط، لأنها وقعت وثيقة الخيانة بالتنازل عن مرتفعات الجولان، إضافة إلى الاعتراف بإسرائيل، والتفاوض معها، وأنها خطت خطوة على طريق الصلح مع العدو الصهيوني"[53].
وحبذا لو كانت هذه التنازلات هي آخر مآسي سوريا الجريحة... إذ أن الناس نيام، والمخططات تنفذ بهدوء عجيب، والأعداء يتآمرون على ديار المسلمين من كل جانب.
وقد تنبه علماء المسلمين إلى خطر استخدام القوات. قال ابن تيمية - رحمه الله - عمن سأله عن الدروز والنصيرية:
"أما استخدامهم في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم، فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم"[54].
رحم الله ابن تيمية، فقد شخص الداءمنذ قرون خلت، ولكنّ كثيراً من المسلمين يغفلون عن تاريخهم....

[45]ينظر: النصيرية، تقي شرف الدين/ ص 200 - 203، والباب الثاني من هذا الكتاب/ الفصل الرابع.
[46]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[47]ينظر تفصيلاً لحرب تشرين/ 1973م، كتاب الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام: تأليف (سيدني بيلي) ترجمة المقدم الركن إلياس فرحات/ ص 306 - 370/ دار الحرف العربي بيروت/ 1992م.
وكتاب التوازن العسكري في الشرق الأوسط: ترجمة بنيه الجزائري 1984م/ دار الجيل للنشر/ عمان.
[48]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص 450 - 451/ محمد بن عبد الغني النواوي/ ويقول المؤلف: إن ما نقله هو خلاصة حديث أدلى به ضباط مؤمنون ثقات شاركوا في تلك الحرب.
[49]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص 452، 454، والصحف السورية والعربية الصادرة في تلك الفترة.
[50]الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب (ص111)، مكتبة المنار - الأردن/ 1983م.
[51]الصراع العربي الإسرائيلي، جـ1/ 457.
[52]مجلة (سونتاجس جورنال) الصادرة في برلين الغربية في 20/ 11/ 1970م.
[53]الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام/ ص112.
[54]الفتاوى لابن تيمية: جـ 35/ ص155.

المبحث الثالث :التدخل العسكري في لبنان لمصلحة مَنْ ؟!

في نة 1976م، تدخل حافظ أسد عسكرياً في لبنان، ولا تزال قواته جاثمة على أرض لبنان، رغم أن ذلك التدخل ورطه في كثير من المواجهات التي أدت إلى عزله في العالم العربي، كما ساهم في إرباك الساحة الداخلية في سوريا.[1]
والحقيقة أن النظام السوري دخل لبنان مدعوماً بتأييد كل من أمريكا وإسرائيل وجامعة الدول العربية، إذ أن النظام العسكري يتطلع إلى تكوين دولة تشمل كلاً من لبنان وسوريا والأردن، إضافة إلى العراق، تحت مضمون طائفي، تمشياً مع التوجه الدولي الرامي إلى تفتيت الوطن العربي.[2]
وهاهو التاريخ يعيد نفسه، فما فشل فيه الملك عبد الله بن الحسين من إقامة مشروع سوريا الكبرى، وما لم يتحقق على يد نوري السعيد من إكمال مشروع حلف بغداد والهلال الخصيب، تحت مظلة بريطانيا، يحاول نظام الأسد جاهداً أن يحققه تحت مظلة عربية ودولية.

هذا هو الهدف الأساسي من التدخل العسكري السوري، وهنالك أهداف أخرى من هذا التدخل المريب المدعوم، **ومن أبرز هذه الأهداف**:
-الخروج من المشكلات المعقدة التي كان النظام يواجهها ويتعلق كثير منها بلبنان.
-فالتيار الإسلامي داخل سوريا، الذي رفض الانقياد للبعث المرتد، والحكم الباطني النصيري لن يقبل مبدأ الصلح مع العدو الإسرائيلي.
-وكانت حرية الأحزاب والإعلام في لبنان كابوساً يقلق النظام الحاكم في سوريا، وهو يعلم أن معظم الانقلابات التي شارك فيها البعثيون، كانت تدبر في فنادق لبنان، ومقاهيها الشهيرة، ولذلك لابد من إخراس كل صوت معارض.
-في لبنان وسوريا عدد كبير من الفلسطينيين، ولن يرضى هؤلاء أن يبيع الأسد قضية فلسطين كما باع الجولان.
-كان لبعث العراق منظمة فدائية في لبنان، وله حزب تابع لعفلق والعراق، ويعتبر العفالقة أن البعث النصيري حزب منشق ومرتد، ولذلك فهم يسعون إلى حكم دمشق والإطاحة بحكم الأسد...

وجملة القول: فأن معظم العواصف التي كانت تزعج الأسد، كانت تهب عليه من لبنان، ولن يستطيع توقيع وثيقة الاستسلام النهائية مع إسرائيل قبل أن يصفي خصومه في لبنان، ويسكت أصوات المعارضة فيها [3].
وقد نشرت صحيفة الثورة السورية حديثاً لحافظ الأسد مع وزير الاقتصاد اللبناني "نزيه البزري" جاء فيه:
"في لبنان مؤامرات رفض موجهة ضد سوريا... وأوكار لمحاولات فاشلة، والصحف اللبنانية تنشر يومياً أكثر من قصة وخبر ملفق، ويجب وضع حد لذلك "[4].
وقد رحب الموارنة ونصارى لبنان بالتدخل السوري [5]
وكانت التصريحات الصادرة عن الحزبين: الكتائب اللبنانية، والبعث النصيري، تفيد أن الاتصالات بينهم بدأت منذ عام/ 1973م، وأسفرت عن اتفاقيات مريبة، كشفت الأيام فيما بعد عن تعاون البعث النصيري مع الموارنة في مذبحة تل الزعتر وغيره من المجازر التي ارتكبها الحزبان في لبنان.
وقد نشرت جريدة الجماهير الصادرة في أستراليا ما يلي[6] :

"في 12/ 4/ 1976م، حضر رفعت أسد إلى مدينة جونيه، وعقد اجتماعاً ضم كلاً من "دين براون"مبعوث الرئيس الأمريكي، وعدداً محدوداً من قادة اليمين اللبناني، وخرج المجتمعون بالاتفاق على ما يلي:

1- دعم ومساندة النظام السوري، والسماح للمخابرات الأمريكية بتواجد أكثر في سوريا لكشف المخططات المعادية للنظام.
2- إبقاء المبادرة السورية في لبنان، والإبقاء على إخفاء صفة الشرعية لدخول الجيش السوري إلى لبنان.
3- قيام نشاط إعلامي سوري عربي من أجل إنجاح الدور الأمريكي السوري في لبنان.
4- تأخذ سوريا على عاتقها وضع المقاومة تحت سلطاتها وضرب اليسار في الداخل والخارج.
5- تتعهد أمريكا لسورية بعدم تحرك إسرائيل على الجبهة السورية، تمكيناً لسورية من تنفيذ عملها في لبنان". (جريدة الجماهير)
ولذلك كان دخول الجيش السوري إلى لبنان إنقاذاً للموارنة من هزيمة عسكرية، كما كان تحجيماً لدور منظمة التحرير والقوات الوطنية في لبنان... وقابل زعماء الموارنة موقف أسد منهم، بالارتياح والرضى.

فقد صرح كميل شمعون في 16/ 6/ 1976م بقوله:
"لقد اتفقنا مع سوريا على خطط ترضينا "[7].
وفي 9/ 8/ 1976م، نقلت وكالات الأنباء ما يلي:
"وصل كميل شمعون وزير الداخلية اللبناني إلى دمشق للتباحث مع حلفائه السوريين، ولتنسيق العمل العسكري في لبنان ضد المقاومة والقوات التقدمية، وأعلن شمعون: أنه يثق ثقة كاملة بالرئيس السوري، أما بيار الجميّل فقد صرح في بيروت أن سورية هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تفرض السلام في لبنان "[8].
وكانت أمريكا وإسرائيل: تؤيدان التدخل السوري في لبنان ففي 29/ 1/ 1976م نقلت وكالات الأنباء "ومنها وكالة الأنباء الفرنسية" عن متحدث وسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية: "أن الولايات المتحدة تعترف بأهمية الدور الذي تقوم به سورية بالنسبة لتسوية الأزمة اللبنانية."
واعترفت الولايات المتحدة بأنها قامت بدور الوساطة بين سوريا أسد والنظام الإسرائيلي.
فقد نقلت وكالة "اليونايتد برس" من واشنطن يوم 27/ 1/ 1976م ما يلي: "أ وزارة الخارجية الأمريكية، أكدت بأنها تقوم بنقل الرسائل من الكيان الصهيوني إلى سوريا حول الوضع في الجنوب اللبناني...
وأوضحت صحف إسرائيل: "أن سوريا أكدت لمسؤولين أمريكيين أن وجود قواتها في الجنوب إنما يستهدف المقاومة واليسار اللبنانيين.

كما نقلت إذاعة إسرائيل عند بداية التدخل السوري تصريحاً لرئيس وزراء العدو الصهيوني اسحق رابين جاء فيه:
"إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة لهم، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين، فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا [9].
وبذلك أراد الأسد، أن يكون لبنان مذبحاً للمقاومة الفلسطينية وشعبها، لتحقيق أهدافه الذاتية والدولية.

لقد أريد من نظام الأسد إخراج المقاومة الفلسطينية، من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي ضمن استراتيجية دولية، تهدف إلى إبعاد القوى العربية الفاعلة تدريجياً من تلك الدائرة، بغية المحافظة على الكيان الصهيوني وضمان استمرارية دوره كأحد طرفي كماشة تحيط بالوطن العربي من الغرب والشرق [10].
إذاً كان هنالك تفويض عالمي لنظام الأسد، خلال تدخله في لبنان، واجتمع على إطلاق يده: الموارنة وإسرائيل والولايات المتحدة، وكافة قوى الشر العالمية.
وقد أخذ تفويضاً من جامعة الدول العربية قبل أن يزج بقواته في المعركة، على أن يفعل في لبنان ما يشاء.
بل قدموا له ثمن الرصاص الذي كان يوجهه إلى صدور المسلمين في لبنان... واستمرت الأنظمة العربية في دعم النظام السوري، حتى بعد فضيحة تل الزعتر، وانكشاف حقيقة الدور السوري في لبنان [11].
وقد تعاونت القوى الطائفية مع قوات أسد الغازية، ضد المسلمين من أهل السنة، فتحرك الأسد جاء بعد أن احتلت القوى الوطنية معظم لبنان، وكادت أن تدور الدائرة على الموارنة وبقية القوى الصليبية.
جاء تحرك قوات الأسد خلال حصار القوات الوطنية بقيادة الضابط المسلم "أحمد الخطيب" لمدينة زغرتا، مسقط رأس سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان آنذاك...
فهل تحرّك الأسد لينفذ الأوامر التي صدرت إليه من تل أبيب، ومن واشنطن؟!
وكان المسلمون هم المستهدفين في لبنان، فتخلى حزب البعث "منظمة الصاعقة" عن منظمة التحرير، وكان حزب البعث النصيري عضواً في الحركة الوطنية فأمر منظمته بقيادة الشيعي "عاصم قانصوه" بالانفصال عن الحركة... وبذلك تمكن الطاغوت من شق المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية.
كما أمر موسى الصدر الضباط الشيعة بالتخلي عن الجيش العربي بقيادة أحمد الخطيب، وكان في مقدمتهم الضابط "إبراهيم بشارة" الذي كان مساعداً لقائد الجيش أحمد الخطيب... ثم انشق عن الجيش العربي "أحمد المعماري" في وقت عصيب جداً، وتعاون مع الغزاة النصيريين، رغم أنه من عائلة مسلمة.
وأمر موسى الصدر كذلك منظمة أمل فتخلت عن الحركة الوطنية، وأعلنت انضمامها إلى جانب الجيش النصيري البعثي.
وما من معركة خاضها جيش لبنان العربي، إلا وجدوا ظهورهم مكشوفة أمام الشيعة في بعلبك والهرمل، فقد اتصل مفتي الشيعة هنالك "سليمان اليحفوفي" بالجيش النصيري، وسار... أمامه، حتى دخل بعلبك على أشلاء المسلمين من أهل السنة.
وفي جنوب لبنان خاضت أمل وعموم الشيعة معارك ضد الفلسطينيين متعاونة في ذلك مع الجيش الإسرائيلي، وقوات الرائد سعد حداد عميل إسرائيل الأول [12].

أما الدروز:
فقد كان زعيمهم كمال جنبلاط "رئيس الحركة الوطنية في لبنان"، يلتقي مع المبعوث الأمريكي "دين براون" في اجتماعات مغلقة، ولم يشارك الدروز في حرب لبنان هذه، إلا بمناوشات محدودة في منطقة الشوف ضد الموارنة أعدائهم التقليديين، بل منع كمال جنبلاط السلاح عن الحركة الوطنية، والذي حصل عليه بعد أن سيطر على مستودعات الجيش في بلدة حمّانا الدرزية [13]

وبذلك فقد تخلى الشيعة والدروز، ودعاة الاشتراكية وكذا الشيوعيون ودعاة القومية... تخلوا جميعاً، وبقي أبناء المسلمين الذين يواجهون الجيش البعثي النصيري وقوات الموارنة وإسرائيل، والولايات المتحدة كانت وراء هذه الأطراف الشريرة كلها.
وفي 16/ آب/ 1976م، اعتقلت القوات السورية الضابط أحمد الخطيب - قائد جيش لبنان العربي -وعدداً من قادة فتح..وأُرسل الجميع إلى السجون السورية [14].

وكان حصاد المؤامرة (من غزو لبنان)خراباً ونهباً وتشريداً .
فقد منعت القوات العسكرية السورية المؤن والسلاح من الوصول إلى القوات الوطنية بحصارها للموانئ والمطارات، بينما كان الموارنة يعتمدون على ميناء جونية الذي بقي حراً طليقاً .
وقد طاردت قوات الأمن السورية كل معارض للنظام البعثي النصيري واعتقلتهم واغتالت آخرين، ونقلت من تبقى إلى سجونها في دمشق والمزة، حتى أصبحت لبنان كأنها جزء من سوريا. تستطيع قواتها أن تفعل فيها ما تشاء.
ونهبت منظمة الصاعقة وقوات الردع السورية المصارف في بيروت، وسيطروا على أفخر الشقق في طرابلس وبيروت، وسرقوا مخازن ومستودعات السجاد والفرش، وسرقوا السيارات...
كان الجندي السوري - مع الأسف -يعود من لبنان وقد أصبح ثرياً من الأثرياء، فكانت فرش البيوت وتحفها الثمينة والأدوات الكهربائية تباع في سوريا بأبخس الأثمان [15]

أما جنوب لبنان: فقد وافقت إسرائيل على التدخل السوري في لبنان شريطة ألا تقترب قوات أسد من الخط الأحمر الذي رسمته لها، وذلك عند نهر الليطاني، ومن الملفت للنظر: أن إسرائيل احتلت جنوب لبنان وبقيت فيه ثلاثة أشهر تقتل وتنهب، والقوات السورية لا تحرك ساكناً، وهي على بضعة أميال منها، والحرب ضروس بين المقاومة وإسرائيل.

وكان حصاد المعارك مشؤوماً وحشياً، فكم من مخيمات أبيدت، وأعراض هتكت ومنازل دمرت، وقبور جماعية حفرت، فإذا كان هذا كله ليس بالمؤامرة، فكيف تكون المؤامرة، وكيف يكون التآمر؟ ![16]

لقد كانت المؤامرة خطيرة مكشوفة:

والشواهد على ذلك كثيرة.
قال ريمون إدة الزعيم الماروني:
"إذا كان النظام السوري يريد القضاء على الثورة الفلسطينية من أجل أمريكا، فيجب أن تكون له الجرأة ليعترف بذلك، وإلا فلماذا أرسل قواته إلى لبنان؟!

والرئيس السوري نفسه قال في خطاب له في 20/ تموز/ 1976م:
"إن أمريكا أيدت تدخل سوريا المسلح في لبنان "[17]

وقال كمال جنبلاط: "لقد أظهر حكام دمشق تسامحاً لا تمويه فيه إزاء المجازر التي ارتكبها الانعزاليون... لقد كان التدخل العسكري السوري يهدف إلى إخماد الفلسطينيين والحركة الوطنية واليسار اللبناني" [18]

وقال معمر القذافي: "هناك مؤامرة عربية ودولية ضد المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان، وقد وقع الاختيار على النظام السوري لتنفيذ هذه المؤامرة "[19]
وقالت مجلة التايم الأمريكية: "هنالك تفاهم غير معلن بين إسرائيل والنظام السوري، على أن يسحب (الأسد) قواته العسكرية المتواجدة في الجبهة، وتنقل تدريجياً إلى لبنان وإلى الحدود مع العراق "[20]
لقد كان التلون الباطني والتناقص، من أبرز سياسة الأسد في لبنان كما لاحظنا ذلك...

---

[1]مجلة الدعوة المصرية، الحلقة الخامسة/ العدد (74)
[2]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص207.
[3]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص471 - 472.
[4]جريدة الثورة السورية في: 10/ 9/ 1974م.
[5]انظر تفصيلاً لذلك: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص 476 - 478.
[6]جريدة الجماهير الصادرة في استراليا، العدد رقم (22) تاريخ: 22/ 10/ 1976م.
نقلاً عن الصراع العربي الإسرائيلي.
[7]جريدة الأخبار القاهرية في 16/ 6/ 1976م.
[8]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص 477.
[9]المرجع السابق/ ص 478 وما بعدها.
[10]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص 210/ بيروت / 1986م.
[11]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص482.
[12]الصراع العربي الإسرائيلي:/ ص 483 - 484.
[13]المرجع السابق/ ص484، 486.
[14]المرجع السابق/ ص 484، 486./
[15]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص487 - 489 بإيجاز.
[16]المرجع السابق/ ص491 - 492.
[17]مجلة الدستور الصادرة في باريس/ حزيران/ 1977م.
[18]هذه وصيتي: كمال جنبلاط/ ص 99.[19]
[19]صحيفة الرأي العام الكويتية في/ 17/ 6/ 1976م.
[20]مجلة التايم الأمريكية تحت عنوان: إسرائيل تشارك في حرب لبنان سراً ". في 8/ 9/ 1976م

المبحث الرابع
تعاون الأسد مع إيران ضد العراق وأهل السنة في كل مكان

إن تعاون الأسد مع إيران أيام الشاه والخميني ليدل دلالة واضحة على تحالفه مع التيار الشيعي، ضد أهل السنة عموماً .
وتعاونه هذا يندرج تحت الطبيعة الباطنية للنظام، التي تعلن شيئاً وتخفي خلافه.. ففي الظاهر يزعم الأسد أنه قومي يدين لحزب البعث بالولاء، وأنها أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة؟!
وفي الواقع يمد إيران بالمعونات والأسلحة ضد العراق ذات التوجه القومي البعثي أيضاً؟!
ونحن لسنا مع هذه العصبيات لأنها دعوات جاهلية برّأنا الله منها، لأن المسلمين أخوة سواء كانوا فرساً أو عرباً أو هنوداً ...إذا اتخذوا الإسلام شرعة لهم ومنهاجاً .
إلا أن سوريا الأسد ساندت إيران في حربها ضد العراق لتغلب المصالح الطائفية على المصالح القومية، وقد مدّ الأسد إيران بالمعونات المباشرة وغير المباشرة، كما ارتبط معها بحلف استراتيجي، وأغلق الحدود مع العراق ومنع مرور النفط العراقي عبر الأراضي السورية إلى موانئ التصدير عبر بانياس وطرابلس على البحر المتوسط.
"لقد شملت الصلات الودية الجوانب السياسية والاقتصادية وقد ساعد على ذلك لقاء تطلعات إيران لفرض الهيمنة على منطقة الخليج العربي، مع حركة الأسد الرامية إلى زعزعة العلاقات العربية - العربية"[21]
فكيف يجمع أصدقاء الأسد والمتعاونون معه، بين وقوفه مع إيران ضد الخليج، وبين تصريحاته القومية في الوقوف في الصف العربي؟!
كيف يجمعون بين الدعوة للبعث والقومية العربية ومساعدة الفرس أيام الشاه، ثم في أيام الخميني؟ " [22]
فعلاقات الأسد مع قادة طهران أصبحت مكشوفة صريحة، "ففي شهر آب عام/ 1979 م، زار وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام طهران، وأعلن بشيء من المبالغة، أن الثورة الإيرانية هي "أعظم حدث في تاريخنا المعاصر". وافتخر بأن سوريا قد دعمتها "قبل قيامها، وأثناء اندلاعها وبعد انتصارها"[23]

وبعد ذلك قال الأسد في بعض خطبه:
"إن الثورة الإسلامية في إيران هي ثورتنا، فنحن ندافع عنها "[24]
وهذا وزير خارجية إيران، كمال خرازي يقول خلال محادثاته مع نظيره السوري، فاروق الشرع:
"إن مصير إيران وسوريا ولبنان، في مجال السياسات التي تتخذها البلدان الثلاثة، مترابط بعضها مع بعض "[25]

وفي داخل سوريا [26]:
يطلق نظام الأسد العنان للرافضة، ليقوموا بنشاط مذهبي محموم في أنحاء سوريا كلها...
فالمركز الثقافي الإيراني، يقوم بنشاط هائل عن طريق الندوات والمحاضرات في دمشق.
كما أنه أعدّ مكتبة للباحثين، ومكتبة شرائط فيديو إسلامية تخدم التشيع، ويقوم بمسابقات للقرآن الكريم في مساجد أهل السنة، كما أنه أسس مكتبة لبيع الكتب، تباع فيها كتب الرافضة، التي تهاجم رموز السنة صراحة، من الصحابة ورجال الحديث وأئمته، وكل ما يمت إلى السنة بنسب.

كما أطلق النظام النصيري يد الشيعة في تأسيس مراكز لهم في دمشق وضواحيها.
فمركز باسم السيدة رقية، أعيد بناؤه في حي العمارة، وأصبح بناء ضخماً يجذب إليه الناس، ومركزاً مهماً من مراكز الدعوة الشيعية.

كما أنهم كثفوا نشاطهم حول مقام السيدة زينب في ضواحي دمشق وأقاموا الحسينيات والحوزات العلمية بكثرة حول ذلك المقام، وقال أحد مشايخهم في درس يذاع خارج المسجد في حي السيدة زينب: "اللي قتل الحسين ما هو يزيد، اللي قتل الحسين هو أبو بكر وعمر!!".

بمثل هذه المغالطات يزورون التاريخ ويجذبون الغوغاء.
ولحسين فضل الله نشاط هائل في دمشق، فهو يزورها أسبوعياً أكثر من مرة، ويلقي دروساً يحضرها بعض أهل السنة، ينفث خلالها سمومه وأحقاده [27].

وللشيخ نشراتأسبوعية وإجابة عن الفتاوى، وليس سراً أن عدداً من الشباب وبعض الغوغاء، قد انتقلوا إلى المذهب الشيعي، وهم لا يفقهون من التشيع ولا الإسلام شيئاً، وإنما هي إغراءات تقدم إليهم، سواء أكانت مادية أم معنوية... وفي ذلك تخلص من الإرهاب الذي يلاحق أهل السنة والمتدينين منهم خاصة...

ولدعاة الرافضة تعاون وثيق مع الجماعات المتصوفة في سوريا، وخاصة الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية، ذلك أن المتصوفة يلتقون مع الرافضة في تقديس الأضرحة والتظاهر بتقديس آل البيت، والتعلق في البدع والخرافات. قال الدكتور محمد حبش - زوج حفيدة كفتارو - في مقالة له:

"إن بعض علماء السنة يقولون بتحريف القرآن أيضاً، وليس الشيعة فقط يقولون بذلك، فلا تلوموا الشيعة"؟!.

وللشيعة منبر في التلفاز السوري، يبث فيه صباح الجمعة درس أسبوعي، أقفل فترة، بعد أن تهجم الشيخ الرافضي على السنة النبوية بشكل سافر وقح، ولهم دروس تذاع من إذاعة دمشق أيضاً .

ويقيم المركز الثقافي الإيراني أياماً ثقافية في مكتبة الأسد تغص بالحضور، ويدعى إليها بعض علماء السنة من أزلام السلطة والمنتفعين منها.

كما أنه يسمح للمركز الثقافي الإيراني ببيع الكتب والمجلات والصحف الشيعية، كجريدة البلاد التابعة لحزب الله في لبنان بينما تمنع الصحف والمجلات الإسلامية من الدخول إلى سوريا، كما تحارب الكتب الإسلامية ويصادر فيها كل فكر سليم.

وفي مساجد أهل السنة لا بد من إذن السلطات لكل شيخ يريد أن يعطي درساً، ولو قراءة في كتب الحديث مثلاً ...
أما الشيعة فيصولون ويجولون في مساجد أهل السنة دون رقيب... في الوقت الذي يُراقب أهل السنة وشبابهم حتى في ترددهم على المساجد لإقامة الصلوات فيها.

وهذا المد الرافضي يذكرنا بنشاط العبيديين في بلاد الشام ومساجد أهل السنة قبل الغزو الصليبي في القرن السادس الهجري.
إن إطلاق يد الرافضة في نشاطهم إنما جاء بعد فشل جمعية المرتضى برئاسة جميل الأسد، فقد مجها الناس، وكرهوا رموزها ودعاتها، بسبب باطنيتها النصيرية.
فالتجأ النظام للرافضة لتخريب أهل السنة، لأن لهؤلاء خبرة عريقة في الدس والتضليل والكذب والافتراء، باسم التباكي على آل البيت، زوراً وبهتاناً، في الوقت الذي يحب أهل السنة آل البيت ويتقربون إلى الله بحبهم كما أمر رسول الله بذلك.

---

[21]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص 211 - 212.
[22]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص 372.
[23]الأسد صراع على الشرق الأوسط: باتريك سيل، ص 572 وما بعدها.
[24]نهاية المقاومة: عبد المنعم شفيق، ص 951، بحث مخطوط على الإنترنت.
[25]جريدة الأنباء، العدد (8302)، في 28/ 6 / 1999 م.
[26]نشاط الشيعة داخل سوريا علني مكشوف، يتحدث عنه أهل السنة همساً خوفاً من النظام الباطني الإرهابي.
[27]حسين فضل الله أحد كبار مشايخ الشيعة في لبنان، وأحد قياديي حزب الله.

الفصل الرابعبِمَنْ سيخلف الأسد على رئاسة الدولة؟!

- تسلط آل الأسد على الأمة
- مسألة خلافة الأسد على الرئاسة
- سيناريو تلميع بشار للرئاسة: بين الآمال والتطبيقات
- وقفة مع رئاسة حافظ الأسد خلال ثلث قرن

الفصل الرابع

مَنْ سيخلف الأسد على رئاسة الدولة؟[28]

"1" تسلط آل الأسد:

منذ عام/ 1970م، والضباط النصيريون يسيطرون على المراكز الأساسية الحساسة في الدولة. فرفعت الأسد، كان يقود "سرايا الدفاع" وقد بلغ تعدادها عشرات الآلاف من الجند، ولذلك شعر بقوته وكاد أن يستلم مقاليد السلطة خلال مرض أخيه حافظ، إلا أن الرئيس حافظ أحبط هذه المحاولة، وتمكن من إبعاد رفعت إلى حين من الزمن.[29]

وفي أعقاب هذا الصراع، سلب الرئيس من أخيه الأصغر "جميل الأسد" سلطته، إذ حلّ الجمعية النصيرية السياسية "جمعية علي المرتضى" في كانون الأول من عام/ 1983م، بعد أن شكلت عام/ 1981م.

وكان جميل عضواً في مجلس الشعب، وكانت الجمعية تجمعاً سياسياً، وراء واجهة دينية قامت بتـ بئة قسم من المجتمع النصيري عن طريق قنوات طائفية، وهي تختلف عن حزب البعث وتناقضه في كثير من الحالات [30].

وقد حاولت "جمعية المرتضى" تغيير عقيدة البدو والمزارعين، أو ما أسموه علونة هؤلاء القاطنين في الجزيرة السورية، والمناطق الصحراوية والمجدبة حول حمص وحماة، بحجة أن سكان هذه المناطق، كانوا في الأصل نصيريين، واضطروا تحت ضغط السلطات العثمانية أن يصبحوا سنيين [31]

وكان يتم تسليح أعضاء الجمعية عن طريق سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد، مما أدى إلى ظهور عصابات مسلحة في العديد من المدن السورية، كما كان يؤدي إلى اضطراب الأمن.. وانتشار الفوضى.

وقد تحمل النظام الحاكم - لبعض الوقت - أنواعاً مختلفة من الأنشطة غير المشروعة المتَّسمة بالعنف، والتي كان يقوم بها (جميل الأسد)وباقي الأفراد الأصغر سناً من أسرة الأسد الموسّعة، بمن فيهم (فواز) نجل جميل الأسد، وخاصة في منطقتي اللاذقية وطرطوس.

وقد تم كبح جماح هذه الأنشطة فيا بعد ولو جزئياً، إذ كانت تسيء إلى سمعة النظام، وتقوض سلطات الحزب [32]

والصراع على اقتناص المصالح الذاتية، قد ازداد مؤخراً بلا رادع، فقد حصل اصطدام مسلح في الشهر الماضي من هذا العام (1999م) بين سلطات الأمن، وعصابة رفع الأسد، إذ قصفت المدفعية والمدرعات والطائرات، ميناء مغتصباً لرفعت الأسد في منطقة اللاذقية سقط فيه مئات من القتلى [33].

---

[28]كتب هذا الفصل قبل هلاك الأسد بعام تقريباً .

[29]ينظر الصراع على السلطة في سوريا: دكتور نيقولاوس فان دام/ ص 174 - 180.

[30]ينظر الصراع على السلطة في سوريا: دكتور نيقولاوس فان دام/ ص 174 - 180.

[31]ينظر: حوار حول سوريا، محمود صادق/ ص79/ لندن، نشر دار عكاظ/ 1993م.

[32]الصراع على السلطة في سوريا/ ص180.

[33]ينظر الصحف الصادرة في تشرين الثاني/ 1999م.

"2" مسألة خلافة الأسد على الرئاسة:

في أوائل التسعينات، كان الكثير من السوريين يعتقدون أن (باسل الأسد) وهو النجل الأكبر لحافظ الأسد، كان يهيأ لخلافة والده.
وفي عام/ 1990م، ولأول مرة تمت الإشادة للأسد علناً بأبي باسل، وكان باسل يبلغ من العمر آنذاك (28 عاماً)
وكان يكنى سابقاً بأبي سليمان، باسم جده سليمان الأسد [34]، وأصبح باسل هو الساعد الأيمن للرئيس، وصار موضع ثقته، ويعهد إليه في مجالات مكافحة الفساد والتهريب، والتدخل في تسوية الضغائن، وخاصة بين أفراد عائلة الأسد ذاتها.
وكان باسل عضواً في الحرس الجمهوري، ورئيس أمن الرئاسة، كما عهد إليه والده بقيادة لواء مدرع، وما يزال في رتبة رائد فقط؟!
إلا أنه لقي حتفه إثر حادث سيارة، عن عمر يناهز الثاني والثلاثين عاماً، في 21/ 1/ 1994م، فتلاشت فجأة جميع التطلعات نحو إمكانية أن يخلف باسل أباه [35]
ورغم أن أبناء الأسد لم يظهر من بينهمَنْ يبدو عليه شيء من مؤهلات القيادة، إلا أن الابن الثاني وهو "الدكتور بشار الأسد" قد ورد ذكره على لسان العديد من المسؤولين السوريين، ومن المتملقين الانتهازيين، أثناء تأبين باسل الأسد، باعتبار أن بشاراً هو الشخص الطبيعي لوراثة دور باسل، أو هكذا يزعمون، وقد نسوا أن سوريا جمهورية في شعبها ودستورها وتاريخها كله، منذ عهد الاستقلال.
ومن هؤلاء المتملقين أصحاب المصالح، وزير الإعلام السوري، الدكتور محمد سلمان، فقد أشار إلى ذلك في مقدمته لكتاب "شهادات في معالم باسل الأسد" الصادر في دمشق عام/ 1994م. الصفحة العاشرة.
وقد صدرت عدة كتب في تأبين باسل الأسد بعد وفاته.

بيد أنه لا بد من ملاحظة أن بشاراً كشخصية قيادية كان موضع انتقاد وتساؤل من قبل البعض، ومن بينهم اللواء النصيري "علي حيدر"، الذي اعتقل هو وآخرون - لبعض الوقت - في صيف عام/ 1994م لهذا السبب [36]
ويبدو أن بشاراً، ليس بالمقنع لكبار الضباط النصيريين الذين يعرفون مؤهلاته الضحلة، ولذلك بدأ أبوه بخطة خبيثة هادئة، فصار يحيل كبار الضباط إلى التقاعد ويجمّد مهمة آخرين، ويدرب ولده على المسؤوليات السياسية الضخمة وخاصة في السياسة الخارجية، كما بدأ في محاولات الصلح مع إسرائيل في إحياء المفاوضات معها، ليضمن بذلك رضى أمريكا وإسرائيل... وتقديم الخدمات لهما.
وقد عهد حافظ الأسد إلى بشار بمسؤوليات عسكرية تفوق رتبته الصغيرة، حاله كحال أخيه من قبله، ففي "23/ 1/ 1995م، تمت ترقية (بشار) إلى رتبة رائد في الحرس الجمهوري ..[37]
ثم رفع سريعاً حتى وصل إلى رتبة عقيد ركن في القوات المسلحة، وأخذت نشاطات بشار العسكرية والسياسية، تلقى مزيداً من الدعاية في الإعلام السوري، فقد أُعلن مثلاً "بأن الدكتور بشار" بدأ عملياً يعلن الحرب على الفساد، ويلاحق المسؤولين عنه ويحاسبهم، كما أنه شنّ حملة ضد التهريب" [38]
وخلال مقابلة مع مجلة "تايم؛ سئل الأسد عمن سيكون خليفته فأجاب قائلاً :

"ليس لدي خليفة، إنّما يحدد الخليفة هي المؤسسات والمنظمات الحكومية والدستورية، والمؤسسات الحزبية وأنا أؤمن أنها جميعها تتمتع بجذور عميقة نظراً، لخبرتها الطويلة الممتدة عبر عشرين أو اثنين وعشرين عاماً، وهي قادرة على احتواء هذا الموقف "[39]
هكذا يزعم الرئيس أن هنالك ديمقراطية، والمؤسسات الدستورية والحزبية قادرة على اختيار الأصلح، فالشعب السوري المسحوق المضطهد، ومنظمات حقوق الإنسان، والسجون المليئة بمساجين الرأي تعرف ذلك وقد سُلِّم بشار الأسد ملف لبنان، وبدأ بزياراته المكثفة لمنطقة الخليج، وكان يستقبل في كل البلاد التي زارها استقبالاً رسمياً بترحاب ظاهر.

زار السعودية واستقبله فيها كبار المسؤولين في:
(12 – 13 تموز/ 1999م)، وأدى العمرة خلال تلك الزيارة وزار الأردن، كما زار الملك عبد الله الثاني، وقابل بشاراً لوحده، وأشار إلى أن مستقبل المنطقة رهن همة الشباب الناشئ، الذي سيتولى مقاليد الحكم؟.!!
وقام بشار بزيارة الرئيس اللبناني في قصره في بعبدا لمناقشة الوضع السياسي في لبنان، ولا يفسر هذا إلا بأنها عملية تحضير لتقلد المسؤوليات السياسية الرفيعة.

وقد علق بعض المسؤولين السوريين على ذلك قائلاً :
"إن بشاراً يتمتع بحيوية وديناميكية كبيرة، وإنه ينتمي إلى شجرة الأسد العريقة؟!! إن الرائد بشار ضمان للاستقرار، وضمان لنهج الرئيس الأسد، وإنه شديد الشبه بوالده الرئيس الأسد " [40]
هكذا يكون منطق المطبّلين الناعقين في كل زمان، حتى تساق الأمة كالأنعام.... وينسى هؤلاء ما يعانيه الشعب السوري من اضطهاد وظلم وضياع لهويته، مع الإفقار والتجويع.
وصارت تنهال على الدكتور بشار الألقاب حول تواضعه، وهدوئه مع إمساكه بالملف اللبناني، واجتذابه لأطراف الحكم والمعارضة في لبنان.
جاء في جريدة الحياة تحت عنوان لقاءات بشار الأسد مع المعارضة منها المقتطفات التالية [41]:
"يقول بعض السياسيين والأقطاب اللبنانيين الذي يلتقون بالعقيد الركن الدكتور بشار الأسد منذ بدء إمساكه بالملف اللبناني إنه يؤدي دوراً إيجابياً في امتصاص الاعتراضات الناشئة على محور العهد الحاكم في لبنان...
"ويرى هؤلاء أن حرص نجل الرئيس السوري على الانفتاح على كل التيارات والقوى السياسية في البلاد نابع من حرص القياة السورية في البقاء على مسافة واحدة مع هؤلاء جميعاً ..."
ويقول أحد السياسيين الذي التقوا بالأسد الابن إنه رغم حداثة تجربته السياسية، بدا أنه قطع شوطاً كبيراً نحو إمساكه بخيوط اللعبة، وفي فهم الوضع السياسي واستيعابه، لكنه مع ذلك يتمتع بتواضع فائق وهو يتمتع بعدد من صفات والده..."؟.!!
وقد أكد الأسد الابن لوليد جنبلاط أن سوريا تعتبره حليفاً رئيسياً قاتل إلى جانبها في أحلك الظروف، ونحن نعرف جيداً مَنْ بذل الدم معنا ومن قاتَلَنا..." وأكدت المصادر المقربة من دمشق أن الأسد اتفق مع جنبلاط على لقاءات دورية متتالية لبحث الوضع الإقليمي والوضع اللبناني."...

[34]سليمان الأسد هو أحد الموقعين على عريضة رفعت إلى السلطات الفرنسية المستعمرة، تطالب باستقلال منطقة النصيريين عن دولة سوريا وعاصمتها دمشق.
[35]الصراع على السلطة في سوريا: ونيقولاوس فان دام/ ص 188.

[36]جريدة الحياة/ في 27/ أيلول/ 1994م، والصراع على السلطة في سوريا/ ص189.
[37]جريدة الحياة/ في 22/ شباط/ 1994م، وفي 25/ آب/ 1994م.
[38]الصراع على السلطة في سوريا/ ص 190.
[39]مجلة (التايم) في 13/ تشرين الثاني/ 1992م.
[40]جريدة الحياة في 10/ شباط/ 1995م، وحول زيارة بشار للرئيس اللبناني في 21/ أيار/ 1995م، انظر الحياة في: 22 - 23، 26 أيار/ 1995م.
[41]جريدة الحياة: بيروت/ وليد شقير/ العدد 13113في: 14/ شوال/ 1419هـ/31/ 1/ 1999م.

(3) سيناريو تلميع بشار : بين الآمال والتطبيقات

الغريب أنْ يفكر حافظ الأسد بمن يخلفهبعد هلاكه، إذ أنّ ثلث قرن من الزمن وهو جاثم يكتم أنفاس الأمة، يمزق كيانها، ويشرد خيرة أبنائها لا يكفيه وأنّ رئاسة كأول باطني لسوريا في تاريخها لا يعجبه انقطاعها... بل يخطط لاستمرارها في ذريته؟!!
هو يزعم أنه يطبق دستور البلاد، ويرحب برأي المؤسسات الدستورية وينسى أنّ سوريا جمهورية عربية، ليست ملكية وراثية منذ استقلالها حتى اليوم.
عجيب أمر هذا الطاغوت الذي طبق التقية الباطنية في سياسته بأوسع معانيها... وهاهو ينقل مقررات المؤتمرات النصيرية منذ عام 1963إلى حيز التنفيذ، ولا غرابة في ذلك، فقد أُعطيَ رتبة نجيب في مؤتمر حمص/ 1963م. وهي رتبة دينية رفيعة لدى النصيرية.

ومن مقررات ذلك المؤتمر: التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية، من قرى الريف والجبل إلى المدن، وخاصة حمص واللاذقية وطرطوس [42].
والواقع أن الأسد قد سار بعيداً في تحقيق مخططات الطائفة النصيرية، وهاهو يهيئ الأجواء لاستكمالها

موقف مراكز القوى داخل الطائفة النصيرية من استخلاف أحد أبناء الأسد[43]:

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:
هل يتقبل اللواءات النصيريون نجل الرئيس "بشار" على ما هو عليه من قلة إمكانياته، وضعف خبراته السياسية وقدراته العقلية؟.!
قد يتقبل هؤلاء الأمر مؤقتاً، على أن يكون (بشار)قائداً صورياً يوحد صفوفهم، حتى يتفادوا الانشقاق بين صفوف الطائفة النصيرية.
وإذا كان الأمر كذلك فسرعان ما سيظهر صراع جديد على السلطة بين النصيريين أنفسهم، وهذا هو الغالب وقد يؤدي هذا الصراع على السلطة إلى العديد من التصفيات الداخلية، وقد يكون هذا (السيناريو)مزياً، وقد يكون سليماً نسبياً، إذا أرادت العسكرية النصيرية لأغراض عملية أن تبقى متماسكة، من أجل الحفاظ على بقائها وسلامتها، والمحافظة على مكاسبها الهائلة، التي حصل عليها النصيريون في أوضاعهم الاجتماعية، والعلمية والاقتصادية، والامتيازات العسكرية والمدنية [44].
هذا وإن ضباط وجنود الوحدات العسكرية، الأكثر حساسية، كانوا من النصيرين، ولذلك فنجاح المخططات لإنهاء السيطرة العلوية بات بعيد المنال، طالما لم يتمكن الإسلاميون وحلفاؤهم من السيطرة على كميات كبيرة من السلاح، ولم يتوصلوا إلى وحدات الجيش ذات الأهمية الاستراتيجية... ولذلك فالمعارضة الأخطر، ستأتي أولاً من بعض الضباط النصيريين المعارضين، ثم قد تأتي من غيرهم، فالحملات القمعية الـ "12" التي واجهتها حركة "13/ شباط/ 1966" مع البعثيين المؤيدين للواء صلاح جديد السجين من عام/ 1970م، هي أكبر برهان على ذلك [45].
ولا ننسى مقاومة رفعت الأسد وأبنائه، ومعارضتهم لما يجري، والاصطدام الذي وقع حول الميناء الخاص برفعت في اللاذقية آخر شاهد على ذلك.

والسيناريو البديل لذلك، قد يكون في قيام بعض الضباط النصيريين في البحث عن حلفاء عسكريين وسياسيين خارج مجموعتهم الطائفية، من أجل تعضيد مراكزهم ضد منافسيهم من داخل الطائفة.

وقد يكون العكس، إذ ربما يسعى السنيون وآخرون من غير العلويين ضباطاً وسياسيين للتحالف مع ضباط نصيريين بغية اختراق التضامن النصيري والإطاحة بالسيادة العلوية ولو بشكل دموي.

على أن إمكانية انتقام السكان "أهل السنة"من مظاهر القمع التي عانوا منها، أمر وارد جداً ... وطالما بقيت السيطرة للنصيريين، فإن المعارضة عند أهل السنة، ستبقى تشكل خطراً حتملاً على النظام، ولو على الأمد الطويل [46].

ذلك أن عشرات الآلاف من الأسر المنكوبة في أبنائها وممتلكاتها وأعراضها، لن تنسى ما فعله النصيريون بها...

وعشرات الآلاف من المشردين في أنحاء المعمورة، وهم يقاسون الحرمان وآلام الغربة، والبعد عن بيوتهم وعقاراتهم، لن ينسوا ما فعله بهم النظام النصيري.. وفيهم العلماء والمفكرون، وخيار أبناء سوريا الجريحة.

والعشرات من الآلاف، الذين حرموا هم وأبناؤهم من أبسط حقوق البشر في العالم الحديث، وهي وثائق الولادة وجوازات السفر، وحقوق المواطنين العادية لن يغتفروا للقرامطة الجدد ما يفعلونه بهم ولا بأبنائهم وأحفادهم...

وإن الشعب السوري كله الذي أذلّه القرامطة الجدد ونهبوا خيراته، واختطفوا منه لقمة العيش فأفقروه بالرشاوى والمظالم ومصادرة الممتلكات، سيهب يوماً ولو بعد حين، وخاصة إذا فهم واقعه، وعادت إليه عقيدته ودينه...

أبعد هذا كله يفكر حافظ الأسد في تكريس تلك المظالم ويوطّد الأمر لابنه من بعده؟!

---

[42]ينظر: الباب الثاني من هذا الكتاب حول "المخططات النصيرية للانفراد بالسلطة."

[43]كتب هذا الفصل قبل هلاك الأسد بعام من الزمن.

[44]ينظر الصراع على السلطة في سوريا/ ص 19، بتصرف، د. نيقولاوس فان دام/ ط 2/ 1995م.

[45]الصراع على السلطة في سوريا/ ص145.

[46]ينظر: الصراع على السلطة: د. نيقولاوس فان دام ص/ 193.

(4) وقفة مع فترة حكم حافظ الأسد:

إن ظاهرة الحكم في سوريا مدة ثلث قرن ظاهرة غريبة على تاريخ بلادنا... وفي هذا العهد حصلت تطورات ضخمة عجيبة.
فقد حقق الأسد للنصيرية مكاسب كبيرة، ما كانوا ليحلموا فيها منذ أن تأسست نِحْلتهم في القرن الثالث الهجري، كما حقق لأعداء المسلمين ما لم يحققه أحد، سواء على الصعيد الداخلي أو في السياسة الخارجية.
"وقد اغتنم النصيريون الفرص الجديدة التي وفرها لهم النظام تحت مظلة حزب البعث، فكثر الحاصلون منهم على المنح الدراسية، وحصلوا على الدرجات العلمية العليا، فأصبحوا أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة في الجامعات، وبعد ربع قرن صاروا يتمتعون بتمثيل قوي في الوظائف الحرة وكوادر الدولة الكبرى، على حساب الأكثرية من المسلمين" [47]؛ ذلك بعد أن كانوا من أجهل الطوائف وأكثرها تخلفاً قبل هذا العهد.
وقد التفت الطائفة حول الأسد، وباتت تقدس تصرفاته بشكل مبالغ فيه... وقد كرس النزعة الطائفية في البلاد، على نطاق الحكم والجيش والمؤسسات الاجتماعية.
وقد حقق الأسد لطائفته مخططاتها في حكم البلاد، ونفذ أحلامها التي عجزت عن التوصل إليها طوال تاريخها كله، حقق مقررات مؤتمراتهم في حمص ودمشق وقرداحة، تلك التي اجتمع لأجلها كبار قادة الطائفة من العسكريين والمشايخ المعتمدين [48]

وقد حاول الأسد مراراً خلال عدة مناسبات، أن يشارك المسلمين صلواتهم في المساجد، ومسجد بني أمية خاصة، وكثيراً ما كان يحاول الاقتباس من آيات القرآن الكريم في خطبه، كما قام بتشييد عدد من المساجد في البلاد، بما في ذلك المسجد الكبير الذي بني على ضريح والدته قي قرية "قرداحة"، وقد جعله تحفة معمارية ضخمة، تجذب إليها الزائرين والسواح... فقط.
إلا أن ذلك كله لم يقنع أهل السنة[49]، خاصة وأنهم يعلمون عقيدة (التقيّة) التي تفرض عليه مثل هذا التلون والازدواجية.

أما أهالي سوريا، فماذا حقق لهم طوال هذه السنوات غير الدمار والفقر والتجويع، غير اليتامى والأرامل بعد كل مجزرة ترتكب؟!. لقد شاعت الرذيلة والفساد الأخلاقي، وانتشرت الرشوة وعمت المظالم في البلاد...
أما المجازر، أما قانون الطوارئ وماذا حصل باسمه، أما أهل سوريا الذين شردوا في كل البلاد، فلا تسل عن أخبارهم، بل اسأل السجون وما فيها من تعذيب، وسل عن تدمر وسجنها ومجزرتها التي ارتكبت، سل حماة الجريحة مدينة أبي الفداء، سل عن دمشق وحلب وحمص، ماذا وهى تلك المدن، فكم من ديار هدمت وكم من عوائل انقرضت، وكم من يتامى شردت.
ماذا يذكر أهالي سوريا من هذا العهد؟! أيذكرون سقوط الجولان بلا قتال؟ أم حرب رمضان وما خلفت وراءها من تنازلات، أم يذكرون لبنان ومآسي المسلمين في لبنان؟! ومجازر المخيمات في جنبات لبنان؟! ثم يأتي بعد ذلك ليستخلف ولده من بعده؟.!

أخي القارئ: هذه لمحات سريعة، والفصول السابقة فيها التفصيل الرعيب، لعل في ذلك عبرة لمن يعتبر.

ورب سائل يتساءل: ما فائدة اجترار هذه الآلام كلها، وقد سكت الناس على جراحهم، فلا تذكرهم بها!!

وماذا ينفع الشعب السوري هذا الكلام خلال معاناته الطويلة التي لم تنته؟!

الحقيقة أن في تسطير تاريخ البلاد هذه المدة، ضمان لحقائق لا بد من ذكرها قبل أن تعفو عليه رياح التلفيق والتزوير.

كما أن الأجيال اللاحقة، من حقها أن تعرف من هم أعداؤها، وما هي مخططاته التي أوصلت البلاد إلى كل هذا الخراب والفوضى.

يجب أن نأخذ العبرة، يجب أن نتأمل فيما جرى، يجب أن نراجع حساباتنا بشجاعة، أن نتخذ خطواتنا بعد تخطيط ودراسة وتعاون، مبتعدين عن العجلة، وسوء التقدير الذي أوقعنا في المهالك.

علينا أن نتفرغ لتربية الأجيال المسلمة تربية بناءة على الكتاب والسنة، فهماً وتدبراً وتطبيقاً، في المنزل والمدرسة، في المسجد والشارع، مع نشر العلم الشرعي الصحيح في هذه المؤسسات كلها.

وأن تزود الأجيال الناشئة بالعلم الصحيح النافع، الذي يزودها بحقائق أعدائها من الباطنيين والعلمانيين، فتعرف حقيقة معتقداتها، وتاريخها ومؤامراتها ضد المسلمين.

علينا أن نعيد وحدة الصف بين العاملين في الحقل الإسلامي على الأسس المشروعة، وذلك واجب شرعي، للوقوف أمام المؤامرات الخبيثة لقوى الشر المحلية والعالمية.

وأن نعلم أن المودة بين المؤمنين ومحبتهم واجب شرعي، كما أن معاداة الباطنيين والأحزاب العلمانية الكافرة، وقوى الصليبية والصهيونية والشيوعية واجب شرعي أيضاً قال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} [آ ل عمران: 28].

وقال عليه الصلاة والسلام: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله "[50]

---

[47]ينظر: الصراع على السلطة في سوريا: نيقولاوس فان دام/ ص201، ص 206 - 208.

[48]ينظر: مخططات النصيرية السرية منذ عام/ 1960 - 1963م الباب الثاني من هذا الكتاب.

[49]الصراع على السلطة في سوريا/ ص204.

[50]صحيح الجامع الصغير: جـ 2/ 343، حديث: 2536، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "حديث حسن."

الملاحق

1: 35 عاماً غياب الحريات الإنسانية والأساسية 1963-1998م
2: تدمر شاهد ومشهود
3: الموت والإعدام في سجن تدمر، قائمة بأسماء 68 شخص أعدموا في ذلك السجن
4: نص القانون 49 لعام 1980م، بعقوبة الإعدام على كل منتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين بسوريا
5: اللجنة السورية لحقوق الإنسان تقدم نماذج من سجل حكومة الأسد في إبادة أسر بكاملها في مدينة حماة
6: هلاك الأسد نظرات في غياب الوعي وتضليل الأمة

الملحق رقم "1"

سورية (1963 – 1998) 35عاماً من غياب الحريات الإنسانية والأساسية [51]

تعتبر سورية التي يبلغ عدد سكانها حالياً نحو 14 مليون نسمة إحدى الدول المحورية في منطقة المشرق العربي، وعلى مدى قرون اتصف المجتمع السوري بالفاعلية الفكرية والسياسية، ونمت في إطاره معطيات حضارية عريقة كان لها أثرها في منطقة شهدت ولادة عدة حضارات إنسانية، كما اتسمت بالتعايش السلمي البناء بين أبنائها من مختلف الجنسيات والأعراق.

وإذا كان الشعب السوري قد خاض نضالات عسيرة على مدى أكثر من عقدين من أجل نيل استقلاله عن المستعمر الفرنسي حتى حازه في نيسان/ أبريل 1946، فإن السنوات التي تلت تلك الحقبة كانت مليئة بالآلام، وزاخرة بالمعاناة بعد أن انتهت الدولة السورية إلى دائرة مغلقة من الأنظمة والقوانين الشمولية اختفت فيها الحريات العامة، واندحرت في إطارها الحقوق الأساسية وغابت عن منهجها التعددية الفكرية والسياسية، وفقد المجتمع هياكله المدنية، وخيمت في مقابل ذلك شوائب القمع والتحكم والاستبداد.

ويعتبر تاريخ الثامن من آذار/ مارس 1963 منعطفاً حيوياً في مسار الشعب السوري، فقد شهد ذلك التاريخ انقضاض "حزب البعث العربي الاشتراك" على مقاليد السلطة في انقلاب عسكري، حيث أعلنت حالة الطوارئ قبل 35 عاماً ولا يزال العمل سارياً بها إلى الآن، وفرضت الأحكام العرفية، ومنحت المحاكم العسكرية والأمنية سلطات واسعة على حساب القضاء المدني، وتم حلّ الأحزاب السياسية، وألغيت حرية الصحافة، وفرضت هيمنة الحزب الحاكم على المؤسسات المدنية بما في ذلك النقابات المهنية والجامعات والجمعيات الأهلية.

وفي تشرين ثاني/ نوفمبر المقبل يكون الرئيس الأسد قد أمضى 28 عاماً في سدة الحكم منذ أن وصل إليه عام 1970 بعد أن أطاح برفاقه من الجناح اليميني في الحزب فيما يُدعى بـ "الحركة التصحيحية" ولم يسبق للأسد أن سمح لأي سياسي آخر بخوض منافسة جدية أمامه في انتخابات الرئاسة التي تجري بصورة شكلية، وتكون نتيجتها 99،99%، والتي توقفت منذ أن أعلن عام 1991 رئيساً إلى الأبد، كما شهدت السنوات الثماني والعشرون الماضية ميلاً أكبر نحو سيطرة الحزب الواحد على مقاليد الدولة، ومُنحت المؤسسة العسكرية والأمنية التي تضم نحو 13 جهازاً استخبارياً وأمنياً مختلفاً نفوذاً واسعاً في الحياة العامة، ولا يسمح لأي صحيفة مستقلة بالصدور في ظل السيطرة المطلقة على وسائل الإعلام كافة.

وتعتبر المعارضة السياسية في سورية من الأمور المحرمة، وقد زجّ نظام الرئيس الأسد بسياسيين بارزين ومعارضين من مختلف الانتماءات في السجون لفترات وصلت إلى 25 عاماً، ولم يشفع لهؤلاء، ومن بينهم قادة سابقون في حزب البعث كانوا معارضين لتوجه الأسد، اعتزالهم العمل السياسي أو اعتلال صحتهم، حيث توفي بعضهم وهم رهن الاعتقال، فيما أفرج عن آخرين قبل أيام من وفاتهم.

وتفتقر سورية إلى الحياة البرلمانية الفاعلة التي عُرفت بها بُعيد الاستقلال، إذ أن أعضاء البرلمان (مجلس الشعب) هم من مؤيدي حكم الرئيس الأسد، وغالبيتهم أعضاء في حزب البعث الحاكم، ونسبة ضئيلة منهم تنتمي إلى تجمعات يسارية صغيرة مؤيدة للحكم، ولا يسمح للبرلمان بمناقشة مسائل تتصل بالشؤون الخارجية أو الدفاعية أو الأمنية، كما لا يسمح له بالتدخل في التعيينات الحكومية أو الوزارية، ومعظم النواب اختيروا ليس بناء على برامج محددة ولكن بناء على مدى قربهم من قادة الحكم وحزب البعث.

وفي ظل غياب نهج متفتح في الحياة السياسة فقد وقعت سورية في ظل شبكة معقدة من النظم البيروقراطية مما أدى إلى نشوء حالات مستوطنة من الفساد الإداري والمالي والاقتصادي وظهرت طبقة من الأثرياء المقربين من الحكم، فيما يعاني عموم المجتمع من حالة عُسر

معيشية وسط ركود اقتصادي فرضه افتقار الدولة إلى القدرة على التغيير وتحسّس معاناة المواطنين.

وتعتبر سورية إحدى أبرز الدول التي تعاني من هجرة الكفاءات والأدمغة، ومعظم هؤلاء من فئة المغتربين القسريين، وتساهم السياسات التي تتبعها الحكومة في دفع آلاف الشبان السوريين وغالبيتهم من حملة الشهادات العلمية للهجرة إلى الخارج سواء بحثاً عن فرص أفضل، أو خشية التعرض للمساءلة من قبل الأجهزة الأمنية التي يهيمن عليها أفراد يتسمون بالعنف والقسوة.
ونتيجة خوفها من تنامي المعارضة السلمية في صفوف الجمهور تقوم الحكومة السورية بفرض رقابة صارمة على وسائل الاتصال والمطبوعات، وتمنع غالبية الصحف التي تصدر خارج البلاد من الدخول، ولا يسمح للمواطنين بالوصول إلى شبكات المعلومات الدولية خاصة شبكة "الإنترنت"، ويحظر على الكتاب والصحفيين التطرق إلى مسائل ذات صلة بالأمن الداخلي أو سياسات الحكومة، وأدى ذلك إلى ترك المجتمع السوري يعيش قطيعة ثقافية وعلمية مع العالم الخارجي، وتشير التقارير التي تصدرها الهيئات التابعة للأمم المتحدة، إلى تزايد حالات التسرب من المدارس، وتراجع المستويات التعليمية في الفئات المتوسطة والمحدودة الدخل، وارتفاع معدلات البطالة، وتفشي ظواهر العنف الاجتماعي، وهي دلائل واضحة على عقم السياسات المتبعة.
وفي سياق تغوّ ل الدولة وهيمنتها على المجتمع المدني، فإن سورية بعد 35 عاماً من حكم "البعث"تحوّ لت إلى دولة لا وجود فيها للمؤسسات الأهلية والمدنية، فالعمل النقابي مُغيّب بسبب سيطرة الحزب الحاكم المطلقة على النقابات المهنية، والجامعات لا تمارس دورها في البحث العلمي والتربوي في ظل غياب الكوادر المؤهلة لذلك، ومنذ عام 1980 قامت الحكومة بحلّ الهيئات الخيرية، وعملت من أجل السيطرة على الدوائر الوقفيّة والتحكم بأملاكها، ومنعت الأنشطة الاجتماعية والفكرية والخيرية، التي ليست لها صلة واضحة بالأجهزة الحكومية.

وإذا كانت تلك ملامح الحياة العامة في سورية، وهي مؤشرات تعكس واقعاً قاتماً، فإن أبرز ما ميّز عهد الرئيس الأسد هو استخدامه القبضة الحديدية في قمع معارضيه السياسيين، واللجوء للقوة المسلحة في مواجهة أعمال الاحتجاج الشعبية، وتتمثل أولى تلك المحاولات في عمليات الاغتيال والتصفية التي تعرض لها خصوم بارزون لنظام الحكم.
وخلال سني حكمه وضع الرئيس الأسد خصومه ومعارضيه في سجون خاصة أنشئت في مختلف المدن السورية، ومن بين هؤلاء مواطنون من جنسيات عربية، ولم يسمح لهؤلاء مجرد الالتقاء بأسرهم، أو الحصول على رسائل منهم، بل إن غالبيتهم لم تكن عائلاتهم على دراية فيما إذا كانوا على قيد الحياة طوال فترة اعتقالهم التي زادت عن 20 عاماً بالنسبة لعدد منهم، ويقدر عدد المعتقلين السياسيين في السجون السورية في الوقت الراهن بنحو 12 ألف سجين، كما أن هناك 15 ألف مفقود لا يعرف مصيرهم، وغالبية هؤلاء اختفت آثارهم منذ أحداث العنف التي وقعت في مدينة حماة (وسط سورية) في عام 1982.
ويُنظر للقمع العسكري والأمني على أنه من الدلائل البارزة لنظام حكم الرئيس الأسد، وقد شهدت فترة الاضطرابات التي وقعت في سورية بين عامي 1979 - 1982 سلسلة من المجازر الدموية قامت بها وحدات عسكرية وفرق مظلية، تتلقى عادة تدريبات خاصة واستثنائية بهدف حماية نظام الحكم من محاولات الانقلاب المحتملة.
ومن أبرز تلك المجازر، حملة القمع الواسعة التي تعرضت لها مدينة حماة في شباط/ فبراير 1982 والتي قتل فيها ما يربو على 20 ألفاً من المدنيين، وقد قاد الحملة شقيق الرئيس العقيد

رفعت الأسد الذي كان يرأس في حينه وحدات "سرايا الدفاع" (حُلّت عام 1984 إثر محاولتها السيطرة على الحكم أثناء مرض حاد ألمّ بالرئيس الأسد).
وقد أسفرت العملية التي شاركت فيها الطائرات والمدفعية والدبابات عن تدمير ثلثي المدنية، وإبادة أحياء بكاملها، وتهجير نحو 100 ألف من السكان من أصل 300 ألف نسمة، واعتقال 15 ألف مواطن معظمهم من الشبان اعتبروا منذ ذلك الوقت في عداد المفقودين نظراً لعدم وجود دلائل على آثارهم، ويُعتقد أن عدداً كبيراً قتلوا ودفنوا في مقابر جماعية بالقرب من سجن تدمر في الصحراء السورية.
ومن المجازر الانتقامية الأخرى مجزرة تدمر التي وقعت في الـ 27 من حزيران/ يونيو 1980 بعد يوم واحد من محاولة فاشلة لاغتيال الرئيس الأسد، وقد أشرف على العملية أيضاً رفعت الأسد، وقادها الرائد معين ناصيف زوج ابنة رفعت، وشارك فيها 360 مظلياً من "سرايا الدفاع" نقلوا بواسطة طائرات مروحية إى سجن تدمر حيث يحتجز آلاف المعتقلين السياسيين وغالبيتهم أعضاء في "جماعة الإخوان المسلمين" وقد قتل في هذه العلمية 700 معتقل، وروى اثنان من الذين شاركوا في المجزرة بعد اعتقالهم في الأردن في محاولة لاغتيال رئيس وزرائه (مضر بدران) عام 1980 كيف أجهزوا على الضحايا ومن ثم قاموا بدفن جثث القتلى في مقابر جماعية.
ولا تختلف أوضاع المغتربين القسريين والمهجرين السوريين كثيراً عن أوضاع الآخرين، إذ يُحرم هؤلاء بناء على تعليمات رسمية من حقوقهم القانونية والشخصية التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولا يسمح لهم بالعودة إلى بلدهم، ويمنع أبناؤهم من الحصول على وثائق ثبوتية، وفي حالات مثبّتة قامت سلطات الأمن باعتقال زوجات وأبناء مغتربين قسريين لدى قيامهم بزيارة سورية في محاولة للضغط على آبائهم لإجبارهم على العودة.
إن الوضع القائم الذي تعيشه سورية منذ ثلاثة عقود ونصف، بات يشكل استثناءً شاذاً على الصعيد العالمي في وقت عصفت فيه رياح الديمقراطية والتحرر بالنظم الشمولية والمغلقة في كافة أنحاء المعمورة، وإن الحاجة باتت ماسّة لإحداث نقلة تستوعب معطيات الحاضر، وتسعى لإعادة اللّحمة للنسيج الوطني للمجتمع السوري، بعد أن قوّضته مرحلة طويلة من القمع والاستبداد والفساد السياسي.
ومن الحريّ أن يكون إطلاق سراح المعتقلين السياسيين والكشف عن مصير المفقودين وتعويض عائلات الضحايا في مقدمة الإجراءات التي يتوجب على الحكم اتخاذها قبل أن تبدأ رحلة التغيير الجدي التي لابد منا نحو آفاق الحرية التي حرمت سوريا من نسماتها عهداً طويلاً .

[51]ينظر الإنترنت موقع: http: www. syriah. com.

الملحق رقم (2)

تدمر: شاهد ومشهود [52]:

في عام 1980 توجه شاب "محمد سليم حمّاد" من بلده في الأردن إلى سورية لغرض الدراسة في جامعة دمشق، وكأي شاب طموح كان "محمد" يأمل أن يحوز على شهادة علمية تسعد أسرته، وتعود عليه بالفائدة في حياته العملية..

لم يكن الشاب "محمد" قد أتم العقد الثاني من عمره عندما وجد نفسه محاطاً بأجواء مشحونة بالمواجهة في بلد ينتفض فيه شعبه من أجل نيل حرياته الإنسانية الأساسية، ولم يسبق لهذا الشاب أن خاض تجربة العمل السياسي، كما أنه لم يمارس أي نوع من الأنشطة المناوئة للحكومة السورية، غير أن الأخيرة وجدت أن علاقة "محمد" بمحيطه الطلابي ومعظم أفراده من الفتيان السوريين المناوئين للحكم الشمولي المغلق كافية لاعتقاله وإلقائه في غياهب سجن تدمر الصحراوي مدة 11 عاماً دون محاكمة.

وفي كتاب أصدره عام 1998 تحت عنوان "تدمر.. شاهد ومشهود" يروي "محمد سليم حماد" تجربته القاسية في السجون السورية، وهي معاناة تلخص ما يواجهه آلاف المعتقلين السوريين والعرب (من لبنان وفلسطين والأردن والعراق...)، والذين يرفض الحكم السوري الإقرار بوجودهم في معتقلاته، كما لم يستجب لأي مناشدات للإفراج عنهم، لغرض التخفيف عن أسرهم وعائلاتهم المنكوبة بفقدانهم منذ سنوات طويلة.

يقول "محمد" في كتابه الذي يقع في 245 صفحة من القطع المتوسط، إن تعرضه للتعذيب العنيف بدأ مع اعتقاله في فرع قيادة المخابرات في منطقة العدوي بدمشق، حيث حل رقم (13) محل اسمه، ونزعت عنه ملابسه، وأمره المحققون أن يجثو على ركبتيه مطأطئ الرأس، ليجيب على أسئلتهم وسط ضرب مبرح، وتهديدات بالقضاء عليه.

ويضيف "محمد" الذي لم يكن بوسعه الإقرار بما يطلب منه بأنه نقل بعد ذلك إلى غرفة مخصصة للتعذيب أسفل قبو مظلم، حيث علق بالحبال في سقف الغرفة وهو مجرد الثياب، ثم انهال عليه الجلادون بالضرب بأسياخ النار وكبلات الكهرباء والعصي، واندفع هؤلاء إلى استخدام اللسعات الكهربائية في مناطق حساسة من جسمه، مهددين إياه بالموت ما لم يعترف بما يطلب منه.

وبعد تلك الجولة من العذاب التي تعرف بلغة الجلادين "الشبح"، نقل "محمد" إلى تعذيب من نوع آخر يدعى "بساط الريح"، وهو لوح من الخشب يشد المعتقل إليه بواسطة قطع حديدية، ثم يرفع نصفه، حيث يبدأ الضرب على القدمين بكبلات معدنية، وأسلوب آخر يعرف بـ" الكرسي الألماني" وهو كرسي ذو أجزاء متحركة يوثق المعتقل إليه من ذراعيه وساقيه، ثم يُسحب مسنده الخلفي إلى الوراء، ساحباً بذلك الجذع الأعلى معه، فيما تظل قدماه مثبتتان من الجهة الأخرى، فيتركز الضغط على الصدر والعمود الفقري، مما يؤدي إلى تهتك العمود الفقري، والإصابة بالشلل لاحقاً .

ويروي الشاب الأردني "محمد سليم حماد" في كتابه أن جولة التعذيب التي تعرض لها أثناء اعتقاله لم تكن سوى مرحلة أولى ضمن طريق مضن يسلكه المعتقلون السياسيون في سورية، فقد نقل "محمد" بعد ذلك إلى فرع التحقيق العسكري بدمشق، حيث أخضع لجولات جديدة من التعذيب القاسي الذي يشمل الصعق بالكهرباء، والكي بالنار، والجلد والشبح.

ويعتبر سجن تدمر الذي أقيم زمن الاستعمار الفرنسي لتعذيب المجاهدين ضد الاحتلال الأسوأ سمعة بين السجون والمعتقلات السورية، ويعتبر التعذيب جزءاً من منهجية الاعتقال، حيث يبدأ منذ اللحظات الأولى لوصول المعتقل وهو معصوب العينين، ويختتم بوفاته، أو الإفراج عنه وهو أمر نادر كما تشير الوقائع.

ويعدد المعتقل الأردني "محمد سليم حماد" أساليب التعذيب التي تعرض لها أو شاهدها في سجن تدمر، على النحو الآتي:

التعليم: وهو انتقاء واحد من المعتقلين بشكل عشوائي، حيث يتم تعريضه لوجبات قاسية من العذاب إلى أن يقضي نحبه، وبذلك يكون عبرة لغيره من المعتقلين.

الدولاب: حيث يوضع المعتقل داخل دولاب مطاطي، وترفع قدماه في الهواء بحيث ينهال عليه الجلادون بالسياط، وبعد ذلك تربط القدمان بسلسلة من الحديد تمنعهما من التحرك، ويلي ذلك انقضاض على المعتقل بالضرب والركل، إلى أن تسيل الدماء منه.

المراقبة الدورية: في المهجع الذي يكتظ بالمعتقلين، وهو عبارة عن غرفة مستطيلة تحتوي دورة مياه وحمامين، وفي السقف فتحتان مغطاتان بقضبان حديدية، ويقوم عناصر المخابرات والشرطة العسكرية بالتعرض للمعتقلين كافة أو انتقاء واحد منهم، كلما طلب بدء جولة جديدة من التعذيب.

التفقد: وهو عملية الإحصاء اليومي للمعتقلين، حيث تصاحبه على الدوام عمليات ضرب وسب وجلد، ولا يسمح للمعتقلين بالنوم إلا على بطانيات بالية، لا تتيح لهم الوقاية من برد الصحراء القارس.

التنفس: حيث يعمد الجلادون إلى استغلال اللحظات التي يخرج فيها المعتقلون إلى باحة السجن، للانقضاض عليهم بالضرب بواسطة العصي والكبلات، ومنعهم من التحدث إلى بعضهم، ويعتبر الطعام المقدم إلى المعتقلين جزءاً من عملية الإساءة التي تتميز بها المعتقلات السورية، وخاصة سجن تدمر الصحراوي، وتتميز الأطعمة في غالب الأحيان بأنها فاسدة، وتسبب الأمراض المعوية للسجناء، وفي بعض الأحيان يؤمر المعتقلون بأكل الذباب والصراصير والفئران الميتة تحت التهديد والوعيد.

الحلاقة: يؤمر المعتقل بالجلوس جاثياً أمام الحلاق ، وهو أحد جلادي السجن حيث يقوم "الحلاق" باستخدام موس جارح مع الضرب والشتم، وغالباً ما تتسبب الحلاقة هذه بإصابة المعتقل بجروح غائرة في الرأس والوجه.

الحمّام: حيث يخرج المعتقلون إلى باحة السجن، وينهال عليهم الجلادون بالضرب والجلد، ثم يساقون إلى مقصورات ضمن مجموعات تضم كل واحدة نحو ستة معتقلين، ويوضع هؤلاء تحت رشاش يطلق ماءً بارداً، وهم ينزعون عنهم ملابسهم.

ويصف محمد في كتابه الأجواء الرعيبة التي تخيم على معتقل تدمر، وعملية الإعدام المتواصلة للسجناء السياسيين، إلى جانب وفاة عدد منهم نتيجة إصابتهم بأمراض خطيرة، لم تتح السلطات لهم فرصة الحصول على العلاج في المشفى، والمحاكمات الصورية التي يقوم بها ضباط الأمن والمخابرات، حيث تصدر أحكام عشوائية تتصف بالقسوة استناداً إلى اعترافات تم انتزاعها تحت التعذيب، ورغم هذه الصورة المقيتة، فقد أرغم الجلاوزة السجناء وغالبيتهم من طلبة الجامعات على التصويت بـ "نعم" خلال حملة إعادة انتخاب الرئيس حافظ الأسد لولاية جديدة في الحكم عام 1991، ويقول محمد إن الجلادين أجبروا المعتقلين على تابة لمة "نعم" بدمهم إمعاناً في القسوة.

وبسط الكتاب/ الوثيقة مشاهدات عدد من المعتقلين أثناء مجزرة سجن تدمر في 27 يونيو 1980 عندما أقدمت سرايا الدفاع بقيادة شقيق الرئيس "العقيد رفعت الأسد" على قتل ما يربو على 600 معتقل ودفنهم في مقابر جماعية شرق مدينة تدمر.

إن محمد الذي مازال يعاين من آثار سنوات اعتقاله الطويلة، يتقدم بالمناشدة إلى هيئات حقوق الإنسان ومناصري الحريات العامة، لبذل كل ما يستطيعونه من الضغط على الحكومة السورية للإفراج عن المعتقلين السياسيين لديها سواءً كانوا سوريين أو غير سوريين، وإرسال لجنة

لتقصي الحقائق إلى سجن تدمر، للوقوف على علميات التعذيب التي تتم داخله، ومطالبة الحكومة بالكشف عن أسماء الذين توفوا تحت التعذيب، ومحاكمة الأفراد والمسؤولين الذي تسببوا في تلك الحوادث، ووقف كافة أشكال انتهاك حقوق الإنسان في سورية.

---

[52]ينظر الانترنيت موقع. http: www. syriah. com.

الملحق رقم "3"

الموت والإعدام في سجن تدمر

يقول محمد سليم حماد في كتابه الوثائقي "تدمر: شاهد ومشهود"

ومما رسخ في الذاكرة، وبعد تمحيص وتدقيق ومراجعة متكررة، أستطيع أن أثبت فيما يلي أسماء من شهدت إعدامهم بنفسي، أو سمعت أسماءهم تتلى من سجل المطلوبين للإعدام، أو بلغني من مصادر ثقة أن إعدامهم قد تم تنفيذه فعلاً .... وأؤكد ما هو معلوم من الأمر بالضرورة، بأن عدد الذين قضوا على أعواد المشانق، أو بأيدي الجلاوزة والزبانية أضعاف أضعاف هذا الرقم..... تدمر: شاهد ومشهود صفحة 230.

الرقم	الاسم	المدينة	المهنة	التاريخ	الكيفية
1	غالب حداد	حماة	-	0891	نقاً
2	حسن الصغير	حمص	مجند	1891	نقاً
3	عبد المجيد الدباغ	حمص	معلم رياضيات	1891	نقاً
4	حسين الطنجي	حلب	طالب ثانوي	1981	نقاً
5	أمين الأصفر	حماة	خريج المدرسة الشرعية	1981	نقاً
6	محمد فخري	حماة	مهني	1981	نقاً
7	مأمون كردي	حماة	طالب جامعي	1981	بالتعذيب
8	ناصح شنيطي	دمشق	-	1981	الكوليرا
9	جهاد حلاق	دمشق	-	1981	بالتعذيب
10	ناصر الدين البيك	حمص	طالب هندسة	1981	نقاً
11	نعيم صيام	الأردن	طالب تجارة بحلب	1981	نقاً
12	حسين رشيد عثمان	الباب/ حلب	صحفي في وكالة الأنباء السورية	1981 أو 1982	نقاً
13	أيمن عثمان	الباب/ حلب	نقيب متطوع	-	نقاً
14	جمال عقيل	حلب	طالب هندسة	1982	نقاً
15	جلال الدين جلال	حلب	-	1982	نقاً
16	محمد صادق العون	حماة	كلية الشريعة	1982	نقاً
17	عبد الكريم غانم	دمشق	طالب هندسة	1982	نقاً
18	كمال أندورة	دمشق	طالب كهرباء	1982	المرض
19	هشام مجندف	حمص	مجند بالآمرية	1982	المرض
20	بسام الهامشي	حمص	طالب ثانوي	1982	المرض
21	سامي وحود	حمص	طالب ميكانيك	1982	المرض
22	زاهد داخل	حلب	طبيب	1982	بالتعذيب
23	حسان طرابيشي	حمص	طبيب أو طالب ميكانيك	1982	نقاً
24	توفيق دراق السباعي	حمص	طبيب أعصاب	1982	نقاً
25	عبد العزيز عوض سالم صوران/	حماة	مجند عسكري	1982	بالتعذيب
26	يحيى عبد الكريم الشامي	حماة	طالب صيدلة	1982	بالتعذيب
27	عبد الوهاب حلموشي	حمص	طالب جامعي	1982	نقاً
28	يوسف عبارة	حلب	-	1982	نقاً
29	بسام سباعي	حمص	مهندس	1982 أو 1983	نقاً
30	محمد صنوبر	دمشق	طالب بكالوريا	1983	نقاً

31عبد الحكيم ... إدلب مدرس لغة عربية وملازم مكلف 1983 السل
32عبد الرحمن فليطاني حمص موظف 1983 السل
33مصطفى حلب تاجر 1983 السل
34عبد الساتر مصطفى حمص - 1983 السل
35محمد حسن عجعوج حماة - 1983 السكتة القلبية
36عبد الكريم الصلاح دير الزور طالب هندسة 1983 نقاً
37مأمون الذهبي دمشق طالب بكالوريا 1983 المرض
وقد ذكر الأخ محمد سليم حماد "86 خصاً" فمن شاء فليرجع إلى موقع الانترنيت
http: www. syriah. com.·

الملحق رقم (4)

نص القانون 49 لعام 1980

صدر هذا القانون عن مجلس الشعب السوري في 7 تموز/ يوليو 1980 وما زال ساري المفعول حتى الآن، حيث يعاقب بالإعدام المنتسبين إلى "جماعة الإخوان المسلمين". ويعمل القانون بأثر رجعي بموجب المادة الخامسة منه حيث يعدم الذين انتسبوا لهذه الجماعة حين كانت شرعية بموجب القانون، وحتى لو أعلنوا انسحابهم منها، إذا كانوا قيد التوقيف حين صدور هذا القانون.

وكان القانون أحيل من قبل رئيس الجمهورية حافظ الأسد إلى مجلس الشعب بتاريخ 21/ 6 /1980وفيما يلي مطلع نص الإحالة كما وردت في الجريدة الرسمية، في العدد 17 مكرر تاريخ 28 من نيسان/ أبريل 1982:

(السيد رئيس مجلس الشعب نحيل إليكم مشروع القانون المتضمن تشديد عقوبة الانتساب إلى جماعة الإخوان المسلمين، وتخفيض عقوبة من سلّم نفسه من هؤلاء، لعرضه على المجلس.

دمشق في 16/ 8/ 1400هـ و 21/ 6/ 1980

رئيس الجمهورية حافظ الأسد

مشروع قانون....

وقد أقر مجلس الشعب هذا القانون في السابع من تموز/ يوليو 1980 بعد إحالته إلى لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية، ونشر في الجريدة الرسمية في العدد 17 مكرر تاريخ 28 من نيسان/ أبريل 1982، على الشكل التالي:

نص القانون 49:

(نص القانون 49 الذي أقره مجلس الشعب السوري في جلسة 7 تموز 1980:

المادة 1-يعتبر مجرماً ويعاقب بالإعدام كل منتسب لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين.

المادة 2- أ - يعفى من العقوبة الواردة في هذا القانون،أو أيّ قانون آخر، كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا أعلن انسحابه منها خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون.

ب-يتم إعلان الانسحاب بموجب تصريح خطي يقدّم شخصياً إلى المحافظ أو السفير، لمن هم خارج القطر، بتاريخ صدور هذا القانون.

المادة 3- تخفض عقوبة الجرائم الجنائية التي ارتكبها المنتسب إلى تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، قبل نفاذ هذا القانون، تحقيقاً لأهداف هذه الجماعة، إذا سلّم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون، لمن هم داخل القطر، وخلال شهرين لمن هم خارجه، وفقاً لما يلي:

أ- إذا كان الفعل يوجب الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة، أو الاعتقال المؤبد، كانت العقوبة الأشغال الشاقة خمس سنوات على الأكثر.

ب- إذا كان الفعل يؤلف إحدى الجنايات، كانت العقوبة الحبس من سنة إلى ثلاث سنوات.

المادة 4 - يعفى من عقوبة الجرائم الجنوحية المرتكبة قبل نفاذ هذا القانون، تحقيقاً لأهداف تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، كل منتسب إلى هذه الجماعة، إذا سلّم نفسه خلال شهر واحد من تاريخ نفاذ هذا القانون لمن هم داخل القطر، وخلال شهرين لمن هم خارجه.

المادة 5 - لا يستفيد من التخفيض والعفو الواردين في هذا القانون، الذين هم قيد التوقيف أو المحاكمة.

المادة 6 - ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ صدوره.)

رئيس مجلس الشعب

الملحق رقم "5"

"نماذج من سجل حكومة الرئيس حافظ الأسد"

"في إبادة أسر بكاملها في مدينة حماة "[55]

لقد تورطت حكومة الرئيس حافظ الأسد في قتل المدنيين وإبادة أسر بكاملها في مدينة حماة في شهر شباط/ فبراير 1982.

ولم تفرق بين طفل رضيع و امرأة ورجل مسن. النموذج التالي يصور لوحة لإبادة أسر ارتكبها جنود بأوامر مباشرة من ضباط مسؤولين أمام حكومتهم في منطقة واحدة (الباشورة)، صباح يوم الاثنين الثامن من شباط/ فبراير 1982.

مذبحة أسرة فهمي محمد الدباغ:

في الثامن من شباط/ فبراير 1982، وفي الساعة السادسة والنصف صباحاً قرعت قوات السلطة باب منزل الأستاذ فهمي محمد الدباغ (58 عاماً) وهو معلم ابتدائي وعند محاولته فتح الباب جاءه الجواب رشات من الرصاص فأصيب بجراح، وابتعد عن الباب. ودخلت قوات السلطة بعد أن حطمت الباب وقتلت كل أفراد الأسرة، وقد قتل في هذه المذبحة:

1- فهمي محمد الدباغ (58 عاماً) معلم ابتدائي 2- زوجته (43 عاماً) ربة بيت 3- ابنته ظلال (22 عاماً) 4- ابنه وارف (21 عاماً) طالب 5- ابنه عامر (15 عاماً) 6- ابنه ماهر (14 عاماً) 7- ابنته صفاء (10 سنوات) 8- ابنته رنا (9 سنوات) 9- ابنته قمر (8 سنوات) 10- ابنه ياسر (6 سنوات) 11- ابنه أحمد.

مذبحة أسرة السيدة حياة الأمين:

بعد قتل آل الدباغ توجهت نفس المجموعة من قوات حكومة الرئيس حافظ الأسد إلى منزل السيدة حياة جميل الأمين، حيث قطعوا يديها وأخذوا حليها، ثم قتلوها مع أولادها الثلاثة التي تتراوح أعمارهم بين 7 - 11 عاماً، وبعدها نهبوا كل ما هو ثمين في البيت وأضرموا فيه النار.

مذبحة آل الموسى:

بعدها توجهت نفس القوة التابعة لسلطة الرئيس حافظ الأسد إلى شارع أبي الفداء حيث تسكن أربع أسر من آل الموسى، إذ استيقظت الأسر على أصوات الرصاص التي حطمت بوابة الفناء الخارجي للشقق الأربعة، وبعد اقتحام الشقق جمعت الأسر الأربعة في غرفة واحدة، ولما استعد جنود الحكومة لإطلاق النار توسل إليهم أحد الآباء وكان يحمل طفلا رضيعاً عمره 14 شهراً ائلاً : من أجل هذا الرضيع اتركونا، ظناً منه أنه سيثير عاطفتهم الإنسانية بهذا... وجاءه الجواب... طلقات اخترقت جسد الرضيع، لتصل إلى الأب ... بينما كانت طلقات الجنود تحصد الباقين!!

وبعد أن ظن جنود السلطة أنهم قتلوا 21إنساناً ... انطلقوا إلى مكان آخر، وقد قتل في هذه المذبحة:

1- عبد السلام الموسى (41 عاماً) موظف في المالية 2- سمية بنت عبد السلام الموسى (8 سنوات) طالبة 3- ميساء بنت عبد السلام الموسى (7 سنوات) 4- مهدي بن عبد السلام الموسى (3 سنوات) 5- فلك بنت محمود العقاد (50 عاماً) زوجة عبد الفتاح الموسى 6- ملك بنت عبد الفتاح الموسى (30 عاماً) خياطة 7- عبد الرحمن بن عبد الفتاح (25 عاماً) نجار عربي 8- محمد بن عبد الفتاح الموسى (20 عاماً) نجار عربي 9- عفراء بنت عبد الفتاح الموسى (16 عاماً) 10- رنا بنت عبد الفتاح الموسى (7 سنوات) 11- شهامة بنت عبد الفتاح الموسى" (سنة واحدة) 12- لمياء بنت على السراج (27 عاماً) زوجة عبد الرحيم الموسى 13- علي بن عبد

الرحيم الموسى (4 سنوات) 14- ملهم بن عبد الرحيم الموسى (3 سنوات) 15- رانيا بنت مروان الموسى (6 سنوات) 16- وليد بن أسامة البيطار (7 سنوات) ابن أخت العائلة كان ضيفاً مع الأولاد. وقد جرح في هذه المذبحة عبد الرحمن الموسى وزوجة مروان الموسى ولم يصب طفلان بأذى وكان عبدالفتاح الموسى غائباً .

مذبحة أسرة القياسة:

توجه القتلة من جنود السلطة بعد قتل أسر الموسى إلى منزل مجاور لأسرة (القياسة) في شارع أبي الفداء، وهناك قتلوا كل من وجدوه في المنزل وهم: غزوان أحمد القياسة 22سنة، طالب جامعي وأم غزوان وأخت غزوان.

مذبحة أسرة العظم:

توجهت حملة القتل بعدها مباشرة إلى منزل صبحي العظم رحمه الله، فدخلوا المنزل ونهبوا محتوياته الثمينة من أثاث وحلي ومجوهرات، ثم قتلوا زوجة صبحي العظم رحمه الله وعمرها ثمانون عاماً، وابنها وعمره ستون عاماً، ثم أحرقوا المنزل.

مجزرة منزل الدكتور زهير مشنوق:

تجمع في قبو منزل الدكتور زهير مشنوق 39 امرأة وأطفالهم، وثلاثة رجال خوفاً على أنفسهم، لكن قوات السلطة حصدت أرواحهم خلال لحظات ولم ينج من هذه المجزرة إلا السيدة انتصار الصابوني (مواليد 1947) التي أصيبت بجروح. ومن أسماء القتلى الذين عرفوا في هذه المجزرة:

1- فاتن النمر (17 سنة) 2- مسرة الشققي (51) 3- وداد كيلاني (58) 4- ميسر سمان 5- أم ياسر بقدونسي 6- زوجة نوري أورفلي 7- ضحى أورفلي (جدة) 8- ضحى أورفلي (حفيدة) 9- كيثو نوري أورفلي (15 سنة) 10- عماد نوري أورفلي (4 سنوات) 11- طفل ثالث لنوري أورفلي عمره ستون يوماً 12- زوجة خالد تركماني (30 سنة) 13- ابن خالد تركماني (17 سنة) 14- طفل انتصار الصابوني (طفل رضيع) 15- زوجة محمود حلواني 16- وفاء حلواني (24 سنة) موظفة 17- رهيف محمود الحلواني (22 سنة) طالبة.

مذبحة آل الصمصام:

في صباح هذا اليوم وصلت قوات حكومة الرئيس حافظ الأسد إلى بيت (الصمصام) في حي الباشورة، وهناك جمع أفراد أربع عائلات في غرفة واحدة بلغ عددهم 17 شخصاً ما بين طفل وامرأة ورجل، وبعد سلب الساعات والحلي والأموال، أطلقوا النار على الجميع وقد نجا أربعة من الموت. أما أسماء الذين قتلوا فهم:

العائلة الأولى:

عبد الرحمن الصمصام (53 سنة)، زوجة عبد الرحمن الصمصام. ولدا عبد الرحمن الصمصام.

العائلة الثانية:

محمد الصمصام (50 سنة)، زوجة محمد الصمصام، أحد أبناء محمد الصمصام.

العائلة الثالثة:

ياسر محمد الصماصم (35 سنة)، زوجة ياسر محمد الصمصام (20 سنة)، طفل ياسر محمد الصمصام (2 سنة).

العائلة الرابعة:

عمر الصمصام (50 سنة)، ولدا عمر الصمصام.

مذبحة أسرة الكيلاني:

ارتكبت نفس المجموعة مجزرة بحق أسرة الكيلاني، في نفس الحي صباح نفس اليوم وقد ذهب ضحيتها

1- خالد عبد الكريم كيلاني (45 سنة) 2- زوجة خالد عبد الكريم كيلاني (35 سنة) 3- طفلة عبد الرحيم كيلاني الأول (7 سنوات) 4- طفلة عبد الرحيم كيلاني الثانية (6 سنوات)

مذبحة أسرة أبو علي طنيش:

استيقظت أسرة أبو علي طنيش على اقتحام جنود سلطة الرئيس حافظ الأسد وقد قتل أفراد الأسرة وهم في الفراش وهم: أبو علي طنيش (50 سنة) وزوجته وأولاده الخمسة الذين لا يتجاوز عمر أكبرهم 10 سنوات، ولم ينج من هذه المذبحة إلا ولد عمره 6 سنوات.

مذبحة أسرة التركماني:

انتقلت مجموعة السلطة إلى شقة مجاورة تسكنها أسرة التركماني، وقد قتلوا السيدة عائدة العظم تركماني (39 سنة) وابنها طارق تركماني (19 سنة طالب)

مذبحة منزل السيدة ميسون عياش:

اقتحمت المجموعة في نفس اليوم صباحاً منزل السيدة ميسون عياش (26 سنة - مدرسة) وعندها طفلان وحماتها السيدة فهمية لطفي. فسألوها عن زوجها فقالت إنه يعمل في السعودية، فأطلقوا النار عليها وعلى حماتها ونجا الطفلان من المذبحة.

هذه نماذج من الموت والرعب والقتل، وإفناء الجنس البشري في حماة، والقضاء على من تربطه بالمعارضة روابط القرابة أو الصداقة أو التعاطف، التي طالت أكثر من (30,000) إنسان تستوجب من العالم إعلان أسماء المتورطين في المذبحة وخاصة قائد الحملة رفعت الأسد كـ "مجرمي حرب" وتحميلهم مسؤولية أعمال إبادة المدنيين، واتخاذ الإجراءات القانونية للحجز على ممتلكاتهم داخل سورية وخارجه، وتوقيفهم وتقديمهم للمحاكمة أمام المحكمة الدولية لجرائم الحرب.

اللجنة السورية لحقوق الإنسان

---

[55]عن اللجنة السورية لحقوق الإنسان، الإنترنت موقع: http: www. Syriah. Com.

الملحق رقم (6)

هلاك الأسد : نظرات في غياب الوعي وتضليل الأمة[56]

كانت وفاة حافظ الأسد حدثاً لافتاً للأنظار، من حيث تضليل الجماهير، وقلب الحقائق وتزويرها.

فقد سلطت وسائل الإعلام، والقنوات الفضائية، والإذاعات العربية والعالمية.. سلطت الأضواء على مزاعم حياة الاستقرار التي يعيشها الشعب السوري، وعلى الصمود الذي كان يمثله الرئيس الراحل... متناسين جرائم الزعيم، وحزب البعث منذ انقلاب الثامن من آذار/ 1963م متناسين قانون الطوارئ الذي تحكم سوريا به منذ خمسة وثلاثين عاماً ... وما فيه من جور وظلم واضطهاد.

ورغم ذلك كله كان البكاء والعويل، وكانت حالات إغماء متعمدة، بمناسبة مراسيم الجنازة في 13/ 6/ عام 2000م.

كانت مراسيم الجنازة في قصر الشعب بدمشق، وكان نقل الجثمان إلى قرداحة، مسقط رأس الرئيس، عبارة عن مظاهرة صاخبة، أطلقت خلالها شعارات شركية تتحدى قدر الإله. "لا تقولوا هيْدا تابوت، حافظ أسد ما بيموت"، "الله سوريا بشار وبسْ ·[57] "

" لقد كانت الصورة التي أعقبت موت الأسد أكثر تجلية، للأهداف التي حملها طيلة ثلث قرن، فكل حركة وإجراء باتت تشرح بما لا يقبل شكاً أو جدلاً، أنه كان طائفياً حتى نخاعه" "فها هو العالم يفيق على ولادة أول جمهورية وراثية على وجه الأرض بعد جمهورية كوريا الشمالية " [58]·

لقد تحقق على يد الأسد تنفيذ مخططات الطائفة النصيرية (منذ عام/ 1963م) تلك التي خطط لها النصيريون بقياداتهم العسكرية والدينية، في مؤتمراتهم الستة، وهاهو يترك إكمال المخطط لذريته من بعده، وهذا الذي يتغافل العالم كله عن ذكره·[59]

ومما يلفت النظر خلال مراسيم الجنازة وما تلاها من أحداث:

(1) ظهور وفود الأقليات الطائفية:[60]

وذلك بشكل بارز مكثف، فكان على رأس تلك الوفود: الدروز والشيعة "حزب الله وأمل" ووفد إيران برئاسة رئيس الدولة محمد خاتمي، ثم وفد طائفة البهرة - الإسماعيلية، ومطارنة زحلة، ورئيس مجلس الكنائس العالمي، ووفود بقية الكنائس...

أما اليهود فقد ظهر تعاطفهم مع الرئيس خلال مقابلة مع (إبراهيم الحمرا) رئيس الطائفة اليهودية السورية في القدس، وخلال مقابلة له مع : (بي · بي· سي) قال فيها: "صلّت هذه الطائفة في الكنيس اليهودي ودعت للأسد" وعندما سئل عن علاقات اليهود بالأسد في سوريا أجاب بقوله: "لقد زرته مع وفد يهودي عام/ 1972م، للمباركة له في رئاسته الأولى، وطلبنا منه بعض التسهيلات للطائفة، فبعد أن كنا لا نستطيع التجول في سوريا أكثر من (4 كم) والختم الأحمر على هوياتنا، تمكنا من التجول في أنحاء سوريا كلها.

وسمح بعد ذلك في عام/ 1979م، بسفر عدة فتيات وصل عددهن إلى "350" فتاة يهودية للزواج من أهل الطائفة في الخارج.

ثم سمح لمن يشاء السفر إلى أوربا وأمريكا للعلاج أو التجارة، بشرط ألا تسافر العائلة كلها [61]·

لقد وجد اليهود كل عناية من الأسد، حتى إنه سمح لليهود ببيع ممتلكاتهم واستلام جوازات سفر يسافرون بها، أما المسلمون فهم محرومون من جوازات السفر، ومن بيع ممتلكاتهم والتصرف بها، ومن أبسط حقوقهم المدنية... تحت أي ذريعة.
"وكانت وفود أهل السنة باهتة هزيلة، كان الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية، يترنح متمايلاً على رأس جماعته لا تزيد عن ثلاثة أشخاص" [62]
لقد عاش الرئيس الراحل خادماً لطائفته، متعاطفاً مع كل الأقليات الدينية، على حساب أهل السنة، ومات كذلك...

(2) من عجائب طول أمد الطغيان، أن الشعب يفقد ذاكرته، فينسى كل الجرائم السابقة، جرائم القتل والتعذيب، ينسى الهزائم: العسكرية والسياسية، ينسى تسليم القنيطرة بلا قتال، ينسى إذلاله والسجون التي عانى فيها شباب أهل السنة وشيوخهم ونساؤهم الأهوال والهلاك.
نسي هذا الشعب الفقر والجوع والرشاوى والفساد، نسي مجازر تدمر وحماة وتل الزعتر ... [63].
"سماه الغوغاء الأب القائد في الوقت الذي حرم عشرات الآلاف من آبائهم... وشرد الآلاف منهم، حتى لم تعد منطقة في الأرض تخلو من سوريين، يقرأ العالم في عيونهم مرارة التشريد.[64] "...
" إن قائمة المواقف والممارسات التي امتدت خلال العهد الراحل، طويلة ومليئة بل متخمة بالحقائق والوقائع التي تغيب أو تُغيّب اليوم عن صفحات الجرائد وشاشات الفضائيات والتي تكيل المدائح والبطولات، ويعجب المرء لهذه القدرات الفائقة على قلب الحقائق وإلباس الهزائم والتنازلات أردية البطولة والشجاعة والصمود.[65] "

(3) فضيحة النخبة على وقع الجنازة 66]]:
على مدى (72 ساعة) ما بين الإعلان عن وفاة الأسد، وبين دفنه في القرداحة، كان ما قدمته المحطات الفضائية من تعليقات وآراء وتحليلات عن الحدث مفاجأة حقيقية، بل فضيحة للنخبة الصحفية والسياسة العربية، إذ فضل رموز هذه النخبة من معلقين وكتاب، ورؤساء حكومات، وناشرين... أن تدفن الحقيقة مع الرئيس لا أن تنطق ألسنتهم بها على الملأ.
تحدثوا عن المكانة التي حققها الأسد لسوريا، دون أن يتحدثوا عن ضياع الجولان، والهزائم أمام اليهود في حرب تشرين وفي لبنان، لم يتحدثوا عن الدور التخريبي الذي لعبه النظام على المستوى الإقليمي والعربي، ولا عن فرق الموت التي وزعها على العالم كله خلال عهده الطويل.
ولم يستح بعض الخبراء من كتاب الصحف المهاجرة "ولا بعض الإسلاميين الرسميين أو المتملقين" أن يذكروا للميت حزمه وصرامته في قيادة سوريا في وجه التحديات، فكان هدم المدن فوق عشرات الآلاف الأبرياء وسجن مئات الآلاف بأدنى شبهة كانت من الفضائل ضد الهيود؟.!
لكن المضحك المبكي، هو محاولة هؤلاء تبرير تحول النظام الثوري إلى نظام وراثي، مع كيل المدح لمواصفات الرئيس الابن.
إنها لحالة مزرية تلك التي يعيشها الإعلام العربي، الذي قام يطبل لأكبر دكتاتور، ويكيل لحكمه الإجرامي كل هذا المديح.

(4) إصدار الفتاوى وكيل المدح من قبل بعض رموز أهل السنة:

ومما يحز في النفوس، ويمزق الأكباد مواقف بعض الرسميين المتملقين والمنتفعين من وجود هذا النظام.. والإشادة به رغم كل ما لاقى المسلمون في ذلك العهد من بلاء ومصائب.

فقد ألقى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مجلس عزاء فقيد الوطن والأمة، في القرداحة، أمام الفريق الدكتور بشار الأسد، وأعضاء القيادتين القطرية والقومية، وأفراد أسرته كلمة قال فيها، و"هو ينتحب باكياً :"

"سيادة الفريق:ليس من شأني في مثل هذه المناسبة أن نزيد الجراح نزفاً، أو نزيد الألم عمقاً، بل لنذكر برحمة الله وحكمه، ولست مبالغاً إن قلت: إن هذا الحدث هز كياني، من المفرق إلى القدم".

وأضاف: "لقد تعلمنا كثيراً من الإيمان، من السيد الرئيس الراحل، علّمنا كيف نمزج الألم مع نشوة الرضا من الله."..

"يا سيادة الفريق! أذكرك بشيء من أسرار قائدنا الراحل رحمه الله، كان عبقرياً، وكانت حكمته فذة، لكنه والله، كان يأخذ مدده من الله تعالى.." "يا سيادة الفريق! إن الحمل ثقيل... وإنا على يقين بأن الله سينصرك، ولن يتخلى عنك.."وختم البوطي كلامه قائلاً : "أهنئ الشعب السوري. بأنه لن ينتقل من هذه المظلة إلى شمس محرقة، لا بل سيظل في ظلال وارفة" [67]. أظن أن هذا التملق الرخيص لا يحتاج إلى تعليق.

وقال مفتي السلطان، سماحة الشيخ أحمد كفتارو:

إن الأمتين العربية والإسلامية، فقدتا برحيل السيد الرئيس المؤمن، حافظ الأسد، قائداً تاريخياً بارزاً .

وأكد في تصريحه لمندوب الوكالة العربية للأنباء (سانا):أن القائد الراحل، عاش حياته مناضلاً صلباً وسياسياً استراتيجياً وحكيماً شجاعاً وأباً رحيماً ...

ودعا إلى الله العلي القدير، أن يتغمد القائد المؤمن، حافظ أسد بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصديقين [68]

وقال الدكتور حامد الرفاعي خلال رده علي سؤال لقناة الجزيرة في 13/ 6/ 2000م:

"إن عهد الرئيس يرحمه الله، كان يتميز بانتمائه العربي والإسلامي.

وتتلخص سياسته بلاءات أربعة:

-قال لا: للتنازل عن شبر واحد من أرض الجولان؟!

-وقال لا: للتنازل عن شبر واحد من فلسطين والقدس.

-ولا: لقيام دولة طائفية..وأصر أن يكون رئيساً للشعب السوري كله؟!

- وقال لا: للفساد، الذي يتابع الفريق بشار ملفه؟.[69] !

الحقيقة أن الإنسان قد يسبّ نفسه وهو لا يدري، عندما يقرأ قوله تعالى: {ألا لعنة الله على الكاذبين}

وكان أحسنهم طريقة ذاك الذي أكد في تصريحاته للصحف والمجلات والقنوات الفضائية، بأنه وجماعته، لا يعترضون على انتخاب بشار الأسد، ويطالبون بالتعددية وبالديمقراطية، وبإخراج المساجين، وعودة المشردين من الإخوان المسلمين والإسلاميين، وهذا أغلى أمانيهم.

هكذا كانت التنازلات، متناسين الجرائم التي تمت في عهد الرئيس الراحل، وغافلين عن فتاوى علماء أهل السنة في كفر الطائفة النصيرية، وعداوتها للمسلمين، وسيسألون عن وزر هذا التدليس أمام محكمة أعد الحاكمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.[70]

" والحقيقة أن عهد الأسد، قد أفسد النفوس، ولوث البيئة، حتى ألف الناس (ومشايخ السلطة) الفساد والتلوث، (فكانت تصريحاتهم المحمومة الهزيلة هذه).

.لقد ترك الأسد الفرد السوري خائفاً مذعوراً لا يستطيع أن يعبر عما في نفسه بحرية.. لقد ترك النفوس مشدودة والقلوب جريحة، والثارات كامنة تحت الرماد...
...لكنها نهاية طاغية، ونهاية مرحلة، ستزول آثارها بإذن الله كسحابة صيف..
ولن نُخدع بما تعرضه أجهزة الإعلام، من مشاهد كاذبة (وفتاوى ملفقة) تشيد بالظالم وعهده " [71].
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(5) انتخاب بشار الأسد لرئاسة الجمهورية:

وهذه مسرحية جديدة، ومهزلة عجيبة، إذ تم ترشيح بشار الأسدلخلافة والده، وهو لم يوارَ التراب بعد، فكان الأمر متوقعاً، والإعداد له مبيتاً ..
ومن أجل ذلك تمت تنحية اللواء (حكمت الشهابي) رئيس الأركان السابق ضمن ترتيبات التمهيد لمرحلة بشار، كما أعفي رئيس الاستخبارات السابق (علي دوبا) من صلاحياته للاعتبارات السابقة، كما أبعد كل من (علي حيدر ومحمد الخولي) من أجهزة الحكم والمؤسسة العسكرية للأسباب نفسها.
يقول مراسل محطة (الـ: بي. بي. سي) لقناة الجزيرة بينما كان يتابع مراسيم الجنازة من دمشق:
"إن أفراد الأسرة يُجمعون أن بشاراً، قد اختاره أبوه منذ سنتين، بشكل حاسم للرئاسة" [72]
فالشعب مُغَيَّب، وإلا فكيف يتم تغيير الدستور خلال نصف ساعة؟! ومجلس الشعب "75% منه معيّن أيضاً " فالشعب مبرمج لهذا المصير المرير.[73] "
"إن ما يزيد على ثلاثين عاماً في ظل حكم الأجهزة الأمنية التي يزيد عددها على أربعة عشر جهازاً، والحكم بقانون الطوارئ.. أوصل سوريا لهذا الوضع الشاذ، الذي يُفصَّل فيه دستور الدولة ليناسب المقياس المطلوب، على مرأى ومسمع من العالم كله، العالم الذي لا يمل من الحديث عن حقوق الإنسان والمجتمع المدني.[74] "
"وإن ما يجري اليوم في سوريا، هو تطبيق للنظرية المطروحة في الأسواق "الأسد للأبد"، وقد وضح اليوم معنى هذه العبارة، أي أن الأسد وذريته من بعده.. للأبد؟!!
ولذلك عدّلت المادة "83"من الدستور، ليصبح سن الرابعة والثلاثين بدلاً من الأربعين، هو السنّ المقترح للرئيس الجديد، وكان الأمر سهلاً طالما أن أكثرية المجلس من الحزب والجبهة التقدمية، فهو لكل تغيير حسب الرغبة.. والقيادة القطرية المعطلة منذ "15" جاهزة للموافقة على كل ما تؤمر به؟!
هذا وإن الانتخابات في ظل حكم الدبابة والمدفع، يفترض ألا يقال فيها لا، كما أن ترفيع ابن الرئيس فجأة وبغير تسلسل أو منطق إلى رتبة عقيد ثم فريق، حتى يؤهل لمنصب رئاسة الجمهورية، وقيادة الجيش والقوات المسلحة، أمر يفوق كل منطق وعقل" [75]
فلِمَ القسم على الدستور الذي أهانه هؤلاء بالتبديل والتعديل؟!
ثم أجري استفتاء على المرشح الوحيد، ففاز بنسبة:97.29، على أن يؤدي القسم على الدستور في 17/ من الشهر الجاري، ليصبح الرئيس العشرين لسوريا منذ/ 1943م لمدة سبع سنوات [76].
لقد تحول الدستور والمؤسسات الرسمية إلى مهزلة محزنة، وكان الاستفتاء مسرحية سمجة مكررة، فالمرشح واحد، والسيوف مسلطة على رقاب من لا ينتخبون، وبطاقة الانتخاب التي يحملها كل مواطن شاهد عليه، تلك التي أصبحت أهم من أي وثيقة مدنية، إذ يجب أن يصحبها المواطن المسحوق خلال أي معاملة له وإلا فالويل له والثبور؟.!

(6)انتحار محمود الزعبي رئيس وزراء سوريا السابق:[77]

نقلت الأنباء عبر وسائل الإعلام، أن الزعبي قد انتحر في بيته، بينما كان ينتظر محاكمته بتهمة الفساد.

والحقيقة أن جميع حملات مكافحة الفساد كان محكوماً عليها بالفشل، لأن كبار الضباط العلويين هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن الفساد...

واختيار الزعبي واختيار غيره من أهل السنة في الحكم، ما هو إلا ستار للتضليل والخداع، وإذا كان الأمر كذلك، فهل من المعقول أن يتقلب الزعبي بين رئاسة مجلس الشعب ورئاسة مجلس الوزراء مدة تزيد على ربع قرن، ثم لا يعرف الرئيس بفساده إلا منذ شهرين أو ثلاثة؟!.

نحن لا نستبعد عن الزعبي وأمثاله الفساد والإفساد لأن ذلك من شيم العاملين في هذا النظام، لكن هؤلاء يأتون في آخر قائمة المتنفذين في السلطة، ولا يسرقون إلا الفتات.[78]

هذا وإن ادعاء حرب الفساد، نغمة قديمة تتكرر كلما أراد النظام إبعاد بعض المسؤولين، لأمر لا يتعلق بالفساد، وإنما لأسباب أخرى، ونهاية الزعبي درس لجميع ذراري المسلمين الذي يخدمون هذا النظام، وهاهم يتساقطون واحداً بعد الآخر غير مأسوف عليهم [79]

وجاء في إذاعة لندن (القسم العربي) في مقابلة مع المحامي مصطفى الغمر:

"أن الزعبي ذُحر في بيته ولم ينتحر... إذ كيف يكون مع السجين سلاح، ولو كان السجن في بيته... وإن قرار مكافحة الفساد لهو أشد فساداً من الفساد، لأن المسؤولين عن الفساد لا تطالهم يد السلطة، ولا القانون، والزعبي قد يكون أضعف الحلقات في هذا الفساد، وحملة مكافحة الفساد والرشوة، هي حملة موسمية لأغراض سياسية تلميعاً لبشار الأسد، حتى يحل محل والده، وخاصة أن اجتماع القيادة القطرية لحزب البعث، ستكون في منتصف الشهر القادم، وهي لم تعقد منذ فترة طويلة، وقد يكون من ثمرات هذا الاغتيال، انتخاب بشار الأسد لرئاسة الدولة" وقد كان [80]

ويمكننا أن نتساءل بحق: هل انتحر الزعبي، أم أنه ذُحر على أيدي المافيا التي تتخوف مما سيقوله في التحقيق والمحاكمة؟!

وكانت وفاة الزعبي قبل وفاة رئيسه الأسد بـ (19يوماً).

ومن المفارقات العجيبة:

أن القانون (49) الصادر في 30/ 6/ 1980م، عن مجلس الشعب السوري، والقاضي بإعدام كل ما ينتسب لحركة الإخوان المسلمين، كان برئاسة محمود الزعبي.

وبقي الزعبي رئيساً للمجلس أكثر من سبع سنوات، ثم رفع لرئاسة مجلس الوزراء، وكشف فساده بعد أكثر من عشرين سنة، قضاها بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فيطرد من الحزب ومن القيادة القطرية، وتفرض عليه الإقامة الجبرية، ثم ينتحر الرجل، أو ينحر في بيته على أرجح الأقوال، وتصادر ممتلكاته ويسجن أبناؤه[81]

لعل في ذلك عبرة للمغَفّلين من أبناء السنة، الذين تسخرهم الطائفة العلوية، وتستخدمهم كستار أمام الرأي العام.

ولعل في قتله تربية لكل من تحدثه نفسه برأي مخالف...

ومن المفارقات العجيبة أيضاً:
أن حافظ الأسد كان قد أصدر البلاغ العسكري بسقوط القنيطرة (رقم 66) يوم السبت في 10/ 6/ 1967م،ولَمَّا يدخلها عسكري واحد من إسرائيل أي سلمت ضمن مسرحية عجيبة.
ويوم السبت في 10/ 6/ عام 2000م، قطع التلفزيون السوري إرساله لنعي حافظ الأسد، فقد هلك الرجل والجولان بيد الأعداء، مضى وهو يستجدي السلام من إسرائيل.[82]
ولله في خلقه شؤون ويا ليت قومي يعلمون.

---

[56]كتب هذا الملحق بينما كان هذا الكتاب في المطبعة في تجاربه الأولى، أي بعد وفاة الأسد في 10/6/ 2000م.
[57]ينظر: جريدة الحياة في نقلها لمراسيم الجنازة في 14/ 6/ 2000م.
[58]مجلة البيان: العدد/ 153، جمادى الأولى/ 1421هـ.
[59]ينظر الباب الثاني من هذا الكتاب ومؤتمرات النصيريين ما بين "عام/ 1960 - 1968."
[60]ينظر جريدة الحياة: الأربعاء في 14/ 6/ 2000م، العدد: "13608."
[61]بي. بي. سي - لندن، بمناسبة مراسيم جنازة الأسد.
[62]القنوات الفضائية والصحف المحلية.
[63]ينظر مجلة السنة، العدد (97)، الصفحة الأخيرة، وينظر: الباب الثالث من هذا الكتاب.
[64]مجلة البيان: العدد "153" جمادى الأولى/ 1421هـ.
[65]مجلة المجتمع: العدد (1405)، 18 – 24/ ربيع الأول/ 1421هـ. (ص 18)
[66]مجلة المجتمع: العدد "1406"، في 25/ 5/ 1421هـ / ص 23/ بقلم حمد الإبراهيم.
[67]القرداحة في 14/ 6/ سانا، والإنترنيت: الساحات الشيخ العالم الدكتور البوطي والأسد.
[68]دمشق في 12/ 6/ سانا، والإنترنيت/ الساحات مفتي سوريا والأسد.
[69]مكالمة من جدة مع قناة الجزيرة بمناسبة مراسيم الجنازة "والدكتور حامد الرفاعي مسؤول عن الحوار في منظمة المؤتمر الإسلامي كما ذكر هو خلال مكالمته هذه".
[70]ينظر: عقائد النصيرية وفتاوى العلماء فيهم: الباب الرابع من هذا الكتاب.
[71]مجلة السنة: العدد 97/ ربيع الثاني/ 1421هـ مقتطفات من افتتاحية العدد بعنوان: "وأهلك الله الأسد."
[72]ينظر: مسألة استخلاف الأسد: الباب الثالث، الفصل الرابع من هذا الكتاب.
[73]قناة الجزيرة: الثلاثاء في 13/ 6/ 2000م، غياث الجندي.
[74]مجلة المجتمع: العدد "1405" في 18 - 24/ ربيع الأول/ 1421هـ
[75]مجلة المجتمع العدد (1406)، 25/ ربيع الأول/ 1421هـ.
[76]جريدة الحياة: 12/ تموز/ 2000م، أعلن ذلك وزير الداخلية محمد حربة.
[77]كان نبأ الانتحار في 17/ صفر/ 1421هـ، 21/ مايو - أيار/ 2000م.
[78]مجلة السنة: العدد (96) كلمة الملف.
[79]المرجع السابق: ملف سوريا (كلمة الملف)
[80]الـ. بي. بي. سي / في 22/ مايو/ عام 2000م.
[81]المجتمع عدد/ 1405، ص 22، 18 - 24/ ربيع الأول/ 1421هـ.
[82]السابق/ نفس العدد، ص 26، للدكتور أحمد قداح.

الباب الرابع : دور الحركات الباطنية في تطور الأحداث السياسية

- بين يدي البحث: نبذة عن نشأة الفرق الباطنية وتطورها
- **الفصل الأول: الإسماعيلية وأثرها في الحركات الباطنية الأخرى**
- **الفصل الثاني:طائفة الدروز نشأةً واعتقاداً**
- الفصل الثالث: النصيرية

v خاتمة البحث

دور الحركات الباطنية في الأحداث السياسية في سوريا "مع دراسة لجذورها العقدية والسياسية"

بين يدي البحث
نبذة عن نشأة الفرق الباطنية وتطورها في العالم الإسلامي
يتميز التركيب الديني في القطر العربي السوري بكثرة التنوع من جهة، وتمركز بعض الأقليات في منطقة دون أخرى من جهة ثانية.
ويمثل المسلمون السنة غالبية السكان في سوريا، فتصل نسبتهم إلى "88%" من مجموع السكان، ويمثلون الأكثرية فيها، ما عدا منطقتي اللاذقية والسويداء.
فمحافظة اللاذقية يقطن فيها أغلبية نصيرية، إضافة إلى بعض الأقليات النصرانية، أما محافظة السويداء فتقطنها أغلبية درزية وفيها بعض النصارى.
ويتركز وجود الإسماعيلية في السّلمية - قرب حماة - وفي مدينتي مصياف والقدموس قرب الساحل السوري.
ويقدر عدد النصيريين بحدود المليون نسمة، أي ما يعادل "12%من مجموع السكان تقريباً "، ويقدر عدد الدروز "بـ 240 ألف نسمة" أي بنسبة "3% من السكان"، أما الإسماعيليون فيقدرون بـ "70 ألف نسمة"، ويقدر عدد النصارى في سورية بـ "825 ألف نسمة" تقريباً، أي بنسبة "9.7%"، وينتمون إلى إحدى عشرة طائفة، أكثرها عدداً الأرثوذكس [83]
ويعود أسباب تعدد هذه الطوائف إلى مجموعةمن العوامل أكثرها أ ّهمية هو التسامح الديني الذي عامل به المسلمون أتباع الأديان والطوائف الأخرى، ولذلك نَمَتْ تجمعات اليهود والنصارى بسبب المساواة بين المجموعات القومية داخل الإسلام.

أما الطوائف الباطنية المنشقة عن الإسلام، فقد التجأت غالباً، إلى الجبال الوعرة، وتشرذمت في المناطق النائية، لتعيش في عزلة شبه تامة، بعيداً عن مراكز أهل السنة والجماعة، في المدن والسهول المأهولة.
وفي العصر الحديث، ومنذ وصول حزب البعث إلى السلطة / 1963م، أخذت هذه الأقليات الباطنية تلعب دوراً هاماً في السياسة السورية.
فمما لا يمكنإنكاره أن الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية، لعبت دوراً حاسماً في تاريخ سوريا السياسي والاجتماعي والاقتصادي في النصف الثاني من القرن العشرين [84] فقد تمكن القادة العسكريون بتخطيط دؤوب، وتضليل عجيب أن يسيطروا على دفة الحكم في البلاد بالحديد والنار، تحت مظلة حزب البعث الحاكم.[85]
وسوف نلقي الضوء في هذا الباب على الطوائف التي لعبت دوراً حاسماً في أحداث سوريا، ونعني بذلك:
النصيرية - الإسماعيلية - الدروز.
فمن الطائفة الأولى: كان صلاح جديد، ومحمد عمران، وإبراهيم ماخوس، وحافظ الأسد، وعشرات الضباط الذين تسلطوا على الحزب والحكومة، وبعد عام/ 1970م انفرد حافظ الأسد وعشيرته وإخوته وطائفته بحكم البلاد...

ومن الإسماعيلية: كان سامي الجندي من مؤسسي الحزب، وأحمد المير قائد الجبهة في حرب حزيران/ 1967م، وقد تعاونوا مع النصيريين ثم صفاهم رفاق السلاح.

ومن الدروز: كان حمد عبيد وزير الدفاع، وسليم حاطوم صاحب الانقلاب الفاشل على النصيريين، وطلال أبو عسلي، وعشرات الضباط الذين صفاهم النصيريون ولا كرامة.
فما خلفية هؤلاء الطائفيين؟! وما العقيدة التي يدينون فيها؟! وما هي مواقف آبائهم وأجدادهم عبر تاريخ بلادنا الطويل؟.!
هذا ما سوف نبحثه في هذا الباب بإذن الله.
"فالحركات الباطنية عموماً ذات فكر حاقد خبيث، يعود أكثرها إلى تدبير ذلك اليهودي الخبيث عبد الله بن سبأ، الذي ادعى الموالاة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومحبة وموالاة ذريته من بعده، ثم أعلن أن علياً هو وصي الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده، حتى وصل في نهاية الأمر إلى الزعم بتجسد الألوهية في علي رضي الله عنه [86]
وكان من تلاميذ هذا اليهودي الحاقد أبو الخطاب الأسدي الذي يعد من أخطر الباطنيين العاملين على تطوير عقائد الباطنية ووسائل الدعوة فيها، فتخرج من حركته زعماء الحركات والفرق الباطنية وأهمهم: ميمون القداح، ومحمد ابن إسماعيل مؤسسا الحركة الإسماعيلية الباطنية الخطيرة،والمفضل الجعفي أستاذ محمد نصير مؤسس الفرقة النصيرية، التي جعلت علياً إلهاً من دون الله.
ورغم اختلاف هذه الحركات في بعض العقائد والأفكار، إلا أنها اجتمعت على شيء واحد هو محاربة الإسلام، وإفساد عقائده وارتكاب الكبائر وإباحة الأعراض وهتكها، ناهيك عن سفك الدماء إرواء لأحقادهم الدفينة ضد الإسلام، وإشباعاً لغرائزهم الحيوانية...
وقد تصدى لهؤلاء المنحرفين المفسدين، معاصروهم من أئمة المسلمين وعلمائهم، وفضحوا عقائدهم وأهدافهم، تجد ذلك في كتب الطبري وابن كثير وابن تيمية والشهرستاني وابن حزم، رحمهم الله تعالى، وغير هؤلاء ممن كتبوا عن هذه الحقبة من تاريخ العالم الإسلامي.[87]
وبقيت هذه الصورة ثابتة في أذهان المسلمين، ولم يكن أحد يتوقع أن يأتي يوم يجهل فيه المسلمون حقيقة هذه الحركات، وإذا ببعض هذه الحركات قد أصبحت تتولى مقاليد الأمور في بعض ديار المسلمين... بل صار تاريخ القرامطة والحشاشين يدرس للنشء الجديد، على أنه تاريخ يعتز به ومثل نفتخر فيه [88]
وللباطنية دعاة في العصر الحديث، دأبوا على نشر أفكار الحركات الباطنية بأسلوب خبيث، عن طريق نشر كتبها القديمة على أنها من كتب التراث، أمثال، مصطفى غالب وعارف تامر وأسعد علي.
...ومن المعلوم أن الحركات الباطنية تتخذ التشيع ستاراً لتخفي وراءه اعتقاداتها وأهدافها، ومن ثم قالت بألوهية أئمتها.[89]

فما هي الباطنية وكيف نشأت أفكارها؟!
الباطني هو الرجل الذي يكتم اعتقاده، فلا يظهره إلا لمن يثق به، وهو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً .
-قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إن الباطنية إنما لقبوا لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن، تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر.. وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة.[90] "
وقد جاء أبو الخطاب الأسدي، ليسير في أفكار الغلو شوطاً بعيداً إذ كان أستاذاً لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك.
وقد كانت نهاية أبي الخطاب وأتباعه على يد والي الكوفة (عيسى بن موسى) عندما اجتمعوا في مسجد الكوفة وحاولوا قتل الوالي وجنوده فقتل أكثرهم، ثم جيء بأبي الخطاب إلى الوالي فقتله على شاطئ نهر الفرات[91]

ولا يزال أبو الخطاب مقدساً عند النصيرين حتى الآن، ومن ثم نقلت أفكار الخطابية ومعتقداتها نقلاً حرفياً إلى النصيرية من تحليل وتناسخ للأرواح، ووطء للنساء بلا تحريم وجعلتها اعتقادات خ صة بها.[92]

وفي الفصول التالية، سوف نتحدث عن أبرز هذه الحركات، وأشدها تأثيراً في تاريخ سوريا الحديث.
أولها الحركة الإسماعيلية، لأنها الأقدم تاريخياً، وأقواها أثراً في الحركات الباطنية كلها، وخاصة حركة القرامطة الدموية.
ومن أبرز الحركات التي انبثقت عنها الطائفة الدرزية التي ألهت الحاكم بأمر الله، وانتقل دعاتها إلى بلاد الشام، وخاصة سوريا ولبنان.. وانتشروا فيهما.
أما النصيرية فقد كان أثرها السياسي قوياً، منذ استقلال سوريا وحتى اليوم...
ولم نتحدث عن النصارى في هذا الباب باعتبار أن تأثيرهم السياسي كان ضعيفاً في الجيش وسياسة البلاد خلافاً لدورهم في لبنان.. على يد الموارنة خاصة.
وفي الفصول القادمة سنلقي الضوء على تاريخ هذه الحركات وعقائدها وخطورة مخططاتها ومؤامراتها حتى يتنبه الغافل، ويتعلم الجاهل، ويستيقظ النائم. لقد كان لهذه الحركات وخاصة النصيرية ثم الدروز، تأثير قوي في تسيير الأحداث لصالحهما، بعيداً عن مصالح الأكثرية السنة في البلاد.

---

[83]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص32، ومجلة الدعوة المصرية "العدد 70"، من مقال حول التوزيع الجغرافي للأقليات الطائفية في سورية.
[84]الصراع على السلطة في سوريا/ ص7، ومجلة الدعوة المصرية العدد "70".
[85]ينظر: البابان الثاني والثالث من هذا الكتاب.
[86]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب/ ص7 مكتبة الأقصى - عمَّان الأردن. 1406هـ - 1986م.
[87]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ د. الخطيب/ ص8.
هٰذا وإنّ سوريا في عهد البعث تدرّس تاريخ القرامطة في مدارسها وجامعاتها على أنها حركة ثورية اشتراكية."
[88]المرجع السابق والصفحة.
[89]المرجع السابق/ ص9.
[90]فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي/ ص11/ طبعة الكويت 1964م.
[91]فرق الشيعة: للنوبختي/ وهو أبو محمد الحسن بن محمد بن موسى ص 60/ طبعة استنبول/ 1931م.نقلاً عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.
[92]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص 18.

الفصل الأول: الإسماعيلية وأثرها في الحركات الباطنية الأخرى

المبحث الأول: نشأتها وأبرز فروعها
العبيديون الفاطميون في مصر
الحشاشون في (آلموت) في فارس، وبلاد الشام
القرامطةأسست لها دولة في البحرين، وهاجمت المسجد الحرام وقتلت مَنْ فيه
المبحث الثاني: عقائد الإسماعيلية
عقيدتهم في الألوهية والتوحيد
عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة
عقيدتهم في عصمة أئمتهم المستورين
إنكار البعث والحساب واليوم الآخر
التأويل الباطني لأركان الإسلام
طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة

الفصل الأول :
الإسماعيلية وأثرها في الحركات الباطنية الأخرى

المبحث الأول : نشأتها ونبذة عن تاريخها

الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة الغلاة، تنسب إلى محمد بن إسماعيل ولد جعفر الصادق، وكان محمد قد توفي في حياة أبيه، إلا أن هؤلاء يزعمون أنه لم يمت، ولكنه Bzin موته تقية من خلفاء بني العباس، ويزعمون كذلك أنّ أدوار الإمامة من آل البيت انتهت به، فكان هو الإمام السابع بعد الرسول [94]

وكان قد انشق عن الإسماعيلية: الحشاشون والقرامطة، وانبثق عنها أيضاً طائفة الدروز أيام الحاكم بأمر الله..

(1)فالعبيديون: ينسبون أنفسهم إلى آل البيت، وفاطمة الزهراء رضي الله عنها، وسموا أنفسهم: بالفاطميين، زوراً وبهتاناً وخداعاً، ولهذا السبب انشق القرامطة عن طاعة عبيد الله (المهدي) مؤسس تلك الدولة العبيدية.

وكان القرامطة قد تألبوا على الإمام الإسماعيلي في "سَلَميّة" فخلعوا طاعته، وجعلوا الدعوة لزعمائهم دون أئمة الإسماعيلية وهجموا على (سلمية) واقتحموا دور أئمة الإسماعيلية وقتلوا بعض أفراد الأسرة، وكان الإمام آنذاك هو "عبيد الله" الملقب بالمهدي، فهرب مع بعض أفراد أسرته من سلمية إلى الرملة في فلسطين، ثم توجه إلى مصر وشمالي أفريقية، وكان سبب انقلاب القرامطة على عبيد الله، هو شكهم الذي وصل إلى درجة اليقين في نسب عبيد الله وأسرته، إلى آل البيت [95]

يقول ابن كثير في نسب عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم في المغرب:

(كان أول ملك - منهم - المهدي من سلمية -حداداً اسمه عبيد كان يهودياً دخل بلاد المغرب، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض)[96]

وقال ابن تيمية: "ادّعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي، وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة الإمامية ولا الزيدية، بل ولا الغالية، الذين يعتقدون إلهية علي أو نبوته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم"[97]

هذا هو الأصل في تلك الدولة، فهم يرجعون إلى يهودي أو إلى يهودي كان ربيباً لمجوسي حداد مغمور، وفارسي حاقد.

وكان لملوك العبيديين تاريخ حافل بالجرائم الشنيعة، خلال تعقبهم لعلماء أهل السنة.

قال أبو حسن القابسي: "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعُبّاد أربعة آلاف رجل، ليردُّوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت"[98]

وذكر القاضي عبد الجبار البصري: أن الملقب بالمهدي لعنه الله، كان يتخذ الجهال ويسلطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء، فيُذبحون في فرشهم"[99].

والمعز الفاطمي فاتح مصر هو الذي بطش بفقيه الشام أبي بكر النابلسي رحمه الله، فقد أمر بسلخه فسلخ حياً، على يد يهودي بين يدي الطاغية الكافر المعز، ثم صلبه، قبحه الله ورحم العالم الفقيه، وذلك أن أبا بكر كان قد قال: (لو كان معه عشرة أسهم لرمى بتسعة منها العبيديين، وبواحد الروم، وذلك لكفر العبيديين وخطرهم) [100]

وقال أبو شامة متحدثاً عن عبيد الله رأس ملوكهم: كان زنديقاً خبيثاً، عدواً للإسلام، يتظاهر بالتشيع، حريصاً على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة، ونشأت ذريته على ذلك)[101]

ومن أخبث ملوكهم الحاكم بأمر الله. قال عنه المؤرخ ابن كثير رحمة الله:
كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً، كان يروم أن يدّعي الألوهية فكان قد أمر الرعية - إذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر -أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفاً إعظاماً لذكره، واحتراماً لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر خاصة إذا قاموا عند ذكره، خرّوا سجداً له، حتى أنه كان يسجد بسجودهم، مَنْ في الأسواق من الرعاع وغيرهم ممن كان لا يصلي الجمعة" [102]
وذكر أبو شامة: "أن الحاكم بأمر الله، أمر بكتابة سب الصحابة (رضي الله عنهم) على حيطان الجوامع والشوارع، وكتب إلى سائر المناطق بالسب والشتم، استمرت دولتهم (268) سنة في مصر وحدها. وكان وزراؤهم غالباً من اليهود والنصارى.
وكان موقف الدولة العبيدية من الغزو الصليبي مخزياً مجلّلاً بالخيانة والغدر للمسلمين.
"فقد شجعوا الصليبين على غزو بلاد الشام، ليساعدوهم ضد السلاجقة الأتراك السنة، بل إنهم أحسوا بالسعادة تغمرهم، عند زوال نفوذ السلاجقة عن بلاد الشام، ودليل ذلك، الاتفاقية التي عقدها الوزير العبيدي "الوزير الأفضل مع الصليبيين عندما وصلوا إنطاكية عام/ 491هـ، على أن تقسم البلاد بعد ذلك، بحيث يكون القسم الشمالي (سوريا) للصليبيين، والقسم الجنوبي "فلسطين"للفاطميين، وقد أرسل الصليبيون وفداً إلى القاهرة ليؤكد هذا التعاون" [103]
وكان الأفضل الجمالي قد أرسل إليهم وفداً مع هدايا نفيسة لكل واحد من قادة الصليبيين، ظناً منه أنهم ما زالوا على اتفاقهم معه، ولكن الصليبيين أهل غدر، فبعد أن احتلوا إنطاكية، تنصلوا من اتفاقياتهم مع العبيديين، وزحفوا نحو بيت المقدس، ومن ثم استولوا على سواحل لبنان وحاصروا طرابلس الشام [104]

(2) وقد انفصلت حركة أخرى عن الإسماعيلية أطلق عليها اسم "**الحشاشين**" بقيادة الحسن بن الصباح، جعل مركزها الأساسي "قلعة آلموت" في بلاد فارس، كان ذلك في أواخر القرن الخامس الهجري، بعد وفاة المستنصر العبيدي، وقد تعاونت هذه الحركة أيضاً مع الغزاة الصليبيين، واستولت على عدد من القلاع الحصينة في جبال لبنان وسواحل سوريا.
ومن أبرز تلك الحصون المنيعة: حصْن القدموس وحصن الكهف حصن مصياف، وقلاع المرقب وصهيون والعليقة [105]
وقد استمر حكم الحشاشين في آلموت وبلاد فارس إحدى وسبعين ومائة سنة ما بين سنة (483 و 654هـ)
ولعبت هذه الفرقة دوراً خبيثاً وشريراً في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، إذ كانت خناجر غادرة تطعن قادة الأمة من فقهاء وخلفاء ووزراء.
وكان نفوذهم قد اشتد في حلب ودمشق فترة من الزمن أيام والي دمشق "طغتكين" وابنه "تاج الملك بوري"، الذي أفرط وزيره "المزدقاني" في حماية الباطنية، ثم تآمر مع الصليبيين وعرض عليهم أن يسلمهم مدينة دمشق مقابل إعطائه هو والباطنيين مدينة صور بدلاً من دمشق، وأبرمت الاتفاقية وحدد أحد أيام الجمعة لتنفيذ المؤامرة.
وبينما كان المسلمون في المساجد يوم الجمعة، كشفت المؤامرة يوم التنفيذ، فقتل بوري وزيره الخائن، ونادى بقتل الباطنيين،فقتل منهم ستة آلاف نفس في منتصف شهر رمضان من عام 523هـ[106]

وقد بلغت حركة الحشاشين أوج قوتها في بلاد الشام، أيام وبقيادة داعي الدعاة الملقب بشيخ الجبل "راشد الدين بن سنان"
ابتداء من عام / 558 هـ "كان إذا خرج يتقدمه أحد فداويته حاملاً فأس حرب، وقد رشق كله بالخناجر، وكان يصيح بصوت مرتفع، أفسحوا الطريق أمام ذلك الذي يحمل مصارع الملوك في قبضته" "وكان شيخ الجبل يستخدم رجاله في قتل أعدائه، ويشترط فيهم التفاني في طاعته" [107]
وكان الاغتيال هو السلاح الوحيد الرهيب الذي استخدمه الباطنيون لتنفيذ أغراضهم والتخلص من خصومهم.
فقد اغتالوا عدداً من قادة المسلمين، من الوزراء والعلماء والولاة، كما اغتالوا الخليفة العباسي "المسترشد" وكان رحمه الله "عالماً تقياً فاضلاً بليغا عارفاً بالفتوى" وذلك عام / 529هـ كما اغتالوا ولده الخليفة الراشد من بعده في أصبهان في شهر رمضان/ 532هـ
ومن أقبح جرائمهم محاولاتهم لاغتيال صلاح الدين الأيوبي [108] مرتين في عامي / 570 و 571هـ، جرح في وجهه في إحداهما بينما كان في خيمته، وقتل الجناة مباشرة [109]
كما قتل الحشاشون ما يزيد عن أربعين رجلاً من القادة والأمراء والخلفاء والعلماء [110]
ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الباطنية:
"إنهم مرتدون عن دين الإسلام، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا بوجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج فإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد، فهم كفار باتفاق المسلمين " [111].
وقد أشاعوا الرعب والخوف في المجتمع الإسلامي، فكانوا يقطعون الطريق، ويعتدون على سكان القرى المجاورة، فيذبحونهم ويستولون على ما لديهم من مال ومتاع، ولم تسلم القوافل المارة بجوار قلاعهم من القتل والنهب، فأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم ولا أولادهم وأموالهم.
"وكان الرجل إذا أتخر عن بيته عن الوقت المعتاد، تيقّنَ أهله من قتله، وقعدوا للعزاء به، وصاروا لا ينفرد أحدهم في مسيره"[112].
كما أنه لم تسلم قوافل الحجاج من نهبهم وقتلهم في الصحراء، وازداد خوف الناس حتى صار كثير من العلماء والكتاب لا يتحدثون عنهم إلا بالتلميح والتورية، كي لا تنالهم أيدي الباطنية " [113].

وقد ازداد خطر الحشاشين، فوقف لهم أمراء المسلمين وقادتهم بالمرصاد، وحاولوا تخليص المسلمين من شرورهم، فحاصرهم صلاح الدين الأيوبي، وهدم كثيراً من حصونهم، وخرب عاصمتهم - قلعة مصياف -وأوسع الباطنية فيها قتلاً وأسراً وأخذ أبقارهم ودوابهم، وخرب ديارهم، وأتلف أشجارهم إلى أن شفع فيهم خاله صاحب حماة، بعد أن طلب منه شيخ الجبل التوسط والشفاعة.
واستمر خطرهم وازدادت شرورهم، حتى قيام دولة المماليك في مصر والشام، فحطم الظاهر بيبرس حصونهم، وقضى على فتنتهم، حتى دخلوا في طاعته عام / 664هـ، ثم صاروا يعتمدون على الزراعة في حياتهم.
وما تزال بقايا الإسماعيلية في سلمية والقدموس ومصياف وبانياس قرب الساحل السوري، حتى اليوم.
ويعمل معظمهم في القطاع الزراعي، وبعد الاستقلال تطوروا اقتصادياً واجتماعياً وخاصة في منطقة السلمية، أكبر بكثير من جيرانهم النصيريين، وشغل كثير منهم مناصب حكومية في مجال التعليم، وفي المهن الحرة.

وبعد تولي حزب البعث للسلطة/ 1963م، نزح كثير منهم إلى المدن الكبرى، وساهم عدد من قادتهم في حكم سوريا، وكان منهم بعض المؤسسين لحزب البعث، ويوجد عداء تقليدي بينهم وبين النصيريين، ومصادمات في جبال النصيرية ومنطقة اللاذقية [114].
وقد نشط في الآونة الأخيرة عدد من دعاة الإسماعيلية لنشر أفكارهم في البلاد العربية، من أبرزهم: مصطفى غالب وعارف تامر، اللذين ما فتئا يكتبان عن الإسماعيلية وعقائدها بمساعدة عدد من دور النشر اللبنانية، حتى وصل الأمر بهذين الكاتبين أن يصدرا الكتب التي تدافع عن حركة القرامطة والحشاشين، وجعلها في مصاف الحركات الثورية الاشتراكية.
كما امتد نشاطهم في السنوات الأخيرة إلى الولايات المتحدة، حيث فتحوا لهم مراكز ضخمة تنشر أهدافهم المريبة، وكانت بريطانيا قد شجعتهم خلال فترة الاستعمار على نشر دعوتهم، فتوغلوا في عدد من الأقطار الأفريقية والآسيوية [115].

(3)ويعتبر القرامطة: فرعاً من فروع الإسماعيلية، فهم ينتسبون إلى شخص يقال له: (حمدان بن الأشعث)، لقب بقرمط لقصر كان به.
ويجمع المؤرخون على أن حركة القرامطة هي خطوة من خطوات الإسماعيلية، التي كانت تتحرك وفق مخطط مدروس يستهدف إحداث الفوضى الاجتماعية الخطيرة.
وأول تلك الخطوات: كان عن طريق الثورة القرمطية في الكوفة وقد قام بها الحسين الأهوازي، بالمشاركة مع حمدان قرمط.
والثانية: كانت في اليمن عن طريق إقامة الدولة الصليحية هناك.
والثالثة: كانت بالمغرب حيث قام بها أبو عبد الله الشيعي، الذي مهد لقيام الدولة العبيدية في تلك البلاد [116]
وانتشرت دعوة القرامطة في البحرين "أي القطيف وما حولها" قاد الحركة فيها (أبو سعيد الجنابي) الفارسي الأصل، الذي قاد الجيوش لمحاربة الخليفة العباسي في بغداد، ثم حاصروا بقيادته دمشق وقتلوا كثيراً من سكانها، وتوجهوا بعها نحو بقية مدن الشام، فنشروا الرعب والخراب والدمار [117].

ومن أقبح جرائم القرامطة: هجومهم على مكة المكرمة بقيادة (أبو طاهر الجنابي)، حيث قتلوا كل من وجدوه في مكة والمسجد الحرام، وألقوا بجثث المسلمين في بئر زمزم، كان ذلك عام/ 317هـ [118].
ويحدثنا المؤرخ **ابن كثير** رحمه الله، عن هذه المجزرة البشعة فيقول: "قَتَل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر - لعنه الله - على باب الكعبة، والرجال تصرَّع حوله في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، وهو يقول: (أنا الله وبالله، أنا أنا، أخلق الخلق وأفنيهم أنا).
فكان الناس يفرون ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً، بل يقتلون وهم كذلك، ويقتلون في الطواف "[119]
ومن جرائم ذلك الخبيث، أنه هدم قبة زمزم، ثم أمر بقلع الحجر الأسود، فجاء رجل فضربه بمِعْثقل في يده، وقال :
أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟.!!
ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم (22 سنة) حتى ردوه عام/ 399 هـ، وكان القرامطة ممالئين للعبيديين - الفاطميين - وأميرهم الملقب بالمهدي" [120].

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الطائفة المارقة: "وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحاداً عظيماً، وأنهم من أعظم الملحدين فيه... ومعلوم أنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام "[121].

واستمر القرامطة يثيرون الفزع في نفوس المسلمين يتخذون لهم مظلة من حكم البويهيين - في بغداد وهم شيعة - وحكم العبيديين، حتى ضعف أمرهم على يد السلاجقة - الأتراك من أهل السنة -، إلا أنه خلف بعدهم فئات أخرى من الحشاشين وإسماعيلية مصر، فقاموا بدور الخيانة والتآمر مع الصليبيين منذ القرن الخامس الهجري.

وتعتبر حركة القرامطة هي التعبير الحي والفعلي للعقائد الإسماعيلية، ولذلك فقد أخذت على عاتقها تنفيذ كل تلك الأحلام التي كانت الإسماعيلية تحلم بها، وهي إيجاد مجتمع: يعتبر الدين خرافة والثواب والعقاب والمعاد أموراً لا تصدق، ويرون في اللذة والإباحية الملجأ الوحيد لهم [122].

والدليل على ذلك ما أورده عبد القاهر البغدادي من رسالة وجهها عبيد الله المهدي (مؤسس الدولة العبيدية) إلى سليمان بن سعيد "أبو سعيد الجنابي" مؤسس دولة القرامطة في البحرين، يقول فيها: "ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه... وإن الجنة نعيم الدنيا، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد... وأن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم"[123].

ومن المبادئ الهامة عند القرامطة، إفشاء شيوعية الأموال والفروج بين أتباعهم، لعلهم يستميلون إليهم بذلك غوغاء الناس.

ولما استقام الأمر لحمدان قرمط، أمر أتباعه، أن يجمعوا بين النساء في ليلة عينها لهم، بحيث يختلطن بالرجال حتى يتراكبْنَ ، وزعم أن هذا من صحة الود والألفة[124].

ويؤيد هذا ما أمر به أبو سعيد الجنابي أتباعه في دولة البحرين بإقامة ليلة سماها "ليلة الإفاضة"، يجتمع خلالها الرجال والنساء، وتطفأ الأنوار، ويُمارس الجنس دون التمييز بين المحلّلات والمحرمات [125].

ومما جاء في رسالة عبيد الله إلى أبي سعيد الجنابي حول هذه الإباحية قوله: "وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء، وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه، ويُنكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وابنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم "يقصد النبي صلى الله عليه وسلم" حرم عليهم الطيبات [126].

---

[93]ينظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد.

[94]ينظر: فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي/ ص 16 - 19.

والملل والنحل: للشهرستاني، جـ 2/ ص 5/ طبع دار المعرفة بيروت.

[95]ينظر: طائفة الإسماعيلية/ محمد كامل حسين/ ص23 - 24 مكتبة النهضة المصرية / 1958م.

[96]البداية والنهاية: لابن كثير، جـ 2 / 267/ دار الفكر/ بيروت/ 1398هـ.

[97]الفتاوى لابن تيمية: جـ 4/ 162، طبعة المغرب.

[98]تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص4- 6.

[99]الروضتين: جـ1، ق2/ ص 512، طبعة / 1962م، أبو شامة.

[100]ينظر: البداية والنهاية لابن كثير / جـ 11/ 277.
[101]الروضتين في أخبار الدولتين: جـ1/ ق2/ ص510، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة / 1962م.
[102]البداية والنهاية: جـ11/ ص336، طبعة دار الفكر/ بيروت.
[103]الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ 8/ 186، ط3، دار الكتاب العربي بيروت/ 1400هـ
وكانوا قد أرسلوا مع الوفد حمولة أربعة جياد من رؤوس قتلى السلاجقة من أهل السنة هدية لخليفة مصر فأبدى أفراد الوفد المصري سرورهم البالغ بذلك المشهد.
ينظر أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين / ص 141.
[104]أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين/م ص140.
[105]ينظر: الكامل في التاريخ جـ 8/ ص 200 – 203، طبعة بيروت / 1400هـ ولقبوا بالحشاشين لتناولهم الحشيش المخدر على أرجح الآراء.
[106]الكامل في التاريخ لابن الأثير: جـ 8/ 328 ، 329 حوادث سنة 523هـ.
[107]حياة صلاح الدين: محمود شلبي/ ص16 - 17، طبعة دار الجيل/ بيروت 1400هـ.
[108]ينظر: الروضتين: أبو شامة ، جـ1/ ص 31، طبعة بيروت والكامل: جـ 8 ص 348.
[109]أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد/ ص244، وفيه تفصيل عن تلك المحاولات فليرجع إليها من أحب الزيادة.
[110]ينظر:تفصيلاً في ذكر الأسماء وتاريخ الاغتيال المرجع السابق/ ص 197 - 218.
[111]الفتاوى: جـ 35 / 161.
[112]الكامل في التاريخ/ جـ 8/ ص 200.
[113]أثر الحركات الباطنية/ ص 221 - 224.
[114]الصراع على السلطة في سوريا/ ص 32.
[115]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب ص 82.
[116]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص 137.
[117]الكامل في التاريخ: لابن الأثير/ جـ6/ 104 - 105.
[118]المرجع السابق/ جـ6 / ص 180.
[119]البداية والنهاية: جـ11/ 160/ طبعة دار الفكر بيروت/ 1976م.
[120]البداية والنهاية لابن كثير/ جـ11/ ص 162.
[121]المرجع السابق ونفس الصفحة والجزء.
[122]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص 159.
[123]الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي/ ص 294 - 295، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة محمد علي صبيح/ القاهرة.
[124]تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان وابن العديم/ ص100/.
[125]الإسماعليون في المرحلة القرمطية: إسماعيل عياش / ص 239 نقلاً عن الحركات الباطنية للدكتور محمد الخطيب / ص 615.
[126]الفرق بين الفرق/ البغدادي/ ص 297.

المبحث الثاني : معتقدات الإسماعيلية

للإسماعيلية عقائد وضلالات، تأثرت بها فرق باطنية متعددة، وقد تميزت بأحقاد وانحرافات، وأشاعت الرعب والضلال خلال تاريخها الطويل.
وإن استقصاء معتقداتها وفكرها أمر يطول، لأنه متأثر بمعضلات الفلاسفة، وترهات الزنادقة والأديان الوثنية، وسنكتفي بالخطوط العريضة لمعتقدات هذه الطائفة بالقدر الذي يحتاج إليه القارئ المسلم في هذا العصر، ومن شاء الاستزادة فكتب الفرق زاخرة بأخبارها وعقائدها وطرائق دعاتها....
على أنّ أبرز تلك المعتقدات يتخلص في الحديث عن:

1- عقيدتهم في الألوهية والتوحيد.
2- إنكار النبوة والوحي والرسالة.
3- عقيدتهم في الولاية وأئمة الستر وعصمتهم.
4- انكارهم لليوم الآخر والبعث والحساب.
5- التأويلات الباطنة لأركان الإسلام.
6- طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة.

(1)
1عقيدتهم في الألوهية والتوحيد:

تذهب الإسماعيلية في عقائدها دائماً إلى النفي المطلق للصفات عن الله، مع إنكار أية صفة عنه (سبحانه وتعالى)، من تلك التي وصف بها نفسه في القرآن الكريم لأنه تعالى - كما يزعمون - فوق متناول العقل، والعقل عاجز عن إدراك كنهه.
والإسماعيلية بعد أنْ تجرد الله عز وجل من جميع أسمائه وصفاته، تحوّ لها إلى أول مبدع أبدعه الله تعالى، وهو كما يزعمون: العقل الأول[1].
فالخالق عندهم هو العقل الكل والنفس الكلية، وإذا ذكر الله عندهم، فالمقصود هو العقل الكلي، ومن هنا كان الاهتمام الكبير لدعاة الإسماعيلية في هذا الموضوع الفلسفي المعقد.
والإمام الإسماعيلي هو ممثل العقل الكلي، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد؟.!!
وعلى ضوء ذلك قال ابن هانئ الأندلسي في مدح المعز لدين الله العبيدي:
ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهار [2].
والإسماعيلية يعتقدون بوجود إلهين صانعين لهذا العالم، أحدهما علة لوجود الآخر، وهما السابق والتالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي.
وهذا الاعتقاد من المقالات الموجبة للتكفير يقول أبو حامد الغزالي: "أما القول بإلهين فكفر صريح لا يتوقف فيه أحد"[3].

(2)
عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة [4]

الوحي عند الإسماعيلية بعيد كل البعد عن الحقائق والأخبار التي وردتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم يرون أن العقل وليس الله هو مدبر هذا الكون، وهو الذي يرسل الوحي إلى الأنبياء، وعلى هذا فهم يزعمون "أن الوحي هو ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبلهُ العقل من أمر باريه"[5].

ويزعمون أنه ينبغي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إلى مرتبة النبوة، أن يمر بمرتبة الولي أو "الولاية"، لأنه يجمع في نفسه الصفات الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة [6]
وقد استنكر الإسماعيليون ما ذهب إليه أهل السنة في تفسيرهم الظاهري لقصص الأنبياء ومعجزاتهم، وعملوا على تأويلها بما لا يتفق في كثير ولا قليل مع ما هو معروف، وادّعوا أن المعجزات ليست خاصة بالأنبياء فقط، وإنما تصح أيضاً من الأوصياء والأئمة، ومعجزة هؤلاء هي علوم الباطن، التي اختصوا بها دون غيرهم من البشر [7].
ومن أهم معتقداتهم في النبوة زعمهم أن الناطق الأخير، كان "محمد بن إسماعيل" ومما لا شك فيه أن اعتقادهم هذا، عند المسلمين، وهي أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء والمرسلين [8]

(3)

عقيدتهم في الولاية وأئمة السّتر وعصمتهم [9]:

الإمامة هي المحور الأساسي، الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية، لأن ولاية الإمام، هي الركن الأساسي لجميع أركان الدين - حسب زعمهم-.
ويعتقد الإسماعيليون، أن للإسلام دعائم سبعاً "غيرها لا يكون الإنسان مسلماً مؤمناً، أولها الولاية، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد "[10]

حتى أنهم جعلوا الولاية هي ماسِكُ الجميع ورابطه، والمانع من اختلاله، فإذا بطلت من الدين ولاية الوصي والأئمة، بطلت الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، وعاد الدين جاهلية، فالولاية من الدين هي العمدة والأساس [11]

فالولاية عند الإسماعيليين هي اعتقاد وصاية علي رضي الله عنه، وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ووجوب طاعتهم وطاعة الله مقترنة بطاعتهم، ولن يقبل الله من مطيع طاعة إلا بطاعة أوليائه الذين هم الأئمة من آل البيت [12]

ولذلك لا نجد كتاباً من كتبهم يخلو من حديث طويل عن طاعة الأئمة.. قال القاضي النعمان مفكرهم المعروف:
"الأئمة فوق الخلق، بما لا يُدرك به علماً ."
وليست عقيدة الولاية والإمامة خاصة بالإسماعيليين، بل هي من عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم، قال بها الغلاة، كما قال بها غيرهم، وما الإسماعيلية إلا فرع من فروع غلاة الشيعة.
وقد جعلت الحركة الإسماعيلية للأئمة صفات لا تمت إلى البشرية بصلة، من حيث تعظيم الإمام وتقديسه.
"كما يعتقد الإسماعيليون أن الدين وعلومه، وقف على الأئمة من أهل البيت، وأن هذه العلوم هي علوم الباطن، وأن استخلاص الباطن من الظاهر من اختصاص الأئمة فقط، لأنهم وحدهم، أصحاب علم الباطن "[13]

ومن المعروف أن الإسماعيلية وبقية الفرق الباطنية، تتخذ من تعظيم آل البيت، والتظاهر بحبهم، شعاراً لخداع العامة وجذبهم إلى ضلالاتهم، لأنهم يعلمون مدى حب المسلمين لآل بيت النبوة.

(4)

عقيدتهم في اليوم الآخر والبعث والحساب [14]:

إن كتب الإسماعيلية التي كتبت في دَوْر الستر أنكرت البعث والحساب، كما أنكرت الجنة والنار، وقالت بتناسخ الأرواح، وأن القيامة تعني عودة الروح إلى مبدئها، أي إلى النفس الكلية، وهذا يعني إبطال مبدأ العقاب والثواب والجنة والنار، لأن العقاب عندهم هو الآلام والأوجاع التي تراها الروح في تقلبها في الأجسام والأقمصة المختلفة أي "التقمص" أما الثواب فهو اللذات التي يأخذها المؤمن من مراتب العلوم [15]

فنعيم الجنة ولذاتها عندهم، عبارة عن لذات معنوية وليست حية، وبذلك فلا جنة ولا نار في نحلتهم.

(5)

التأويل الباطني لأركان الإسلام [16]:

التأويل الباطني للنصوص الشرعية، يعتبر دعامة رئيسية في عقائد الإسماعيلية، فهم يرون أنّ الله قد خص به علياً رضي الله عنه فكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خُصّ بالتنزيل، فكذلك قد خُصّ علي بالتأويل.

وتزعم الإسماعيلية أن هذا التأويل، قد تسلسل في الأئمة من عقب علي، وهم الذين أشار إليهم قوله تعالى: {والراسخون في العلم} (آل عمران: 7)

وتزعم الإسماعيلية كذلك: "أن أسرار الدين متوقفة على تعليم الأئمة من نسل السيدة فاطمة الزهراء، وهم الكواكب والنجوم والمصابيح، ترسل نور المعرفة إلى قلوب أتباعهم"...[17].

ويزعم الإسماعيليون كذلك أن لديهم كتاباً توارثوه عن علي رضي الله عنه، يسمونه "الجفر"، وينسبونه إلى جعفر الصادق رحمه الله، ويعتقدون أن علياً هو الذي وضع أصوله، حتى يبقى علم التأويل بالباطن في سلالته، ويتناول (الجفر) بزعمهم العلوم الغيبية والباطنية التي أورثها علي لذريته.

وبما أن الإسماعيليين يزعمون بأن لكل ظاهر باطناً، لذلك فقد أوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن، وكفّروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن فمَنْ عمل بالباطن والظاهر فهو منّا، ومَنْ عمل بالظاهر دون الباطن، فالكلب خير منه، وليس منا "[18]

والغرض النهائي عندهم من تأويل الأحكام الشرعية، يقوم على ترجمة القرآن إلى لغة عقيدتهم، وكأن عقيدة الإسماعيلية منذ البداية مصوغة بمنأى عن القرآن والسنة [19]

(6)

طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة [20]:

المذهب الإسماعيلي مذهب سري باطني، يقوم على القول بالباطن والعمل بالتقية، لأن العلوم الباطنية - التي يزعمونها -سرٌّ مصون لا يجوز البوح بها إلا لأهلها "فلا يحملها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان "[21]

ولذلك كان دعاة الإسماعيلية في غاية المكر والمراوغة، يراعونَ في أقوالهم درجة سامعيهم العقلية وعلاقتهم بالأيان، وخاصة بالإسلام، وينظرون إلى قوميات المدعوّين وميولهم السياسية، فيخاطبون كلاً منهم بلسانه..

وقد فصل الإمام الغزالي الحديث في حيلهم وطرائقهم، لاصطياد أتباعهم بعد تشكيكهم بدينهم ثم سلخهم عن عقيدتهم [22]

والمطلع على أساليب الماسونية في العصر الحاضر وطرق الدخول فيها، يجد تشابهاً واضحاً بينها وبين الحركات الباطنية، ويمكننا أن نرد الشبه إلى اليهودية العالمية، التي استطاعت أن توجد الباطنية قديماً والماسونية ومؤسساتها المختلفة في العصر الحديث [23]

---

[1]ينظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب/ ص 85 - 86، وص 88.
[2]المرجع السابق و نفس الصفحة.
[3]فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي/ ص 151.
[4]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص 96 - 99.
[5]تاج العقائد ومعدن الفوائد: علي بن محمد الوليد/ ص47، تحقيق: عارف تامر/ دار المشرق - بيروت / 1967م.
[6]مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي، جـ 2/ 294 - دار العلم للملايين - بيروت / 1973م.
[7]ديوان المؤيد في الدين: تحقيق محمد كامل حسين / ص 136، نقلاً عن الحركات الباطنية / للخطيب/ ص 97.
[8]الحركات الباطنية: د. محمد أحمد الخطيب/ ص99.
[9]ينظر: الحركات الباطنية: د. محمد أحمد الخطيب/ ص100 - 110.
[10]دعائم الإسلام: القاضي النعمان التميمي، جـ 1/ ص 8، دار المعارف بمصر.
[11]ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/ تحقيق محمد كامل حسين (ص 70 - 71)
[12]المرجع السابق ونفس الصفحات.
[13]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص 103.
[14]ينظر المرجع السابق/ ص 111 - 117.
[15]أربع مسائل إسماعيلية، تحقيق عارف تامر، الرسالة الثالثة ص 70.
[16]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي / ص 130 - 133.
[17]الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية: محمد حسن الأعظمي ص 24 والحركات الباطنية للخطيب/ ص 130.
[18]ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين ص 105 - 106.
[19]الحركات الباطنية للخطيب / ص 133.
[20]ينظر المرجع السابق/ ص 118 وما بعدها حتى ص 128.
[21]أربع رسائل إسماعيلية: تحقيق عارف تامر، الرسالة الأولى ص 16.
[22]ينظر فضائح الباطنية للغزالي/ ص 21 - 22.
[23]الحركات الباطنية للخطيب/ ص129. بإيجاز.

الفصل الثاني:طائفة الدروز نشأةً واعتقاداً

- **المبحث الأول**: نشأة المذهب الدرزي وعلاقته بالإسماعيلية
- **المبحث الثاني**: معتقدات الدروز
  - إيمانهم بألوهية الحاكم بأمر الله
  - إيمانهم بالتقمص وتناسخ الأرواح
  - إنكارهم لليوم الآخر وللحساب والجنة والنار
  - إسقاطهم لأركان الإسلام
  - عقيدتهم في الأنبياء
  - نظام الخلوات وتسترهم على عقائدهم
  - فتاوى العلماء في تكفيرهم
- **المبحث الثالث**:الدروز عَبْر التاريخ

الفصل الثاني :
طائفة الدروز نشأة واعتقاداً

المبحث الأول: نشأة المذهب الدرزي وعلاقته بالإسماعيلية.

طائفة الدروز طائفة باطنية، وهي من الطوائف الكبرى التي انشقت عن الإسماعيلية في عصرها العبيدي، واتخذت لها مبادئ تخالف في ظاهرها مبادئ الإسماعيلية، وإن كانت تتفق معها في جوهرها.
والدروز يقيمون الآن في عدة مناطق من بلاد الشام، في الشوف (لبنان) وجبل حوران، وفي هضبة الجولان، وشمالي فلسطين، وحوالي 90% من دروز سوريا يعيشون في جنوبها، وبالذات في محافظة السويداء، ومعظمهم يعيشون على الزراعة، ومعظم الدروز اليوم في سوريا، كانوا قد هاجروا من لبنان وفلسطين وحلب خلال القرنين السابع عشر، والتاسع عشر[24]
والدروز يزعمون أنهم من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية في الجاهلية إلى وادي التيم "الشوف"، واعتنقوا الإسلام هناك، وانتشر المذهب الإسماعيلي بينهم بعد ذلك أيام الدولة العبيدية، وكان لاعتناقهم هذا المذهب أثر كبير في سرعة استجابتهم لمذهب الدروز فيما بعد.
فعقيدة الدروز في الحقيقة هي جزء مهم من عقيدة وتاريخ الإسماعيلية في عصرها العبيدي، أيام الحاكم بأمر الله الذي يؤلهه الدروز، وكان قد أنشأ مركزاً لإعداد الدعاة الإسماعيليين سماه "دار الحكمة" استقطب إليها دعاة الإسماعيلية من كل مكان[25].
وقد احتشد في دار الحكمة طائفة من دعاة الإسماعيلية الملاحدة، والتفوا حول الحاكم بأمر الله، وزينوا له فكرة "ألوهيته" التي كانت تعتلج في نفسه، مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها ويرقب تطوراتها ويشجع دعاتها [26]
وكان الحاكم العبيدي (سادس الخلفاء العبيديين) لمصر يمهد لفكرة الألوهية، وأمر الخطباء أن يقرأوا بدل البسملة "باسم الله الحاكم المحيي المميت"، وأنشأ يدعي علم المغيبات[27]
يقول السيوطي: إنّ الحاكم أمَرَ الرعية، إذا ذكره الخطيب على المنبر، أن يقوموا له على أقدامهم صفوفاً، إعظاماً لذكره واحتراماً لاسمه... وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرُّوا له سجَّداً، وكان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً، كثيرا لتلون في أقواله وأفعاله"[28].
وكان موقف الحاكم من أركان الإسلام وأحكامه متناقضاً مضطرباً، فقد أمر عام/ 400هـ، بإلغاء الزكاة، وأعيدت صلاة التراويح بعد أن منعها عشرين سنة، وأراد تعديل بعض أحكام الحج الذي كان قد أمر بإلغائه في بعض السنوات"[29]

وكان قد أمر بسب الصحابة، وكتب ذلك على أبواب المساجد والحوانيت والمقابر [30]
كان - كما يصفه المؤرخون غريب الأطوار ومستبداً متقلباً، لبس الصوف الخشن تنسكاً وقنوتاً سبع سنوات، وأنار الشموع ليلاً ونهاراً سبع سنوات، وألزم نساء القاهرة بيتهن سبع سنوات... ونهى عن أكل الملوخية، وحرّم الجرجير على الناس "...[31]
وكان الحاكم بأمر الله شغوفاً بالليل، يسير في شطر كبير منه في الأزقة والشوارع، وكان قد أطلق شعره حتى تدلى على أكتافه، وأطلق أظافره.
ومن شواذه أنه كان يؤثر ركوب الحمير، ولا سيما الشهباء منها، ويطوف بها في شوارع القاهرة...

وصارت أفعاله المتناقضة هذه من صلب عقيدة الدروز، الدالة على ألوهيته، لأن لها ظاهراً وباطناً، والمعروف للإنسان العادي هو الظاهر فقط من تلك الأفعال، أما باطنها فهو من اختصاص الدروز وحدهم [32] .وهكذا يزعمون.

وقد بدأت الدعوة الجهرية (بشكل واضح) لألوهية الحاكم عام/ 408هـ، على يد ثلاثة من دعاة الإسماعيلية وهم:

حمزة بن علي الزوزني، ومحمد بن إسماعيل الدَّرَزي المعروف بـ "نشتكين"، والحسن بن حيدرة الفرغاني "الأخرم"، وكانت هذه الدعوة موجودة بشكل سري منذ عام/ 400هـ [33]

يقول مصطفى غالب الكاتب الإسماعيلي المعاصر:

"كان حمزة بن علي الزوزني: هو المؤسس الرئيسي لمذهب الدروز، بعد أن استطاع إبعاد منافسه اللدود محمد بن إسماعيل الدرزي.

وكان حمزة بن علي قد وفد على مصر سنة/ 405هـ، وانتظم في سلك رعاة الفرس، الذين كانوا يترددون على دار الحكمة لحضور مجالس الحكمة التأويلية، وما لبث أن أصبح ممثلاً لدعاة الفرس، وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم. بأمر الله.

ويضيف قائلاً :لقد أصبحت له حظْوة عند الحاكم بعدما أظهره من إخلاص، وبما ساهم به من مساهمة فعالة في خوض غمار الجدل الديني، وفلسفة المذهب الذي يبشر به.

واستطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة، ويتفقون سراً، على الدعوة إلى تأليه الحاكم بأمر الله، معتمداً في دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الإسماعيلية"[34]

كان حمزة بن علي هذا، من أعظم دعاة الحاكم الذي كان يؤثره على جميع عشيرته، وكان صاحب الرسائل والمكاتبات عنده[35].

كان حمزة فارسياً، ولد بمدينة "زوزن" في خراسان من بلاد فارس سنة/ 375هـ مساء الخميس في 23/ ربيع الأول/ وهو اليوم والتاريخ الذي ولد فيه الحاكم العبيدي بمصر، ولذلك فإن الدروز يقيمون الصلاة الأسبوعية مساء كل خميس[36].

"وكان حمزة قد قدم إلى مصر في العشرين من عمره، وتبع الحاكم وصار يلقب (بالفاطمي)، بعد أن كان "الزوزني"، وبظهور حمزة بن علي بن أحمد، بدأت الدعوة (التوحيدية) وبها بدأ تاريخ الدروز، سنة/ 408هـ" [37].

وبدأ الصراع بين دعاة الدروز مع الشعب السني بمصر.

فعندما جهر (نشتكين الدرزي) بالدعوة وكشف أسرارها عام/ 407هـ، غضب عليه حمزة، وكاد الدرزي يقتل بمصر فهرّبه الحاكم إلى الشام، إلى وادي التيم في لبنان، وهناك دعا إلى المذهب الجديد.

وكان نشتكين قد أثار نقمة "الموحدين" لأنه أدخل التحريف والتشويه على رسائل (حمزة) بقصد التنفير والاستعداء... فتخلص حمزة منه ومن أصحابه معاً، حيث أعلن حمزة نبأ مقتلهم سنة/ 410هـ [38].

أما حسن الأخرم الفرغاني، فقد قتل بينما كان يسير في القاهرة، قتله رجل من أهل السنة.

يقول أبو المحاسن في كتابه: "النجوم الزاهرة في ثورة/ 409هـ:

إنّ حسن الأخرم، لما أعلن لأول مرة ألوهية الحاكم، ثار عليه الناس، وظلوا يتعقبونه حتى قبضوا عليه وقتلوه، وحل محله في تلك السنة الدَّرَزي، الذي اضطر هو بدوره، إلى الخروج من مصر إلى بلاد الشام بعد خلافه مع حمزة حيث قتل هناك"[39].

لقد كان حمزة يتخلص من خصومه واحداً بعد الآخر، بأسلوب باطني خبيث، حتى أنه كان يحذر من (ابن البربرية) المدعي للإمامة، وهو علي ولي العهد، والذي ينكر حمزة أنه ابن الحاكم بأمر الله، وكان ينهى المستجيبين عن أن يقولوا بأن الحاكم أبوه، وقد تولى الخلافة بعد الحاكم

"أبيه"، وينعته بهاء الدين - أحد دعاتهم - في الرسالة (76) بأنه المعتوه المدعي لمنزلة الإمام المسيح.. النغل الشيطان ابن البربرية[40]
وكان حمزة قد انفرد بزعامة المذهب، وجهر بالدعوة وبنفسه عام/ 408هـ، فثار أهل مصر على الدعاة الملحدين ثورة شديدة، ساعدهم فيها الجند الأتراك، فاختفى حمزة عن الناس سنة/ 409، وكان يراسل أعوانه الدعاة، ليقوموا بنشر الدعوة سراً، ويسمى ذلك بالغيبة وأنها سنة "المحنة" أو الامتحان والعذاب، وكان يصدر الأوامر من معتكفه السّري.

واستغرق نشاط حمزة بدعوته الظاهرة ثلاث سنوات هي:
(408، 410، 411هـ) وكان اختفاؤه بموافقة الحاكم وأمره، وكان ينتقل خلال تلك الفترة/ 409هـ خفية، تجنباً لثورة الناس عليه، فالشعب كان يثور على كل انحراف عن السنة[41].
وكان الحاكم يشجع هؤلاء الدعاة مادياً ومعنوياً، ولذلك فالدروز - الآن - يعتبرون إنكار صلة الحاكم بالمذهب، تقويضاً لمعتقدهم ومذهبهم[42].
وكان حمزة يعين معاونيه "الحدود الأربعة" بموجب مرسوم تعيين يسمى (التقليدي)، أي تقليد السلطة، من ذلك تقليد "إسماعيل التميمي، ومحمد القرشي، والمقتني..."، وكان المقتنى بعده، هو الذي يعين معاونيه من الدعاة".
وكان حمزة يقسم جهاز الدعوة إلى مناطق تشمل أنحاء العالم الإسلامي كله [43].
هذه نبذة موجزة عن نشأة الدروز وعلاقتهم بالمذهب الإسماعيلي.
أما معتقداتهم فقد ظهرت في أجواء إلحادية منحرفة، هي عقائد الإسماعيلية، لذلك قلنا بأن عقيدة الدروز لم تخرج في جوهرها عن جوهر المذهب الإسماعيلي، الذي لم يكن مكشوفاً لعامة الناس آنذاك
ولعل الحاكم حينما أعلن مذهبه، كان يرى أن الوقت قد حان للكشف عن العقائد البالغة السرية، في حين خالفه آخرون من رجال الدولة الفاطمية - العبيدية -ولذلك دُبّرت مؤامرة للتخلص منه، قتل غيلة بتدبير من أخته "ست الملك"[44].
ولما تأكد للناس مقتل الحاكم، سارع دعاة تأليهه إلى الزعم بأنه لم يقتل ولم يمت، ولكنه اختفى أو ارتفع إلى السماء، وسيعود عندما تحل الساعة - القيامة -فيملأ الأرض عدلاً ...
ويبدو أن مقتل الحاكم قد أخاف "حمزة الزوزني" فاختفى عن الأنظار عاماً، ثم هرب إلى بلاد الشام، حيث يكثر أتباعه في وادي التيم خاصة، وبقي مختفياً حتى هلاكه هنالك .[45]
وكان حمزة قد كتب رسالة سماها "السجل المعلق" بعد وفاة الحاكم، علقها على أبواب الجامع الكبير في مصر وفيها يقول: "إن الحاكم اختفى امتحاناً لإيمان المؤمنين"، وشرع يزرع في القلوب بذور الاعتقاد بألوهية الحاكم وتوحيده ثم عبادته، وتجمع هو وأتباعه في معبد سري، حتى ثار عليهم المسلمون وطردوهم، ففروا من مصر إلى الشام.
ويعتبر حمزة مقدساً عند الدروز، ويلقبونه بهادي المستجيبين وحجة القائم، وغير ذلك من ألقاب.
ولذلك فالدروز ينكرون نسبتهم إلى "نشتكين الدرزي" ويقدسون رسائل حمزة بن علي، كما أنهم يقدسون صاحبها ويحبون أن يُدْعوا "بالموحدّين"[46].

---

[24]الصراع على السلطة في سوريا/ ص 30، ومجلة الدعوة المصرية العدد (70).
[25]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص 199 - 201، محمد أحمد الخطيب.

[26]تاريخ الدولة الفاطمية: د. حسن إبراهيم حسن / ص 355 مكتبة النهضة المصرية/ 1958م.
[27]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ 6/ 263، دار العلم للملايين/ بيروت.
[28]البداية والنهاية: لابن كثير/ جـ 12/ ص9، طبعة دار الفكر/ بيروت.
[29]الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية: محمد عبد الله عنان/ ص76 طبعة القاهرة/ 1973م.
[30]المرجع السابق ص 78.
[31]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص 106، دار المعارف بمصر/ 1965م.
[32]الحركات الباطنية: د. محمد أحمد الخطيب/ ص207.
[33]طائفة الدروز: محمد كامل حسين/ ص75، طبعة دار المعارف بمصر/ 1962م.
[34]الحركات الباطنية في الإسلام: مصطفى غالب/ ص 241، دار الكاتب العربي/ بيروت.
[35]خطط الشام: محمد كرد علي/ ص263، الجزء السادس.
[36]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص123.
[37]المرجع السابق/ ص123 - 124، لعبد الله النجار.
[38]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص114.
[39]النجوم الزاهرة: جـ4/ 183.
[40]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص126.
[41]مذهب الدروز والتوحيد: ص115، 117، 123 - 124.
[42]أضواء على مسلك التوحيد: د.سامي مكارم/ ص 72- 73/ دار صادر - بيروت/ 1966م.
[43]مذهب الدروز والتوحيد: / ص127، عبد الله النجار.
[44]ينظر: مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، مجلد 2/ ص 609.
[45]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص214 - 215.
[46]خطط الشام: محمد كرد علي/ جـ6 - ص 264.

المبحث الثاني : عقائد الدروز

يتميز الدروز بمعتقداتهم الباطنية السرية، الموغلة في سريتها، وهم يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله وبرجعته آخر الزمان، وينكرون الأنبياء والرسل، وينسبون (مع كل هذا) أنفسهم إلى الإسلام حيث يتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون، لأنهم عاشوا في وسط إسلامي ودول إسلامية.
ويتظاهر الدروز أمام النصارى أيضاً بأنهم قريبون منهم، لأن السيد المسيح في نظرهم، هو حمزة بن علي...
ويتظاهرون كذلك بالتقرب إلى اليهود وخاصة في العصر الحديث، كما يحج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند، متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.[47]
"والحقيقة أن الدروز يخالفون عقائد الفرق الأخرى من أرباب الديانات، ويتظاهرون بالتبعية لمن يكونون تبعاً له، أما في الباطن فإنهم ينكرون الأنبياء وينسبونهم إلى الجهل، ويشنعون بالطعن على جميع أتباع الديانات من المسلمين واليهود والنصارى، والديانة الحقة عندهم، هي توحيد الحاكم بأمر الله.[48] "
فالدروز يبغضون (في الباطن) أبناء الديانات الأخرى ولا سيما المسلمين، ويستبيحون دماءهم وأموالهم، ولا يأخذون بشيء من أحكام الإسلام، بل ينكرنها كما ينكرون أحكام الشريعة وأركان الإسلام، كما سنلاحظ ذلك في المباحث التالية.

---

[47]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص16، د. محمد الخطيب.
[48]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ6/ ص264 - 265.

(1): إيمان الدروز بألوهية الحاكم بأمر الله:

العقيدة الرئيسية التي يركز عليها الدروز وحمزة بن علي، ونجدها في رسائله ورسائل غيره من دعاة المذهب، هي ألوهية الحاكم بأمر الله، باعتبار أن له حقيقة لاهوتية، لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام ولا تعرف بالرأي والقياس، لأن هذا اللاهوت ليس له مكان ولكن لا يخلو منه مكان؟! وليس بظاهر، كما أنه ليس بباطن [49] يقول الدكتور محمد كامل حسين: "إن ذكر التوحيد في رسائل الدروز وحديثهم عن لاهوتية المعبود، يتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في كتب الدعوة الإسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى مثل كتاب "راحة العقل" لأحمد حميد الكرماني الذي كان معاصراً لحمزة بن علي".[50]

أما لماذا ظهر اللاهوت بصورة الإنسان أي الحاكم بأمر الله، فيجيب ضالهم الكبير حمزة عن ذلك بقوله: "لكنه سبحانه أظهر لنا حجابه الذي هو محتجب فيه، ومقامه الذي ينطق منه، ليعُبدَ موجوداً ظاهراً، رحمة منه لهم، ورأفة عليهم؟! فتكون العبادة في كل زمان لذلك المقام الذي نراه ونشاهده - الحاكم - ونسمع كلامه ونخاطبه"[51].

"ولما كان العبيد عاجزين عن النظر إلى باريهم، إلا من حيث هم وفي صورهم البشرية، أو حببت الحكمة والعدل، أن يتسمى بأسمائهم حتى يدركوا بعض حقائقه "[52].

ويزيد أحد دعاتهم "بهاء الدين" الأمر وضوحاً بقوله:

"جميع العالم على شك والشك هو الكفر، لأنهم يعبدون من لا يَسمْع ولا يُسْمِع، وأن المولى عادل، وأي عدل يقتضي أن يجلس المولى على كرسي فوق سبع سماوات، كما يزعم المشركون؟! فنعوذ بالمولى أن ننسبه إلى أنه احتجب بهذه الحجب، ثم كلفنا مع ذلك بعبادته ومعرفته، بل ظهر الله في هذه الصورة الناسوتية التي تشاكلنا من حيث المجانسة والمقابلة، وهذا هو العدل... ولما صح عند ذوي العلم والفهم أن ابن آدم هو أفضل الأشياء كلها، وجب أن يحجتب الباري جلت قدرته في أجل الأشياء"[53].

فالدروز يؤمنون بظهور الله في شخص إنسان، لأنّ الإنسان في نظرهم الأوْلى ليحتجب الله في صورته بصفته أفضل المخلوقات، وبما أن الحاكم بأمر الله هو الصورة الناسوتية الأخيرة لله - كما يزعمون - فهم لذلك يعبدونه ويقدسونه، وينتظرون ظهوره بعد غيبته - أو مقتله - وهذا المعتقد هو المرتكز الأساسي الذي تقوم عليه عقيدة الدروز.

و (ميثاق ولي الزمان) يعبر تعبيراً واضحاً عن حقيقة هذه العبادة وتلك الضلالة، وعبادتهم لا تتم ولا تقبل إلا بعد أن يتبرأ الإنسان من كل الأديان والمعتقدات الأخرى، وهذا العهد كان قد وضعه حمزة بن علي الزوزني ليؤخذ على كل من يدخل في المذهب الدرزي بصفته هو الدين الجديد.

والدروز يقولون: إن الهوية الإلهية تنتقل من قالب لتحل في قالب آخر في كل عصر، فتتجلى في كل زمن بصورة، وقد تجلت أخيراً في الحاكم بأمر الله.

وأن حمزة ظهر كذلك في كل عصر بقالب، ففي زمان كان شعيباً وفي زمان كان سليمان بن داود، وفي زمان آخر كان المسيح الحق، فهو النبي الكريم عند الدروز، أما حمزة العصر المحمدي فهو سلمان الفارسي، وأنه هو كلامه، وأن محمداً أخذه وتلقاه عنه"[54].

وفيما يلي نص ميثاق ولي الزمان:[55]

إذا أراد أحد من جهال الدروز الدخول في سلك الموحدين أي الدروز، ينبغي أن يستجلب رضى المشايخ أولاً، ثم يوصى بحفظ السر وتحرير العهد على نفسه، ليصير واحداً منهم وصورة هذا العهد - الميثاق - كالتالي:

"توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والولد، من لا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، أقرّ فلان بن فلان طائعاً غير مكره ولا مجبر، أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقدات، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره؟!

وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده، وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله... ومن أقر أنه ليس في السماء إله معبود ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره، كان من الموحدين الفائزين؟!!

كتب في شهر كذا وكذا، في سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا جل ذكره."

"عن الميثاق بإيجاز"وكان حمزة قد وضع لأتباعه تقويماً خاصاً بهم، يسمى الآن عند الدروز (تقويم حمزة) وتبدأ السنة الأولى في هذا التقويم في عام/ 408هـ، والتي كان فيها إظهار الدعوة لتأليه الحاكم[56].

ولا يزال الدروز يأخذون بهذا الميثاق حتى الآن، حيث يقسم به الجاهل منهم حين دخوله في سلك العقال، وقد ورد هذا الميثاق في مصحف (المنفرد بذاته) المعتمد عند الدروز، وزاد عليه الزعيم الدرزي كمال جنبلاط فقرات سماها (بالعهد)، ونصوصه تؤكد بقاء هذه العقيدة في نفوس الدروز، وهي عبوديتهم للحاكم حتى اليوم ومن هذا العهد أن يقول الدرزي: "آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى، رب المشرقين ورب المغربين.. فقد أوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي وأنني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هو في السماء إله وفي الأرض إله... أنني قد برأت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات"...[57] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ورغم ذلك كله ينفي الدروز الآن ظاهراً، تأليه الحاكم عن معتقدهم مع أنهم يؤكدونه في مجالسهم الخاصة وفي خلواتهم...

وهاهو الأستاذ عبد الله النجار "وهو واحد منهم"، يرد على أبناء جلدته فيقول: "وإني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات، لأني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة: أن أم الحاكم كانت صقلية، إذ قال لي: 'إن الحاكم لا أم له، مردداً ما جاء في رسالة حمزة (26)، عندما قال: حاشا مولانا جل ذكره من الابن والعم والخال"[58]

فالدروز ينفون عن الحاكم أنه ابن العزيز، أو أبو ولي عهده "علي"، فليس له أب ولا ولد، وقد ذكر ذلك حمزة في إحدى رسائله "رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد"[59].

فما أدري كيف لا يصغي الدروز إلى نداء الفطرة والعقل السليم ويتبعون خرافات وأوهاماً عجيبة، متناسين أن حمزة وأتباعه لا يريدون من دعوتهم الهدامة هذه إلا هدم الإسلام وتحطيم المسلمين، ليرووا حقدهم الدفين على الإسلام الذي قوض مجد أجدادهم المجوس في فارس وغيرها.

"ويمكرن ويمكر الله والله خير الماكرين"[60]

ويلجأ دعاتهم إلى الغموض والتعقيد ومعضلات الفلسفة لعرض عقائدهم، حتى يخدعوا الرعاع التابع لهم، نجد ذلك في مخطوطات المذهب، والكتب التي تسربت للناس مؤخراً وهاهو الأستاذ عبد الله النجار، يتحدث عن أثر الفلسفة اليونانية في عقيدة الدروز فيقول بصراحة:

"الباطنية ومنها - مذهب الدروز - مذهب خفي، اتخذه أصحابه وقاء من نقمة الخائنين - الظلمة، والغوغاء - هكذا يزعم - وطووه على معان خصت بها فئة مختارة من العارفين.

شرعه اليونانيون القدماء، وحصروا أسراره بالمطلعين من النبهاء، فهو منسوب إلى أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس، فمن هذه المصادر الثلاثة، انحدر المذهب إلى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين، فطبقوه على التعاليم الإسلامية، ثم أحاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم. إنه في الأصل اجتهاد فلسفي، لإدراك الحقيقة الإلهية، وتجريد للروح من سطحية المعتقد الديني، وشوق صوفي للدنو من معرفة الله..."[61]

ويؤكد ذلك الدكتور "سامي مكارم" وهو الناطق باسم مشيخة الدروز فيقول عن السرية، عند الدروز وأثر الفلسفة:

"فهي (أي السرية) أصل وأس رئيسي، ويعلل ذلك، بأنها عقيدة تتلفع بالفلسفة، وتغوص إلى أعماق بعيدة في التأويل، ولا يستطيع غير المتمرس على المستويات الفلسفية، والأساليب الصوفية، من سبر أغوارها وهضم أصولها، ومن ثم كانت صعوبتها على العامة وحجبها عنهم. "إنها خليط من نظريات الفلاسفة القدامى، من يونان وفرس وهنود وفراعنة"[62].

ويقول محمد كرد علي: "يحرص الدروز على كتمان عقائدهم، ولذلك يعبرون عن مراميهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكتابة فلا يفهم ما يراد منها إلا الطبقة العالية من أرباب الدين عندهم أو مشايخ العقل.

ويذكرون مباحث من علم الكلام، وبعض مقالات غلاة المتصوفة، وتأويلات الرافضة والملاحدة، وخاصة الإسماعيلية من غلاة الرافضة...[63].

---

[49]الحركات الباطنية للدكتور محمد الخطيب/ ص223.

[50]طائفة الدروز: د. محمد كامل حسين/ ص104 - 105.

[51]الرسالة الموسومة بكشف الحقائق نقلاً عن الدكتور الخطيب/ ص226.

[52]رسالة السيرة المستقيمة لحمزة بن علي.

[53]رسالة من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن، وهي من رسائل الدروز السرية، ينظر الحركات الباطنية للخطيب/ ص226 - 227.

[54]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ5/ 265.

[55]ينظر نص الميثاق في: خطط الشام، جـ5/ 265 - 266، والملحق رقم (3) من كتاب للدكتور عبد المنعم النمر بعنوان "الشيعة المهدي - الدروز تاريخ ووثائق" ففيه صفحات كثيرة من مصحف المنفرد بذاته ومنها الميثاق، وتوجد نسخة لدى المؤلف عن هذا المصحف كما يقول المؤلف عبد المنعم النمر.

[56]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب/ ص299.

[57]المصحف المنفرد بذاته/عَرْف العهد والميثاق/ ص107 - 110نقلاً عن الدكتور محمد الخطيب في كتابه الحركات الباطنية، ص230، ولديه نسخة خاصة من هذا المصحف في مكتبته.

[58]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص105 - 106.

[59]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص234 - 236.

[60]سورة الأنفال/ 30.

[61]مذهب الدروز والتوحيد: الأستاذ عبد الله النجار/ ص28.

[62]أضواء على مسلك التوحيد: د. سامي مكارم / ص103، دار صادر - بيروت/ 1966م.

[63]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ6/ ص266.

(2): إيمان الدروز بالتقمص وتناسخ الأرواح:

يعتقد الدروز بتناسخ الأرواح، أي بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشير آخر، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصها "أي الجسم"، ويصيبه البلى، فتنتقل النفس إلى قميص آخر.
وهم يرون أن العالم خلق دفعة واحدة، وأن البشر خلقوا سوية، فهم ليسوا متناسلين من أب واحد، بل هم هكذا منذ بدء الخليقة، وجد الحائك في نوله، والبناء على الحائط، وأن عدد الأنفس البشرية لا يزيد ولا ينقص [64]

وهذا ما يؤكده الزعيم الدرزي كمال جنبلاط، أي أنّ عدد الدروز لا يزيد ولا ينقص، لأن التقمص عملية، دائمة متواصلة بين أرواحهم [65]

ويصر الدروز على هذا المعتقد الغريب، المخالف لعقول الأطفال فكيف بالمثقفين منهم والقادة؟! ألا يرون أن عددهم الآن تضاعف عما كانوا عليه قبل قرن م الزمن؟!.
يقول عبد الله النجار ":فالجسد أو الجسم البشري في عقيدة الدروز، هو ثوب للنفس أو الروح، قميص في اصطلاح المذهب، تتقمصه الروح عند الولادة وتنتقل منه بالموت فوراً إلى جسد مولود (جديد) دون تمييز جنسي أو عنصري أو مكاني.. تظل بعد كل موت تخلع الثوب البالي، وتلبس ثوباً جديداً إلى نهاية الأجيال... فعدد الأرواح لا يزيد ولا ينقص.. وعلى هذا الأساس، قامت نظرية التقمص، وبهذه النظرية بني الثواب والعقاب"[66]

ثم يدافع النجار عن هذه العقيدة فيقول: "إن ظهور الإنسان المتكرر بأشخاصه المختلفة وأدواره المتواصلة، في هذا الوجود يسفر عن تجمع اختباراته الروحية كما تقول كتب المذهب، ولا يقصد منه تحقيق الغرض الذي من أجله وجد النوع الإنساني، بما يشبه ناموس الوراثة، الذي يشترك فيه النوع، ولا أن يكون الإنسان بمفرده قطعة جاهزة الصنع في النهاية، بل جزءاً من جهاز التمازج والتواصل وتشاجب الأرحام والوشائج، وهو لعمري أدعى إلى الإخاء الإنساني من كل دين"[67]

وبناء على اعتقادهم بالتقمص، فإنهم يؤمنون أن العذاب الواقع على الإنسان، يكون بانتقاله من درجة عالية إلى درجة أدنى منها، ويستمر تنقله من جسد إلى جسد، وهو خلال ذلك التنقل تقل منزلته ويقع عليه العذاب.
أما الثواب عندهم، فيكون بتنقله بين الأجساد، وارتفاعه أثناء ذلك من درجة إلى درجة[68]

وإذا مات أحد الدروز، فإنه يولد ثانية على نفس هذا المذهب، ولذلك فهم لا يقبلون أحداً في مذهبهم، حتى لو اطلع على كتبهم وعرف دينهم، وسلك مسلك أهلها، لأن باب الدخول إلى مذهبهم قد أغلق كما يزعمون، ولهذا فلا فائدة من دخوله فيه وإذا انتقل أحد من مذهبهم إلى غيره، فهم لا يعترفون بذلك الانتقال، لأن روحه في النقلة الأخرى ستعود إلى مذهبه القديم[69]
فليس لأحد إذن أن يدخل في مذهب الووز، لأن ذلك قد سُدّ بعد فترة الدعوة الأولى[70]

وبسبب هذه الاعتقادات فإنهم يزعمون أن ذوي العاهات المصابين كالأعمى والأعرج والفقير والجاهل، كان مصابهم قصاصاً عن ذنوبهم في مدة حياتهم السابقة[71]

والحقيقة إن عقيدة التناسخ دخيلة على هذه الأمة ودينها جاءتهم من الأديان الوثنية، كالبوذية والهندوكية ومن فلاسفة اليونان الوثنيين[72]

يقول عبد الله النجار وهو منهم: "إن عقيدة التقمص أو التناسخ عند الدروز تعود إلى قدماء المصريين - الفراعنة- وتعاليم بوذا وفيثاغورس وغيرهم ممن طوى همه على كشف الغطاء عن أسرار الروح ومصيرها الخفي... وممن عالج هذا الأمر أفلاطون ونيتشه وغيرهما"[73]. فالتناسخ عقيدة باطلة، تؤدي إلى الكفر الصريح؛ لأن القرآن والسنة بينا بطلان هذا الاعتقاد، وقد ثبت أن الإنسان بعد موته يسأل في قبره عن طريق الملكين...

---

[64]الدروز والثورة السورية: كريم ثابت/ ص34.
[65]من حديث شخصي للزعيم الدرزي كمال جنبلاط، أجراه معه الدكتور مصطفى الشكعة حول معتقدات الدروز في كتابه إسلام بلا مذاهب/ ص288، الطبعة الثالثة/ 1979م.
[66]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص62، دار المعارف بمصر.
[67]المرجع السابق/ ص 55.
[68]الحركات الباطنية في الإسلام: مصطفى غالب/ ص263، دار الكاتب العربي - بيروت.
[69]الدروز والثورة السورية: كريم ثابت/ ص47، ومخطوطة كتاب تعليم الديانة الدرزية، جواب السؤال (20)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ 241.
[70]خطط الشام :محمد كرد علي، جـ6/ ص266.
[71]الدروز والثورة السورية/ ص48/ والحركات الباطنية للخطيب/ ص 242.
[72]طائفة الدروز: محمد كامل حسين ص109.
[73]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ص56.

(3) : عقيدتهم باليوم الآخر والجنة والنار:[74]

الدروز ينكرون اليوم الآخر، فليس هنالك قيامة ولا حساب ولا جنة أو نار، وليس هنالك موت للأرواح، ولا بعث ولا نشور، وينكرون كذلك حياة البرزخ، أي حياة القبر بين الموت والبعث[75]

يقول الأستاذ عبد الله النجار: "ويوم الحساب في هذا المذهب ليس يوم القيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ولا قيامة لها ولا بعث، فالأرواح لا تموت لتبعث، ولا تنام لتوقظ، بل إن يوم الحساب أو الدنيوية، هو نهاية مراحل الأرواح وتطورها.[76] "

"ففي تصورهم أن يوم الحساب سيظهر فيه "المعبود - أي الحاكم بأمر الله" ومع أنهم لم يحددوا تاريخ ذلك اليوم، إلا أن رسائلهم تقول: سيكون في شهر جمادى أو رجب، ولهذا اليوم علامات محددة عندهم" [77]

أما مكان ظهور الحاكم، وماذا سيحدث بعد ذلك، فتحدثنا عنه رسالة الأسرار وفيها: "سيكون ذلك في بلاد الصين، يخرج الحاكم وحوله قوم يأجوج ومأجوج، ويسمونهم القوم الكرام، ويكون عددهم قرابة مليونين ونصف من العساكر... ثم يدخلون مكة المكرمة... وصباح ثاني أيام وصولهم، يتجلى لهم الحاكم بأمر الله على الركن اليماني من الكعبة، ويتهدد الناس بسيف مذهب، يدفعه إلى حمزة بن علي، فيقتل فيه الكلب والخنزير، يريد فيهما الناطق والأساس، ثم يهدمون الكعبة ويفتكون بالمسلمين والنصارى في جميع جهات الأرض، ويستولون عليها إلى الأبد، ومن بقي يكون عندهم في الذل والهوان... ويجعل حمزة لكل طائفة غير أصحابه سيمة في جبينه أو يده، وعذاباً يتأذى به، وجزية يؤديها كل عام، ونحو ذلك من الهوان"[78]

ويصور لنا مصحف الدروز هذا اليوم بقوله: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أبصارهم، أبصار الذين كفروا، يا ولينا قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين، لقد نسي هؤلاء هذا اليوم، وقد وقع لهم، وهم لا يشعرون، وكبكبوا على وجوه قبلتهم [79] حتى غشيتهم الغاشية. أو لم ير هؤلاء كيف مدّ لهم مولانا الحاكم الحياة أمداً الآن حصحص الحق"[80]

وسيكون حمزة في ذلك اليوم - كما يزعمون - هو صاحب الجزاء والقصاص بصفته صاحب القيامة، وهذا ما يزعمه في إحدى رسائله، الموسومة (بالإعذار والإنذار) يقول: "ويوم قيامي بسيف مولانا الحاكم سبحانه، ومجازاتي للخلائق أجمعين، وأخذي لكم الحق والقصاص، وإنالة إحساني لأهل الوفاء منكم والإخلاص.[81] "

وبذلك فالدروز ينكرون الثواب والعقاب في الجنة والنار، فالعذاب الواقع على الإنسان بزعمهم هو نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات دينهم، وكلما انتقلت روحه من جسد لآخر، تقل درجته ومنزلته.

والثواب زيادة وارتفاع في الدرجات، أما النار الكبرى فهي غلبة الشقوة وهوى النفس البهيمي، الغالب عليها الجهل.

والغيبيات في نظرهم لا يمكن الإيمان بها، لأنها أمور غير محسوسة، ولذلك لا يؤمنون بالجنة ولا بالنار، ولا الملائكة والجن، فالملائكة في زعمهم أتباع مذهبهم، والشياطين هم الذين يخالفونهم.[82]

ورسائلهم مليئة بالسخرية من الغيبيات، وخاصة الجنة والنار.

واعتقاد الدروز هذا، اعتقاد باطل ودخيل على الإسلام ولا شك، وهو من الخرافات والأساطير التي اندثرت بعد أن دك الإسلام حصون الشرك، وقضى على مجوس الفرس، فجاء أبناؤهم من

دعاة الدروز (كحمزة بن علي وأمثاله) ليهدموا الإسلام وأركانه عن طريق هذه الخرافات الشركية.. وأنى لهم ذلك؟!
قال تعالى مبيناً حقيقة الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ونفسياتهم المريضة المستكبرة: "فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون.[83] "
وأمرنا بقتال الذين لا يؤمنون بالآخرة على كفرهم: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.[84] "

---

[74]انظر تفصيلاً : مذهب الدروز والتوحيد عبدالله النجار/ ص79 - 83 والحركات الباطنية في العالم الإسلامي: محمد الخطيب/ ص248 - 252.
[75]إسلام بلا مذاهب/ ص288، من المقابلة الشخصية بين الشكعة وكمال جنبلاط.
[76]مذهب الدروز والتوحيد: الأستاذ عبد الله النجار/ ص81، دار المعارف بمصر/ 1965م.
[77]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[78]مخطوطة في تقسيم جبل لبنان لمؤلف مجهول: في الجامعة الأميركية بيروت/ رقم (31).
(والناطق في اصطلاح الدروز هو النبي صلى الله عليه وسلم، والأساس هو الوصي أو الإمام، والمقصود بذلك هما محمد عليه الصلاة والسلام، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.
[79]يقصد بها الكعبة عندما يهدمونها ويقتلون المسلمين - كما يزعمون-.
[80]المصحف المنفرد بذاته/عَرْف كتاب أبي إسحاق أو مراتب العباد ص85 (والعرف يساوي السورة) عندهم، وانظر: الحركات الباطنية للخطيب ص249.
[81]الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار لحمزة، والحركات الباطنية للخطيب ص250.
[82]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص79 - 80.
[83]سورة النحل/ الآية (22).
[84]سورة التوبة: الآية (29).

(4): العبادة عند الدروز:

لا تعني إلا طقوساً غريبة، تتمثل في إسقاط أركان الإسلام وإلغاء شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد سارع حمزة بن علي وأتباعه بعد إعلانهم ألوهية الحاكم، إلى اتباع هذا الطريق المخادع، ليبرهنوا أنهم جاءوا بشريعة جديدة نسخت الإسلام وأركانه.

لأن حمزة - كما أعلن - هو ناسخ الشرائع ومبيد الأديان وهادم القبلة كما جاء في رسالة التحذير والتنبيه.

فلا نعجب بعد ذلك إذا وجدنا رسائل الدروز (وخاصة رسائل حمزة) حافلة بالاستهزاء بأركان الإسلام، والتشكيك في شريعة الله، وعلى هذا الأساس أعلن حمزة إسقاط أركان الإسلام الخمسة، وألزم أتباعه بسبع خصال تغني عن الصلاة والصيام، والزكاة والحج والجهاد.

يقول حمزة في إحدى رسائله: يجب على سائر الموحّدات، أنْ يعلمن أن أول المفترضات عليهن: معرفة مولانا جل ذكره، وتنزيهه عن جميع المخلوقات، ثم معرفة قائم الزمان... فإذا علمن ذلك، وجب أن يعلمن أن مولانا أسقط عنهن السبع دعائم التكليفية، وفرض عليهن سبع خصال توحيدية دينية، أولها وأعظمها: سدق اللسان "صدق"، وثانيها حفظ الإخوان وترك ما كنتم عليه من عبادة العدم والبهتان، ثم البراءة من الأبالسة والطغيان، ثم التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان، ثم التسليم لأمره في السر والحدثان، فيجب على سائر الموحدين والموحدات: حفظ هذه الخصال السبع والعمل بها وسترها عمن لم يكن من أهلها [85]

ويفهم من هذه الرسالة أن المولى قد أسقط عن الدروز سبع دعائم تكليفية، وفرض عليهم سبع خصال توحيدية.

-**أولها وأعظمها**: سدق اللسان، والدروز لا ينطقون كلمة صدق بحرف الصاد، حتى تتفق مع حروف الجمّل، ولها عندهم معان باطنية خاصة.

-**وثانيها**: حفظ الإخوان.وهذا لا يعني الأخوة الإنسانية، بل تعني بالأخ مَنْ شاطرهم هذه الخصال.

-**وثالثها**: ترك عبادة العدم والبهتان:أي كل عبادة لغير الحاكم لا تصادف إلا عدماً .

-**ثم** البراءة من الأبالسة والطغيان:والمقصود بهم الأنبياء جميعاً .

أما التوحيد للمولى فيقصد به الحاكم في عصر وزمان... ثم الرضا بفعله كيفما كان، والتسليم لأمره في السر والعلن [86]

فهذه الفرائض الخمس التي فرضها هذا المجوسي الملحد "خمسة" قد أراد بها التعويض عن أركان الإسلام الخمسة إضافة إلى الجهاد والولاية.

"فصدق اللسان عوض الصلاة، وحفظ الإخوان بدلاً من الزكاة وترك عبادة العدم والبهتان أي ترك الصوم، والبراءة من الأبالسة ولطغيان أي التبرؤ من الحج، والتوحيد للحاكم عوضاً عن الشهادتين، والرضا بفعله كيفما كان عوضاً عن الجهاد، والتسليم لأمر الحاكم كيفما كان عوضاً عن الولاية للمؤمنين والبراءة من الكافرين.[87] "

وقد أوضح هذا الشقي (حمزة (هذه العبادة الدرزية في رسالة أخرى له هي "الكتاب المعروف بالنقص والخفي" ويمكن تلخيصها بما يلي:

1- أن الشهادتين تدلان على عبادة الحاكم وعلى حدود الدروز.
2- وأن الصلاة هي صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم...
3- وأن الزكاة هي عبادة الحاكم وتزكية قلوبهم وتطهيرها، وترك ما كانوا عليه.
4- أما الصوم فهو صيانة قلوبهم بتوحيد مولاهم الحاكم (قبحه الله.(
5- والحج يعني توحيد الحاكم.[88] ...

لقد حاول حمزة جاهداً، أن يبرهن أن أعمال الحاكم بصفته الإله المعبود، قد بينت نسخ الشريعة الإسلامية وأركانها، ظاهرها وباطنها، ومنها أن الجزية ستؤخذ من المسلمين والمشركين، كما تؤخذ من أهل الذمة.. [89]

فهو ينقص في كتابه الشهادتين والصلاة والحج والزكاة، ويبرهن أن الصلاة لم يصلها الحاكم سنين كثيرة، وكذا الصوم والزكاة، فدل على ترخيص الحاكم لعباده بتركها، وأما الحج فيقول عنه حمزة إنه ضرب من الجنون، إذ كيف يكشف الناس رؤوسهم ويعرّون أجسادهم؟! ويرمون الحجار؟ كل هذا من الجنون في زعمه، وكان الحاكم قد منع الناس عن الحج سنين عديدة... وكذلك الجهاد فقد نقضه حمزة، كما أنّ هذا المجوسي أسقط الولاية لأن الحاكم أعلن نقض ولاية علي وذريته على رؤوس الأشهاد.[90]

وفي العصر الحاضر: سار الدروز على نفس الطريق السابق فكمال جنبلاط الزعيم الدرزي في لبنان ينكر القرآن ويعتبر أنه فرية. يقول قبحه الله:

"لقد ضل الذين جحدوا الحكمة، واتبعوا فرية صحف اكتتبوها، يتلونهابكرة وعشياً، وقالوا: هذا من عند الله المعبود."

وقال أيضاً : "لقد ضل هؤلاء الذين يريدون أن يحكموا بالقرآن ويتخذوه سبيلاً، ثم به يكفرون بعد أن تبين الحق.[91] "

ويلاحظ من خلال رسائل الدروز ومصحفهم هذا، أن نقض الشريعة الإسلامية والاستهزاء بأركانها وبرسولها هما الشغل الشاغل لدعاة الدروز..

ومع أن الدروز لا يجيزون صيام رمضان، إلا أنهم يصومون أياماً خاصة، هي الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة، كما يبيحون الصيام في أي شهر إلا شهر رمضان؟.[92] .!

وقد اعترف شيخ عقل الدروز "محمد أبو شقرا" أخيراً، "أن صلاتهم في خلواتهم تختلف كلياً عن صلاة جمهور المسلمين في عددها وفي طريقة أدائها، لهذا فهم لا يرون الوضوء للمصلي، لأن الطهارة عندهم إنما هي طهارة الداخل، وليست طهارة الخارج.[93] "

ويضيف الشيخ: "أما الصوم فمعناه الامتناع عن الرفث، ويجوز فيه الأكل والشرب، وهو عشرة أيام من ذي الحجة، تنتهي بالعيد، والزكاة معطلة ولا حدود لها، وهي ليست فريضة، والحج كذلك لا يعتبر فرضاً، وهم لا يؤمنون بمناسك الحج، بل يسفهونها، ويرون فيها مظاهر وثنية"؟!! [94]

ولا يجوز لديهم زواج الدرزية من غير الدرزي، ولا زواج الدرزي من غير الدرزية، ويعتبر هذا الزواج باطلاً، ولا يجوز تعدد الزوجات عندهم، والطلاق يقع من مرة واحدة ولا رجعة بعدها[95]

يقول الدكتور مصطفى الشكعة: "تلك هي النقاط الأساسية التي سجلتها عن عقيدة الدروز من حديث طويل مع شيخ العقل في منزله في بيروت "الشيخ محمد أبي شقرا.[96] "

وحول الزواج والطلاق عند الدروز يقول محمد كرد علي:

"لا يجوز عند الدروز الجمع بين امرأتين، فإن لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها، وتطلق المرأة بأدنى سبب، ولا يجوز عندهم رد المطلقة ولو بعد زواج آخر"[97]

وبذلك فالدرزي إذا طلق زوجته لا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى، سواء بمحلّل أو غير محلل، بطلاق رجعي أو غير رجعي.[98] "

ونقتطف فيما يأتي بعض تصريحات لكمال جنبلاط من خلال مقابلة للشكعة معه في منزله في قرية المختارة صيف/ 1959م.
يقول جنبلاط: "العقيدة عند الدروز متطورة، فهم قد تطوروا من الإسلام إلى دين مستقل آخر هو "الدين الدرزي"؟!! والشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن "حسب تأويلهم" ومن ستة عشر كتباً خطياً، لا يسمح لأحد أن يطلع عليها، كما تأخذ تعاليمها من الفلسفة اليونانية والمسيحية ومن الإسلام والبوذية والفرعونية ... ويعتبرون إخوان الصفا من الدروز، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكانة محدودة وما هو إلا واسطة الرسالة" [99]
ورغم تصريحات زعماء الدروز ومشايخ طائفتهم، فإن المسلمين ما زالوا يخادعون أنفسهم، ويأمنون تآمرهم، ويظنون أنهم مسلمون.

---

[85]رسالة ميثاق النساء:نقلاً عن الحركات الباطنية لمحمد الخطيب، ص276.
[86]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص277.
[87]مخطوط: ذكر ما يجب أن يعرفه الموحّد ويعتقد به/ مكتبة القديس بولس في الجامعة الأميركية/ بيروت.
[88]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص280، ص278 فهو ينقل عن الكتاب المعروف بالنقص الخفي لحمزة (قاتله الله).
[89]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[90]المرجع السابق/ ص279 - 280.
[91]مصحف المنفرد بذاته:عَرْف عاقبة المكذبين/ ص241 - 242، وعرف المحرمات/ ص154 - 155، والعرف يساوي السورة في القرآن الكريم، وهذا هو مصحف الدروز المعتمد، ينظر الخطيب/ ص281.
[92]طائفة الدروز: محمد كامل حسين/ ص123.
[93]إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة، في حديث خاص له مع شيخ الطائفة ص 293.
[94]إسلام بلا مذاهب/ ص293، وكتاب: (الشيعة المهدي والدروز) د. عبد المنعم النمر/ ص255 - 256.
[95]إسلام بلا مذاهب/ ص293.
[96]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[97]خطط الشام: جـ6/ ص266.
[98]مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي/ ص661، الجزء الثاني.
[99]إسلام بلا مذاهب: للدكتور مصطفى الشكعة/ ص288، وينظر كتاب الدكتور محمد عبد الله النمر حول الدروز/ ص258.

(5) : عقيدتهم في الأنبياء والصحابة:

من عقائد الدروز الرئيسية إنكار جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذلك محاربة الشرائع السماوية، لأن الرسل إنما يدعون إلى توحيد وعبادة إله لم يظهر؛ ولذلك فالدروز ينسبون جميع الأنبياء إلى الجهل، لأنهم يأمرون بتوحيد العدم، وهم لم يعرفوا المولى - الحاكم - حق المعرفة.[100]

وبذلك فإن حمزة - لعنه الله - يرى وجوب محاربة جميع الأنبياء، أصحاب الشرائع الظاهرة: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويرى وجوب البراءة من شرائعهم الفاسدة، وأديانهم المضللة.

ولذلك "فهم يقذفون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بألفاظ فاحشة، ولا يتركون مجلساً إلا وقد شنعوا عليهم فيه، وتتجه أكثر كراهيتهم نحو المسلمين.[101] "

وقد ورد في إحدى رسائلهم [102] زعمهم: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد طمس الرسالة، ولم يبلغها. "فما بلغها كما أمر الله تعالى، بل طمس معالمها بالظلم والإبلاس، وجميع أصحاب الشرع، فعلى هذا السنن يجرون" [الرسالة الموسومة بالإسرائيلية].

أما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيطلقون عليهم أشنع الأوصاف القبيحة والشتائم، فهم يصفون مثلاً الشيخين أبا بكر وعمر، بأنهما هما الفحشاء والمنكر، ويؤولون الآية الكريمة "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان.[103] "

بأن المراد بها هم الخلفاء الراشدون الأربعة، لأنهم من عمل محمد بن عبد الله[104]

أما موقفهم من موسى عليه السلام، فهم ينكرون عليه أن يكون كليم الله، وأنه كلمه من خلال الشجر والجبل، لأن هذا في زعمهم لا يليق بالله تعالى.[105]

بهذه الطريقة الشريرة ينظر الدروز إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نظرة الحقد والكراهية، ويخصون بها نبي الإسلام وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، لزن رايته حطمت أحلام دعاة الإلحاد والوثنية، مما دفع حمزة سليل المجوس الحاقدين....، أن يأتي بهد السخافات والترهات الدالة على الحقد والكراهية للإسلام ونبي الإسلام، وصحابة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم [106].

وبذلك فإن الدروز لا يلتقون مع الإسلام في شيء، لا في الألوهية ولا في اليوم الآخر ولا بقية عقائد المسلمين، ناهيك عن إنكارهم لكتاب الله وجحودهم لرسول الرحمة وبقية الرسل والأنبياء، واستهزائهم بأركان الإسلام وعباداته...

---

[100] خطط الشام: محمد كرد علي/ جـ6/ص264.
[101]مخطوطة في تقسيم جبل لبنان/ الجامعة الأمريكية/ بيروت/ رقم (31) لمؤلف مجهول.
[102]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص303.
[103]سورة المائدة/ الآية (90)
[104]مخطوطة في تقسيم جبل لبنان وطوائفه.
[105]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ د. محمد أحمد الخطيب/ ص304 - 305.
[106]المرجع السابق ونفس الصفحة.

(6) : السرية ونظام الخلوات: من مستلزمات المذهب الدرزي :

ينقسم المجتمع الدرزي من حيث الدين إلى عقال وجهال وبمعنى آخر إلى "روحاني وجثماني." أما الروحاني فهو الذي بيده أسرار الطائفة، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: رؤساء وعقلاء وأجاويد.

وهذا التقسيم يدل على نظام التكتم (والسرية) الذي يحرص عليه الدروز طوال حياتهم، ولذلك ظهر نظام الخلوات قبل قرنين من الزمن "1762م" لتكريس هذه السرية بشكل عملي، بعد أن انقرضت آخر شعيرة يستترون بها من المسلمين عن حقيقة مذهبهم، وهي إقامة المساجد والصلاة في مدنهم وقراهم...
فالجاهل من طائفتهم لا ينتقل إلى طبقة العقال إلا بعد الأربعين من عمره، وبعد امتحان شاق عسير يستمر مدة سنين، حتى يثق شيوخهم بأنه يستحق أن يكون واحداً منهم ويطلع على بعض أسرار الدين.[107]

والجاهل عادة لا يباح له من الديانة، غير معرفة المسائل الأولية من الدين.
ومن العقال طبقة أتقياء يقال لهم (المتنزهون)، وهم مثابرون على العبادة - حسب مفهومهم لها - ومنهم من لم يتزوج، ومنهم من لم يأكل لحماً طوال حياته، ومنهم من يصوم كل الأيام، وقد يعيشون من عمل لهم خاص يتعاطونه بأنفسهم من زراعة أو صناعة، وينزهون أنفسهم عن ألفاظ الفحش والبذاءة [108]

ويجتمع العقال في الخلوات، وتتلى فيها المواعظ العامة، ولا يسمح للجهال بالاجتماع مع الروحانيين إلا يوم العيد الأكبر لاستماع المواعظ العامة، ويسمى رئيسهم العام: شيخ العقل، ويكون بالانتخاب، وله أعوان ومندوبون في كل بلد فيها دروز، أما طبقة الجهال فلا يعلمون من المذهب إلا أيسر اليسير، كألوهية الحاكم وإمامة حمزة.[109]

أما طريقة دخول الجاهل في الدين وفي سلك العقال، فنجده في إحدى رسائلهم المؤلفة على طريقة السؤال والجواب.[110]
ومن ذلك اخترنا الفقرات التالية:
س: كيف يكون تقديم الجاهل؟!
ج: يقدمه جماعة الموحدين أمام الإمام، فيحرضه على حفظ السر، ويعلن له بعدها الحقائق والطرائق
س: كيف يجب أن يكون سلوكه بعد دخوله؟
ج: يجب أن يتظاهر بالحشمة والآداب والهدوء...
س: ما العهد الواجب عليه وما صورته؟
ج: باسم مولانا الأعظم المنزه عن العاهات والوالد، القادر الذي لم يخلق ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد...
أنا فلان بن فلان قد نويت وعزمت أن أضع نفسي وجسدي ومالي وحريمي وأولادي وأرزاقي وكل ما تملك يدي تحت الطاعة لسيدي مولاي الحاكم العلي صاحب الجبروت... أشهد أمام إخواني الموحدين وسيدي الإمام، أني قد تبرأت من الأديان كلها... الخ."
أما كيفية ترتيب الطقوس فهي طقوس معقدة، تروى فيها قصص صوفية وحكايات غريبة حول التناسخ، وشروح طويلة ذات مراحل متداخلة.[111]

تستر الدروز على عقائدهم:[112]

إن عقيدة السرية والكتمان، مزية التصقت بنفسية الدرزي وتكوينه، فالدروز يبطنون أشياء في غاية السرية، ويظهرون أشياء مخالفة لما يبطنون، وهذا ما يفسر لنا تقلب الدروز في مواقفهم من الدول والزعماء والأديان، مما جعلهم يظهرون دائماً بمظهرين: مظهر حقيقي باطني... لا يعرفه إلا الدروز فقط، ومظهر خارجي... يتقلب حسب المصالح والأهواء.

وقد جاءتهم هذه السرية عن طريق الإسماعيلية، والتي هي أصل مهم في عقائدهم.[113] .

فالدروز يحرصون أشد الحرص على كتمان عقائدهم السرية وينكرون ما يؤخذ منها، وقد حرصوا على هذا الكتمان المطلق طوال قرون عديدة.. حتى غزا جيش إبراهيم باشا مناطقهم الجبلية الوعرة، وعثر على بعض كتبهم المقدسة، فنقلت إلى مكتبات أوربا وأمريكا كمخطوطات هامة.[114]

وكذلك عندما داهم الشيشكلي الجبل عثر الجنود على بعض كتب الدروز المقدسة، فكُشفَ كثير من أسرار المذهب.

يقول حمزة في إحدى رسائله: "إن أكبر الآثام وأعظمها، إظهار سر الديانة وإظهار كتب الحكمة، والذي يُظهر شيئاً من ذلك يقتل حالاً ولا أحد يرحمه... فإن وجد شيء من الأسرار في يد كافر، يقطع إرباً إرباً، فأوصيكم أيها الموحدون بحفظ الأسرار.[115] "

يقول الأستاذ عبد الله النجار - وهو درزي - موضحاً أبعاد هذه السرية لدى الطائفة: "وكان المؤتمنون على هذه الفلسفة الباطنية حفظتها، مستغرقين في هناءة دفئها، ينعمون بتلاوة رسائلها، ويسيغون تكرارها واجترارها، وحل طلاسمها، أما القلة التي ألمت بسر الدعوة وأحاطت بكنه الرسالة، فقد أبت عليها منزلتها الروحية أن تفضي بما تعلم إلى غير المؤهلين المستكتمين، وحجتها في ذلك أن باب الاستجابة للدعوة أغلق منذ قرابة ألف عام.

فأية فائدة روحية ترجى من فتحه، وهي لا شأن لها بالمستطلعين، ولم تبال وربما تعلم بالمفترين؟.[116] "!!

فالتستر والكتمان نهج أساسي لديهم، وهم دائماً مع القوي المتمكن، يتظاهرون بالدين الغالب في أي قطر، ومصداق ذلك ما نراه منهم في فلسطين المحتلة بإخلاصهم التام لليهود هناك.

"وإذا تمكنوا فإنهم يستحلون قتل من خالفهم، وسلب أموالهم وغشهم بما استطاعوا"[117]

وبسبب هذا الانغلاق التام، فهم لا يقبلون مطلقاً التحدث عن معتقداتهم، ولا يمحون للغير أن يبحث في حقيقة دينهم، وإذا حدث هذا فهم لا يناقشون هؤلاء مناقشة موضوعية، بل يحاولون أن يلصقوا به الصفات القبيحة مع الشتم والتهديد، وهذا ما حدث مع الشيخ "زيد بن عبد العزيز الفياض"، عندما بدأ بكتابة حلقات عن حقيقة مذهبهم في مجلتي المنهل وراية الإسلام، اللتين كانتا تصدران في جدة والرياض.[118]

وعندما أصدر الأستاذ عبد الله النجار - وهو من طائفة الدروز - كتابه "مذهب الدروز والتوحيد"، الذي حاول فيه أن يبين حقيقة دينه، قامت ضجة كبيرة على الكتاب وصاحبه، ثم حاكمه مشايخ الدروز لفضحه أسرار دين الدروز، وجمعوا بعد ذلك نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها، وصدر أخيراً بأمر من مشيخة العقل، كتاب ألفه الدكتور سامي مكارم، وقدم له كمال جنبلاط، يَرُدّان فيه على كتاب النجار، وقد استغل الدروز أحداث لبنان الأخيرة، وقاموا باغتيال الأستاذ النجار" [119]

قاموا بكل ذلك الإجرام مع ابن جلدتهم، رغم أنه ألف كتابه ليدافع عن عقيدة الدروز أمام

الآخرين، وليوضح الغموض الذي يكتنف هذا المذهب. انظر إليه حيث يقول في مقدمة كتابه:

كلّ هذا وأصحاب المذهب يتأبّو ْن الكشف عنه حفاظاً واستتاراً ... إذ لا يهمهم ما يشاع حولهم ويذاع عنهم من تهم وافتراءات؟!!
حتى أنهم يكتمون أسراره عن السواد الأعظم من ملتهم، فلا يطلعون عليه إلا كل مختار أمين، مشهود له بصحة اليقين في مراحل تثبت وامتحان، أشبه ما تكون بأساليب الدخول في الماسونية والتدرج في مراتبها، بما فيها من علامات وشيات، ورموز وإشارات.[120] "

وقد حصل قريباً من هذا مع الدكتور محمد الخطيب، حيث يقول:
"حينما تم طبع كتابي ونشره "عقيدة الدروز: عرض ونقض"، وهو رسالة ماجستير، نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود عام 1400هـ، في الرياض...توالت عليّ المكالمات الهاتفية التي تهدد بالقتل، وجاءني على أثرها كثير من الرسائل تتوعدني بالويل والثبور، إن لم أعتذر عن كتابي وما ورد فيه ولم يكتفوا بذلك، بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور وإحراقه".
ثم يقول الخطيب: "وهذا ما تم أيضاً مع كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي "مذاهب الإسلاميين " [121].

رسائل الدروز وكتبهم:[122]
تعرف رسائل حمزة التميمي وبهاء الدين عند الدروز (برسائل الحكمة) أو (كتاب الحكمة)
وهذه الرسائل هي المصدر الرئيسي لمذهب الدروز إضافة إلى الكتب الأخرى الشارحة لها، وتتألف هذه الرسائل من "111 رسالة" [123]

ومن كتبهم المقدسة كذلك: "كتاب النقط والدوائر"، الذي يتحدث عن كثير من عقائد الدروز، وقد طبع في البرازيل عام/ 1920م.[124] "

وللدروز مصحف يسمونه "المصحف المنفرد بذاته"، وقد صدر حديثاً، ويعتقد أن كاتبه هو الزعيم الدرزي المعاصر كمال جنبلاط ويقال: بأنه تعاون في وضعه ووضع رسائل أخرى مع "عاطف العجمي" وكتب بخط (الشيخ عبد الخالق أبي صالح) .[125]

وقد لفق جنبلاط مصحفه هذا من القرآن الكريم، والحكمة اليونانية، والهندية محافظاً على الأصول والعقائد التي وضعها حمزة وبهاء الدين" [126]

ويتألف هذا المصحف المفترى من "44 جزْءاً"، يحاكي كاتبه فيه القرآن الكريم بترديد ما في رسائل الدروز القديمة، ويحاول أن يقلد فيه أسلوب القرآن، وخاصة آيات النعيم والعذاب، ويعلق أحد كبار دعاتهم "عاطف العجمي" على هذا المصحف بقوله: "يكاد يفوق بلاغة القرآن". قبحه الله كم هو ادّعيّ وغبي.[127] "

وقد جرى تقسيم هذا المصحف المكذوب وفق المواضيع ليسهل الاطلاع عليه، ويشتمل على "44َرْفاً"أولها عَرْف الفتح، وآخرها "بلاغ الحرمات وعرف مسك الختام".
وقد اختير اسم العُرْف"بدلاً من السورة، تمشياً مع ما يطلق على أبناء التوحيد - الدروز - "كنتم بالأعراف، ووصفتم بالأشراف."
"والأعراف كلها تدور حول الدعوة للإيمان بالحاكم كإله معبود، يتصرف في الخلق كما يشاء، فيغدق النعيم على المؤمنين به، ويعذب الذين لا يؤمنون به.[128] "

---

[107]الحركات الباطنية للخطيب/ ص286، والدكتور عبد المنعم النمر/ ص259 - 260.
[108]خطط الشام: جـ6/ 266 - 267، محمد كرد علي.
[109]ينظر: إسلام بلا مذاهب للشكعة، وكتاب عبد المنعم النمر/ ص260.
[110]ينظر رسالة تعليم الدين المعروف بدين الدروز: لمؤلف مجهول (ص 30 – 32)
[111]أيها الدرزي عودة إلى عرينك: كتاب مخطوط لمؤلف مجهول (ص97 - 100) والحركات الباطنية للخطيب/ ص288 - 292، وتوجد نسخة مصورة منه في مكتبة الدكتور محمد الخطيب.
[112]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص293 - 300.
[113]المرجع السابق/ ص293.
[114]ينظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، د. محمد عبد الله عنان/ ص203/ دار النشر الحديث - القاهرة/ 1937م.
[115]الرسالة الموسومة بحفظ الأسرار، من مخطوطة: "لبعضهم قول وجيز" - الجامعة الأميركية - بيروت/ رقم 206./
[116]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص9 دار المعارف بمصر/ 1965م.
[117]مخطوطة: حسر اللثام عن الإسلام، رزق حسونة الحلبي، الجامعة اليسوعية - بيروت/ رقم (697)
[118]ينظر: المنهل، جـ3/ مجلد 20، ربيع الثاني/ 1379هـ، وراية الإسلام: الأعداد (8 إلى 11) سنة/ 1380هـ، نقلاً عن الدكتور محمد أحمد الخطيب/ ص298.
[119]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ 299.
[120]مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ ص8.
[121]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص299.
[122]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص313 - 314، وكتاب النمر/ الشيعة المهدي الدروز، تاريخ ووثائق/ ص261 - 265.
[123]مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي، جـ2/ 514.
[124]طائفة الدروز: محمد كامل حسين/ ص 45، 29.
[125]ينظر: أيها الدرزي عودة إلى عرينك/ ص49، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص314.
[126]دراسات في الفرق: عبد الله الأمين/ ص160/ بيروت/ 1406هـ.
[127]ينظر: أيها الدرزي عودة إلى عرينك/ ص52، والخطيب ص314.
[128]ينظر: كتاب (الشيعة . المهدي . الدروز)/ د. عبد المنعم النمر/ "ص263 - 264"/ دار الحرية - القاهرة. الطبعة الثانية/ 1408هـ - 1988م.

(7) : وقفة مع عقائد الدروز الباطنية وفتاوى العلماء بتكفيرهم:

من خلال هذا المبحث تبين لنا أن الدروز لا يلتقون مع المسلمين في شيء أبداً، فهم يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، كما يعتقدون بالتقمص الذي يبنى عليه أنْ لا جنة ولا نار، ولا حساب ولا معاد، ولا يقيمون من أركان الإسلام الخمسة قليلاً ولا كثيراً، بل يهزأون بها ويسخرون من فاعليها، ويشتمون الأنبياءوالصحابة وهم يزعمون أن لهم مصحفاً خاصاً بهم، فلا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية ولا بصاحبها عليه الصلاة والسلام، ويزعمون أنهم مسلمون إذا كانوا في أوساط إسلامية، وهم يتكتمون على كتبهم ورسائلهم كما ناقشنا ذلك في هذا المبحث.

ولذلك أفتى علماء المسلمين "بعدم صحة حكم القاضي الدرزي على المسلمين؛ لأن الدرزي لا ملة له فهو كالمنافق والزنديق، وإن سمى نفسه مسلماً .[129] "

وقد أجاب **ابن تيمية** رحمه الله في فتواه عندما سئل عن الدروز والنصيرية فقال: "إن هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين ولا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، فهم مرتدون عن دين الإسلام، وهم ليسوا مسلمين ولا يهوداً ولا نصارى، ولا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا بوجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج... وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد، فهم كفار باتفاق المسلمين.

والدروز من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، وهم أعظم كفراً من الغالية، يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته... هذا ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين... وأكثر قولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقاً ... وكفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون.[130] "

---

[129]حاشية ابن عابدين: جـ4/ 299.

[130]الفتاوى الكبرى لابن تيمية/ جـ35/ 155 - 162 (مقتطفات)

المبحث الثالث :الدروز عَبْر التاريخ

إن تاريخ الدروز السياسي، يفسر لنا أحقاد هذه الطائفة وباطنيتها التي سرعان ما كانت تظهر وهي تتحالف مع كل عدو حاقد أو غازٍ دخيل.
كان للدروز مطامع قديمة، لتشكيل كيان مستقل لهم، شأن النصيريين وبقية الأقليات الباطنية.
قد وقف الدروز إلى جانب الزحف المغولي، وتحالف أمراؤهم مع الغزاة الصليبيين، وكثرت فتنهم واعتداءاتهم على أهل السنة جيرانهم في حوران، وأعلنوا العصيان ضد الدولة العثمانية مراراً، تشد أزرهم بريطانيا لتحقيق مطامع الطرفين في الدولة العثمانية.

وفي عهد الانتداب الفرنسي، شكلت فرنسا لهم دولة خاصة بهم، أميرها من الدروز أنفسهم.
وفي عهد الاستقلال تعددت مواقفهم المريبة:
-في حرب فلسطين عام/ 1948م.
-وفي حرب 1967م كانت اتصالاتهم مشبوهة.
-وفي حرب رمضان/ 1973م، أعدم بعض ضباطهم في ساحات القتال لاتصالاتهم بإسرائيل، وقد انخرط الدروز داخل إسرائيل في كل المؤسسات والأجهزة الأمنية والجيش والكنيست، وسلاح الحدود، ومؤسسات التعليم والإعلام كل ذلك وهم ما زالوا يطمحون إلى تأسيس حكومة مستقلة لهم في أقسام من لبنان وجنوب سوريا، وفي الجولان، وإليك أخي القارئ التفصيلات الموثقة.

(1) خلال الزحف المغولي على بلاد الشام:

سنة 657 هـ بزعامة هولاكو، كانت السيطرة على لبنان بيد أمراء الدروز التنوخيين، ولما دخل ابن هولاكو "كتبغا"دمشق، قدِمَ إليه الأمير الدرزي أميراً على منطقة غربي لبنان.
ولكن مجيء الظاهر بيبرس من مصر على رأس جيش المماليك، لمقاتلة المغول، قلب موازين القوى آنذاك، وهنا رأى الدروز أن يلعبوا على حبلين كعادة - الباطنيين - دائماً، وذلك أن يبقى أحدهم "الأمير جمال الدين" إلى جانب المغول، فيما ينضم أمير آخر هو (الأمير زين الدين) إلي جانب المماليك.[131]
وبعد انتصار المماليك على المغول، لم يتعرض المماليك لمناطق الدروز بسوء، إلا أن الظاهر بيبرس كانت تساوره الشكوك في حقيقة أمرهم ومواقفهم، وغدا مليئاً بالشك والحذر من تصرفاتهم، وخاصة بعد أن علم باتصال أمراء الدروز بوالي طرابلس الصليبي، فأمر بسجنهم ليتسنى له متابعة غدر الصليبيين.[132]
وعندما توسط بعض أمراء المماليك لدى الظاهر بيبرس للإفراج عن زعماء الدروز، كان جواب السلطان: "هؤلاء لا أفرج عنهم ولا آذيهم، حتى أفتح طرابلس وبيروت وصيدا" [133] وذلك حتى يأمن غدرهم، ومعونتهم للصليبيين.

(2) خلال الحروب الصليبية:

كان الدروز في لبنان مسالمين للغزاة وهم يزحفون نحو بيت المقدس بعد احتلالهم لأنطاكية، فقد مرت قواتهم بأمان، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام أحد زعماء الدروز "عضد الدولة على التنوخي" بمصالحة الصليبيين والانسحاب من مدينة صيدا وتسليمها لهم عام/ 504هـ.
وكان عضد الدولة والياً على بيروت من قبل ملك دمشق، شمس الملوك دقاق.

واستمر أمراء الدروز على هذه الشاكلة المريبة، إما مصالحين للفرنجة متفرجين عليهم، أو يعقدون معهم علاقات ودية، مع تقديم العون لهم.
وفي عام/ 528هـ، عندما انتقلت إمارة التنوخيين إلى الأمير (بحتر بن شرف الدولة) هيأ لسقوط منطقة الغرب "غرب لبنان" في يد الصليبيين، وذلك بسبب مهادنته لهم، والابتعاد عن محاربتهم أو الوقوف في وجههم.[134]
ولذلك قال ابن تيمية - رحمه الله - عندما سئل عن الدروز والنصيرية: "إن هؤلاء لا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ... وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين..." "ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين..."[135]

(3) الدروز خلال العهد العثماني:
راودت الدروز أحلامهم القديمة في قيام دولة مستقلة لهم وخاصة عندما شاهدوا انشغال الدولة العثمانية في قتال الدول الأوربية المجاورة.
وقد عملوا على تحقيق هذه الأحلام في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الذي اتخذ أسلوب المداورة عن طريق إثارة الحروب المحلية، لبسط نفوذه على سائر بلاد الشام.
إلا أن العثمانيين توجسوا منه خيفة، وخاصة عندما عقد معاهدة مع دوق توسكانا الإيطالية، ورغم أنّ المعاهد تجارية، إلا أنها تضمنت بنوداً عسكرية ضد الدولة العثمانية.
فجرد السلطان العثماني حملة قوية براً وبحراً لمحاربة فخر الدين سنة/ 1022هـ - 1613م/، فهرب الوالي إلى أوربا عن طريق ميناء صيدا، بمساعدة سفينتين ، إحداهما فرنسية، والأخرى هولندية، وهنالك سعى جاهداً للحصول على مساعدات عسكرية من الفاتيكان وإسبانيا وفرنسا لمحاربة العثمانيين، ولكن مسعاه فشل آنذاك.[136]
وبحكم علاقة الأمير الدرزي الوطيدة بدول أوربا، كان يعطف على الإرساليات النصرانية في بلاده، ويسمح بإنشاء مراكز لها في لبنان وفلسطين، كما أنه بسط يده لحماية جميع النصارى في بلاد الشام، حتى صار الأوربيون يدعونه بـ "حامي النصارى في الشرق" وكان عطفه على الموارنة وتحالفه معهم من أبرز مميزات سياسته الداخلية في لبنان، مما قوى مركزه السياسي بعد ذلك.[137]
وقد انسال الدروز نحو جبل حوران وكثرت وقائعهم مع جيرانهم من أهل السنة، وكثرت ثوراتهم ضد الدولة العثمانية، وخاصة بعد ضعفها.
وقد استغلت بريطانيا تلك الأوضاع وأدركت أحلام الدروز الاستقلالية، فأقامت علاقات وطيدة معهم، وأعلنت حمايتها لمصالح الدروز منذ عام/ 1841م.
وقد وقفت إلى جانبهم خلال ثورتهم على الدولة العثمانية/ 1851م، عندما امتنعوا عن دفع الضرائب، وتدخلت لدى الباب العالي، وحلت قضيتهم سلمياً، مما شجع الدروز على الاعتداء على قرى حوران سنة/ 1296هـ - 1880م.
ففي عام / 1298هـ هجم الدروز على قريتي "الكرك وأم ولد" وذبحوا سكانهما عن بكرة أبيهم، فسيقت حملة بقيادة المشير (حسين فوزي باشا) أسفرت عن تحصيل ديات شرعية قسطت عليهم، وقسمت المنطقة بعد ذلك إلى ثماني نواحي.[138]
قال مدحت باشا في مفكرته سنة/ 1297هـ: "والذي زاد الطين بلة أن فرنسا تحمي الموارنة الكاثوليك، وإنجلترا تتشيع للدروز، وكل هذا من سياسات الدولتين لتوسيع نفوذهما في سوريا... فلما أخذت الدولة أهبتها لتأديب الدروز، قام سفير بريطانيا في استانبول يشكو من ذلك ويكرر التردد على الباب العالي، فصارت الأوامر تترى بحل هذه المشكلة المعقدة حلاً سلمياً .[139]

وقد حاول الدروز أن يقيموا لهم دولة مستقلة في لبنان أكثر من مرة، ثم هاجروا إلى جبل حوران - جنوب سوريا - بعد حوادث سنة/ 1860هـ، من وادي التيم في لبنان، وهاجر آخرون إليها بدافع الحاجة والفقر فكثر سوادهم، وكان أول نزول لهم في حوران بعد وقعة عين دارة المشهورة في لبنان سنة/ 1122هـ - 1710م.
فاعتز قدماء الدروز بإخوانهم الذين هاجروا إليهم، وأخذوا يجمعون شملهم على عادتهم، تحت إمرة قوادهم من بني حمدان وآل الأطرش.
ومنذ ذلك الوقت ما برحوا يناوشون أهل السنة والنصارى من أهل القرى والبادية القتال، حتى استقلوا بالجبل استقلالاً تاماً ....
وأصبح الجبل موطن غارات البدو وغزوهم، ونشبت فتن خلال أعوام مختلفة بعد عام/ 1300هـ، وكثيراً ما كان اعتداء الدروز يداهم سكان حوران وغوطة دمشق والمرج، فقويت شوكة الدروز وخافهم جيرانهم من أهل القرى والبادية، وتخوفت الدولة عاقبة أمرهم، بسبب قوة الرابطة بين أفرادهم وتناسي الأحقاد بينهم عند الشدائد.[140]
ويسكن الدروز اليوم في شوف لبنان وجبل حوران ووادي التيم وبعض قرى الغوطة بدمشق والجبل الأعلى في حلب، وبعض قرى فلسطين[141]
واستمرت الفتن والوقائع، وبعد شغب أربعين سنة، أصبح الدروز في جبل حوران يشكلون الأكثرية، بعد أن كانوا أقلية في أواخر القرن الماضي.
ولم تتوقف غاراتهم على القرى المجاورة لهم، فأرسلت الدولة إليهم حملة بقيادة (سامي باشا الفاروقي) قتل منهم زهاء ألف رجل، وأعدم بعض أشقيائهم في دمشق.[142]
ولذلك قرر الصدر الأعظم أن ينهي أعمال تلك العصابات، فأرسل قوة ضاربة إلى الجبل واعتقل المئات، ونفي كثيرون وأعدم آخرون، منهم والد سلطان الأطرش.
وقتل من الدروز في تلك الحملة ما بين "600 - 700" رجل، تحت قصف المدافع.
وكانت كما يقول سلطان الأطرش هي: "الخروج على الخلافة والكفر بالإسلام.[143] "
وقد أثيرت اعتداءات الدروز هذه بعد عام/ 1910م، في مجلس المبعوثان العثماني، حيث ندد مندوب حوران باعتداءات الدروز مطالباً الدولة باتخاذ الإجراءات العسكرية الرادعة ضدهم، بعد اعتداءاتهم على الجيش والأهالي، وذلك صيانة للعرض والدين والمال وتأمين الرعية من الخوف.[144]
كان دروز حوران في شبه ثورة دائمة ضد الدولة، رغم أن الدولة كانت تعرض عليهم مطالب الإصلاح وفتح المدارس، ونشر التعليم بينهم، إلا أن ذلك لم يجد شيئاً، إذ كانوا يهدفون إلى الاستقلال عن الدولة وبسط نفوذهم على لواء حوران بمساعدة الإنجليز[145]
فهل يعرف المسلمون أن الدروز دخلاء على حوران؟ وأن نسبتهم كانت لا تعادل "12% من سكانها" وأنهم وفدوا إليها ليقيموا فيها دولتهم المنتظرة؟! وما زالوا يعملون لهذا الهدف حتى اليوم، مستخدمين كل وسيلة مهما كانت مشبوهة أو رخيصة.[146]
وهل يتذكر المسلمون أن المذابح التي كان يقيمها الدروز في قرى حوران المسلمة، هي استمرار لمذابح القرامطة والحشاشين أسلافهم القدماء؟

(4) في عهد الانتداب الفرنسي:
رحب الدروز بالقائد الفرنسي "غورو" الذي اتخذ حرسه الخاص من الدروز، بمعرفة أحد زعمائهم "متعب الأطرش.[147] "
ثم رفع زعماء الدروز كتاباً إلى المبعوث الفرنسي، طالبوا فيه بتشكيل حكومة خاصة بهم في الجبل والصفا واللجاة، تحت حكم فرنسا.

فعينوا "سليم بن يحيى الأطرش"حاكماً على الجبل، وكان قبل سنوات قائداً للجيش العثماني، ومسؤولاً عن الجبل أمام العثمانيين، وكل سكان الجبل وتلك الدولة لا يتجاوزون الخمسين ألفاً، كما وجد لهم علم مستمد من رموزهم الطائفية، ومجلس تمثيلي يكاد أعضاؤه جميعهم أن يكونوا أميين.[148]
أما سلطان باشا الأطرش، فقد كان موالياً لبريطانيا، وكان قد أرسل رسالة إلى ابن عمه سليم الأطرش، يعلن فيها تأييده للإنجليز، ويحثه على ترك التعاون مع العثمانيين، وكان يشتمهم أشد الشتائم في رسالته، ويمدح بريطانيا مدحاً كبيراً .[149] .

إذاً لماذا ثار جبل الدروز ضد فرنسا بقيادة سلطان باشا الأطرش؟.!
-كان ذلك بسبب خرق فرنسا لتقاليد الجبل عندما ألقت القبض على "أدهم خنجر"، الذي التجأ إلى قرية القريّة بلدة سلطان الأطرش، إثر اشتراكه بمحاولة اغتيال غورو في 22/ 7/ 1921م، فغضب سلطان بسبب ذلك وأعلن الثورة.
-وهنالك سبب آخر، هو تنافس آل الأطرش على زعامة الجبل، وإهانة المندوب السامي "ساراي" لزعمائهم، ونفيه لعدد منهم إلى تدمر، وحاول القبض على سلطان فاستنفر قومه، وبدأت معركة المزرعة ضد فرنسا، واستمرت المعارك متعاونة مع الثورة السورية الكبرى عام/ 1925م.
والتجأ سلطان إلى الأردن، وانقلب قادة الدروز ضد الثورة والثوار، وأعلنوا انضمامهم إلى السلطات المحتلة [150] فرجعوا إلى الأصول التي ساروا عليها طوال تاريخهم الغادر والمتعاون مع كل دخيل، وغازٍ لئيم.

(5) الدروز في عهد الاستقلال:[151]
بعد استقلال سوريا وجلاء فرنسا عن البلاد، ظهرت أطماع الدروز من جديد، وكثرت اتصالاتهم المشبوهة في العديد من المواقف والأحداث السورية، **وكان من أبرزها**:

ما أشيع في حرب/ 1948م، عن خيانة الدروز وتجسسهم لحساب اليهود، وكان الزعيم والكاتب الدرزي (فؤاد الأطرش) قد انبرى للدفاع عن قومه، وبيان وطنيتهم، فأورد رواية مفادها، أن الدروز أوفدوا زعيمهم - حسن الأطرش - على رأس وفد درزي، إلى أمين عام جامعة الدول العربية خلال زيارته إلى سوريا قبيل الحرب، وعرضوا عليه أن ينفرد الدروز بحرب إسرائيل شريطة أن تسمح الأنظمة العربية لهم بالاستيطان في الأراضي التي يتم تحريرها، وبشكل أكثر صراحة، أن تسمح لهم الحكومات العربية بإقامة وطن خاص بهم؟!!.
ويصب فؤاد الأطرش جام غضبه على الساسة السوريين، لأنهم رفضوا هذا العرض، وقالوا لأمين عام الجامعة العربية:
"الدروز عندنا لا يقلون خطراً عن اليهود.[152] "
فالدروز كانوا يخططون إذن من أجل تأسيس دولة لهم منذ عام/ 1948م، واستمرت صلاتهم باليهود حتى اليوم، وذلك ما سوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة.
وكان الباطنيون من الدروز والنصيريين قد تسللوا إلى الحزب القومي السوري، وكذلك حزب البعث العربي الاشتراكي، من أجل ضرب أي وحدة تقوم بين المسلمين.
كما اشترك الدروز في مؤامرة عام/ 1956م، متعاونين مع النصيريين والحزب القومي السوري، وكان من زعماء الدروز الذي اشتركوا في تلك المؤامرة: حسن الأطرش وفضل الله أبو منصور، وكان هدف المتآمرين إقامة وحدة الهلال الخصيب، عن طريق ثورة يقوم بها الدروز جنوب سوريا، والنصيريون في شمالها الغربي، وكشفت المؤامرة بسبب تخلي أديب

الشيشكلي عن شركائه في المرحلة الأخيرة، مما أدى إلى كشف المؤامرة في مرحلة عصيبة خلال العدوان الثلاثي على قناة السويس.[153]
وكان الدروز قد شاركوا في انقلاب الثامن من آذار/ 1963م عن طريق ضباطهم الكبار سليم حاطوم وحمد عبيد، فحاطوم هدم جزءاً من المسجد الأموي في دمشق، وقتل عدداً من الدعاة إلى الله عام/ 1964م، في حين كان حمد عبيد قائداً لقوات البعث، التي اعتدت على مدينة حماة، وهدمت جامع السلطان فيها.
وشقيق سليم حاطوم كان ضابطاً طياراً في جيش الدفاع الإسرائيلي، وكان لسليم حاطوم صلات قوية مع الجاسوس اليهودي "إيليا كوهين"، وكان قد اتخذ من شقة كوهين وكراً لنفسه وفجوره. كما كان الضابط الدرزي "معذي زهر الدين"من عملاء كوهين، وكان يشغل منصباً كبيراً في قيادة الحرس القومي البعثي، ثم اعتقل وسجن بعد اعترافات كوهين.
وإثر محاولة انقلاب فاشلة هرب سليم حاطوم إلى الأردن، وكان قد وقف معه العسكريون الدروز خلال صراعهم مع النصيريين، وحاول سليم حاطوم دخول سوريا خلال حرب/ 1967م، فألقي القبض عليه في حوران، وهو يحاول تنفيذ المؤامرة، بينما كان شركاؤه من النصيريين يرتبون دورهم الخياني لتسليم الجولان، ثم هلك سليم تحت التعذيب في سجون دمشق، بنفس الطريقة التي كان يعذب بها الأبرياء من المسلمين.
فهل جاء تخطيط الدروز بقيادة حاطوم مصادفة مع حرب حزيران/ 1967؟ وهل كانت مؤامرة عام/ 1956م خلال العدوان الثلاثي على مصر مصادفة أيضاً؟.[1] !

الدروز في حرب تشرين عام/ 1973م:[2]

ومن نماذج تآمرهم في هذه الحرب: كان الضابط الدرزي العقيد رفيق حلاوة آمر اللواء المرابط في القطاع الشمالي من الجبهة، قد أمر بإخلاء الأرض التي حررتها إحدى كتائب لوائه، ثم وقعت مشادة بينه وبين العسكريين، ومن ثم ضبط حلاوة وهو يحاول الاتصال بإسرائيل فشكلت له محكمة ميدانية، وأعدم رمياً بالرصاص في ساحة القتال، ومما هو معلوم أن قرى الدروز تقع في القطاع الشمالي الذي كان رفيق حلاوة مسؤولاً عنه.
وتكررت هذه القصة في القطاعات العسكرية، وكان أبطالها من الدروز، واستاء الناس عموماً، ووقعت اشتباكات عديدة بين المواطنين والدروز، فتدخل كمال جنبلاط وشيخ عقل الدروز لتهدئة الحال، ثم برأت السلطة النصيرية حلاوة، وأعلنت أنه سقط شهيداً، بعد أن أعدم عميلاً؟.!!

أما مواقف الدروز في فلسطين والجولان:[3]

فهي ليست أحسن حالاً مما سبق؛ فللدروز المقيمين في فلسطين المحتلة ارتباط وثيق بالكيان الصهيوني، وكذلك الأمر أصبح لدى دروز الجولان .
فقد ساهم الدروز في عضوية الكنيست الإسرائيلي منذ عام 1951م، ومن هؤلاء جبر الداهش معدي، ولبيب أبو الركن وصالح خنيفس.
يقول الكاتب الدرزي غالب أبو مصلح عن هؤلاء: "وثلاثتهم كانوا عملاء مخابرات للهاغاناه قبل اغتصاب فلسطين" وعندما تردد النظام الإسرائيلي في منح هؤلاء وسام الاستحقاق، غضب جبر الداهش وقال: "أنا الذي مقابل (40 ليرة حقيرة) في الشهر عرضت نفسي للخطر في خدمة جهاز المخابرات الإسرائيلية، هكذا يفعلون بي الآن؟! إنني أستحق الوسام عن جدارة وليس عن منة؟.[4] "!!
وقد اتهم الدروز في الجولان في (مجدل شمس) عدة مرات بتآمرهم مع اليهود وخلال عهود متعاقبة، وبينهم من صدر حكم ضده، وأهل القرى المجاورة لمجدل شمس في القنيطرة يعلمون وضع هذه القرية، ووضع بقعاثا ومسعدة (من قرى الدروز) بأنها قرى موبوءة!![5]

ويتحدث الكاتب الدرزي غالب أبو مصلح عن زعامة هضبة الجولان وزعيم مجدل شمس فيقول: "وبعد احتلال هضبة الجولان عملت السلطات على اختيار الزعامة التي تؤمن مصالحها، فاختارت الشيخ "سليمان كنج" بعد أن رفض غيره التعاون مع تلك السلطات الغازية المحتلة، وبيت كنج هذا (وعلى رأسه سليمان) (وكمال)كان بعثياً عفلقياً، ثم صار بعثياً أسدياً ثم صار يهودياً، وإن هؤلاء الدروز يتحدثون عن خيانة سليمان الكنج من منطلق الدفاع عن الطائفة الدرزية، وآل الكنج هم زعماء الجولان كآل الأطرش في الجبل، وكمال جنبلاط في لبنان[6]

وكان شيخ عقل الدروز في فلسطين (أمين طريف)

قد أرسل برقية تهنئة "في 9/ حزيران/ 1967م" إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بمناسبة عودة القدس إليهم.[7]

وكان كمال جنبلاط قد وصف شيخ عقل الدروز هذا بقوله: "ولكن لديهم رئيس روحي رفيع يقودهم... وأنه أمثولة في الحكمة.[8] "

وتحدث كمال كنج بأن شيخ العقل "أمين طريف" كان قد زار دروز هضبة الجولان في مجدل شمس أكثر من مرة، وأفهمهم بأنه قد أوصى موشي دايان.... بالدروز خيراً، وأن دايان وعده بتنفيذ كافة مطالب الجولان[9]

وبلغ من ثقة إسرائيل بالدروز أن طبقت قانون التجنيد الإلزامي عليهم من عام/ 1955م، بينما أعفي أبناء بقية الطوائف العرب من ذلك لاعتبارات أمنية.

وشارك الدروز اليهود في حروبهم ضد العرب، وكانوا من أشرس المقاتلين وأكثرهم وحشية وهمجية، وسَمِعَ بعضُهم في الجولان والضفة الغربية مَنْ يقول، وهو يفتك بالعرب: "يا لثارات الجبل!! يعنون بذلك أواخر عهد الشيشكلي عندما تمرد الجبل عليه وقام بقصفه."

ويعمل الدروز في أجهزة الأمن الإسرائيلية: في الشرطة وحرس الحدود والسجون وفي الجوازات وفروع المخابرات.

يقول غالب أبو مصلح: "وكل من أكمل الخدمة الإلزامية في إسرائيل يجد نفسه غير قادر على كسب قوته معظم الأحيان إلا في التوجه إلى حرس الحدود وحرس السجون والشرطة، حيث الإغراءات المادية كثيرة، وفرص العمل مفتوحة.[10] "

فكيف يطمئن اليهود إلى تشغيل الدروز في هذه الأجهزة الحساسة؟

أما قسوتهم في معاملة العرب ووحشيتهم ضد الفدائيين، فحدّث ولا حرج.

ويتبين لنا مما سبق من أدلة ومواقف:

أن الدروز متورطون مع النظام الصهيوني في كل شيء..

متورطون معهم في الجيش والأمن والمخابرات والسياسة وحتى أجهزة الإعلام والتعليم....

والدروز لم يخرجوا من فلسطين عام/ 1948م، ومن الجولان عام/ 1967م، لأنهم يخططون مع اليهود لإقامة دولة درزية تشمل منطقة الشوف في لبنان، وجبل حوران وما بينهما من مناطق.ولذلك كان الدروز دائماً طابوراً خامساً في جميع الحروب التي نشبت بين العرب وإسرائيل.

أما العرب الذين اضطروا إلى مغادرة مدنهم وقراهم في فلسطين المحتلة عام/ 1948م، فقد تحدثت صحف العالم عن مجازر اليهود في دير ياسين والطيرة، عندما بقروا بطون الحوامل بالحراب، وقطعوا الأطفال إرباً إرباً أمام أعين الآباء والأمهات، ولا ننسى وحشيتهم عندما كانوا يصبون (البرافين) على الأسرى العرب، ليشعلوا فيهم النيران وهم أحياء.. أما استخدام قنابل النابالم المحرقة في الجولان عام/ 1967م ضد المسلمين، كان أمراً عادياً عندهم..[11]

أما دروز الجولان فقد وجدوا عند إخوانهم اليهود كل عطف وعون، ومازالوا كذلك، ولو كثرت مشاهد التمثيل الدرامي باسم الوطنية وإرجاع الجولان.

---

[131]ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص218، وتفصيل ذلك (كتاب الموحدين الدروز السياسي)، د. عباس أبو صالح/ و د. سامي مكارم/ منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، ص112 - 113.

[132]المرجع السابق/ ص113 - 114/ تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي.

[133]التنوخيون: أجداد الموحدين الدروز/ نديم حمزة ص110، دار النهار للنشر طبعة أولى/ 1404هـ/ ودراسات في الفرق: عبد الله الأمين/ ص161.

[134]ينظر: التنوخيون أجداد الموحدين "الدروز، نديم حمزة/ ص81 وص 82، ص89/ وأثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد/ ص258 - 259.

[135]الفتاوى لابن تيمية: جـ35/ ص162، ص151.

[136]ينظر: تاريخ الموحدين الدروز السياسي/ ص133 - 136.

[137]المرجع السابق/ ص142 - 143.

[138]خطط الشام: محمد كرد علي. حـ3/ ص102.

[139]المرجع السابق/ جـ3/ ص103.

[140]ينظر: خطط الشام: محمد كرد علي/ جـ3/ ص101، ص107.

[141]المرجع السابق/ جـ6/ ص268.

[142]خطط الشام: محمد كرد علي ج 3/ ص 901، 011.

[143]تاريخ سوريا "نهاية الحكم التركي": د. علي سلطان/ ص110 - 115، وجريدة المقتبس: العدد 437 / شهر آب/ 1910م.

[144]ينظر: كتاب الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، محمد عبد العزيز عوض/ دار المعارف بمصر/ ص193، وص291./

[145]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب/ ص221.

[146]الصراع العربي الإسرائيلي: جـ1/ 32، محمد بن عبد الغني النواوي.

[147]تطور الحركة الوطنية في سوريا: د. ذوقان قرقوط/ ص64.

[148]المرجع السابق/ الصفحات: 48 - 49، ص66، والصراع العربي الإسرائيلي جـ1/ ص150 - 151، محمد بن عبد الغني النواوي.

[149]تطور الحركة الوطنية في سوريا/ ص264 - 265، والكاتب من الطائفة الدرزية.

[150]ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص55 - 57، وص 60 - 61 وتطور الحركة الوطنية في سوريا/ ص94.

[151]ينظر الصراع العربي الإسرائيلي: محمد بن عبد الغني النواوي/ ص81 - 92.

[152]الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق، لمؤلفه فؤاد الأطرش (ص288)، وينظر الصراع العربي الإسرائيلي / ص81.

[153]ينظر تفصيلاً لذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب، والصراع العربي الإسرائيلي/ 87 - 88

[1]ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص89 - 91، وينظر: تصفية الضباط الدروز في الباب الثاني من هذا الكتاب.
[2]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص92.
[3]المرجع السابق/ ص103 - 119، بإيجاز وتصرف يسير.
[4]الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص57، لغالب أبو مصلح. عن صحيفة الاتحاد الصادرة في الأرض المحتلة في 7/ 4/ 1970م.
[5]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص105.
[6]المرجع السابق/ ص106 - 107، والدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي لغالب أبو مصلح.
[7]نشرت الخبر إذاعة إسرائيل وصحفها ووكالات الأنباء العالمية.
[8]هذه وصيتي: كمال جنبلاط/ 58.
[9]الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي: غالب أبو مصلح/ ص249.
[10]صحيفة الاتحاد الشيوعية في 11/ 7/ 1972م، وغالب أبو مصلح في كتابه (الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي) ص102.
[11]الصراع العربي الإسرائيلي/ ص124.

الفصل الثالث: النصيرية

المبحث الأول: نشأة النصيرية في القرن الثالث الهجري على يد محمد بن نصير البصري الفارسي الأصل

المبحث الثاني: معتقدات النصيريين
ألوهية علي بن أبي طالب من أهم عقائدهم
إيمانهم بالتقمص والتناسخ مع نفي المعاد يوم الحساب
إباحة المحرمات وإسقاط التكاليف
الطقوس السرية لدخول جهالهم في سلك النصيرية
التستر على عقائدهم والتأويل الباطني لها
قداسات النصيرية ونماذج من كتبهم
موقف النصيرية من الصحابة مضطرب بين الشتائم والتقديس

المبحث الثالث: النصيريون عَبْرَ التاريخ
تعاونهم مع الصليبيين ضد المسلمين
تعاونهم مع التتار وتيمورلنك خاصة لنكبة دمشق وبغداد
فتن النصيريين في العهد العثماني
تعاونهم مع المستعمر الفرنسي
النصيريون بعد الاستقلال: مخططاتهم لاحتكار السلطة
أقوال العلماء في النصيرية والحركات الباطنية

الفصل الثالث :
النصيرية: نشأتها - عقائدها - تاريخها

المبحث الأول: نشأة النصيرية

النصيرية إحدى الحركات الباطنية، التي ظهرت في القرن الثالث الهجري، وهي تنسب إلى محمد بن نصير البصري النميري، ويكنى بأبي شعيب، وهو فارسي الأصل، كان من أصحاب الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) للشيعة الإمامية، وزعم ابن نصير أنه الباب إلى محمد بن الحسن العسكري، أي أنه وكيل له وممثل ومرجع للناس من بعده.
ثم ادعى أنه رسول الله، ونبي من قِبَل الله تعالى، ثم جحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه، وقال بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال لبعضهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل[12].
تعتبر النصيرية من الشيعة الغلاة، لأنهم غلَوْا في علي بن أبي طالب، وقالوا: بألوهيته، ويعتقدون بتناسخ الأرواح والتأويل بالباطن.
ونظامهم الديني يدور حول أسماثلاثة، تكوّن تثليثاً شبيهاً بالتثليث عند النصارى، ويرمز لهذا التثليث عند النصيرية بحروف "ع. م. س" أي علي بن أبي طالب، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وسلمان الفارسي.
والواقع أن ابن نصير وأتباعه يقدمون لنا مثلاً واضحاً لطائفة انتقلت مباشرة من الوثنية إلى طائفة الشيعة الغلاة، فديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار، ما تزال تنبئ عن معتقدات هي مزيج من عناصر غير متجانسة من الإسلام والنصرانية والوثنية[13]
والواقع أن ابن نصير لم يكن أول مَنْ زعم هذه المعتقدات، فقد سبقه إليها عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي ادعى ألوهية علي رضي الله عنه، ثم تبعه أبو الخطاب الأسدي الذي يعتبر فكره من الأصول القوية، التي اعتمد عليها ابن نصير، فادعى أن الأئمة آلهة، فلما بلغ ذلك جعفر الصادق، لعنه وطرده فادعى الألوهية لنفسه - قبحه الله – [14].
وقد توالى (بعد ابن نصير) على زعامة الطائفة النصيرية عدد من الزعماء، فقد تولى زعامة الطائفة بعد موت ابن نصير/ 270 هـ، عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني، نسبة إلى بلدة (جنبلا) في بلاد فارس، ثم تولى زعامة الطائفة من بعده تلميذه "حسين بن حمدان الخصيبي" الذي كان يقول بالتناسخ والحلول، ثم رحل إلى مدينة حلب لينشر أفكاره على مقربة من سيف الدولة الحمداني، فكان الخصيبي من ألمع رؤساء النصيرية، وأكثرهم أثراً في المذهب وكان يلقب بشيخ الدين، وكثرت مؤلفاته في المذهب[15].
ويذكر هاشم عثمان في كتابه: "العلويون بين الأسطورة والحقيقة: "أنه في أيام إمارة سيف الدولة بحلب/ 283هـ، نبغ من العلويين شيخهم المعروف بالحسين بن حمدان الخصيبي أحد أقارب سيف الدولة بن حمدان، وصاحب كتاب (الهداية الكبرى) فساعده هذا الأمير على بث دعوته وجمع كلمة الطائفة النصيرية"[16]
وتعتبر كتب المفضل الجعفي تلميذ أبي الخطاب، من الكتب المقدسة عند النصيرية[17].

ويلاحظ أن مؤسسي العقيدة النصيرية، كانوا من بلاد فارس، إذ كان محمد بن نصير العبدي من فارس، وكان يمجد الشخصيات الفارسية مثل: أزدشير وسابور لأن يُعَدان تجسيداً للألوهية، وكان عبد الله الجنبلاني من مدينة (جنبلا) الفارسية ويلقب بـ "الفارسي"، وكان خليفته الخصيبي كذلك فارسياً ترك جنبلا وساح في خراسان ثم استقر في سوريا[18].

وقد كان كثير من قبائل النصيرية يرحلون أيام العباسيين من خراسان ويقطنون بجوار نهر العاصي، وفي جبال اللاذقية، ومنها قبيلة "عبدى" جاءت من منطقة سيحون وجيحون (ما وراء النهر) شمال بلاد فارس، وهذه القبيلة الأعجمية، ينتسب إليها مؤسس العقيدة النصيرية، محمد بن نصير العبدي، ويذكر الخصيبي في كتابه "الهداية" أن العبيديين قبيلة نصيرية من بلاد فارس[19].

كانت الطائفة النصيرية قد اضطرت إلى الهجرة منذ عهد مبكر، بسبب معتقداتها الدينية المتطرفة، وبعد مقتل أحد أعمدتها السياسية ممثلة في الوزير "ابن الفرات" الذي عرف بنزعاته الباطنية وانتماءاته إلى القرامطة، والتي سوغت له ادعاء الوحي والنبوة [20]

عاشت الطائفة مغلقة على نفسها طويلاً، وذلك بسبب غربتها الفكرية والعقدية عن الجماعة الإسلامية، التي كانت تحيط بها.. مما حمل السلطات على اختلاف العهود على محاربتها ونصب القتال ضدها، باعتبارها طائفة حَرّفت تعاليم الدين وخرجت عن إطاره، مع جدب فكري وانتشار للأمية وعجمة في اللغة، صارت مميزة لآثارها ومدوناتها، كما هو بيّن في مؤلفاتها[21].

وبدأ النصيريون يزحفون من الجبال التي قطنوها "جبال البهراء" إلى السهول المجاورة في عكار واللاذقية، حتى صارت لهم أغلبية واضحة في محافظتي اللاذقية وطرطوس، وقد كان يصعب عليهم التعايش السلمي مع جيرانهم على اختلاف طوائفهم، كما كانوا يطمحون إلى الاستقلال وتكوين دولتهم المنشودة.

"وموقف النصيرية من الأديان والشرائع السابقة هو موقف العداء المستمر، موقف نسخ لها وإلغاء".وقد لعبت عزلتهم الجغرافية والاجتماعية، وخلفيتهم الريفية دوراً كبيراً في تقوقع الطائفة وانطوائها على نفسها، وما يترتب على ذلك من تعصب لأفراد الجماعة من جهة، ونظرة استغراب وحذر وخوف من الجماعات الأخرى من جهة ثانية، يضاف إلى ذلك، ما كانوا يلقونه من دعم السلطات الفرنسية وتشجيعها لهم على الانفصال[22]

وخلال السنوات الأخيرة من هذا القرن، انساح النصيريون في السهول المحيطة بمناطقهم وقطنوا المدن الكبرى، وزاحموا أهل السنة، حتى ضاقت الديار بأهلها، وذلك بعد التسلط العسكري النصيري البعثي منذ عام/ 1963م.

"والنصيريون يقسمون إلى عشائر أربع كبيرة متحدة:

الخياطين - والحدادين - ثم المتاورة والكلبية.. وهم موزعون على منطقة اللاذقية والمناطق المحيطة بها، وقد يكون للاتحادات العشائرية أكثر من قائد "رئيس أو زعيم "حيث تنقسم هذه الاتحادات إلى عشائر، لكل منها "مُقدَّم"، ورغم أن زعامة العشيرة تكتسب عادة بالوراثة، إلا أنه بالإمكان الحصول عليها عن طريق نفوذ قوي في مراكز القوى السورية، وبذلك استطاعت بعض العائلات الفقيرة مثل عائلة (حافظ الأسد) اكتساب نفوذ كبير على مستوى العشيرة في مناطق نشأتهم، وذلك بسبب وضعهم القوي الذي اكتسبوه على المستوى الوطني في الجيش ثلاً .

ومعظم عشائر الطائفة لها رؤساء دينيون "الشيوخ أو رجال الدين" وهم يتمتعون بنفوذ ديني واجتماعي كبير على رجال العشيرة، وإن كان أقل من نفوذ زعيم العشيرة[23].

لقد كانتجبال العلويين فيما مضى من أكثر المناطق السورية حرماناً وتأخراً، بل كانت متخلفة عن بقية مناطق الدولة في كثير من المجالات، وقد تحسنت الظروف الاجتماعية والاقتصادية للفلاحين النصيريين، بشكل ملحوظ، منذ استقلال سوريا، وخاصة منذ أن تولى حزب البعث زمام الحكم في عام/ 1963م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت منطقة اللاذقية تتمتع بنمو وتطور كبيرين"[24]

تم ذلك واستمر حتى اليوم على حساب الأكثرية من المسلمين السنة، الذين بدأوا يعيشون أياماً حالكة من الحرمان وعدم تكافؤ الفرص، والمجاعة تنتظر أكثرية السكان من المسلمين السنة.. فسبحان مغير الأحوال، ومقلب الأمور، والعاقبة للمتقين على كل حال.

---

[12]ينظر: فرق الشيعة، للحسن بن موسى النوبختي/ ص103، المطبعة الحيدرية في النجف - العراق/ 1969م - 1388هـ.
[13]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص321 - 322.
[14]الملل والنحل للشهرستاني: جـ/ص 11الهامش، والفرق بين الفرق للبغدادي/ ص255.
[15]ابن حجر في لسان الميزان: جـ2/ 279 - 280، ومصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب/ ص321 - 322.
[16]العلويون بين الأسطورة والحقيقة هاشم عثمان/ ص157.
[17]دائرة المعارف الإسلامية، مادة (النصيري).
[18]العلويون النصيريون: أبو موسى الحريري/ص27، 30/ ومحمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين/ ص205، دار الأندلس - بيروت/ 1966م.
[19]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص14 - 15.
[20]الكامل لابن الأثير/ حوادث سنة 301 وما بعدها.
[21]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص56/ بيروت/ 1986م.
[22]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص39 - 40.
[23]الصراع على السلطة في سوريا :د. نيقولاس فان دام،(ص27 - 28)/ الطبعة الثانية/ 1995م
[24]الصراع على السلطة في سوريا/ ص29.

المبحث الثاني: معتقدات النصيرية

النصيرية شأن الفرق الباطنية الأخرى، قامت على أكتاف مؤسسيها من دعاة الفرس، وتتشابه مع الدروز والإسماعيلية في أكثر معتقداتها الدينية، كالتقمص وإنكار يوم الآخرة والجنة والنار والحساب، وفي إباحة المحرمات وإسقاط التكاليف الشرعية عن أتباعهم.
ويشتركون جميعاً في السرية المطلقة، والتكتم في عقائدهم، وقتل كل من ينشرها، ولو كان من أبنائهم، وهم يلجأون إلى التأويل الباطني، فلهم ظاهر وباطن، ينكرون الرسالات السماوية والقرآن الكريم..ولهم كتبهم المقدسة التي كشفت مؤخراً .
وإذا كان الدروز يؤلهون الحاكم بأمر الله فإن النصيرية يؤلهون علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وهم يزعمون فوق كل ذلك بأنهم شيعة جعفرية، ويتظاهرون بالإسلام عند الضعف، ويصرحون بعقائدهم عند التمكين.
ولهم جميعاً طموحات سياسية طائفية انفصالية، ولذلك تعاونت طوائفهم كلها مع كل غاز دخيل على مر التاريخ، وسنتحدث عن أبرز معتقدات النصيرية في هذا المبحث، كما نتحدث عن تاريخهم السياسي ومواقفهم الشائنة في المبحث الثالث بإذن الله.
كل ذلك بالقدر الذي يكشف الغبش عن أعين القراء في بلاد الشام ليعرفوا حقيقة معتقدات القوم، ومواقفهم السياسية الحاقدة ضد الإسلام والمسلمين.

(1)تأليه عليّ بن أبي طالب عند النصيريين:[25]

العقيدة الأساسية عند النصيرية تتمثل في تأليه علي رضي الله عنه، فيزعمون أنه إله أو حلت فيه الألوهية؛ فعليّ في نظرهم إله في الباطن إمام في الظاهر، لم يلد ولم يولد، ولم يمت ولا يأكل ولا يشرب، اتخذ محمداً ناطقاً، لذا فهو متصل به اتصالاً منفصل عنه نهاراً .[26] "

فالنصيرية تجيز حلول اللاهوت في الناسوت، وهذا تصور يناقض العقيدة الإسلامية، إذ لا حلول ولا اتحاد، ولا تستقيم عقيدتهم مع الوحدانية المنزهة عن المماثلة والمشابهة" [27]

فالجماعات الباطنية الغلاة، وتحت التأثير اللاشعوري لعقائدها القديمة قبل الإسلام، بشرت بهذه العقيدة الضالة، على سبيل الحلول والتناسخ، ولذلك جعل الشهرستاني هذا القول بمثابة التعريف الشامل لهم ولبنائهم الفكري فقال:

"الغلاة اسم يطلق على أولئك الذين غلوا بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم في الحلولية والتناسخية، من مذاهب اليهود والنصارى، فاليهود شبهوا الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في بعض الأئمة" [28]

وتوضيحاً لما سبق نرجع إلى بعض كتبهم وتعاليمهم. فمن كتاب "تعليم الديانة النصيرية" نورد بعض النصوص، وهي على شكل أسئلة وأجوبة، حول ألوهية عليّ - كما يزعمون. -

"س: من هو ربنا الذي خلقنا؟!

ج: "هو مولانا أمير المؤمنين، أمير النحل علي بن أبي طالب، وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم."

س: من دعانا إلى معرفة مولانا أمير المؤمنين؟!

ج: "رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال في خطبة بيعة الدار: (اسمعوا الآن ما أقول لكم، اعلموا أني أدعوكم إلى علي بن أبي طالب، كما أدعوكم إلى الله عز وجل، ألا إن علياً مولاي ومولاكم.[29] "

ومعلوم أن النصيريين أنزلوا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى مرتبة أدنى من مرتبة علي، وجعلوه يقوم بدور حاجب علي، باعتبار أن علياً هو الذات الإلهية، الذي فاض عن نوره محمد وسلمان الفارسي.[30]

ويعتقد النصيريون أن الرَّعْد هو صوت علي، وأن علياً يسكن القمر، أو أن القمر هو علي ذاته، ولذلك كان القمر معبوداً لهم، كما أن بعضهم يقدس الشمس ويعبدها.[31]

ويعتقد النصيريون أن محمداً هو الذي خلق سلمان الفارسي، وسلمان هو الذي خلق الأيتام الخمسة بعد ذلك، وبيد هؤلاء الخمسة مقاليد السماوات والأرض وهم:

1- المقداد: ويعتبرونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.
2- أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.
3- عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.
4- عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسم وأمراض الإنسان.
5- قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.[32]

ومن عرف الأيتام والمقامات والنقباء..فقد خرج من العبودية، وأبيح له ما كان محظوراً .. وهذا الاعتقاد يفسر لنا سبب تخريبهم للمساجد، وإسقاط الفرائض الشرعية لأنهم يعتبرونها

خاصة بالجهلة والمقصرين، أما النصيرية فقد عرفوا الله ظاهراً وباطناً، وعرفوا مراتبه، فسقطت عنهم الفرائض فأصبحوا هم أهل التوحيد الحقيقيين [33]

والنصيرية تعظم عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، ويعتبرونه أفضل أهل الأرض، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره.[34]
ويخطئون من يلعنه، وتنطلي هذه الأساطير البعيدة عن المنطق، على أتباع المذهب النصيري حتى اليوم.

ومما تقدم نستطيع القول: إن مذهب النصيريين يتكون من مزيج عدة عناصر غير متجانسة منها:
الوثنية: كتقديس الكواكب والنجوم، ومنها النصرانية: كالاعتقاد بالثالوث "ع.م.س" أي علي - محمد وسليمان.
ومنها شيعة اثنا عشرية: كالاعتقاد بسلسلة الأئمة الإثني عشر.. ومنها مجوسية مزدكية: كإباحة المحرمات وإسقاط الواجبات والاحتفال بعيد النوروز، وكذا أعياد النصارى والوثنيين.
وقد كانت الوثنية شائعة في مناطق النصيرية، ويدين بها صائبة حرّان.[35]

والحقيقة أن عقيدة النصيرية اتخذت صوراً ملفقة تقوم على ثلاثة أركان:
-أولها: مستمد من مذاهب فلاسفة اليونان "الغنوصيين"، والتي تختلط فيها العناصر الدينية بمفردات من الفلسفة اليونانية.
-ثانيها:يعود إلى وثنية حرّان "شمال شرقي سورية"وقد ألّهت الأفلاك والنجوم السيارة.
-وثالثها: مستمد من ديانات الفرس القديمة وخاصة المانوية والزرادشتية.[36]
ولا غرابة في ذلك فمؤسس هذه الطائفة النصيرية (محمد بن نصير) فارسي الأصل، لذلك تأثرت حركته بعقائد المجوس في كثر عقائدها وعباداتها وأعيادها.
فمن أعياد النصيرية التي يشاركون المجوس فيها عيد النيروز ومدته ستة أيام، وهو عيد قومي عند الفرس، وفيه تمجيد لملوكهم، ويشير إلى حلول الإله وشخوصه في ملوكهم.
وعيد المهرجان ومدته ستة أيام كذلك، وعيد السدّق وعيد الشركان وغيرها من الأعياد، كما أنهم يشاركون المجوس في عقيدة التقمص[37]
أما العنصر الوثني فيظهر واضحاً من خلال إطلاق النصيرية على الإمام علي تارة اسم "الشمس"، وتارة أخرى اسم "القمر"، حتى انشقت الطائفة وانقسمت إلى فرقتين:
إحداهما شمالية، وتعرف بالشمسية، والثانية جنوبية، وتعرف بالقمرية أو الكلازية التي ذهبت إلى أن علياً هو ذات القمر، بينما تعتبر الشماليةأن القمر مخلوق فلا يصح أن يكون معبوداً [38].
ويظهر تأثرهم بالنصرانية قوياً في مظاهر شتى منها:
احتفالهم بأعياد النصارى، وتسمية صلواتهم قداسات، وتعظيمهم للخمر، ومشابهة ثالوثهم بثالوث النصارى:
"الأب والابن وروح القدس" مع "ع.م.س." علي، محمد، سلمان.[39]
كما يظهر تأثرهم بطقوس النصارى في كتاب (تعليم ديانة النصيرية) الذي أورده الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين من ذلك:

-السؤال (76) ما القداس؟! الجواب: تقديس الخمر.
-السؤال (77) ما القربان؟! الجواب: تقديس الخبز.[40]

-السؤال (88) ما دعاء النوروز؟! الجواب: تقديس الخمر والكأس.
ومن الأعياد النصرانية التي يحتفل فيها النصيريون: عيد الميلاد، ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر، وعيد الصليب وعيد الغطاس وعيد العنصرة.[41]

وبذلك فإن الحكم على النصيرية بعد كل ما مرّ، لم يعد صعباً، فتصورهم للألوهية بعيد عن الإسلام كل البعد، بل هو الكفر بعينه، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت بالتوحيد الخالص لله وحده، وكانت دعوة اجتثاث للوثنية بكل صورها ومظاهرها، جاءت لتحرير الإنسان من عبودية العباد وضلالاتهم ثم الاتجاه به نحو عبادة الله وحده.
وصدق الله العظيم: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإنْ لم ينتهوا عما يقولون ليمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم }.[42]

---

[25]ينظر: الحركات الباطنية للخطيب/ ص341 - 354، والنصيرية: تقي شرف الدين/ ص119 - 129.
[26]إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة/ ص335.
[27]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص119.
[28]الملل والنحل للشهرستاني، على هامش الفصل لابن حزم/ جـ2/ (ص10)، طبعة القاهرة/ 1929م.
[29]كتاب تعليم الديانة النصيرية/ مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس (رقم 618) عربي/ ورقة (2و3)نقلاً عن الخطيب/ ص344 - 345.
[30]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص345.
[31]إسلام بلا مذاهب/ ص337 - 338.
[32]العلويون أو النصيرية: د. مجاهد الأمين/ ص14، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر/ بيروت
"وهؤلاء الأيتام هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا قد ناصروا علياً، أما قمبر فكان غلاماً لعلي بن أبي طالب."
[33]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص349 - 350.
[34]الفصل في الملل والنحل لابن خرم، جـ4/ ص188/ بيروت دار المعرفة.
[35]الحركات الباطنية للخطيب/ ص351 - 352.
[36]ينظر النصيرية: تقي شرف الدين/ ص123، 125، 129./
[37]ينظر: صبح الأعشى للقلقشندي، جـ2/ 418 - 424 طبعة القاهرة/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
[38]النصيرية: تقي شرف الدين/ ص129.
[39]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد الخطيب/ ص352.
[40]مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي/ دار العلم للملايين بيروت/ الجزء الثاني.
[41]صبح الأعشى للقلقشندي: جـ2/ ص409/ القاهرة.
[42]سورة المائدة: الآية/ 73.

(2) : إيمانهم بالتقمص والتناسخ ونفي يوم البعث والحساب:[43]

التناسخ هو انتقال الروح من جسم إلى جسم آخر، وقد يكون الجسم الثاني جسم إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، وينتقل الإنسان من جسم إلى جسم سبع مرات، وكل مرة تكون الروح بمرتبة.
ويرون أن الروح عندماتفارق الجسم بالموت تتقمص ثوباً آخر وهذا الثوب يكون حسب إيمان هذا الشخص بديانتهم أو كفره بها.
وعلى هذا فهم يرون أن الثواب والعقاب، لا يكونان في الجنة والنار، وإنما في هذه الدنيا حيث ينال الإنسان حسابه، حسب التراكيب والتقمصات الناسوتية والمسوخية التي تصيب الروح [44].
وتقمص الأرواح بالنسبة للمؤمن هو ارتقاؤه في الدرجات والمراتب حتى يخرج من هذه القمصان اللحمية، ويلبس قمصان الأنواع العليا وهي النجوم، فالنجوم هم المؤمنون الصالحون حسب زعمهم [45]
والكافر في اعتقاد النصيرية يمسخ في كل شيء ما عدا الصورة البشرية؛ وذلك لما قام به من الكفر والجحود والإنكار لأهل الحق - وهم النصيرية فيعاقب ويُعَذّب بتركيبه في كل شيء "ما عدا الصورة البشرية الإنسانية" من بقر وغنم وإبل وطير وهوامّ، وكل ذي روح من قردة وخنازير، وهذا في نظرهم هو المسخ والنسخ، فالذي يؤكل منه هو نسخ، والذي لا يؤكل هو مسخ، وهذا كله - فيما يزعمون - عدل من الله عز وجل، لهؤلاء الجاحدين، الذين يجحدون أهل الحق" [46]
وقد لخص النوبختي هذا كله فقال: "مقتضى مذهب هؤلاء الغلاة، أنْ لا دار إلا الدنيا، وإن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره، إن خيراً فخير، وإنْ شراً فشرّ، وإنهم مسرورون في هذه الأبدان، أو معذّبون فيها، والأبدان هي الجنات وهي النار، وأنهم مُنَعّمون في الأجسام الحسنة الإنسية والمنعّمة، ومعذبون في الأجسام الرديّة المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس، يحولون من بدن إلى بدن، يعذبون فيها هكذا أبداً، فهي جنتهم ونارهم، فلا قيامة ولا بعث، ولا جنة ولا نار" [47]
وجاء في الباكورة السليمانية: "أن النصيرية كافة تعتقد أن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم، تحل أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في هياكل القرود، أما الأشرار من طائفتهم فتحول أرواحهم في المواشي التي تؤكل، ولكن المتشككين في الديانة، فيصيرون قروداً بعد موتهم.[48] "

فالتناسخ عقيدة فاسدة، كانت منتشرة قبل الإسلام في بلاد فارس والهند واليونان.
يقول الشهرستاني: "كان التناسخ مقالةً في كل ملة من المجوس والمزدكية، والبرهمية الهندية، ومن الفلاسفة والصائبة" [49]
ويؤكد ذلك الدكتور محمد كامل حسين بقوله: "إن لهذه العقيدة علاقة بمذهب التناسخ في الديانة البوذية والديانة الهندوكية.[50] "
والنصيرية في الوقت الحاضر: لا تنكر هذا الاعتقاد مطلقاً، بل لا تزال تؤمن به وتبرره بكل ما يعنيه هدا الاعتقاد من كفر وجحود.
يقول النصيري المعاصر هاشم عثمان: "إن إنكار وجود البعث شيء طبيعي، وقد كان ذائعاً في العصر العباسي قبل ظهور اصطلاح النصيرية.[51] "
وكتابه (العلويون...) مليء بالمغالطات السمجة العجيبة، وكأن وجود إنكار المعاد والكفر بالآخرة عد بعض الضالين، يبرر إنكار النصيريين للبعث والنشور.

والواقع أن اعتقاد التناسخ بكل صوره وأشكاله، يهدم ركناً هاماً من أركان الإسلام وهو الإيمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار.
والكفر بالآخرة يخرج الإنسان من الإسلام، وهذا واضح في كثير من آيات القرآن. منها قوله تعالى: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر [52] }وقوله تعالى: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً }.[53]
ووصف تعالى هذا اليوم بوصف دقيق في كثير من الآيات والسور كقوله: {يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة من شراً يره}.
فأنى لهؤلاء الإسلام، وقد جاء هذا الدين لإزالة كافة المعتقدات الوثنية والإلحادية؟.[54] !
-وقد أجمع علماء المذاهب الإسلامية على إخراج من يقول بالتناسخ من دائرة الإسلام، وحكموا عليه بالكفر، لاصطدام هذه الفكرة مع ركن ثابت عرف من الدين بالضرورة، ألا وهو الإيمان باليوم الآخر، الثابت بنصوصه الشرعية.[55]

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/ ص148 ما يأتي:
"كل من يغير الظاهر بغير برهان قاطع، فهو كالذي ينكر حشر الأجسام وينكر العقوبات الحسية في الآخرة، بظنون وأوهام يجب تكفيره قطعاً " [56]

---

[43]ظر مفصلاً : الحركات الباطنية لمحمد الخطيب/ ص355 - 359، وكذلك النصيرية: تقي شرف الدين/ 144 - 152، ودراسات في الفرق: عبد الله الأمين ص109 - 110.
[44]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي /د. محمد أحمد الخطيب، ص355 - 356.
[45]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[46]كتاب الهفت والأظلة/ للمفضل الجعفي أحد مشايخ ابن نصير/ ص 74 - 75/ طبعة دار المشرق - بيروت.
[47]فرق الشيعة: أبو محمد الحسن بن محمد بن موسى/ ص32 - 35/ نشر جمعية المستشرقين الألمانية/ إسلامبول/ 1931م.
[48]الباكورة السليمانية: الفصل السادس/ سليمان الأذني/ ص119.
[49]الملل والنحل: جـ2/ ص 12، 54، على هامش الفصل لابن حزم القاهرة/ 1929م.
"والمزدكية: ديانة فارسية تنسب إلى مزدك كان يرى شيوعية المال والنساء."
[50]طائفة الدروز: محمد كامل حسين/ ص109 - دار المعارف بمصر/ 1962م.
[51]العلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان/ ص77.
[52]سورة البقرة: الآية (177).
[53]سورة النساء الآية/ 136.
[54]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ د. محمد الخطيب/ ص358.
[55]دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين (ص110).
[56]المرجع السابق: عبد الله الأمين/ ص112.

(3) عبادة النصيريين: إسقاط التكاليف وإباحة المحرمات:

تجمع المصادر العربية والأجنبية على عدم اكتراث النصيرية بأداء الفرائض الدينية، من زكاة وحج وصوم وصلاة، وامتناعهم عن إقامة المساجد وعمارتها، إذ اعتادوا على أداء احتفالاتهم وطقوسهم الدينية، في العراء جرياً على عادة المجوس الذين كانوا يقيمون المراسم الدينية في العراء المكشوف، إذ لم يكن لهم معابد ولا مذابح، كما لاحظ هيرودوتس.[57]
فحقيقة العبادة عندهم تعني نوعاً من الحب والطاعة والولاء لأئمتهم ورؤسائهم.

أما العبادات الظاهرة التي يؤديها المسلمون السنة، فهي عندهم معرفة أشخاص من أئمتهم وأصحاب المراتب لديهم، وقد ورد في الباكورة السليمانية: أن الصلوات الخمس وأوقاتها تعني في النصيرية، أن الظهر لمحمد، والعصر لفاطر "فاطمة"، والمغرب للحسن، والعشاء للحسين، والصبح لمحسن الخفي.[58]
فالصلوات الخمس إذن هي الحسن والحسين ومحمد وفاطمة ومحسن أما الزكاة فهي دفع خمس ما يملكون لشيوخهم، حتى من مهور بناتهم، والحج هو زيارة أئمتهم ورؤسائهم، ويعتبرون سعي المسلمين إلى مكة باطلاً ومذموماً والصوم حفظ سر الدين والبعد عن النساء [59]
فالنصيرية شأنها شأن الفرق الباطنية الأخرى، ترى أن الفرائض والعبادات، ما هي إلا أغلال وقيود وضعت على الجهلة المقصرين وهم أهل الظاهر...فالصيام مثلاً في اليوم الطويل الحار هو - كما يزعمون - من الأغلال والآصار التي وضعت على أهل الظاهر نتيجة لتقصيرهم، لهذا فالنصيرية لا يمتنعون عن الطعام والشراب في رمضان.
ويعتبرون أن جميع الفروض والعبادات الإسلامية بالنسبة إليهم، هي ذكر أشخاص معينين، وليست كما يؤديها أهل الظاهر.
وهم لا يشترطون الطهارة في صلاتهم، فالجماع والاحتلام، لا يفسدان الطهارة، وإنما يفسدها موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني [60]

والجهاد عندهم نوعان:
أولهما: "الشتائم لأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين.
والنوع الثاني: هو إخفاء مذهبهم عن الآخرين، فلا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر، وهو خطر الموت.[61]
يقول لامانس: "إن النصيرية يشكلون فرقة غالية تذكرنا بأخلاق المجوس، حيث يبيحون إشاعة البنات والأخوات والأمهات وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون، وإذا ألزموا ببناء المساجد لا يدخلونها ولا يعمرونها.[62] "
وقد أباحوا المحرمات:
أباحوا المحارم، وأباحوا الخمور، والزنا عامة واللواط كذلك.
يقول الشهرستاني: "إن عادة الزواج بالمحارم، كانت عادة منتشرة في الزرادشتية عند الفرس وانتقلت هذه العادة وتأصلت في المجتمع النصيري.[63] "
وقد قدسوا الخمرة أيما تقديس، يرون أنها من النور، وعظموا لأجلها شجرة العنب، حتى استهجنوا قلعها، وتقدم الخمرة خلال دخول الجاهل في أسرار عقيدتهم، لذلك يطلقون عليها اسم "عبد النور" لأنها خلقت من شجرة النور وهي العنب.
فالخمرة والمرأة تقدمان للشاب الداخل في أسرار الدين، باعتبار أنهما جزء من الضيافة للدخول في الفردوس...فيغرى الشاب بهما ويخدَّر بين إغواء الحسان وتأثير السكر والعربدة، بحيث لا

يرفض أي شيء من أسرار ديانتهم، خاصة وأنه قد أصبح في الفردوس المنشود "الخمر والمرأة".
ويزعم النصيريون أن الله أحل لهم الخمر بصفتهم أولياء الله الذين آمنوا به وعرفوه بشخص علي، وحرمه على الجاحدين لله المنكرين له، فهو نوع من الأغلال وضعت عليهم بسبب عدم إيمانهم بعلي.[64]
يروي الخصيبي أحد مؤسسي النصيرية: "أنه إذا حضر بين يديه عبد النور "الخمر" يأخذ القدح، وينهل منه ثلاث نهلات، ويترنم عليه بالقداس التالي:
"الحمد لله العلي وحده، الذي أنجز وعده ونصر عبده، وأهلك ضده... إن الله هو العلي الكبير أمير المؤمنين الملك الحق المبين... اللهم إن هذا عبدك، عبد النور... حللته وكرمته وفضلته لأوليائك العارفين بك... وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك...
اللهم مولاي! كما حللته لنا، ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام.[65] "
أما المرأة في نظرهم فهي ليست من أهل الدين والمعرفة ولا هي جديرة بتلقي الدين وتحمل واجباته. فهي عندهم كالحيوان لأنها مجردة عن وجود النفس الناطقة "لهذا فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضاً، لأن المرأة لا يكتمل إيمانها إلا بإباحة فرجها إلى أخيها المؤمن، واشترطوا ألا يباح ذلك للأجنبي، ولا لمن هو غير داخل في دينهم.[66] "
وهذا ما يفسر لنا تساهل النصيريين في قضايا العرض في العصر الحديث، وكذا أقوال المؤرخين حول إباحة المحارم والنساء التي نادى بها ابن نصير في بداية دعوته، وإباحة الحشاشين والقرامطة للنساء في خلواتهم ولياليهم الأئمة.

---

[57]مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر/ جـ2/ 249 بغداد 1956م.
[58]ينظر الباكورة السليمانية: سليمان الأذني/ ودراسات في الفرق الإسلامية: عبد الله الأمين/ ص112 - 113.
[59]المرجع السابق ونفس الصفحة.
[60]إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة/ ص230 - 231 طبعة دار القلم - القاهرة.
[61]ينظر الباكورة السليمانية، والحركات الباطنية للخطيب/ ص 392.
[62]دائرة المعارف الإسلامية مادة "النصيرية" ورحلة ابن بطوطة/ ص65 - طبعة القاهرة/ 1939م.
[63]الملل والنحل: جـ2. ص286، ودراسات في الفرق الإسلامية القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين/ ص112.
[64]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص369. بإيجاز.
[65]مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية رقم(6182)المكتبة الأهلية في باريس/ورقة (18، أ، ب)
[66]مخطوطة في تقسيم جبل لبنان - قسم في مذهب النصيرية، الجامعة الأميركية/ بيروت/ رقم 31

(4) الطقوس السرية لدخول الجهال في سلك الديانة النصيرية:

للنصيرية مراسم وطقوس في عبادتهم: وهي طقوس معقدة تهون أمامها طقوس الماسونية وإرهابها.

فالعالم عند النصيريين ينقسم إلى قسمين:

العالم العلوي والعالم السفلي، ولكل واحد منهما رتبه ودرجاته والعالمان هذان في نظرهم هم النصيريون، عاقلهم وجاهلهم.

فالعقلاء هم العالم العلوي أي مشايخ النصيرية، والجهال هم عوام النصيريين الذي لا يزالون يترقون في درجات العالم السفلي، ولم يعرفوا عن دينهم الشيء الكثير.[67]

وأول درجة يرتقي إليها المؤمن من العالم السفلي إلى العلوي هي درجة الممتحن، تليها درجة المخلص فدرجة المختص، ثم النجيب فالنقيب فاليتيم، وأخيراً درجة الباب، وهذه الدرجات في نظرهم عقبات، فكلما تجاوز المؤمن درجة، فكأنه بذلك قد تجاوز عقبة من العقبات."

"فإذا أصبح الشخص أو المؤمن في الرتبة السابقة، وهي الرتبة البابية، فعند ذلك يدخل" المحل الأعلى، ويتخلص من هذه الصور ليصبح نورانياً .فيظهر له الاسم - أي الحجاب - فيعانيه ويشاهده ويطلعه على علم تكوينه" [68]

فالدرجة النهائية للمؤمن عندهم هي الباب، وفيها يصبح ملاكاً ويرفع عنه الأكل والشرب، ويستطيع أن يصعد إلى السماء، وينزل إلى الأرض كيفما يشاء، لأنه يتصوّر بالصورة التي يريدها.[69]

ولكن الدكتور مصطفى الشكعة ينقل عن كتاب الباكورة السليمانية أن رتب المشيخة في الوقت الحاضر ثلاث رتب هي:

الإمام، ثم النقيب، وتليها رتبة النجيب، ولكل واحد من هؤلاء سلطانه وحدوده وحقوقه... ثم يضيف أن هذه الرتب افتقدت في الوقت الحاضر المؤهلات، ولعل المؤهل الغالب هو قوة شخصية صاحب الرتبة، بغض النظر عن تأهيله العلمي والديني [70]

وهذا ما يؤكده لنا البيان الذي أصدره أحد مشايخ النصيرية بعد هزيمة حزيران/ 1967م، والذي فضح فيه بعض أعمالهم ومنها إعطاء الرتب إلى بعض ضباط الجيش السوري النصيريين تعبيراً عن جهودهم في خدمة الطائفة أمثال: صلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد.[71]

وفيما يلي صورة من صور دخول الجهال في سلك الديانة النصيرية وهي تمر في مراحل عديدة متلاحقة، ليتيقنوا من إخلاصه وصدقه، ولا يُلقنون الداخل الجديد جميع الأسرار دفعة واحدة بل يطلعونه على القليل وبالتدريج، ويمر التلقين من خلال ثلاث جلسات [72]

وتبدأ عملية الدخول بأن يتخذ الشاب الذي يريد ذلك أستاذاً له من مشايخه، يلقبونه "والداً" روحياً أو دينياً، فيخضع له غاية الخضوع، ويكون أحق بالتكريم من والده الحقيقي، ويطلب من التلميذ الخضوع التام والتذلل، ويفرض عليه أمام شيخه كل ذلك، لأن أسرار الدين لا تلقن إلا للمتواضع الذليل لأخيه المؤمن، والتواضع في عرفهم يمر بمراحل:

الأولى: تكون بوضع أحذية المشايخ على رأس الشاب الراغب في دخول عقيدتهم، يتبع ذلك تقبيل أقدام أولئك المشايخ، وهي المرحلة الأولى من مراحل التلقين.

والمرحلة الثانية: تتم في جلسة ثانية من جلسات التلقين، ويكون فيها قبوله مناكحة الرجال له، لأن هذا عندهم، يدل على التذلل للأخ المؤمن، وعلى عدم التكبر، وهو من صلب تعاليم ابن نصير، الذي طبقها هو عملياً هي الثانية من مراحل التلقين يُطبَّق ذلك بعد أن تدور الخمرة في الرؤوس، وتكون المرأة قد أكملت عملها الشيطاني مع الشاب، وينام الحاضرون بجانب بعضهم

حتى وقت السَّحَر قبيل عملية التلقين الثانية، أي بعد أن يصبح التلميذ ذليلاً قولاً وعلاً ... وهذه الطقوس أشبه شيء بطقوس الماسونية في الوقت الحاضر.

أما المرحلة الثالثة: وهي النهائية، فقد تكون بعد مرور سنتين على المرحلة الثانية، أو بعد سنة واحدة، حسب استعداد التلميذ.

وفي هذه المرحلة تؤخذ عليه المواثيق والأيمان الغليظة، ويشهد عليه الشهود، بأن لا يفشي سراً من أسرار الطائفة التي أبيحت له.

ثم تأتي الطقوس في اجتماع سري:حين يتخذ التلميذ له والداً روحياً من مشايخهم، فيدخله إلى جمعية المشايخ ويسمى ذلك "بالتعليق"، وتتم مراسيمه كالتالي:

-يقف النقيب "الشيخ" والولد عن يمينه، مكشوف الرأس، فيأمره أن يرفع على رأسه حذاء سيده "أستاذه" ثم يأمره أن يسأل الجماعة بقوله: "أسألكم يا جماعة بالوجه الذي تسألون الله به... أن تسألوا شيخي وسيدي فلان..أن يقبلني ولداً ومملوكاً، ويطهرني من نجس الشرك، وينقذني من ظلمة الضلال، وفقكم الله وجعلكم أهلاً لكل خير...".

"فإذا تم ذلك، يرفع النقيب ما على رأس الشاب ويجلس بين يدي الإمام، ويجتمعون حوله ليشهدوا عليه"...

"وبعد كلام معقد وطويل يأمره سيده بشرب سرّ الإمام وهو الخمرة، ويهنئه الحضور بقبول سيده له، ثم يشرب الحاضرون كذلك... ويكتب النقيب التاريخ والوقت الذي هم فيه، وهذا هو التعليق".

"ثم يأخذ العهد على تلميذه بالأيمان المغلظة، من ذلك قوله:والله والله وبالله، أنْ أستر جميع ما سمعته وعلمته من أمر داعيتي وإمام زماني، الذي أخرجني من العدم إلى الوجود... ثم يقال له: قل والله والله وبالله إنك وكيل على هذا العقد، أن لا تهدمه ولا تذيعه ظهراً ولا باطناً، على الشرائط المبينة... قل نعم على أنك لا تذيع علينا شيئاً من هذا العقد، لا في حياتنا ولا بعد وفاتنا،...و،إنْ لم يصلح لي، فإني والله والله وبالله لا أذيعه إلى مخلوق... فإن خالفت ما أمرناك به، فإنك بريء من الله خالق السماوات والأرض... ثم يقبل التلميذ رأس الإمام ويده والأرض بين يديه، ويفعل ذلك مع النقيب أيضاً، ويناوله النقيب أقداح الخمر الثلاثة على فترات ثلاث إلى أن ينتهي الجميع" [73]

وهنالك رواية أخرى لسليمان الأذني، لا تختلف كثيراً عما سبق، وهو نصيري تنصّر ودفع حياته ثمناً لإذاعته هذه الأسرار في كتابه (الباكورة السليمانية)مما يدل أنّ النصيرية ما تزال حتى اليوم على طرائقها القديمة نفسها.[74]

وبذلك فإن النصيري لا يلقن سرّ النصيرية إلا وسط مؤثرات شديدة، من الوعد والوعيد، وتخدير أعصابه بالخمرة مراراً، وخلال جو من التحدي لكبرياء الشاب في وضع أحذية الحاضرين على رأسه، وتقبيل أرجلهم بعد ذلك ليصبح عبداً مطيعاً لهم، ناهيك عن إذلاله بقبول جماع الرجال له خلال طقوسهم تلك، ولا ننسى دور المرأة التي تقدَّم إليه مع الضيافة، ليدخل في الفردوس الموهوم الذي يصورونه له.. فيكون دورها مكملاً لإفساده وإذلال كرامته وعنفوانه.[75]

---

[67]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص366.

[68]ينظر كتاب الصراط للمفضل الجعفي - مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس/ رقم 1949 عربي/ ورقة 95، و98/نقلاً عن الحركات الباطنية للخطيب/ ص336 - 367.
[69]كتاب الهفت والأظلة للمفضل الجعفي/ ص61 - 62.
[70]إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة/ ص352.
[71]مجتمع الكراهية: سعد جمعة/ ص62 - 75، والخطيب في كتابه الحركات الباطنية/ ص368.
[72]ينظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب (ص373 - 383).
[73]مخطوط رقم (1450) عربي، عن الإمام وما يجب عليه، ورقتان: (158ب، 167ب) نقلاً عن الحركات الباطنية للخطيب/ ص373 - 379 بإيجاز.
[74]ينظر تفصيلاً لذلك: الباكورة السليمانية (ص1 -7)، والحركات الباطنية للخطيب/ ص380 - 383، والنصيرية تقي شرف الدين ص 154 - 156.
[75]الجذور التاريخية للعلوية النصيرية: الحسين عبد الله/ دار الاعتصام بالقاهرة/ 1400هـ/ ص61 - 63.

(5) التستر على عقائدهم والتأويل الباطني لها:

من خلال استعراضنا لمراسيم الدخول في عقيدة النصيرية، عرفنا مقدار التكتم والسرية، مما يشترط على الداخل الجديد منهم...

فالتستر صفة هامة عند أهل الباطن، وأصل هام من أصول عقيدتهم، ومما يدل على ذلك، الحرص الشديد في أخذ الأيمان المغلظة على الشاب المستجد في المذهب، ليأتي بعد ذلك التهديد الشديد والوعيد المخيف لمن باح بالسر، فالأرض لن تقبل جثته، وسوف تمسخ صورته إلى صورة حيوان، وهناك الرجال الذين شهدوا وأقسموا بأن يحضروه ليقطع إرباً إرباً إن هو أباح بالسر [76]

وهذا ما حصل لسليمان الأذني صاحب كتاب الباكورة السليمانية، الذي ولد في عائلة نصيرية، وتلقى التعاليم النصيرية، في الثامنة عشرة من عمره، ولكنه لم يكن مقتنعاً بها، حتى إذا اتصل به أحد المنصِّرين، اعتنق الديانة النصرانية، وهرب إلى بيروت، حيث أصدر هنالك كتابه: "الباكورة السليمانية" الذي كشف فيه أسرار المذهب النصيري فنقمت عليه الطائفة، وجعلوا يترددون إليه حتى إذا اطمأنّ وعاد إلى اللاذقية قتلوه، وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية "فالنصيري محاط بالعقوبة في الدنيا والآخرة، إن حرك شفتيه لغريب عن أسرار الدين" [77]

وقد طبع المبشرون الأمريكان كتابه، غير أنه سرعان ما سحب من الأسواق وبسرعة عجيبة [78].

وهذا يذكرنا بما صنعه الدروز مع ابن مذهبهم "عبد الله النجار" حيث قتلوه، وسحبوا كتابه من الأسواق وأتلفوه.

ويرى المحْدَثون من النصيريين: أن الإسلام لم يكتمل وبقي بعض العقائد مكتوماً، أي أن بقاء عقيدة النصيرية مكتومة هو من كمال الإسلام، ويعتبرون أن إعلانها مضرٌّ به، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر المؤمنين لولاية علي فكمل الإسلام، ولكنه بقي حريصاً على كتمان البقية، وهذا الكتمان للبقية الباقية، من كمال الإسلام أيضاً ... وهذا هو تعليل التكتم على العقيدة النصيرية لدى أربابها...

وهم يقولون أيضاً إن بني هاشم، كانوا يعرفون في زمن النبي أحكاماً، ما كان يعرفها الأمويون، وإن أهل البيت تعلموا علوماً لم يسمعها غيرهم، وهذا من أسرار الدين؟.[79] !!

يقول محمد أمين غالب الطويل الباطني المعروف:

"لمّا أُعلن كمال الإسلام كانت بعض العقائد مكتومة وخفية، لذا بقيت مكتومة إلى يومنا هذا بسبب خصوصيتها.....ويعتبرون إفشاء الدين خطيئة، فهم يمنعونه عن أبنائهم حتى يبلغوا سنّ الرشد.[80]"...

ولإخفاء معالم ضلالاتهم يلجأون إلى الرمز والتأويل الباطني:

إذ يؤولون النصوص تأويلاً يلائم أغراضهم، وقد زعموا أنّ كل آية، بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطنياً .

فالظاهر كصَدَفة لا بد من كسرها نهائياً، الأمر الذي يقوم به ويتمه التأويل، فإذا ما تصرّف المستجيب وفق المعنى الروحي الباطني، سقطت عنه الالتزامات التي تفرضها الشريعة.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - في كتابه فضائح الباطنية: "وعرف هؤلاء بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشرة... وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر، قدروا على الحكم بدعوى أنّ الباطن يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين.[81] "

ولذلك فقد زعمت النصيرية أن علياً خُصّ بالتأويل، وأن محمداً خُضّ بالتنزيل، وفضلوا الباطن على الظاهر، أي فضلوا علياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضلوا الولاية على النبوة، وحملهم هذا الرأي على وصف أنفسهم بالمؤمنين..." [82]

وقد عرفنا فيما سبق، كيف أَوَّلت النصيرية جملة العبادات تأويلاً باطنياً بعيداً عن الفهم العقلي، ومنطق اللغة عندما قالوا: إن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء، وأن الصوم يعني حفظ السر لثلاثين رجلاً تمثلهم أيام رمضان، وثلاثين امرأة، تمثلهن ليالي رمضان.. وأن الجهاد هو صب اللعنات على الخصوم، وإفشاء السرّ، حتى انتهى الأمر إلى طمس معالم الإسلام وانحلال عقائده انحلالاً تاماً .

---

[76]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص358.

[77]السابق/ ص388، والجدور التاريخية للنصيرية العلوية/ الحسيني عبد الله/ ص65.

[78]دائرة معارف القرن العشرين: لفريد وجدي.

[79]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ6/ ص 261.

[80]تاريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل، عن عبد الله الأمين في: دراسات في الفرق القديمة المعاصرة/ ص109.

[81]فضائح الباطنية: أبو حامد الغزال/ ص11./

[82]ينظر: الملل والنحل للشهرستاني،جـ1/ 188، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، طبعة الحلبي - القاهرة.

(6)قدَّاسات النصيرية ونماذج من كتبهم:[83]

عرفنا سابقاً أن الصلاة عند النصيريين هي ذكر بعض الأشخاص المقدسين لديهم، يُذكرون في قداسات خاصة، وأذكار تؤدى في مواقف معينة.

ويتضح في هذه القداسات والأذكار تأليه علي بن أبي طالب وتقديس الثالوث المكون من "ع.م.س" (علي، محمد، سلمان)

ومفهوم (القداس) مفهوم نصراني، والكلمة مألوفة عند النصارى في طقوس عباداتهم، والنصيرية تأثرت بالنصرانية في هذه الطقوس، كما تأثرت بها في تقديم كؤوس النبيذ والخمر خلال تلك القداسات.

ولهذه القداسات صفة مقدسة عند النصيرية، وهي موجودة في كتبهم ومخطوطاتهم.

من ذلك كتاب التوجيه المخطوط في المكتبة الأهلية في باريس، وهو قسم من كتاب (المشيخة) [84].

ويتكون من قداسين: يقرأ فيهما خلال بعض الصلوات، ذكر لأسماء يقدسونها، على رأسها اسم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، تتخللها كؤوس الشراب التي تخدر العقول والقلوب، لتبقى الأوهام والخرافات هي المسيطرة على ألبابهم.[85]

وهناك قداسات ثلاثة، ذكرت في إحدى المخطوطات الموجودة في الجامعة الأميركية في بيروت.

ومحورها يدور حول ألوهية علي بن أبي طالب والإقرار بالباب والحجاب القداس الأول هو قداس البخور وفيه:

"كان السيد محمد بن سنان الزاهري يتّجر بأقداح المؤمنين، ويجزيها عبد النور، وكان معه ياقوتة حمراء، يبخر بها أقداح المؤمنين، فبخّروا أقداحكم أيها المؤمنون لعلكم تنالون السعادة والهنا، والفوز والمنا، وأشهد أن مولاي، مولاك علي بن أبي طالب... فهو الكريم المقيم على كل حال".

أما الثاني فهو قداس الأذان وفيه:

"وجهت وجهي إلى محمد المحمود، وطالب سره المقصود، وظله الممدود.

إياكم يا مؤمنون، اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، دينا سلسل، وطاعتي إلى قديم الأزل، وروحي بَدتْ من روح الأحياء، وأقرت به كما أقرّ به سيدنا سلمان الفارسي، لما بلغ أوان المؤذن في أذانه وهو يقول: لا إله إلا مولاي عليّ المعبود، ولا باب إلا باب السيد سلمان الفارسي المقصود، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً، إلى يوم الملأ والدين، وقيل الحمد لله رب العالمين."

أما الثالث فهو قداس الطيب لكل أخ حبيب: ومنه:

"أيها المؤمنون اسمعوا وانظروا إلى مقامكم الذي أنتم به مجتمعون، وانزعوا الغل والحقد من قلوبكم، والحسد من صدوركم، يكمل لكم دينكم... إياكم يا مؤمنون من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال، فإنها تهبط الأعمال وتغير الأحوال، لأنها من طريق إبليس لعنه الله.

الله أكبر، الله أكبر، قد قامت الصلاة لأربابها وثبتت الحجة على أصحابها، قيّمها يا ربي وديّنها، واجعل السيد محمد أختامها، والسيد سلمان زكاتها، والمؤمنين دليلها، والعالمين سبيلها، والمقداد يمينها، وأبو الدرداء شمالها والشيخ الصويري [86]جبينها."[87]

ومن كتبهم المقدسة (كتاب المجموع) [88] الذي يتكون من ست عشرة سورة، تتركز فيها المعتقدات النصيرية الأساسية، وقد نشره المستشرق "رينيه دوسو" ولهذا الكتاب صفة مقدسة عندهم، فهم يقسمون عليه أول دخولهم في العقيدة.

السورة الأولى واسمها (الأول)، والثانية واسمها "تقديسة ابن الولي" ومنها: "أحسن ما يرى النائم في منامه وهو يسمع الحسن، ولم ير الشخص، وهو ينادي ويقول: لبيك يا أمير النحل يا علي يا رغبة كل راغب، يا قديم باللاهوت، أنت إلهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً ...."
والسورة الثالثة واسمها تقديسة أبي سعيد وفيها: أسألك يا مالك الملك يا أمير النحل يا علي يا وهاب يا أزلي يا تواب يا داحي الباب، أسألك بالخمسة المصطفين وبالسبعة الكواكب الدرية - وبالعشرة الدجاجات الذكية يا غاية وبالأحد عشر مطالع البابية... بحقهم عندك يا غاية الكلية، يا أمير النحل يا صاحب الدولة العالية، يا من أنت الأحد واسمك الواحد وبابك الوحدانية..."
السورة الرابعة واسمها "النسبة"، والسورة الخامسة واسمها "الفتح"، والسورة السادسة واسمها "السجود" ومطلعها: "الله أكبر الله أكبر الله أكبر لله السجود، للرب العلي أنزع المعبود..."، والسورة السابعة واسمها "السلام."
وهكذا حتى تكتمل الست عشرة سورة.[89]
وكلها مليء بالكفر والنفاق وعبادة الأشخاص، وتأليه علي بن أبي طالب، وكلها يموج بالخرافات والأساطير الوثنية التي جاء الإسلام ليجتثها.
وبعد كل هذا يزعم النصيريون أنهم مسلمون، ويجدون مَنْ يتملق لهم من علماء السلاطين الضالين.

---

[83]ينظر تفصيلاً لذلك الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص394 - 411.
[84]أورد الدكتور عبد الرحمن بدوي عناوين هذا الكتاب في كتابه: مذاهب الإسلاميين، جـ2/ 427 - 447.
[85]ينظر تفصيلاً لهذه القداسات في الحركات الباطنية للخطيب/ ص394 حتى ص 398./
[86]الصويري أحد مشايخ النصيرية بعد الخصيبي.
[87]ينظر: الحركات الباطنية للخطيب/ ص399، ومخطوطة في تقسيم جبل لبنان لمؤلف مجهول رقم (31)، ومذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي. جـ2/ 490 – 494.
[88]الجذور التاريخية للنصيرية العلوية/ الحسيني عبد الله ص 147 - 174.
[89]ينظر تفصيلاً لهذه السور المزعومة: في الحركات الباطنية للدكتور الخطيب/ ص400 – 410.

(7) موقف النصيرية من الصحابة يضطرب بين الشتائم والتقديس:

يقدس النصيريون بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرفعونهم فوق مرتبة البشر، وهم القلة الذين ناصروا علياً - حسب زعمهم - . وهم يؤمنون بثالوثهم المقدس "ع. م. س"، أي بعلي ويعنون به الذات الإلهية، والميم: أي محمد {، وهو الاسم والحجاب والنبي الناطق - حسب زعمهم أيضاً - أما السين فيعني سلمان الفارسي، وهو الباب الذي خلقه محمد، وبالتالي فهو (أي سلمان) الذي خلق الأيتام الخمسة الذين وضعت بيدهم مقاليد السماوات والأرض.

أما الأيتام الخمسة، فالمقصود بهم الصحابة الذين تعظمهم الشيعة عموماً، باعتبار أنهم ناصروا علياً، وهم:

سلمان، والمقداد، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، إضافة إلى قنبر بن كادان مولى علي، وجميعهم من الصحابة ما عدا (قنبر) فإنه خادم علي - رضي الله عنه.-

وقد تأثرت النصيرية بالشيعة في تعظيم هؤلاء الصحابة، لكن بوجه آخر، وهو أن سلمان والأيتام الخمسة هم الذين خلقوا العالم، وهم الموكلون بأمره. فسلمان عندهم هو النفس الكلية التي انبثقت من العقل - محمد - وأن سلمان هو الذي خلق السماوات والأرض، وخلق الأيتام الخمسة، والمقداد باعتباره أول الأيتام الخمسة، هو الذي خلق الناس، ولذلك فهو رب الناس "قاتلهم الله"، فهذه عقيدة جاءت خليطاً من عدة مذاهب وفلسفات: كالفسلفة اليونانية الأفلاطونية، ومذهب الصابئة، ووثنية الهند [90]

أما موقف النصيرية من باقي الصحابة: رضي الله عنهم.

فهو موقف العداء والحقد الدفين، فهم يعتبرون الصحابة أبالسة ظالمين، ظلموا علياً، ويخصون بعدائهم الشديد: الصديق والفاروق وذا النورين عثمان رضي الله عنهم، فهم يصبّون عليهم اللعنات والشتائم، مما لا يمكن ذكره... وهم يحتفلون بعيد مقتل عمر ويسمونه "يوم مقتل دلام". وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الأول من كل سنة [91]

ويرى بعض الدارسين أن سبب حقد النصيريين على عمر - رضي الله عنه - وتخصيصهم إياه بمزيد من شتائمهم ونقمتهم، إنما يعود إلى الفتوحات العظيمة التي تمت أثناء خلافته في بلاد فارس.

والمذهب النصيري كله تم تحضيره ونشره في بلاد فارس على أيدي رجال حاقدين من المجوس الفرس، وهم يعتبرون أن عمر - رضي الله عنه - كان عوناً لأبي بكر الصديق في توليته الخلافة وحجبها عن علي، رضي الله عنهم جميعاً .[92]

أما الجهاد في عرف النصيرية، فهو التقرب بالشتائم، ويخصون بها أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة، وبشتم الفقهاء والعلماء أمثال: أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد - رضي الله عنهم -، لأن هؤلاء يأكلون من خيرات علي ولا يعبدونه؟! فهم أنجاس، نصبوا أنفسهم لضلالة مَنْ اتبعهم، وصدوا الناس عن آل البيت.[93]

قاتلهم الله وقاتل هذه الترهات المنحرفة لدى النصيرية الملحدة.

أخي القارئ:

هذه أبرز الضلالات العقدية لدى النصيرية: كفر بالواحد الأحد، وكفر برسله وملائكته واليوم الآخر وبالقرآن والسنة، مع تعطيل لأركان الإسلام وفرائضه.

وقد جعلوا البديل عن شرائع الإسلام وتصوراته:

-تأليه علي بن أبي طالب، وتقديس أربعة من الصحابة فقط، ثم شتم باقي الصحابة، مع إيمان بتناسخ الأرواح وكفر بالمعاد والحساب والجنة والنار وما فيهما من ثواب وعقاب.

كان ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه هو الكفر المحض "وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين، ولا بشيء من كتب الله المنزلة على رسله.." "وقد اتفق علماء المسلمين أنه لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلى على مَنْ مات منهم، وأن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم، من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات.[94] "

ورغم وضوح كفر هذه الطائفة، وإجماع العلماء على كفرها يأتي مَنْ يشهد بإسلام قادتها المعاصرين، وبالجنة لموتاهم مخالفاً لإجماع العلماء، تملقاً ونفاقاً، وهو ذو العلم الشرعي، الذي يعلم بأنه لا يجوز الشهادة بجنة ولا نار لمن مات من المسلمين فكيف بهؤلاء؟! ماذا يقول أمام الديان حينما يُسأل عن علمه وما عمل به، وأن النصيريين أنفسهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بجنة ولا نار "إنها لا تعمى الأبصار ولكنها تعمى القلوب التي في الصدور".

وقد أفرزت عقائد النصيرية الضالة، حقداً دفيناً على الإسلام وأهله، ترجمها النصيريون إلى مواقف مشينة من الغدر والتآمر والخيانة، قديماً وحديثاً .

---

[90]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي/ ص360 - 361.

[91]ينظر مخطوطة أعيادنا: المكتبة الأهلية في باريس/ رقم 6182 عربي/ ورقة 39/ أ.

[92]دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين/ ص 114.

[93]الجذور التاريخية للنصيرية العلوية: للحسيني عبد الله/ ص 164، والعلويون أو النصيرية: د. مجاهد الأمين/ ص15.

[94]ينظر الفتاوى لابن تيمية رحمه الله: جـ 35/ ص 145 - 160./

المبحث الثالث :
النصيريون عَبْرَ التاريخ

كنا قد عرفنا خلال الحديث عن نشأة النصيرية، أن النصيريين قد سكنوا المناطق الجبلية الوعرة حول اللاذقية "جبال بهراء وتنوخ"؛ وأن الطائفة عاشت مغلقة على نفسها طويلاً، بسبب غربتها الفكية والعقدية عن الجماعة الإسلامية التي كانت تحيط بها.. مما حدا بها أن تناصب العداء كلّ مَنْ جاورها

"وقد هاجمهم الأكراد السُّنة في بداية القرن السابع الهجري بسبب معتقداتهم الإلحادية، فطلبوا النجدة من الأمير حسن بن يوسف المعروف بالمكزون السنجاري النصيري، وكان أميراً في منطقة سنجار[95] ، فجاء لنجدتهم سنة/ 617 هـ، في (25 ألف فارس) ولكنه فشل وعاد أدراجه مهزوماً، ثم عاود الكرة عام/ 620 هـ في "50 ألف مقاتل" فانتصر على الأكراد هذه المرة، بعد أنْ كادوا يقضون على النصيريين قضاء تاماً، وبقي المكزون السنجاري في الجبال التي سميت "بجبال النصيرية بعد ذلك" [96]

وفي هذا المبحث سوف نستعرض مواقف النصيريين عبر تاريخهم الطويل، مع جيرانهم المسلمين، ومع الغزاة الحاقدين الذين كانوا يهاجمون ديار المسلمين، كالمغول التتار والصليبيين والمستعمرين الفرنسيين، وأنهم كانوا دائماً رأس حربة ضد أهل السنة في معاونة الغزاة.

---

[95]سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية في شمال سوريا.
[96]ينظر: إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة ص 323 - 324 وتاريخ العلويين: محمد غالب الطويل/ ص310.

(1) تعاون النصيرية مع الحملات الصليبية على بلاد الشام:

كان النصيريون عونا للجيوش الصليبية حينما غزت بلاد الشام في القرن السادس الهجري، فكانوا ينزلون من جبالهم لتسهيل مهمة الغزاة، وكانوا يرجعون إلى جبالهم يتحصنون فيها بعد اندحار الصليبيين.

وعندما غزا الصليبيون ديار المسلمين، وحاصروا مدينة أنطاكية كان النصيرية ينزلون إلى السواحل من جبالهم ليقدموا للصليبية ما يحتاجون إليه، وبعد حصار طويل للمدينة استمر سبعة أشهر، وأخذ شبح المجاعة يفتك بالغزاة، كان الزعيم النصيري "فيروز" الذي كان موكلاً بحراسة أحد أبراج المدينة من قبل الأمير السلجوقي "ياغيسيان" قد اتصل بالقائد الصليبي "بوهيموند" ليسلمه البرج مقابل هدايا وهبات ينالها، وتم الاتفاق على ذلك، وعند الفجر تمكن الصليبيون من دخول المدينة واحتلالها، بعد أن أعملوا في أهلها السيف، ونهبوا ما فيها، وتمكنوا بعد ذلك من التوجه لحصار بيت المقدس.. ويعترف محمد غالب الطويل: "بأن مدينة أنطاكية سقطت بيد الصليبيين بفعل الاتفاق الذي وقع بين الزعيم النصيري فيروز وقائد الصليبيين بوهيموند" [1]

يقول ابن تيمية رحمه الله في سياق فتواه عن الدروز والنصيرية:
"ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية، إنما استولى عليها النصارى من جهتهم - أي من جهة النصيريين - وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى..."· [2]

ويؤكد الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - عمالة النصيريين هذه فيقول:
"وقد كانت النصيرية أثناء الهجمة على العالم الإسلامي عوناً للصليبيين على المسلمين، ولما استولوا على بعض ديار المسلمين، قربوهم وأدنوهم، وعندما تمكن المسلمون من طرد الصليبيين، اعتصم النصيريون في جبالهم، واقتصر عملهم على تدبير المكائد والفتن، ولما أغار التتار بعد ذلك على بلاد الشام، مالأهم أولئك كما مالأوا الصليبيين من قبل، فمكنوا للتتار من الرقاب، حتى إذا انحسرت غارات التتار، قبعوا في جبالهم قبوع القواقع في أصدافها، لينتهزوا فرصة أخرى" [3]

---

[1]أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص254/ ودراسات في الفرق: عبد الله الأمين/ 128·

[2]الفتاوى لابن تيمية: جـ35/ ص 150 - 151·

[3]تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، جـ1/ ص 63 - 64، طبعة القاهرة/ دار الفكر العربي ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين ص128، دار الحقيقة - بيروت/ 1406هـ·

(2) تعاونهم مع التتار:

عرفنا في الفقرة السابقة مدى تعاون النصيرية مع المغول التتار والصليبين، وهانحن الآن مع المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث. يقول ابن تغري بردي:

"ثم خرج الظاهر بيبرس من دمشق بعد معركة عين جالوت التي انتصر فيها على المغول عام/ 676هـ، خرج بطائفة من العسكر ليلتقي بولده على رأس فرقة أخرى، على موعد ولقاء في مكان معين وذلك ليشنوا الغارة على بلاد النصيرية: "جبلة واللاذقية والمرقب وصافيتا وطرطوس."..

"ويكمل حديثه فيقول: ثم ألزمهم ببناء المساجد وتعميرها علهم يعودون إلى دين الإسلام، ثم لم يلبثوا أن تركوها خربة، لا يدخلونها ولا يعمرونها، وربما أوت إليها مواشيهم، وربما أوى إليها مستطرق "مسافر عابر طريق؛ فأذّن فيها، فيقولون له: لا تنهق؟! علفك يأتيك.[4] "

كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان قد قام بمحاولة لإصلاحهم بعد دحره للصليبيين، فبنى لهم المساجد، وأمرهم بإقامة الصلاة فيها، وصيام رمضان... فأطاعوه حتى إذا ما توفي عادوا إلى ما كانوا عليه من معتقدات، وخربوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات.[5]

لقد كان تعاون النصيريين مع المغول قوياً ومخزياً، ذلك لأن تيمورلنك قائد المغول التتار، كان قد اتخذ التشيع مذهباً له، فكان النصيريون من أقوى المتعاونين معه، وخاصة في تحريضه على غزو عواصم المسلمين: دمشق وبغداد.

"ومن أسوأ ما حدث قصة الفتاة النصيرية دُرّة الصدف" بنت سعد الأنصار، الذي كان من رجال الملك الظاهر بيبرس.

فقد جاءت تلك الخبيثة إلى تيمورلنك عندما كان في حلب، وبصحبتها أربعون بنتاً بكراً من النصيرية؟.!!

جاءته وهي تنوح وتبكي، طالبةً الانتقام لأهل البيت النبوي وبناتهم اللائي جيء بهن سبايا إلى الشام، أيام يزيد بن معاوية، فوعدها تيمورلنك بأخذ الثأر، ومشت معه حتى الشام، والبنات النصيريات معها ينحْن ويبكين، طوال الطريق، وينشدن الأناشيد المتضمنة للتحريض من أجل أخذ الثأر، فكان ذلك سبباً بمصائب للشام لم يُسْمَع بمثلها، إذ أعمل فيهم الرافضي الخبيث السيف والقتل، ولم ينج من قتله إلا عائلة واحدة من النصارى، وكان يقتل السنة ويستثني النصيرية والشيعة، وبعد الشام توجه تيمورلنك نحو بغداد، وقتل فيها تسعين ألفاً ..." [6]

ويبرر محمد غالب الطويل خيانة قومه هذه بكل صفاقة، في كتابه "تاريخ العلويين" بقوله: "ولما كان لا بد للضعيف المظلوم من التوسل والخيانة، كي يحافظ على حقوقه، أو يستردها وهذا أمر طبيعي يساق إليه كل إنسان، كان العلويون كلما غصب السنيون حقوقهم، يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة، إنّ كارثة بغداد عام/ 656هـ، حيكت بسبب الوزير الباطني ابن العلقمي ومساعده ابن أبي الحديد، والرافضي النصير الطوسي الذي ما زال يتزلف لهولاكو حتى أصبح مستشاره المفضل.[7] "

" لقد تتبع النصيريون جيش المسلمين حينما غزا التتار بلاد الشام إذ نزلوا من جبالهم "الجرد وكسروان" ولما انتصر التتار وثب النصيريون على المسلمين، ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم".

"مخبر نائب السلطنة "جمال الدين أقوش الأفرم جيشاً من دمشق في يوم الجمعة في 20/ شوال/ 699هـ، وخرج ابن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة، لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به عساكر المسلمين."

"فهزمهم جيش المسلمين، وجيء برؤسائهم إلى الشيخ ابن تيمية، فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم

لبيت المال أموالاً كثيرة، وأقطعت أراضيهم وضياعهم.. وما كانوا قبل ذلك يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وفي سنة/ 704هـ، عاد ابن تيمية - رحمه الله -لمقاتلة هؤلاء ومعه جماعة من أصحابه، فاستتابوا خلقاً كثيراً منهم، وألزموهم بشرائع الإسلام" [8]

---

[4]النجوم الزاهرة.، حـ7/ ص150، وانظر: خطط الشام: محمد كرد علي: جـ 6/ 263.
[5]الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب/ ص232.
[6]تاريخ العلويين: محمد أمين غالب الطويل/ ص390 - 392 بقليل من الإيجاز، دار الأندلس/ بيروت/ 1979م/ جـ3/ وخطط الشام: محمد كرد علي، جـ2/ ص 172.
[7]دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة/ ص129.
[8]البداية والنهاية لابن كثير، جـ14/ ص12، 35، طبعة دار الفكر - بيروت/ 1398هـ - 1978م.

(3) النصيرية أيام الدولة العثمانية:

لم تهدأ فتن النصيريين في أي عهد من عهود تاريخهم الحافل بالمؤامرات والدسائس ومعاداة أهل السنة.

وقد تنبه إليهم السلطان العثماني "سليم الأول" عندما جاء إلى بلاد الشام، فقاتلهم ودحرهم حتى أوصلهم إلى جبالهم، بعد أنْ أفتى علماء المسلمين بأنهم كفرة، ويجب قتالهم.

وقد حاول السلطان العثماني إصلاحهم ببناء المساجد، وغيرها من الإصلاحات، ولكنهم بعد مدة رجعوا إلى ما كانوا عليه.

وهذا ما فعله أيضاً إبراهيم باشا ابن والي مصر محمد علي باشا، عندما سيطر على بلاد الشام، فبنى لهم المدارس والمساجد، غير أنّ النصيرية قاموا بثورة كبيرة عام/ 1834م، وهاجموا مدينة اللاذقية ومعظمها من أهل السنة، فنهبوا ما فيها وفتكوا بأهلها فعاقبهم الوالي بشدة، وأحرق عدداً من قراهم، فاستسلموا وأظهروا الطاعة التامة، فلما دالت دولته، رجعوا إلى ما كانوا عليه من ضلال.

وفي عهد السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني"كرر محاولات الإصلاح، فأرسل رجلاً من خاصته هو "ضياء باشا"وجعله متصرفاً على لواء اللاذقية في بداية هذا القرن "العشرين" فأنشأ لهم المدارس والمساجد، وأخذوا يتعلمون ويصلون... ويصومون، وأقنع الدولة بأنهم مسلمون، فلم يعصوا له أمراً، وبعد أن ترك هذا المتصرف منصبه، خربوا المدارس وأحرقوا المساجد أو دنسوها.[9] "

وتشير ملفات السياسة للدولة العثمانية، أنّ التدابير الوقائية التي كانت تعتمدها السلطنة ضد النصيريين، كان دافعها باستمرار هو تحقق العثمانيين من وقوف النصيرية إلى جانب الفرس.

ذلك لأن الشيخ جنيد، الجد الأعلى للشاه إسماعيل الصفوي، كان قد أقام ردحاً من الزمن في قلاع النصيرية في جبل:

"أرسوس"، القريب من خليج إسكندرون.

وكان قد دخل في علاقات مصاهرة وزواج معهم، كما أكدت ذلك أيضاً، دائرة المعارف الإسلامية...

وكان النصيريون رديفاً معيناً للصفويين الفرس، خلال حروبهم ضد السلطنة، وكانت المعركة الفاصلة بينهم هي معركة "جالديران" عام/ 1514م، وقد انتصر فيها العثمانيون على النصيريين وحلفائهم من الفرس، بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي.[10]

إن فتن النصيريين تكاد لا تحصى، وسنكتفي بالفوذج التالي نقلاً عن مؤرخ الشام ابن كثير - رحمه الله - في تاريخه إذ قال: "في نة 717هـ، خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سمّوه "محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله".. وقد ادعى أنه علي بن أبي طالب فاطر السماوات والأرض، ثم خرج يكفّر المسلمين، ويزعم أنّ النصيرية على الحق، فاحتوى على عقول الكثير من كبار النصيرية، وهاجموا مدينة جبلة "الساحلية"وقتلوا خلقاً من أهلها وخرجوا منها يقولون: "لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان"؟!!.

وسبّوا الشيخين أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وأمر كبيرهم الضال أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: "قل لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي، الذي يحيي ويميت، حتى يحقن دمك..".

فصاح أهل البلد! وا إسلاماه، وا سلطاناه!

وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل...

فجُردت إليهم العسكر وهزموهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً .[11] "

ولعل هذه الحادثة بما فيها من كفر وسفك للدماء، وحقد لا نظير له على أهل السنة، لعلها تعيد إلى الأذهان ما فعله صاحب القرامطة في مكة المكرمة وفي داخل بيت الله الحرام من قتل وسفك للدماء في الشهر الحرام، ثم إلقاء جثث الحجيج في بئر زمزم قاتلهم الله سابقاً ولاحقاً ...
وهانحن اليوم في تاريخ النصيرية المعاصر، تهدم المساجد على رؤوس المصلين في حماة، ويقتل المصلون ركعاً سجداً في مساجد دمشق وحمص وحلب على يد الباطنيين من قادة البعث: من الدروز والإسماعيلية والنصيرية ألا ما أشبه اليوم بالأمس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[9]خطط الشام: محمد كرد علي، جـ1، 260 - 263، والجزء 3/ ص105.
[10]دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين/ ص129.
[11]البداية والنهاية: جـ14/ ص83 - 84/ طبعة دار الفكر - بيروت/ 1398هـ - 1978م.

(4) تعاون النصيريين مع المستعمر الفرنسي:

كانت فرنسا قد شكلت دولة للنصيريين، خدمة لمصالحها واستجابة لرغبات سكان منطقة النصيريين، وجعلت مركزها مدينة اللاذقية.
وكانت هذه الطائفة قد وضعت نفسها تحت تصرف فرنسا منذ عام/ 1919م، وطالبت آنذاك بالاستقلال عن حكومة دمشق.
وقد كانت العلاقة حميمة بين النصيريين والمستعمر الفرنسي، في الوقت الذي كانت العلاقات متوترة بين الحركة الوطنية السورية، وبين حكومة الانتداب الفرنسي.
وقد رفع زعماء النصيرية منذ عام/ 1936م، العديد من المذكرات إلى حكومة فرنسا، يطالبون فيها بتكريس انفصالهم عن حكومة دمشق وباقي سوريا.. بعثوا خلال شهر واحد أربع مذكرات إلى حكومة فرنسا في شهر حزيران من عام 1936م، يطالبون فيها بالانفصال، وينافقون إلى المستعمر الدخيل.. ويعرضون استمرار خدماتهم له.[12]
وكان قد جاء في مذكرة الوفد النصيري، الذي ترأسه المجلس التمثيلي في اللاذقية في 28/ 4/ 1933م، والمقدمة إلى المفوض السامي في بيروت ما يأتي: إننا لا نريد الوحدة مع سوريا، بل على العكس، نحن نعارضها.
فالسوريون يعادوننا من الوجهة الدينية، ولا يمكن لنا أن نتعاون معهم، ولا الارتباط مع سوريا " [13].

ومن أشهر تلك العرائض، تلك التي رفعت إلى رئيس الحكومة الفرنسية، نقتطف منها ما يأتي:
"دولة ليون بلوم: رئيس الحكومة الفرنسية...
إن الشعب العلوي، الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة، هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه، عن الشعب المسلم السني..."
"وإننا نلمس اليوم أن مواطني دمشق، يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود الطيبين؟!! والذين نشروا الحضارة والسلام في فلسطين؟."!!
"ونحن الشعب العلوي الذي يمثله الموقعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضماناً لحرية هذا الشعب القوي، لشعب علوي صديق، قدم لفرنسا خدمات عظيمة.[14] "

الموقعون على العريضة:
محمد سليمان الأحمد - محمود آغا حديد - محمود آغا غواش - سليمان المرشد - سليمان الأسد "جد حافظ الأسد" محمد بك جنيد.
وقد برز دور سليمان المرشد أحد زعماء الطائفة النصيرية، في آخر عهد الانتداب، وكان قد تجمع حوله النصيريون، وزعموا أنه إله عندهم، ثم عبدوه من دون الله...
وقد استخدمه الفرنسيون لمصالحهم، ثم شكلوا له حكومة، وجعلوا لها نظاماً خاصاً، فقويت شوكته، وعين قضاة وفدائيين، وكان لهم قادة ولباس عسكري خاص.
فلما جلا الفرنسيون عن سوريا، تركوا لسليمان المرشد من سلاحهم ما أغراه بالعصيان المسلح، فجردت له الحكومة السورية قوة عسكرية قضت على أتباعه، واعتقلته مع آخرين ثم أعدمته في دمشق شنقاً .
يقول عنه الزركلي: "سليمان المرشد: علوي متأله، من النصيرية، من قرية يقال لها - جوبة برغال - تقع شرق اللاذقية، تلقب بالرب" [15]

[12]ينظر: سجلات الخارجية الفرنسية/ الملف 492، وثيقة "رقم: 412/ ص193 وما يليها"·نقلاً عن كتاب النصيرية: تقي شرف الدين/ ص85 - 89·/

[13]عن سجلات وزارة الخارجية الفرنسية - الملف رقم 510/ وثيقة: 124/ ص114/ في 28/ 4/ 1933م·

[14]عن سجلات وزارة الخارجية الفرنسية وثيقة رقم/ 3547 مؤرخة في 15/ 6/ 1936م، أوردها الدكتور مجاهد الأمين، في كتابه العلويون أو النصيرية/ ص55 - 56/ المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر بيروت/ وينظر الحركات الباطنية، د· محمد أحمد الخطيب/ ص334 - 335·

[15]ينظر: الأعلام للزركلي، جـ3/ ص112، وجريدة الجلاء الصادرة في اللاذقية، في 4/ 12/ 1946م، والصراع العربي الإسرائيلي: محمد بن عبد الغني النواوي/ جـ1/ ص 265·

(5) النصيريون بعد الاستقلال:

استمرت مؤامرات النصيريين ومطامعهم (في هذا العهد) تتلون حسب المناسبات المتاحة، والمخططات الدقيقة.
فقد ظهرت مواقفهم المريبة منذ بداية الاستقلال.
يقول أبو الهيثم في كتابه: الإسلام في مواجهة الباطنية:
"بينما كنت في وفد برفقة الشيخ صالح العلي، متجهين إلى فندق الأندلس في دمشق لزيارة سلطان الأطرش.. وقف الشيخ صالح العلي وسط ساحة المرجة، وجعل يدير عينيه في تلك الأرجاء، ثم التفت إليّ يقول: أي فلان! إن هذا البلد سنحكمه نحن العلويين ذات يوم... قلت: لو أوضحت ما تريد قال: ذلك ما يقرره الجفر". ثم يكمل أبو الهيثم حديثه بقوله:
"كانت كلمة كشفت أسراراً ... وهذا ما يجعلنا نتصور أن فكرة الاستيلاء على الحكم في بلاد الشام تصدر من منطلق عقيدتهم الدينية، أي أنها حركة تلتقي مع التطلعات التي خططت منذ قرون بعيدة، لقيام دولة إسرائيل.[16] "

وقد كثرت خطط النصيريين للتوصل إلى سدة الحكم منذ عهد الاستقلال من ذلك:
-خروجهم من عزلتهم، والهجرة إلى المدن المجاورة، كي تضيع هويتهم الطائفية، ويتغلغلوا في أوساط المسلمين.
-والتسلل إلى المراكز الهامة في الدولة، والتخطيط لملئها بهدوء، فهم أقلية منظمة، والجيل الناشئ فيها مجهول الهوية الطائفية، مما يسهل شغل المناصب الهامة بهم، دون أن يلفت ذلك نظر المسلمين إليهم.
-الانتساب إلى الأحزاب القومية باعتبارها مظلة الوصول إلى الحكم... كما أن رفع هذه الأحزاب لشعارات الوطنية والقومية، يضفي عليهم صفة الوطنية، وبذلك يسدلون الستار على ماضيهم التآمري الخياني.
-الإقبال على التطوع في الجيش، والانتساب للكليات العسكرية كي يتمكنوا من السيطرة على الأسلحة الفعالة وأجهزة الأمن ليكونا دعماً لأي تحرك عسكري أو سياسي، أو حزبي، لهم فيه ضلع [17]

وهذا ما تحقق معظمه، فقد تغلغل النصيريون في الجيش، وأصبحوا أكثرية، وتخلصوا من الكتل العسكرية الأخرى، وتسللوا إلى الحزبين القومي السوري، والبعث العربي الاشتراكي ثم قلبوا لهما ظهر المجن، وانفردوا بالسلطة ليكملوا مخططاتهم الطائفية الحاقدة.
"فتحت ستار هذه القومية المسمومة، تحركت شياطين الباطنية تنظم، وتوجه حتى أصبحت هي مصدر معظم التقلبات السياسية والاجتماعية التي نشاهدها اليوم... فكأن التاريخ يعيد نفسه فيسترد تاريخ القرامطة والحشاشين أيام المجتمع العباسي".
"وتحت حكم البعث النصيري بعد انقلاب الثامن من آذار/ 1963م، كان الاعتقال والتعذيب، وكان الاغتيال وانتهاك الحرمات فضاقت السجون بنزلائها وصفي العديد من الشباب المسلم، وهدمت المساجد على رؤوس المصلين.[18] "
وكثرت المذابح الوحشية، فمن مذبحة تدمر التي قتل فيها ما لا يقل عن "700" شاب من الدعاة المثقفين، قتلوا دفعة واحدة، ثم دفنتهم الجرافات، الميت منهم والحي.. إلى مذابح حماة وجسر الشغور، مما لا يفعله إلا الحشاشون والقرامطة على مدار التاريخ.
وفي ظل البعث النصيري سُلّمت الجولان إلى إسرائيل عام/ 1967م، بقرار من وزير الدفاع آنذاك "حافظ الأسد".

وقد جاء ذلك بعد مؤتمرين للضباط النصيريين، في قرداحة عام/ 1960م، وفي حمص عام/ 1963م؛ وحضره مشايخ الطائفة وتوصلوا إلى ضرورة قيام الدولة النصيرية تحت ستار حزب البعث مؤقتاً .

وكان للنصيرية(وأعوانهم من الباطنية) دور في توالي الهزائم في حرب رمضان/ تشرين/ لعام/ 1973م.

فكانت حصيلة تلك الحرب احتلال إسرائيل لـ "39 قرية" حتى أصبحت على مشارف دمشق.

وبدأت حرب الاستنزاف ليتوسط "كيسنجر" وزير خارجية أمريكا، ورئيسها "نيكسون" لفك الارتباط، وخسرت سوريا بعدها مرتفعات جبل الشيخ، والتلال المحيطة بمدينة القنيطرة، وأصبحت القوات السورية ودمشق مكشوفة أمام هذه المرتفعات [19]

هذه خطوط عريضة في تاريخ هذه الطائفة ومواقفها العدوانية التآمرية ضد المسلمين عموماً، وأهل السنة خصوصاً، وهذا شأن الفرق الباطنية كلها، على مدار التاريخ.

وهذا ما تنبه له علماء المسلمين، فحذروا من تلك الفرق وقالوا فيها كلمة حق...

وهاهم اليوم يكرسون استمرار الحكم الطائفي، بعد هلاك حافظ الأسد، فتتحول سوريا إلى دولة ملكية، ضمن مسرحية هابطة شريرة، وتضليل إعلامي فاجر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

[16]الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم/ ص98 - ، دار الصحوة للنشر/ 1405هـ - 1985م/ القاهرة

[17]دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين (ص 126 - 127 بإيجاز).

[18]الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم/ ص14 - 15.

[19]ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص450 - 457.

(6)بيان حكم الإسلام في الحركات الباطنية وأقوال العلماء فيها:

تنبه العلماء إلى مخاطر الباطنيين فأفتوا بكفرهم.[20]
من هؤلاء الإمام محمد الغزالي قال فيهم: "القول الوجيز فيهم أن يسلك بهم مسلك المرتدين في النظر في المال والدم والنكاح والذبيحة، ونفوذ الأقضية وقضاء العبادات.
أما الأرواح فلا يسلك فيهم مسلك الكافر الأصلي الذي يتخير منه الإمام: المن والفداء والاسترقاق أو القتل،.
إنما الواجب قتلهم وتطهير الأرض منهم، هذا حكم الدين، يحكم بكفر الباطنيين.
أما صبيانهم فيعرض عليهم الإسلام إذا بلغوا، فإنْ أسلموا قبلَ إسلامهم، ورُدّتْ السيوف عن رقابهم إلى قُرابها.
أما الأموال فحكمها حكم أموال المرتدين، أما أبضاع نسائهم فإنها محرمة، شأنها شأن المرتدة.
ويتصل بذلك تحريم الذبائح فلا تحلّ ذبيحة أحدهم، كما لا تحل ذبيحة المجوسي والزنديق، فإن الذبيحة والمناكحة تتحاذيان وهما محرمتان.[21] "
وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة تلك الفرق الباطنية عندما سئل عن الدروز والنصيرية فقال: "إنهم كفار باتفاق المسلمين... وهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا صوم رمضان ولا وجوب الحج... وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد، فهم كفار باتفاق المسلمين.[22] "
وكان ابن تيمية - رحمه الله - قد قاد حملات لتأديب النصيريين بسبب غدرهم بالمسلمين، وبين خطر استخدامهم في ثغور المسلمين فقال: "أما استخدامهم في ثغور المسلمين، أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم."
"وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين."
"ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، فإن جهادهم من جنس جهاد المرتدين."
"والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان، له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى..." [23]
وكان ابن تيمية يشمل في فتواه إضافة إلى النصيرية، الدروز والإسماعيلية والقرامطة...

وقال الشيخ محمد رشيد رضا:
"لقد كان هؤلاء مرتدين عن الإسلام بعد تركهم لعبادة الله تعالى وإنكارهم فرائض الإسلام وشرائعه.. ولا بد من نشر الإسلام بين صفوفهم، وأن يحال بينهم وبين مشايخهم، الذين لا يزالون مصرين على هذه السخافات والضلالات...
فتزول بذلك الغشاوة عن أعين الكثير منهم، وهذا ما يطالب به الشيخ محمد رشيد رضا في إحدى فتاواه التي سئل عنها.[24] "
والحقيقة أن هؤلاء الباطنيين قد تعمق الكفر في قلوبهم، وباءت محاولات السلاطين لإصلاحهم بالفشل المرة تلو المرة، أيام السلطان عبد الحميد الثاني، والظاهر بيبرس وصلاح الدين الأيوبي كما عرفنا ذلك في الفصول السابقة، ولذلك قال ابن تيمية: "ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم."

[20]قد ذكرنا في الفصول السابقة بعض أقوال العلماء بالفرق الباطنية، ونكمل الآن بأقوال أخرى توضيحاً لحقيقة تلك الفرق.
[21]فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي، ص156، 158.
[22]الفتاوى لابن تيمية، جـ35/ 161 - 162.
[23]المرجع السابق: جـ35/ ص 145 - 160.
[24]فتاوى الإمام محمد رشيد رضا، جـ1/ 276، تحقيق د. صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت - 1970م.

نتائج البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والتسليم على سيد المرسلين وإمام الموحدين، الذي أنقذ الله به الأمة من رجس الجاهلين، ونزغات الشياطين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين وبعد:

فإننا بعد استعراض تاريخ سوريا خلال نصف قرن من الزمن، توصل بنا البحث إلى نتائج هامة كان من أبرزها:

1- أن سوريا لم تذق طعم الاستقرار منذ استقلالها، إذ ابتليت بالحكم الديكتاتوري بعد الانقلابات العسكرية، والصراعات الدموية بين مجموعة من الضباط الانتهازيين، الذين ربوا في جيوش فرنسا، وعلى أخلاقياتها..

فكان حسني الزعيم صاحب الانقلاب الأول معجباً بكمال أتاتورك، وكان أديب الشيشكلي مفتوناً بنابليون بونابوت وهلم جرّا... إلى عبد الناصر، وضباط البعث...

جاءت الانقلابات الثلاثة خلال عام واحد، انعكاساً لهزيمة العرب في فلسطين عام/ 1948م، وتساهل الكتلة الوطنية في تسليح الجيش، كما كانت مطامع الدول المجاورة تحرك هذا الانقلاب، أو ذاك، لتحقيق مشروعي الهلال الخصيب وسوريا الكبرى، أو مصالح الدول الكبرى.

وقد ابتليت البلاد بالترحاب الشديد لمفاهيم التغريب والعلمانية، ووضع الدساتير الوضعية، على يد رجال الكتلة الوطنية، والأحزاب السياسية الأخرى .

وإن الصراع بين كتل الجيش السوري الناشئ لم يتوقف حتى ارتموا في أحضان جمال عبد الناصر، ليتخلصوا من خلافاتهم، فوقعوا في ظل تجربة جديدة أحبطت فيها الآمال، بسبب سياسة الاستعجال وتسلط عبد الناصر وصلاته الدولية المشبوهة، ناهيك عن انتهازية حزب البعث العربي الاشتراكي وتحركاته المريبة، مما أدى إلى الانفصال بين القطرين.

ويلاحظ في السنوات التالية للاستقلال، أن معظم عناصر الجيش وضباطه كانوا من الأقليات الدينية والعنصرية، بسبب تشجيع فرنسا لها، وابتعاد أهل السنة عن الانخراط في الجيش؛ لأنه كان رمزاً للاستعمار بينما كانوا هم قادة الجهاد والحركات الوطنية.. كما يرون؟!

2- وكان انقلاب الثامن من آذار/ 1963م، بداية لعهد ثوري دموي، ومنعطفاً خطيراً في حياة الأمة لم تذق بعدها طعم الاستقرار، وابتليت بسيطرة الأقليات الباطنية تحت مظلة هذا الحزب المشؤوم، حزب البعث العربي الاشتراكي...

كان حزب البعث مستنقعاً آسناً، عششت فيه تلك الأقليات، واتخذت منه ستاراً لتحقيق أهدافها وأحقادها، يستوي في ذلك النصيريون والدروز والإسماعيليون.

كان حزباً إرهابياً كمم الأفواه وأعلن الحرب على الإسلام وأهله، فأشاع الرعب والإلحاد، وأفسد مناهج التعليم، فهدمت المساجد في عهده على رؤوس المصلين، وسُلمت الجولان والقنيطرة دون قتال يذكر في عام/ 1967م.

وكان الصراع الدموي قد شمل أجنحة الحزب المختلفة، فكانت الاتهامات بين قادته تكال لبعضهم بالخيانة والتآمر والانتهازية ..إلى آخر ذلك القاموس الثوري العظيم؟.!!

كما شمل إعدام رفاق السلاح الناصريين، وتخلص الجناح النصيري من الضباط الدروز والإسماعيلية، بعد أن تخلصوا من قيادات الضباط السنة في مسلسل درامي عجيب، كان نتيجة تخطيط ماكر خبيث.

وقد لاحظنا أن الضباط السنة البعثيين كانوا لا يقلون في فجورهم عن الضباط الباطنيين، ولكنهم عوملوا بحسب شهادات الميلاد فقط، وإلا فقد هدمت المساجد في عهدهم.. على رؤوس المسلمين، كما امتلأت السجون بالعلماء والدعاة المؤمنين.

3- وكانت فترة الأسد منذ عام/ 1970م، أطول حكم يجثم على صدر الأمة، ويعتبر أول رئيس نصيري في تاريخ البلاد، كما أنه قد حصلت في عهده تطورات ضخمة تبعث على الذهول، وقد أهلكت الحرث والنسل.
لقد حقق الأسد للنصيرية باسم البعث، مكاسب ما كانت لتحلم فيها منذ أن وجدت نحلتهم في القرن الثالث الهجري...
إذ سلط أبناء عشيرته وطائفته على المسلمين نهباً وتسلطاً وإذلالاً) لم يعرفوه حتى أيام المستعمر الفرنسي. ثم يريد بعد كل ذلك أن يستخلف ولده، ويجعلها ملكية وراثية وماذا خلف لأهل السنة غير الدمار والفقر والجوع؟!
أما مجازر تدمر وحماة، أما الموت تحت التعذيب، أما مجازر المخيمات في لبنان، أما التهجير والسجون، فسلْ عنها البقية الباقية من أهالي سوريا الأحياء؟!
إن أحداث سوريا لمآسٍ تتجدد، أمام سياسة التلون والتناقض في المواقف، والازدواجية والتقية، فما يعلن شيء وحقيقة الأمور شيء آخر...
لقد حقق الأسد لأعداء الإسلام مخططاتهم في لبنان، ومن خلال صراع العرب مع إسرائيل، وتمزيق وحدة الصف العربي:
في الوقوف مع حكام طهران من الفرس والرافضة...
والتفت الطائفة النصيرية حول الأسد تقدسه وتقدس تصرفاته، لتحقق لها مخططاتها التي عجزت عن التوصل إلى شيء منها طوال تاريخها كله.. بعد فقر مدقع وذل شديد وجهل مشين.

4- وأخطر تطورات الانقلابات العسكرية أنها أوصلت الأقليات الباطنية إلى السيطرة على مقدرات البلاد بعد عام/ 1963م...
والقليل يعلم أن مؤسسي هذه الفرق، كانوا من الفرس الذين نفثوا أحقادهم بعد زوال دولتهم المجوسية...
فالدروز أسس مذهبهم علي بن حمزة الزوزني وكان حمدان قرمط وأبو طاهر الجنابي وأبو سعيد الجنابي هم الذين أسسوا حركة القرامطة المجرمة، أما النصيرية فكان مؤسسها محمد بن نصير النميري، ثم عبد الله الجنبلاتي وكل هؤلاء من أصول فارسية مجوسية حاقدة.
والقليل يعلم حقيقة عقائد هذه الطوائف، فالدروز يؤلهون الحاكم بأمر الله، والنصيرية تؤله علي بن أبي طالب، والإسماعيلية تجعل إلهها هو العقل الكلي...

ولا يؤمن هؤلاء كلهم بجنة ولا نار، ويشتركون في عقيدة التقمص والسرية المطلقة لمبادئهم، وهم لا يقيمون فرائض الإسلام ولا شريعته، ويبيحون المحرمات...
ومن هنا كانت فتاوى العلماء بكفرهم وزندقتهم...
فهل يستغرب من أحفادهم ما يصنعونه بالمسلمين في تاريخنا الحديث؟!
لقد أعاد الباطنيون الجدد ما قام به أجدادهم، حينما وقفوا مع المغول والصليبيين والفرس، وقاموا بمجازر في بيت الله الحرام على يد القرامطة، واغتالوا قادة الجهاد والعلماء على يد الحشاشين والعبيديين..وتآمروا مع كل غازٍ دخيل...كانوا رأس حربة تطعن المسلمين غدراً ولؤماً، وهاهم اليوم يتواطؤون مع اليهود، بعد التعاون مع الانتداب الفرنسي، وينشرون الرذيلة

ويهدمون الأخلاق، ويسلمون البلاد والعباد... فالتاريخ يعيد نفسه، بشكل أو بآخر... ولكن ياليت قومي يعلمون!

5- وقد ظهر لنا بشكل جلي، أنه لابد من عودة المسلمين إلى دينهم عودة جادة صادقة، عبادة وسلوكاً وتعلماً، لأن الجهل هو الذي جعلهم يتساهلون في انخراط أبنائهم مع أحزاب علمانية، حققت مخططات أعداء الإسلام، باسم البعث أو الشيوعية، أو الحزب القومي السوري... أو تبعاً لكل ناعِق غريب...

لا بد من معرفة عقائد تلك الأحزاب، وحقيقة الباطنيين عقيدة وطموحاً وتخطيطاً، لنستفيد من تجاربنا وأخطائنا، لا بد إذن من نشر العلم الشرعي وترسيخ مفهوم الحب في الله والبغض في الله، والتعاون بين المسلمين جميعاً على البر والتقوى.

اللهم أعذّنا ولا تعن علينا، وردنا إلى دينك رداً جميلاً، والحمد لله رب العالمين.

12/شوال/ 1420هـ - 19/ 1/ 2000م.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(أ)
1- الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين - الدار المتحدة للنشر بيروت - الطبعة الثانية - 1979م.
2- أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد - طبعة دار المعالي - عمان - 1419هـ/ 1998م.
3- الإدارة العثمانية في ولاية سوريا: محمد عبد العزيز عوض دار المعارف بمصر.
4- أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث: هاني الخيّر - دمشق - مكتبة الشرق الجديد - الطبعة الثالثة/ 1995م.
5- الإرهاب الإسرائيلي المقدس - دراسة في يوميات شاريت نشر منظمة الشعب العربية الأميركية - الشارقة.
6- أربع مسائل إسماعيلية: تحقيق عارف تامر - منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت/ 1985م.
7- الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم - دار الصحوة للنشر بمصر/ 1405هـ - 1985م.
8- الإسماعيليون في المرحلة القرمطية: سامي عياش دار ابن خلدون - بيروت.
9- إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة - دار القلم - القاهرة.
10-أضواء على مسلك التوحيد: د. سامي مكارم، دار صادر - بيروت 1966م.
11-الأعلام للزركلي: طبعة دار العلم للملايين - بيروت 1997م.
12- الانقلابات العسكرية في سوريا: محمد أبو عزة - المنارة في بيروت ودمشق - 1418هـ - 1998م.
13- أيام حسني الزعيم "137يوماً هزت سورية" نذير فنصة/ دار الأمان الجديدة - بيروت.

(ب)
14-البداية والنهاية لابن كثير: دار الفكر، بيروت 1398هـ.
15-البعث: د. سامي الجندي/ طبعة بيروت/ 1969م.
16-بيان الثورة الإسلامية في سوريا - دمشق/ 1980م.

(ت – ث)
17-تاريخ العقائد ومعدن الفوائد: علي بن محمد الوليد - تحقيق عارف تامر - دار المشرق - بيروت/ 1967م.
18- تاريخ العالم العربي: فرانتس شتيبات وسلوى الخماش/ 1395هـ - 1975م.
19- تاريخ الدولة الفاطمية: د. حسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية/ 1958م.
20- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
21-تاريخ العلويين: محمد أمين غالب الطويل - دار الأندلس بيروت - 1966م.
22-تاريخ أخبار القرامطة: لابن سنان وابن العديم، تحقيق د. سهيل زكار، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة - بيروت 1971م.
23- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة.

24-تاريخ سوريا "نهاية الحكم التركي": د. علي سلطان - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - 1987م.
25- التجربة المرة: د. منيف الرزاز - طبعة بيروت/ 1967م.
26- تطور الحركة الوطنية في سوريا: د. ذوقان قرقوط.
27-تقارير الخليل الدبلوماسية: خليل مردم بك - مؤسسة الرسالة - بيروت.
28- التنوخيون أجداد الموحدين الدروز: نديم حمزة، دار النهار للنشر - الطبعة الأولى/ 1404هـ.
29-التوازن العسكري في الشرق الأوسط: ترجمة نبيه الجزائري دار الجيل للنشر - عمّان/ 1984م.
30-الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا: آلام وآمال عمر عبد الحكم/ 1987 - مخطوط.

(ج – ح)
31- الجذور التاريخية للعلوية النصيرية: الحسيني عبد الله - دار الاعتصام - القاهرة/ 1400هـ.
32-الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية: د. محمد عبد الله عنان طبعة القاهرة/ 1937 - دار النشر الحديث.
33-حبال من رمل: لضابط المخابرات الأميركية إيفلاند.
34- الحرب السرية في الشرق الأوسط: أندرو راثمل، ترجمة محمد نجار/ عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع/ 1997م.
35- الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام: منير محمد نجيب مكتبة المنار - الأردن/ 1403هـ - 1983م.
36-الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب - مكتبة الأقصى - عمّان/ 1406هـ - 1986م.
37-الحركات الباطنية في الإسلام: مصطفى غالب - دار الكاتب العربي - بيروت.
38-الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام: سيدني بيلي، ترجمة إلياس فرحات - دار الحرف العربي/ بيروت/ 1992م.
39-حزب البعث العربي الاشتراكي "القطر السوري" المكتب العسكري، مشروع تقرير عن واقع الحزب في التنظيم العسكري "دورية."
40-حزب البعث/ تاريخه وعقائده: سعيد بن ناصر الغامدي دار الوطن: الرياض/ 1411هـ، الطبعة الأولى.
41-حماة مأساة العصر، منشورات دار التحالف الوطني لتحرير سوريا/ 1984م، "المكتب الإعلامي للإخوان المسلمين."
42-حوار حول سوريا: محمود صادق، لندن - نشر دار عكاظ 1993م.
43-حياة صلاح الدين: محمود شلبي، طبعة دار الجيل، بيروت، 1400هـ.
44- خطط الشام: محمد كرد علي، دار العلم للملايين - بيروت/1403هـ.

(د)
45-دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي.
46- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: عبد الله الأمين دار الحقيقة: بيروت، 1406هـ - 1986م.
47- الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق: فؤاد الأطرش.

48-الدروز والثورة السورية : كريم ثابت.
49- الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي: غالب أبو مصلح.
50-دعائم الإسلام: القاضي النعمان التميمي، دار المعارف بمصر.
51-الدكتاتورية محنة الإسلام والعالم: محمد عبد الواحد حجازي الزهراء للإعلام العربي: القاهرة/ 1409هـ - 1988م.
52-دور الشعوبية والباطنية في محنة لبنان: محمد بن عبد الغني النواوي ط: أولى - باكستان/ 1410هـ - 1989م.
53-ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: تحقيق محمد كامل حسين.

(ر - س – ش)
54-رحلة ابن بطوطة، طبعة القاهرة - 1939م.
55-الروضتين في أخبار الدولتين: أبو شامة، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد - القاهرة/ 1962م.
56-سقوط الجولان: خليل مصطفى بريّز/ طبعة مصر/ دار النصر للطباعة الإسلامية/ 1980م.
57-الشرق الأوسط الحديث: ترجمة د. أسعد صقر، إشراف ألبرت حوراني وزملاؤه/ دمشق/ دار طلاس/ 19996م.
58-الشيعة - المهدي - الدروز: د. عبد المنعم النمر - دار الحرية بالقاهرة/ ط: ثانية/ 1408ه - 1988م.

(ص – ط)
59-صبح الأعشى للقلقشندي - طبعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
60-صحيح الجامع الصغير: تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية/ 1406هـ.
61-الصراط للمفضل الجعفي، مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس رقم/ 1949/ عربي.
62-الصراع العربي الإسرائيلي، الجزء الأول لمحمد بن عبد الغني النواوي/ 1403هـ - 1983، الطبعة الأولى.
63-الصراع على سوريا: باتريك سيل، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة - مكتبة طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق/ 1983م.
64-الصراع على السلطة في سوريا: د. نيقولاوس فان دام الطبعة الثانية - مكتبة مدبولي بالقاهرة/ 1995م.
65-صريح البيان: عبد الله الهروي الحبشي.
66-صور وطرائف من تاريخ دمشق، هاني الخيّر - مؤسسة النوري للطباعة والنشر - دمشق.
67-طائفة الإسماعيلية: محمد كامل حسين - مكتبة النهضة المصرية 1958م.
68-طائفة الدروز (تاريخها وعقائدها): محمد كامل حسين دار المعارف بمصر/ 1962م.

(ع)
69-عدنان المالكي (ثلاث رصاصات في الملعب البلدي) محمد نمر المدني، الدار الحديثة للنشر/ دمشق/ 1996م.
70-عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين العلويين: عبد الرحمن الخير - دمشق/ ط3/ 1992م.

71-العلويون النصيريون: أبو موسى الحريري - بيروت/ 1980م.
72-العلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان - بيروت 1980م.
73-العلويون أو النصيرية: د. مجاهد الأمين، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر - بيروت.

(ف – ل)
74-فتاوى الإمام محمد رشيد رضا، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد - بيروت/ 1970م.
75-الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: طبعة المغرب، جمع محمد بن عبد الرحمن القاسم.
76-الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة محمد علي صبيح/ القاهرة.
77- فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي، طبعة النجف/ 1969م، وطبعة استانبول/ 1931م.
78-فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي - طبعة الكويت/ 1964م.
79-الفصل في الملل والنحل لابن حزم - بيروت دار المعرفة.

(ك)
80-الكامل في التاريخ لابن الأثير/ ط3 - بيروت/ 1400هـ دار الكتاب العربي.
81-كسرة خبز: د. سامي الجندي، دار النهار للنشر، ط2/ بيروت.
82-لعبة الأمم: مايلز كوبلاند - بيروت/ 1970م تعريب مراون خير.

(م)
83-المؤامرة ومعركة المصير: د. سعد جمعة - الطبعة الثالثة.
84-مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين بيروت 1973م.
85-مذهب الدروز والتوحيد: عبد الله النجار/ دار المعارف بمصر 1965م.
86-مذكرات خالد العظم، الدار المتحدة للنشر - بيروت.
87-ما الذي جرى في سورية: محمد حسنين هيكل/ الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة.
88-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر - بغداد 1956م.
89-الملل والنحل للشهرستاني، طبع دار المعرفة - بيروت، وطبعة القاهرة/ 1929م.
90-ملفات السويس "حرب الثلاثين سنة" : محمد حسنين هيكل/ مركز الأهرام للترجمة والنشر/ القاهرة.

(ن - هـ)
91-النجوم الزاهرة لابن تغري بردي - وزارة الثقافة المصرية.
92-النصيرية دراسة تحليلية: تقي شرف الدين - بيروت 1986م.
93-النكبات والمغامرات "تاريخ ما أهمله التاريخ" من أسرار الانقلابات العسكرية السورية: بشير فنصة/ نشر دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع/ دمشق/ 1996م.
94- هؤلاء حكموا سورية: د. سليمان المدني - دار الأنوار بيروت ودمشق/ 1999م، طبعة رابعة.
95-الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ - المكتبة العصرية صيدا وبيروت/ 1966م.
96-هذه وصيتي: مذكرات كمال جنبلاط.

97-الهفت والأظلّة للمفضل الجعفي - دار المشرق: بيروت.
98-الهلال الخصيب: د. محمود صالح حسن صالح منسي/ جامعة الأزهر 1416هـ - 1995م.

المخطوطات الواردة في البحث:
99-مخطوطة أعيادنا: المكتبة الأهلية في باريس رقم 6182.
100-مخطوطة تعليم الديانة النصيرية رقم (6182) المكتبة الأهلية في باريس، ورقة/ 18 أ، ب./
101-مخطوطة حسر اللثام عن الإسلام: رزق حسونة الحلبي/ الجامعة اليسوعية بيروت رقم/ 697.
102-مخطوطة في تقسيم جبل لبنان/ محفوظة في الجامعة الأمريكية في بيروت/ رقم (31).
103-ملفات سجلات الخارجية الفرنسية الملف رقم (492)، وثيقة رقم 412، والملف رقم "510، ورقم 3547".
ومعظم هذه المخطوطات اعتمدنا في تأكيدها على كتاب الدكتور محمد أحمد الخطيب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

104- الصحف والمجلات:
جريدة الراية: لبنان - جريدة الأنباء: دمشق - صحيفة المضحك المبكي: دمشق - الحياة البيروتية - النهضة في عمان - جريدة المصري القاهرية - الشرق الأوسط - النهار البيروتية - جريدة البعث: سوريا - جريدة الثورة: دمشق - جريدة المحرر البيروتية - جريدة المناضل: بيروت عدد أيلول/ 1966م، جريدة المجاهد الصادرة في أستراليا (العدد 22) - صحيفة الاتحاد الشيوعية - جريدة الرأي بعمان الرأي العام الكويتية.

المجلات:
-مجلة البيان / لندن، العدد (153).
-مجلة الدعوة الرياض العدد (1634).
-مجلة المجتمع: الكويت العدد (1344) و (1405، 1406).
-مجلة التايم الأمريكية في 8/ 9/ 1976م.
-مجلة سونتاجس جورنال: برلين/ 1970م.
-مجلة جيش الشعب/ عدد نيسان/ 1967م.
-نشره النذير باسم المجاهدين والإخوان المسلمين بسوريا.
-مجلة الدستور في باريس/ عام 1977م.
-مجلة أكتوبر المصرية لعام/ 1978م.
-مجلة الدعوة المصرية: القاهرة.

105- المنشورات والدوريات:
-أوضاع حقوق الإنسان (في الأنترنت) في سوريا: رقم الموقع
http: www.syriah. com.
-مقررات المؤتمر القومي الاستثنائي لحزب البعث عام/ 1966م.
-نشرات القيادة القطرية السورية لحزب البعث/ 1966م.
-تعميم الأمين العام للقيادة القطرية السورية إلى جهاز حزب البعث السوري في شهر شباط/ 1969م.